

مرويات، مستندات وادبيات
عن الحزب السوري القومي الاجتماعي

المنهج العلمي



المجلد الثاني

من 16 تشرين الثاني 1935

الجزء الثانية

الى 16 تشرين الثاني 1936

جيرارد جريج

الى العَامِلَاتِ وَالْعَامِلِينَ فِي حَرَكَةِ السُّورِيَّةِ الْقَوْمِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ
الى الزَهْرَاتِ وَالْاَشْبَالِ، اِيَّامِ الصَّاعِدِ الْاِلَى
مَتَسَمِّحًا بِمَجْدِ وَالسَّعَادَةِ ..

الى الْاَجْيَالِ الَّتِي لَمْ تُولَدْ بَعْدَ ..
الى الْمُنَاضِلِينَ الَّذِينَ قَضَوْا عَلَى طَرِيقِ الْحَيَاةِ شَهَادَةً ..
الى الْمُنَاضِلِينَ عَلَى طَرِيقِ الْحَيَاةِ حَتَّى الرَّمَقِ الْاِخْتِصَارِ ..
أَهْدِي هَذَا الْكِتَابَ

324.256
M663m A
v. 2

مرويات، مستندات وادبيات
عن الحزب السوري القومي الاجتماعي

البيان

المجلد الثاني : الانكشاف، التحقيق والمحاكمة، السجن
العمل العسائري

من 16 تشرين الثاني 1935

من 16 تشرين الثاني 1936

تنبیه

الرجاء الاطلاع على مقدمة المجلد الاول قبل البدء بمطالعة هذا المجلد

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
طبعة اولی 1986

A-540-2759

السنة المحرّبية الرابعة

سنة الانكشاف

1936 - 1935

من السرية الى العلانية

يختلف الوضع العلني عن الوضع السري من عدة وجوه ولذلك بات لزاماً علي ان اعتمد اسلوباً جديداً يتناسب مع هذا الوضع الجديد ويرافقه من جميع جوانبه فهناك الوضع السياسي في سورية الطبيعية عند انكشاف وجود الحزب ثم الوضع الحزبي الخاص عند الانشكاف وما ترتب عليه من واجبات ومواقف لمواجهة تحديات هذا الانكشاف ان علي الصعيد الانترنسيوني بصورة عامة او علي الصعيد الخارجي البريطاني - الفرنسي - التركي - الفارسي بصورة خاصة وبصورة اخص وعد بلفور لليهود في ارضنا او كذلك، علي الصعيد المحلي ان جاز التعبير - في الجمهورية اللبنانية بخاصة وباقي كيانات الوطن السوري: الاردن، الشام، العراق فالكويت بعامة.

لذلك سأحاول التوفيق والتنسيق ما امكن بين الحوادث الجارية في هذه الفترة في الوطن وموقع الحزب فيها من جهة وموقف الزعيم في التحقيق ثم المحاكمة في المرة الاولى ثم في التوقيف والتحقيق في المرة الثانية. وبكلمة اخرى تفصيل الوقائع في فترة السجن التي امتدت الى عشرة اشهر ونصف الشهر من اصل الاثني عشر شهراً في هذه السنة الحزبية. وذلك علي دفعتين: الاولى ستة اشهر وهي المدة التي حكم بها علي اثر الانكشاف والثانية اربعة اشهر ونصف الشهر انتهت دون محاكمة بعد فترة حرة دامت شهراً ونصف الشهر!!! وكذلك بالمقابل ما كان يجري في هذه الفترة من حوادث واحداث خارج السجن، ان سياسية عامة او حزبية بحتة.

نبأ انكشاف الحزب

من هو هذا الجبار الذي اجترح معجزة تأسيس هذا الحزب الذي اخترق كل الحواجز التي وضعها المنتدب الاجنبي وها هو اليوم ينزل الى الميدان بهذا الزخم وهذه الحيوية يلف حوله هذه النخبة من الشباب المثقف، من ابناء المستويات الجامعية؟

بهذا الاندهاش استقبال الشعب نبأ انكشاف وجود هذا الحزب السري وهو يكاد لا يصدق ما يسمع مما تتداوله الاندية وما تكتبه الصحف من تعليقات كلها تدل على الاعجاب والتقدير والاحترام.

موجة عارمة من التساؤل اجتاحت جميع كيانات الوطن السوري والعالم العربي والاساط الانترنسيونية. كلها تريد ان تزداد معرفة بهذه الظاهرة العجائية التي يعبر عنها شخص - نكرة بالنسبة لها - فينشئ حزباً يتمرس بالقواعد والاساليب العلمية الحديثة في بلاد اشتهرت بالغيبيات والماورائيات فاذ بهذا الانسان يعيدها الى واقع الوجود بمبادئ تعالج هذا الوجود بموضوعية ووعي وتفهم للمرض الذي ينتابه بعد ان شخصه تشخيصاً دقيقاً من موقع النطاسي البارع العليم.

هكذا بدأت المعركة بين الحزب الناشئ والسلطة المنتدبة الراسخة الاركان. مرحلة جديدة في الصراع: اولاً، بيننا وبين انفسنا... صراع بين الثبات والخوف والانهمام وثانياً، بيننا كحزب صار علنياً وبين القوى الاجنبية المحتلة تساندها الرجعية في بلادنا. كانت بداية المعركة قول الزعيم للمحقق الاجنبي: « اني اسست حزباً قومياً في السر لايبقى في السر، بل ليظهر للملاء، معلناً تجددة امة كان العالم يظنها ممتة ».

الصحافي التائه

ويسرني في بداية السنة الحزبية الرابعة ان انقل ما يقوله « الصحافي التائه » اسكندر الرياشي في كتابه « الايام اللبنانية » عن ليلة الانكشاف وذلك حسب اسلوبه الفريد من نوعه .

« ولكن كيف عرفنا انطون سعادة ؟ لا يمكن اكتمالا لهذه المذكرات إلا سرد الحكاية الطريفة التي ظهر فيها انطون سعادة فجأة ودون انتظار على المسرح السياسي .

وكان - وهو لا يزال يافعاً - قد اخذ على عاتقه ، وذلك قبل الحرب بسنوات ، بالخفاء طبعاً - يبشر بتعاليمه ويدرس نظامه حتى انتهى وجمع حوله اولاً بضعة عشر مستنيراً من الشباب المتحمس لهذا المسيح السياسي اللبناني الجديد وشكل منهم كتلة ابتدعت فكرة بعث الدولة السورية القديمة الكبرى من قبرها ، والتي ترجع لقبول الفتح الروماني ، عندما كانت سورية التاريخية تبدأ من جبال ارارات وتنتهي بعريش مصر حتى تخوم الجزيرة .

وكان انطون سعادة يعتبر ان قيام نظام وطني صارم في البلاد يرئسه - هو - بالقبضة الحديدية التي يفتكر انه مالكها - يكون السبيل الاوحد والاقوى لتحقيق حلم سورية القومية واعادتها - بعد ثلاثة الاف سنة - الى عالم الوجود .

وانا كنت قد عرفت انطون سعادة عندما لم يكن معروفاً كزعيم ورئيس حزب . كنت قد عرفته بطريقة يمكن القول انها كانت رومانطيقية روائية - اذ لم اكن افكر مطلقاً ان في تلك الدارة الجميلة المختبئة في ضواحي بيروت تظللها اشجار

الصنوبر والتين والبلح - حيث كنت اتردد مشغوفاً رائداً لصالون صاحبة المنزل العالي - اعيش في جو من الجمال واللفظ والثقافة - تخلقه ليس فقط سيدة الدارة وابنتها الحسنة بل ايضاً بضع غادات امتزن - ليس فقط بالخلوة والظرف - بل ايضاً بنوع الحضارة الغربية الانكلوساكسونية - النادرة جداً في بلادنا في ذلك الوقت - والتي كانت تدفع اولئك الحسان للتححرر من الحياة العادية المتبدلة بغية في طرق ابواب الحياة الجديدة التي للمرأة فيها سلطان تعيش حسب ارادتها وليس حسب ارادة اهلها وتقاليد وعادات بلادها - قلت لم اكن افكر في تلك الدارة حيث الجو دوماً عابق بالعطر النسائي، اني سألتقي مع زعيم الحزب القومي السوري وبمثل تلك الظروف الخاصة وبوسط تلك البيئة الارستقراطية نوعاً، وما كنت اعبأ كثيراً بذلك الشاب الزري اللباس المهمل الذي لا يخلق ذقنه الا نادراً، الكثير التفكير، التائه دوماً في عالم المجهول، عندما كنت اراه يجلس يومياً تقريباً على مائدة الدارة يصغي اليه الحضور بحشوية كبيرة ويزداد تحديق عيون الحسان به وتظهر على ملامح بعض الحضور دلائل الاعجاب - وهو يتكلم بالآيات والنظريات البعيدة ويعتلي بعض الاحيان الى سماء الغيب غير المنظور ضائعاً مستنيراً، ملتها بالوقت نفسه الطعام امامه بطريقة نهمة، تدل على انه لم تكن تساعده جيبه لان يتغذى دوماً وتدل شراسته انه صاحب قوة بدنية خفية .

كنا نسهر وتنادم فوق بركان

مدة اربعة اشهر كاملة كنت اسمع يومياً تقريباً لذلك الشاب ولا افهمه ولا يخطر ببالي مطلقاً انه غير ما يتراءى لي - فتى كثير الاحلام والتصورات، قليل المال، خالي البطن والجيب - يسكر من بلاغته وطريقة اهتمام اولئك الحسان به، وكنت اتساءل ما الذي جاء به الى هذه الدارة المنتقاة مع انه لم يكن عنده في ظواهره ولا في اقواله ولا حركاته شيء يدل على انسجامه مع تلك الطبقة الخاصة ولم يكن هناك ايضاً شيء يدل من وراء مظاهره المسكينة الضائعة روحاً وثابة مستغربة كانت في الليالي المظلمة تحلم حلماً كبيراً جباراً فتتدبر المؤامرات على النظام القائم الانتدائي الجمهوري اللبناني السوري، تعمل على استبداله بنظام جديد .

وما كنت لاتصور وانا اقضي سهراتي في الصالون المضياف الجميل بسمر مستمر بين احاديث جديدة طريفة تتبادل بيني وبين المضيفات الحسان، احاديث اكثرها ينزع نحو المغاللات والمنادمات العاطفية، ما كنت لاتصور اني كنت هكذا وانا في الطابق



اسكندر الرياشي

الثاني اجلس على بركان وان في الطابق الاسفل ينتظم عسكريا وسياسيا حزب جديد يتدبر قلب الاوضاع القائمة والعمل على تحقيق الحلم الذي مازال جماعة الحزب السوري القومي يحلمون به حتى الان دائبين على العمل لتحقيقه، مع كل ما اصابهم من فشل واضطهاد ومع كل ما وجد الناس ويجدون في حلمهم ذلك، من جنون.

كلا، ما كنت اتصور انني ذات ليلة وانا في ساعة من ساعات الظرف والانس في الرتاج الاعلى من الدارة سأسمع رجال الامن الفرنسي يفتحون الطابق الاسفل ويفاجئون زعيم الحزب الذي كان يؤلفه والذي كان حتى ذلك الحين سراً لا يعرفه احد - ويعتقلون رجاله.

كنت على وشك الرحيل عندما سمعنا - وذلك في ساعة متأخرة من ذلك الليل - حركة غير عادية وضجيج اقدام وبنادق تحتنا وحول الدارة مما دعاني طبعاً للاستغراب ولتويع من الجزع، خصوصاً عندما نظرت لبنت البيت الحسناء ورأيت اصفراراً غريباً يعلو وجهها الجميل ورعشة تستولي عليها وهي تقول بصوت مرتجف خافت:

« - يجب ان يكونوا قبضوا على الزعيم ورفاقه - » .

وهكذا لاول مرة سمعت كلمة « الزعيم » ومن فم جميل لم اكن اتصور ان صاحبتها العذبة اللطيفة يمكنها ان تكون مشتركة بمثل هذه العصبة المخيفة التي تريد قلب الكون عندنا بالحديد والنار.

عندما استأسدت الصبية الجميلة و ارادت انفاذ الزعيم

ثم رأيت فجأة تلك الفتاة الهادئة عادياً تنقلب الى لبوءة مقاتلة مجاهدة يتطاير النار من عينيها - فتهم - لولا معارضة امها الشديدة لها - بالنزول للطابق الاسفل معرضة نفسها للاخطار وفي سبيل مشاركة رفاقها في الكفاح .

وكان عليّ انا ان اتوارى قبل ان يلحقني الدور ويمجد رجال الامن الفرنسي وجودي في ذلك البيت مستغرباً ولربما اعتبروني من رجال الحزب الثائر فيأخذونني مع الذين راخوا يأخذونهم الى بيت خالتهم لذلك اسرعت واستلمت بابا خفياً وراء الدرّاة، واعطيت ساقبي للريح وكنت افترض ان الفتاة يجب ان تكون افلتت من امها واسرعت باللحاق بالجماعة تريد مشاركتهم مصيرهم . وفعلاً عرفت بعد ذلك . . . انها مع بنت خالتها، تلك الحساء الاخرى القومية المخيفة تلقطنا بقائد رجال الامن العام تطلبان منه ان يقبض عليها اسوة بالرفقاء وتوسلتا اليه ان يذهب بها حيث سيذهب باولئك ولكن الرجل كان كثير الحشمة وكثير الانتظام فرفض اجابة طلب الحسنائين اللتين ظهرتا في تلك الساعة بمظهر كل ما عند المرأة المستنيرة من جنون وجرأة» .

بهذا المقدار، انهي المرحلة السرية من العمل الحزبي السري التي دامت ثلاث سنوات بالتام والكمال ومنتقل الى السنة الحزبية الرابعة» .

ليلة 15 - 16 تشرين الثاني

وتحت عنوان ليلة 16 تشرين الثاني يكتب فؤاد سليمان في جريدة « النهضة » في عدد اول آذار الممتاز 1938 ما يلي : « كانت ليلة السادس عشر من تشرين الثاني من تلك الليالي القائمة العابسة تضح فيها العواصف ضجيجا اشبه شيء بضجيج البحر حين ثور الزوابع في قلبه، او اشبه شيء بضجيج الامم الهزيمة الحق حين تتحفز للثورة. وكان الليل يزيج مع العاصفة الهوجاء مثلما يزيج المركب مع امواج البحر الصاخب وتنتفض الارض بين يدي العاصفة انتفاضا مؤلماً مريراً، كأنها العذراء بين يدي مفترس كاسر، يمزق صدرها واضلاعها بأظافره الدامية، فتئن وتتواهب الزفرات من صدرها كأنها البراكين.

في تلك الليلة كانت مدينة بيروت تنام كالشريدة العريانة تلفها العاصفة بوشاحها المملع، الا اماكن معروفة، منها ما هو ارستقراطي ومنها ما هو متواضع الى درجة الحقارة.

بيروت، بيروت مدينة المتناقضات، كانت تنام في تلك الليلة، ليلة السادس عشر من نوفمبر تنام وفي فمها بركات وتجاذيف، بركات تتصاعد من شفاه الامهات الصالحات والراهبات المؤمنات والزوجات المخلصات وتجاذيف كانت تتصاعد من حناجر الوف من الناس، تفني ايامها ولياليها في انفاق الحياة الضيقة تعج بها السرايب المظلمة وتنتابها الف غصة من غصات التراب المحموم.

هنا راهبة تصلي امام المصلوب، وهناك مومس تتمرغ على اسرة الشهوات. هنا ام سالحة تسهر بجانب سرير طفلها، وهناك زوجة ساقطة تبيع ليلها لساقط مثلها. هنا



فؤاد سليمان

شباب يجهدون افكارهم لتحرير انفسهم من نير العبودية، وهناك شباب يكبلون انفسهم بالف سلسلة من سلاسل التراب والف قيد من قيود الجحيم، ويسفحون شبابهم عند سرير عاهرة مجنونة بلهاء.

في تلك الليلة كان فتى، في مطلع الفتوة، يضحك الشباب في عينيه العميقتين، وترقص الاماني الواسعة على شفثيه الخائرتين، وتطفو قوة التفكير على جبهته الواسعة العريضة، يجلس الى طاولته، وعلى الطاولة تتكسد رزم من الاوراق يقلبها بين يديه ويتفحصها باهتمام زائد، لانها تحمل اماني امة كاملة، وظهر منه انه حريص عليها كل الحرص، فكان يضعها واحدة واحدة، في محفظة كبيرة من الجلد الثمين.

وعندما دقت الساعة الواحدة بعد نصف الليل، نهض عن الطاولة وهو يتمتم: لقد سهرت الليلة كثيراً، فيجب ان انام. ولكنه لم ينم.... فقد كان في قلق وحيرة، اتراه شعر بما يحمله اليه الصباح؟ اتراه احس بأن غدا قد يكون غير اليوم وغير الامس؟ من يدري؟ ونام اخيراً...

ولكن دائرة الامن العام لم تم تلك الليلة.... ولم تغمض عين مديرها بوشيد، ولا غفت عيون رجاله. فقد كانوا جميعهم في حركة دائمة. كانوا يعدون العدة لامر هام، قد يكون اكبر امر يقومون به منذ بدء تسنمهم هذه المناصب، وقد يكون هذا الامر خطيراً الى درجة انهم لا يعرفون اذا كان النجاح يحالفهم... وبان الجهد في حركاتهم، فالقضية خطيرة على ما يظهر. وخاطب المدير رجاله قائلاً: « في الساعة الخامسة تماماً من صباح الغد يجب ان يكون قد انتهى كل شيء.

في صباح الغد استفاقت مدينة بيروت والممسات تتصاعد من هنا ومن هناك، من

المدارس والجامع، من القهاري ومن الاندية والمجتمعات، في الشوارع وفي المنازل..
ماذا؟

جمعية سرية تكتشفها دوائر الامن العام. ويقرأون جريدة «صوت الاحرار» فاذا بها لا تقول شيئاً لانها لا تعرف شيئاً! ولكن هناك اربعون شابا تقبض الحكومة عليهم بتهمة التآمر على سلامة الدولة. وينتشر الخبر في جميع الاوساط، وتحدث به جميع الاندية كأن الهواء حمله الى كل حي، الى كل منزل، الى كل غرفة، واذا المدينة كلها في حيرة وارتباك، واذا الجبل في حيرة وارتباك ايضا، وكثرت الاشاعات وتقولت اللسن والصحف عن حقيقة هذه الجمعية ومراميها. فمن قائل انها ثوروية ومدمرة تحاول ان تنتفض على الحكومة، ومن قائل انها اقتصادية بحجة تروج الدعوة لمصنوعات البلاد.

واذا للجمعية زعيم، واذا لها عمدة، واذا عندها اكثر من عشرة آلاف من الشبان واذا لها دستور وانظمة وقوانين. وتناقلت اللسن اسم زعيمها الاستاذ سعادة بشيء كثير من الاعجاب والتقدير، وحل البرق اخبارها الى ما وراء البحار. واذا هنالك ايضا ضجة، واذا هنالك ايضا وجوم.

في صباح تلك الليلة عند الساعة الخامسة تماماً، كانت بيوت بيروت تستفيق من سكوتها الدائمة لتشهد اربعين شابا من خيرة شبابها يساقون الى سجن الرمل بتهمة التآمر على سلامة الدولة...

ولم يخافوا ولم يجبنوا ومشوا الى السجن بثغور مفرّرة وجباه عالية، فما هم بلصوص ولا قتلة، ولا خونة، هم يعتقدون انهم طلاب حق وطالب الحق لا يخاف ولا يجبن، وكانوا يضحكون كأنهم في عرس والجند يقودهم الى السجن، الا ان الزعيم كان في تفكير عميق، وهو تفكير العاقل الحكيم حينما يقع في مأزق، هو تفكير رجل في ساعة الشدة، كان يفكر فيمن عساه يكون الواشي بهم.

من هو الخائن؟ من هو النذل الجبان؟ من هو الجاسوس الساقط؟ وجالت في رأسه افكار كثيرة! هل انهار هذا البناء الذي وضع حجر اساسه بيده؟ أتبيس هذه النبتة الطرية الجديدة التي سقاها من عرق جبينه؟ ايفنى هذا الحلم الجميل الذي كاد يصبح حقيقة نبيلة سامية؟ ولم يستفق من تفكيره، الا عندما وقفت بهم سيارة السجن، واعلن الجندي وصولهم الى مقر اقامتهم.

عندئذ تلاشت الضحكات من الشفاه وقطبت الجباه! هنا ينام المجرمون والقتلة
واللصوص وقطاع الطوق، فهل يكون مصيرهم كمصير افراد العصابات؟ وعندما فتح
باب السجن الرهيب احسوا ببوابة عالم جديد تنفتح امامهم، عالم لم يعرفوه، ولم
يدخلوا بابا من ابوابه. دخلوا القاووش، كأنهم يدخلون في سرايب الارض المظلمة
العفنة، هذه امكنة لم يألفوها..

وناموا... عند منتصف الليل، على بركات الامهات والزوجات والاولاد والصبايا
والشبان. ناموا على الارض الباردة وهم يهتفون: لتحي سورية! ... وناموا..
من هو انطون سعادة؟

من هو هذا الزعيم الذي يطل فجأة على عالم الزعامة؟

من هو هذا القائد الجديد الذي ينضوي تحت لوائه الشباب؟

تساءل الناس كثيرا عن مؤسس الحزب السوري القومي (الجمعية الارهابية).
وحقهم ان يتساءلوا، فالرجل لم يكن من ذوي الاسماء العريضة الفخمة التي تعود الناس
ان يقرأوها في الصحف عادة، فلقد كان يعمل بهدوء وصمت، والهدوء والصمت
لرجال السياسة امر لم يألفه الناس بعد، فهم قد تعودوا ان يعرفوا ان فلانا زعيم لان
الجريدة الفلانية تلقبه بالزعيم، وانطون سعادة لم تكتب اسمه صحيفة ما، ولم يتردد
اسمه على لسان قبل اكتشاف امر حزبه.

ولم تقتصر الضجة التي اثارها اكتشاف هذا الحزب على بيروت فقط، بل تعدتها الى
جميع انحاء سورية والعالم العربي. وحل البرق اخباره الى القارتين الاوروبية والاميركية،
فكتبت الصحف عنه باسهاب ونشرت صور زعيمه واركانه في الصفحات الاولى، ولم
تتمكن هذه الصحف، على ما لها من نزعات الا ان تبدي اعجابها بهذه الحركة المباركة
تطلع في البلاد السورية وبزعيم هذه الحركة، ووقفت البلاد السورية من اقصاها الى
اقصاها تتطلع الى هذه الشخصية التي استطاعت ما لم يستطعه سواها في عشرات
السنين، ووفقت الى لم قوى الشباب المبعثرة تحت راية واحدة تربطها رابطة واحدة
ومصلحة واحدة وهدف واحد. فخلقت في الآلاف من الشباب روحا جديدة وحيوية
جديدة اساسها النظام والقوة والواجب والحرية والعمل على تحقيق النظام والقوة
والواجب والحرية في امتهم بالطرق العملية المنتجة. فوجدت فيهم جوا نائرا احس معه
الشباب انهم قوة، وانهم احرار، وان بلادهم لهم والمستقبل امامهم.

وانطون سعادة هو نجل الدكتور خليل سعادة، والدكتور خليل سعادة ليس بالنكرة في الاقطار العربية. فالعالم العربي يعرفه معرفة تامة، ولا يزال يذكر له جهاده الشريف المضني في سبيل بلاده، هذا الجهاد الذي حرمه رؤية وطنه ولكنه لم يحرمه محبة هذا الوطن، والدفاع عنه بقلمه وقلبه وماله.

الدكتور سعادة علم من اعلام الجهاد المقدس السياسي والادبي، اقلق مضاجع المستعمرين بصرخاته الداوية، فأبعده بمؤامرة عن سورية ظنا منهم انهم يتمكنون من اخفات صوته الداوي. ولكن صوته الداوي ما زال يرجف اعصابهم وهو في مصر والبرازيل، ولم يخفت منه ذلك الصوت الا الموت ومات الدكتور سعادة وهو يناضل في سبيل المبدأ الذي كرس له حياته.

مات وعيناه تتطلعان الى سورية العزيزة، وشفته تتمتان باسمها الحلو.

مات وفي قلبه حرقة، لانه لم يتسن له ان يرى بعينه سيادة شعبه على نفسه. مات الرجل الكبير، ولكنه ترك وراءه رجلا كبيرا، يدافع عن المبدأ، ويناضل في سبيل الشعب، مات الاسد.. وخلف وراءه شبلا يذود عن العرين..

وانطون هو نجله الرابع ولد سنة 1904 وترعرع تحت اشجار الصنوبر الخضراء في ضهور الشوير، وتفتحت عيناه على رؤوس الجبال الفتان. ترقص على ذرى صنين المهيب وفي غابات الصنوبر العباقة المنتشرة هنا وهناك في جوانب ساحات الضهور. فكانت تولد في نفسه هذه المشاهد احساسا عميقا مفرحاً، كانت نتيجته هذا الحب العميق للطبيعة الذي لا يزال يحسه الى اليوم. وكان يلذه كثيراً، وهو في السابعة من عمره ان يجلس الساعات الطويلة في غابات الصنوبر يتسمع الى انغام الطير والى همس الطبيعة.

ولأمه فضل كبير عليه. فضل لا يزال يذكره بحنو ولهفة، تعهدته برعايتها وغذت في نفسه مبادئ الفضيلة والشرف والحرية. ودرست روحه الفتية على الصدق والاستقامة. نشأ نشأة كانت تنزع به دائماً الى الصدق والاستقامة في كل ما يفعله ويقوله.

وهو لا يزال الى اليوم، يذكر تلك الام الصالحة بلهفة وحنو، ويتألم لذكراها كل الالم، وتغوررق عيناه بالدمع حينما يذكر وفاتها في مصر في اول سني الحرب الكبرى، بعيدة عن وطنها حيث كان يسكن والده بعد تلك المؤامرة التي دبرها رجال معروفون

في البلاد لاغتياله على اثر ذلك الكتاب المفتوح في جريدة لسان الحال في عام 1909 .
وعندما يبلغ الفتى سعادة السنة التاسعة من عمره، يبحر من لبنان الى مصر حيث
يلهطن والده. ويبقى في مصر مدة يعود بعدها الى لبنان في اوائل سنة 1914 برفقة
اخويه الصغيرين واخته الوحيدة.

وفي تلك الاثناء نشبت الحرب العالمية، وانقض سيف القدر على رقاب الانسانية
بيترها بترا.

وتطيرت شظايا البارود والرصاص تملأ جوانب العالم وتغمر ساحاته بالدمع
والدماء .

وطلعت على الدنيا وحوش كاسرة، انياها من رصاص واظافرها من حديد،
واضلاعها من فولاذ، تفتك بوحوش مثلها انياها فولاذ وتفترس من لا ناب له ولا
ظفر، ولا ناقة له ولا جمل.

وغمرت العالم بأسره موجة حراء كأنها السنة جهنم طلعت على الدنيا فضجت
الارض والسماء، وكفر الناس بأربابهم واصبحوا جميعهم وحوشا كاسرة تزجر في وجه
الزوبعة الاوروبية ..

والبلاد السورية كانت طعاما لذلك التنين الاحمر الهائل، وفتكت المجاعة بالشعب
الآمن فشرس الشعب وتلاشت من قلبه عاطفة الرحمة والحنان، فلا القريب يعرف
قريبه، ولا الجار يؤاسي جاره ولا الزوج يعرف زوجته، ولا الام تريد ان تأكل
وتشرب، فلتأكل لحوم بعضها البعض ولتشرب دماء ابنائها.

واصبحت المدن السورية الكبرى مقبرة للاحياء، يموتون في زوايا الشوارع كما
تموت الكلاب الجربة ولا من يتطلع ولا من يشفق ولا من يخالج قلبه عاطفة من الرحمة
والحنان. فكأن الناس اصبحوا في ذلك العهد اصناما بلهاء جاحظة لا تتحرك ولا
تنبض بعاطفة.

وبيروت ايضا كانت مسرحا لعهد الغازي السفاح يلغ في الاعراض مثلما يلغ الكلب
الجائع ببركة من الدم، وبيروت ايضا اصبحت مقبرة للنساء والاطفال والصبايا
والاعراض.

وبيروت ايضا اصبحت مسرحا للجاسوسية. ففي كل زاوية جاسوس، وفي كل
قرية من الشوارع جاسوس، وفي كل لطوة جاسوس، جواسيس هنا وهناك تذر على

المخلصين وغير المخلصين من ابناء البلاد في سبيل اللقمة، ولعادة كريمة تأصلت في نفوس هذه المخاليق.

وسار شباب البلاد الراقي الى المشانق على ذمة هؤلاء الجواسيس، ولم يتحرك في البلاد لسان ولم تنبس شفة، ولم تخرج من الصدور آهة، فكأن الناس اصيبوا بالخرس والصمم والشلل في نفوسهم وفي عقولهم وفي اجسادهم.

فكأن البلاد عدمت الفكر والحس والعاطفة والشرف.

تلك ايام سوداء تذكرها البلاد السورية بمرارة، واشمئزاز، وخجل.

ويذكرها الجواسيس الذين لا يزالون في قيد الحياة، بلهفة وحنو ويتمنون لو انها تعود.

وفي وسط تلك الغمرة الجهنمية، وفي خلال ذلك الجو المثقل بدخان البارود وضباب الغازات، وعويل الارامل واليتامى والمظلومين. كان فتى في الرابعة عشر من عمره يشاهد ضحايا الجوع معفنة في الشوارع، ويسمع انين المحتضرين المطروحين على أسرة الفقر، ويلمس ذل هذا الشعب وفقره ومسكنته، وخنوعه فتثور روحه الفتية، ويود لو انه كان طعاما لجائع، او كأس ماء لعطشان، او دواء لمريض، او خنجرا في صدر جاسوس، او عصا سحرية في كف شعبه يضرب بها رؤوس الطغاة الظالمين. ولكنه لا يقدر.

فيعود الى غرفته وفي عينيه دموع، وفي قلبه ثورة وفي رأسه احاديث.

لماذا قدر لشعبي ان يموت هذه الميته؟

لماذا تضرب السماء هذا الشعب الآمن هذه الضربات القاسية؟

لماذا تحاول امم الارض ان تذلل هذا الشعب وان تميته؟

لماذا يستكين شعبي الى الظلم؟

من الذي جنى على شعبي هذه الجناية؟

كيف يمكن لهذا الشعب ان يحيا، في سبيل من يموت هذا الشعب، ولماذا يموت؟

لماذا؟ من؟ لماذا؟ من؟ كيف؟

ويبتلىء رأسه بالافكار، وتضج امام عينيه اشباح الموتى، ويصم آذانه صراخ

المحتضرين والجانحين، العطاش والمسبيين، فيعض وسادته ويغفو على اشباح ومواكب
تضج في رأسه وفي قلبه.

وفي اواخر سنة 1919 كان الفتى سعادة يدبر ظهره الى صنين ووجهه الى البحر ميمماً
شطر الولايات المتحدة.

الزعيم

« طوباك يا سورية! »

طوباك ايتها العاقر بابنها البكر

طوباك فهاك فتاك يحمل يمينه مشعل الحق والحرية والنور.»

كلمات تتدفق كأنها السيل الجارف من افواه الوف من الشبان في كل يوم وفي كل
ليلة.

شبان وحدت الغاية الكبرى غاياتهم وعانق الحلم الاعلى جميع احلامهم وتلاشت جميع
مبادئهم في مبدأ واحد عام « سورية للسوريين».

شبان، تبارك الشباب. تباركت هذه الوجوه العالية النبيلة، تباركت هذه الدماء
الطاهرة النقية.

شبان يؤمنون بان لهم في الحياة حقاً فيسعون اليه بجرأة واخلاص صفوفاً صفوفاً وراء
زعيم جريء مخلص يعرف ما يريد ويريد ما يعرف ويؤمن بنفسه وباخوانه ايمانه بالرسالة
الكبرى التي يحملها الى الامة السورية.

الزعيم

كلمة تتكهرب لها قلوب اعضاء الحزب السوري القومي كأنها القوسه تجري في
مفاصلهم او انتفاضة من المجد والنور ترفع جباههم عن عتبة الشحاذة والذل والمسكنة
التي مرغت كبرياءهم على ترايبها الاسود طوال اجيال عديدة.

الزعيم

ثورة بيضاء انبثقت من قلب هذا الجبل الابيض من جوار صنين، من تحت ظلال
الصنوبر.

ثورة تريد ان تهدم اباطيل الجهل والخرافات التي عششت في زوايا عقول الموتى
وتحقق خرافة التاريخ الملعونة التي خيمت على ادمغة الرجعية في هذه البلاد.



ثورة تحاول ان تنظف هيكل الحياة المقدس من اوساخ العقائد البالية والمبادئ المتفسخة المشلولة وتحطم الاصنام البلهاء الموبوءة التي نصبها الخوف والحيانة الهمة في كل قرية وفي كل مدينة.

الزعيم

روح كبيرة جبارة من تلك الارواح النبيلة التي تظهر في فترات من الزمن تحمل رسالتها الى ابناء جنسها، لها مثلها في الحياة وفي سبيل هذه المثل تكافح وتعمل وتضحى.

الزعيم

وثبة عنيفة قوية في عروق هذه الامة الغافية منذ آلاف السنين على بوابة الاستعطاء تستجدي اكف المحسنين من عابري الطرق.

هذه الامة الآكلة خبزها معجوننا بالدمع والدماء، الشاربة خمرها في كؤوس من التراب الاسود.

هذه الامة التي تقدس الف وثن مذهب وتؤله الف مسخ مذنب وتعبد الف اله كاذب.

الزعيم

رجولة صحيحة كاملة.

رجولة تحترم نفسها وتؤمن بحقها وتعمل في سبيل هذا الحق.

رجولة تعرف كيف تعمل، وكيف تضحى وكيف تحافظ على هيبتها حتى في اشد المواقف خطورة.

رجولة لا تلين الا امام الحق ولا تشتغل الا في سبيل الحق.

رجولة، بكل ما في الرجولة من معنى واسع شامل، فزعيم الحزب السوري القومي رجل باخلاقه العالية رجل بعقائده ومبادئه، رجل بارادته الحديدية، رجل بجراته واخلاصه وتفانيه، هو رجل، وما اندر الرجال.

الزعيم

صوت حق صارخ: اعدوا طريق امتي بين الامم.

صوت فتى شاب يهيب باخوانه الشبان قائلاً:

يا اخوتي، يا ابناء امتي الشبان: انتم ملح الارض فان فسد الملح فماذا يملح.

انتم نور الغد فلا تحولوا انفسكم الى ظلمة كالحة.
انتم جداول صافية عذبة تسير بقوة الى بحرها الكبير فلا تكونوا في الغد مستنقعات
موبوءة تأويها الديدان وتفور منها القذارة.
ان الشجرة المباركة التي انتم بعض اغصانها لن تقدم ثمارها باستحقاق على مائدة
الجهاد المقدس اذا لم تكن ثمارا نقية طاهرة بل تكون طعاما لمزابل الحياة الكثيرة.
لا تخافوا الافاعي الكامنة في كل معبر ولا تركنوا اليها وان تكن ناعمة الملمس
معسولة، جذابة فهي شريرة.

الزعيم

جبهة عالية نبيلة ترسم عليها خطوط واسعة عميقة تتجلى فيها معاني التفجير
الصحيح وتنتهي الى ما بين الحاجبين بتقطعية فيها شيء كثير من هيبة الرجولة وعنفوانها .
عينان عميقتان شعشاعتان تنفرجان بين الاونة والاخرى عن اهداب طويلة تنبتق
من خلالها نظرات مهيبة تشع فيها الثقة بالنفس والارادة الوثابة والصراحة المخلصة
الجريئة.

عينان تعلنان بوضوح اسرار تلك النفس الجبارة وتكادان ان تبوحا بما في تلك
النفس من معان واسرار وقوة وهيبة ورجولة واخلاص وجرأة وايمان.
انف يستششق الهواء بكبر فكأن صاحبه يحاول ان يقول:

ادخلي! ادخلي يا زوابع الحياة بكل ما فيك من بركات. ادخلي بكل ما فيك من
ويلات. ادخلي ايتها الزوابع المقدسة فستجدين في صدري الف عاصفة والف زوبعة
تزجر بألف حنجرة وتعصوف بكل لسان. ادخلي فهنا مأواك.

شفتان تحيران بين ابتسامة مبهمة عميقة اذا رضينا وبين عسة عنيفة اذا غضبنا، وبين
الابتسامة المبهمة والعبسة المرة يحاول زعيم الحزب السوري القومي ان يشرح نظرياته
ومبادئه وعقائده وهو يحاول ان يقنع عقلك قبل ان يقنع عاطفتك لان الامم تحيا على
العقول اكثر منها على العواطف وانت بين هذه الابتسامة الحائرة وهذه التقطعية القاسية
تصغي بعقلك وعاطفتك، بعينيك وقلبك فلا تخرج من الاجتماع الا ورأسك ملآن
وعاطفتك مكتفية. تخرج وانت تردد في عقلك وقلبك هذا رجل، هذا رجل.
صدر مرتفع رجب كأنه قد من صخور هذا الجبل، يحدثك عن رجولة زعيم الحزب
السوري القومي.

صدر قائد جريء مخلص يتقبل وبيلات الحياة بشجاعة ويرى انه من الجبن ان يدير ظهره للعدو .

قامة تتراوح بين الطول والقصر ولكنها منتصبه دائما كالرمح . خطوات جريئة سريعة عسكرية منتظمة . خطوات قائد مخلص يسير دائما الى الامام .

عرفته عندما كان الحزب ضبابا في دماغه فأحسست بأن من خلال ذلك الضباب سينبثق فجر الايمان الحقيقي ، فجر النور والحق والعقيدة ولسنت في نبرات صوته الموسيقية اصداء زوبعة بعيدة تزجر في صدره وشعرت بايمان جديد يتسرب من روحه الى روحي فيعانق كل كياني ماضي وحاضري ومستقبلي .

في تلك الساعة ولد اله جديد في قلبي وماتت الهة ..

وكنت التقي به دائما في كل ليلة منفردا في زاوية مختفية من زوايا مطعم حداد في رأس بيروت فيدفعني قلبي اليه ولتلك الزاوية فضل كبير علي ، فضل لن انساه الى الابد كما ان لها الفضل الاكبر على اكثر شبان الحزب .

من تلك الزاوية انبثق ايماني الجديد ، ايماني بنفسي وبقضيتي وبيلادي ..

الايمان .. الايمان .. ما اعظم الايمان .

بالايمان شفى الناصري الاعرج والابرض وبالايمان اقام الميت .

بالايمان عمل غاندي في الهند .

بالايمان تعمل ملايين من البشر المتألمة .

بالايمان ينتقل الجبل الى البحر .

بالايمان يعمل الحزب السوري القومي .

الايمان .. الايمان .. تبارك المؤمنون .

انكشاف أمر الحزب

ويقول جبران جريج عن انكشاف امر الحزب في الكورة وبخاصة في قريته بترومين.

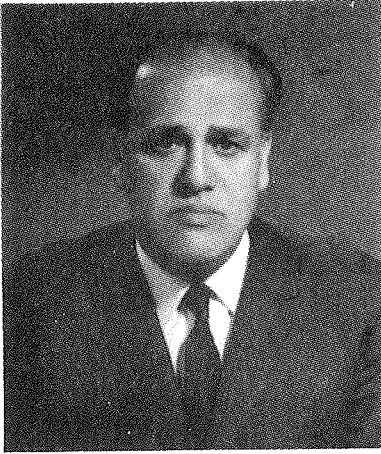
« قبل ظهر يوم الانكشاف وصل النبأ الى الضيعة غامضا، القت السلطة الفرنسية القبض على عصابة، على عصابة، على جماعة، على جمعية سرية «ارهابية»،.... الخ....، ثم تبلور الخبر عندما وصلت الجرائد. انكشف حزب سري في بيروت.

حافظنا كلنا على هدوء اعصابنا وكان من عادتي عندما لا اكون خارج الضيعة ليلا ان اقضي السهرة في احد البيوت نلعب بالورق. الغيت كل مواعيدي المسائية ورحت اتبع الاخبار واوصي من يذهب الى المدينة - طرابلس - بان يحمل لي معه جريدة.

ما طالت هذه الفترة الزمنية فقد وصل الى الضيعة خبر بتوقيف عبدالله حريكة وشقيقه جورج حريكة في نظارة الامن العام في طرابلس بضع ساعات واعتقال الدكتور سميح علم الدين ونقله الى بيروت للتحقيق. حضر عبدالله وجورج الينا وهما جد طبيعيين وطمئنانا الى ان الاسئلة التي وجهت اليهما لا تدلان على ان الامن العام يعرف الشيء الكثير.

اما «الرأي العام» عندنا، في الضيعة سبق السلطة الى اكتشافنا فقد اخذ الناس يربط اتصال فلان بفلان وعلاقة علتان بعلتان، اذن هؤلاء اعضاء في هذا الحزب وانا، بالطبع، ما عدا عبدالله وجورج، في الطليعة.

لكن الظاهرة الغربية العجيبة التي تجلت على اثر هذا الاكتشاف عن نفسية الرعب والخوف او بالاحرى نفسية الملغ من جبروت السلطة، كانت امرا مرعبا مخيفا. لقد



جبران جريج

انفجرت براكين الاستكانة والاذلال التي كانت كامنة في بواطن الاجيال العثمانية وبرزت الامثال من نوع « العين لا تلطم مخزراً ». وسالت الدموع من المآقي، مآقي الامهات التي اعترف لهن اولادهن عن عضوتهم في هذا الحزب.

كيف لا يبكين ولا يندبن حظ ابنائهن وهم المعرضون للحبس. واي حبس؟ حبس الرمل، في بيروت. وما ادراك، ما هو حبس الرمل في بيروت! انه حبس يدفن فيه الرجال ولا يبقى ظاهرا الا الرأس. يا ويل اولادهم من حبس الرمل!!!

اجتمعت بناظر المالية الرفيق الياس خوري وتداولنا بامر معالجة هذه الظاهرة المحقرة لكل صفات الرجولة فينا وبعد اخذ ورد اتخذنا قرارا بمعالجة المرض بنفسه «وداوها بالتي كانت هي الداء». اي نخوف النسوة من الحكومة، من الجندرية، من الحبس اذا هن داومن على البكاء، لان هذا البكاء يعطي الدليل، مجاناً، لهذه السلطة على عضوية ابنهن في الحزب. اي بكلام ابسط ان السلطة ان لم تكن عاملة بابنها فتكون الام كمن تقول لها بسبب بكائها، «خذي، ابني الى الحبس فهو من المجرمين الذين تفتشين عنهم».

قمنا بجولة على هذه المنازل وطبقنا هذه الخطة المرسومة فنجحت نجاحاً باهراً وتوقفت موجة البكاء وصرير الاسنان وعاد الهدوء الى الاعصاب. كانت هذه هي معرفتنا الاولى عند الانكشاف.

من الناحية الحزبية، في بيروت، كان كل اتصال قد انقطع. وصرنا عرضة لحرب الاشاعات. تضخم عدد المقبوض عليهم، تحولت الاوراق المقبوض عليها الى وثائق خطيرة. احكام الاعداد راجت كما ايام الاتراك.



كامل ابو كامل

وقد جاء في مذكرات كامل ابو كامل المخطوطة بهذا الصدد ما يلي :

« نبأ تناقلته الجرائد يهز ضمير الامة هذا . اكتشاف حزب سري في بيروت يرأسه انطون سعادة ، استاذ يعلم الالمانية في الجامعة الاميركانية . رجال السلطة يسوقون الزعيم واركانه الى السجن . وبانكشاف امر الحزب لم يبق خافيا على الذين كانوا يتطلعون لهذا التآلف الذي كان حاصلًا بين شباب القرى الذي يوجد فيها قوميون دون ان يدركوا السبب لهذا التآلف فكتشفوا السرّ بانكشاف امر الحزب وهذا ما ازهلهم .

وقد سمعت الكثيرين من اهل قريتي يقولون لي : « سنة ونيف تمر علينا ونحن نقول ما هذا التآلف الذي يحصل اليوم بين شباب الضيعة ؟ وما هذه المحبة الفورية التي نراها بين ابن الحارة الفوقى وابن الحارة التحتا ؟ اما الآن فقد انكشف لنا ما تمكتم من اخفائه عنا مدة طويلة . عجيب امر المبادئ التي تجمعكم وتجعلكم اقرب الى بعضكم من قربكم لذويكم ! وفعلا كان الاقبال قويا على دخول الحزب . فدخل ما يزيد على المئتي شخص في منفذية الشوف فقط في مدة لاتتجاوز الشهرين . »

واستمر الاقبال شديدا رغم محاربة السلطة له الى ان اتخذ القمع طابع التضيق على لقمة العيش فشنت حربا شعواء على كل من عرفت عنه انه ينتمي الى الحزب او يعطف عليه فانفلش رجال الدرك بتنظيم محاضر ضبط باقل الامور : بالدجاج ، بالمراحيض ، بالخروف ، بالبقرة ، الخ... وما كثفت بالاعضاء والموالين بل تعدته الى من يتعامل معهم في تجارتهم . وهذا التضيق الرخيص كان له الاثر البالغ على الكثيرين من الناس نظرا للحالة المعاشية السيئة جدا التي كان الشعب اللبناني يتخبط فيها .

وفجأة كثر الذين يطلقون الاشاعات الملفقة على علاقات هذا الحزب بالفاشستية والنازية وبدأ رجالات الدين من جميع الطوائف بدعاياتهم المشوشة لذوي العقول الصغيرة - وما اكثرهم في شعبنا - فيقولون، مثلاً، هذا الحزب الكافر، يشجع زواج المسيحية بالمسلم الدرزي وبالعكس.

وكلما ازدادت الجرائد الموالية او المتحررة من الثناء على مبادئ الحزب الاصلاحية وعن وطنية معتنقي مبادئه والعاملين لها، كلما زادت الحملة التهشمية في هذا الحزب التي وراءها الانتداب في الدرجة الاولى ورجال الاقطاع السياسي في الدرجة الثانية بينهم رجال الدين الذي له الاثر البالغ على الفئة الغبية من شعبنا.

★ ★ ★

ويقول ايضا، الياس جرجي بهذا الصدد في مقال نشرته جريدة « البناء »، في العدد 189 تاريخ 18 تشرين الثاني 1974 الخاص بذكرى التأسيس ما يلي: « ذات ليلة، والكون ملتحف بظلمة حالكة السواد، وعرة المسالك، شائكة الرؤيا، والارض تتلقى سيات الامطار الهادرة، فتنفجر احشاؤها فرحة بالينابيع الغزيرة الدفاقة التي تجرف الانصاب اليابسة وتقتلع الاغراس الضعيفة، صبيحة تلك الليلة الدهماء، وسط تلاطم جحافل الرعود والبروق القاصفة، المتألبة على الكون، داهم رجال الامن منزل الزعيم وبيوت عدد من اعوانه الذين كشف امرهم في بيروت وانحاء اخرى من لبنان بتهمة تأسيس حزب سري خارج على القانون.

وقع الحدث فجر السادس عشر من تشرين الثاني 1935، عندما انحسر النقاب عن وجه الحزب السوري القومي الاجتماعي واعلن وجوده للملا كأنبثاق النور من حلك ظلمة عاتية.

طلعت الصحف ذلك اليوم، تفاجيء الناس نبأ مداهمة السلطة لحزب سري ذي تنظيمات عسكرية صارمة، يقول بالامة السورية معلنة نبذة عن مبادئه واهدافه كما وصلتها، ومعرفة بزعيمة وبعض العمدة المعتقلين وسواهم بين سجين وطريد.

انتشر الخبر سريعاً وهبت تنناقله الالسن والاقلام بالتعليقات والتقديرات عن شأنه ومصيره امام الطغيان. فانقسم الناس ازاء الحدث الجديد بين معجب بهذا الحزب الجريء، ومشيد بمواقف الزعيم وشجاعته البالغة وسائر رفاقه في مواجهتهم لمطاردة قوى الامن لهم وصمودهم الفذ في تحمل مسؤولياتهم، مما دل على انهم يتمتعون بقسط



الياس جرجي

بارز من التصميم والرجولة والايمان بقضيتهم، وبين خائف مشفق على مصرير شبابهم امام القضاء الاجنبي، او مستنكر رعونتهم وتهوسهم في تجدي سلطة الانتداب والتصدي لهيمنتها بتأسيسهم حزب سري شبه عسكري يعمل لتحرير البلاد واستقلالها التام، غير متحسب لوجود الفرنسيين، وهم في اوج سطوتهم، ولا مبال لوقوفه تحت طائلة القانون والعقاب».

الاوامر تصدر:

ما كاد ينكشف امر الحزب حتى بادر المركز الى موافاة الفروع بأدق المعلومات الصحيحة عن سير التحقيق واتجاه الاعتقالات الجارية، فضلا عن اخبار الصحف وتعليقاتها المتنوعة ان في الوطن السوري والعالم العربي او انباء الصحف الاجنبية التي واكبت الحدث عن كئيب، كما عمم على الفروع تعليمات اساسية يطلب فيها:

1 - اخفاء جميع الاوراق الحزبية في مكان لا تتعرض فيه لاي تلف او الوقوع في قبضة الخصوم والسلطات. فالحرص على الوثائق وتأمين حفظها بعناية والرجوع اليها واجب قومي مهم لا يصح التهاون به تحت كل الظروف والاحوال، لانها سجل الاعمال والمواقف.

2 - الاستمرار المعتاد بالنشأ السري وممارسة كامل الواجبات، مع توسيع نطاق الاتصالات الشعبية في جميع الاوساط، ومتابعة السهر على روحية الاعضاء وسلوكيتهم، خاصة ابان الازمات والمعارك.

3 - ترصد جميع ردود الفعل من قبل الرأي العام تجاه الحزب مهما تنوعت

وتضاربت، وسواء كانت مؤيدة او معادية. ثم رفع التقارير عنها بالتسلسل الحزبي الى المركز ليتاح له معرفة الحقيقة في حينها ويقوم، بالتالي، بتوجيه العمل الاذاعي والتثقيفي توجيهها عمليا، يسدد به شتى المتطلبات النفسية الفكرية للجميع، كما يزود القوميين الاجتماعيين بالبراهين الراهنة عن صحة العقيدة ونظامها الخلاق، وبالدراسات اللازمة لاعدادهم الى واجب التلبية الافضل والاثم.

ويكتب وكيل عميد الاذاعة، وديع الاشقر، هذه القطعة الادبية الرائعة، المعبرة، في ذكرى يوم 16 تشرين الثاني 1935 ويرفقاها بصورة للزعيم مكبل اليدين:

ذكرى يوم 16 نوفمبر 1935

« وكانت فاتحة عهد جديد وبوادر ثورة.
فاتحة عهد اعتقال وسجن وتشريد.
يوم فتح المستبد عينيه ليرى ان للعقيدة قوى.
اتى مثلها للنار والسلاسل والحديد!
وان في الامة فرداً تمثلت فيه قوى الامة.
دماغ جبار يخلق فكرة، فكرة بعث وانطلاق وشمول.
وريع المستبد وقض مضجعه، تقلقل عرشه.
فاذا للسلاسل عهد، وللسجن عهد، وعهد
فشل.

كأني بالعاتي كمن يحاول اغراق البدر من كوة.
ولف النور بالظلمة، وخنق العاصفة في اناء!
واذا بالسلاسل طوع في يديه وزينة مجد،
ورمز واجب.
تنكّر للظلم وهزأ، ووفاء للعهد وثبات في
الوعد.»



وديع الاشقر



المحامي عبدالله قبرصي وعروسه

بين السجن والعرس

قال قبرصي في عدد مجلة «المعرض» الممتاز المختص بالحزب السوري القومي الاجتماعي، العدد 1094 تاريخ 25 نيسان 1936 :

« لعل اكثر ما اثار فضول الناس في قضية الحزب السوري القومي الاجتماعي، يوم هبت العاصفة في المدينة، عن افتضاح سره، والحجز على زعيمه ورفقائه، هو حادث اعتقال الروائي ليلة عرسه .

وكنت اود في المقالة الاولى، التي اكتبها بعد سكون العاصفة، وبعد العرس، ان اتناول قضية الحزب من احدى نواحيها القومية الاجتماعية او النظامية والسياسية، بعد ان وقفت الصحف منا موقف المستطلع لا موقف المطلع، لا قوم على الاقل، بقسط ضئيل من مطالب الاذاعة، وقد دقت ساعتها، الا اني رأيت لزاما علي ان اروي الفصل المجهول من روايتي، وقد يكون من الطرافة بمكان..

ترى، ايمن احدنا من الذين يهتمون للحزب السوري القومي الاجتماعي - والواقع ان كل الامة السورية تهتم بجزها - مهما يكن واهي الحافظة، ان ينسى يوم 16 نوفمبر الماضي؟ ..

يوم تاريخي طغت فيه موجة من الكآبة والاضطراب على انحاء البلاد جميعا، وبدت الشوائع، يذر قرنهما في كل ناد، واخذت اللسنة تنطلق بما يصور الخيال او الغاية، واتجهت الانظار الى دائرة الامن العام وسجن الرمل، وفي كل نظرة حيرة وبجران..

وعصارى اليوم السابق لهذا التاريخ كنت اكتب للزعيم، هذه الكلمات :

« بعد غد في الساعة الواحدة من السابع عشر من نوفمبر، موعد اول عرس سوري قومي اجتماعي، وتشاء الظروف ان يكون عرس احد رفقاتك الخالص فأرجو يا حضرة الزعيم، ان تكون الشاهد على عقد القران. ليكمل معناه القومي بشهادتك وحضورك، ويكون فجر عهد جديد على الحزب السوري القومي الاجتماعي مليء باعراس الكرامة والنصر. »

وقد نزل الزعيم عند رغبتى، وكان من البديهي ان المتح، في دهاء وخبث، عن هدية الاشبين. فقرر ان يحمل الينا باقة من الازهار مكتفيا بهذا المقدار لعجز في ميزانيته الخاصة، وهي لم تكن يوما بغير عاجزة بشهادة (رجال الامن) الذين قبضوا في ما قبضوا عليه من التحف عند الزعيم غرشا ونصف الغرش اودعت معه سجن الرمل ولما تزل...

كان من المقرر ان يدعى مجلس العمدة الى حفلة عرس عميد الاذاعة، كما تقضي التقاليد والواجب، ولعل الفرصة كانت سانحة لان يلتئم المجلس بجلسة رسمية في دار العروس للمداولة ببعض الشؤون الملحة، واتخاذ بعض المقررات قبل شهر العسل...

واعتراف كهذا بعد محاكمتنا والحكم قد يفيد المدعي العام السيد «فورنيه» في قضايا غير قضية الحزب السوري القومي الاجتماعي، لاني رأيت اهتماما منه للاهتمام الى المقر الذي كنا نعقد فيه اجتماعاتنا الرسمية... فهل دار العروس من الامكنة التي يحظر فيها الاجتماع على احد؟..

وبعد ان كنا قد ضربنا موعد السفر وهو الساعة الواحدة من اليوم التاريخي 16 نوفمبر، اذ بنا نساقر كلنا على دفعتين الى دار الامن العام، وهناك يلتئم الشمل، ويكتمل موكب العرس، بحضور الزعيم والمجلس وسائر الرفقاء.. ولكن، يا للاسف، كانت تنقصنا العروس!!

والغريب اني ما وجمت، كما ان احدا من المعتقلين ما وجم، بل كان الاعتقال مدعاة فرح ومزاح للبعض، وتفكير هادىء للبعض الآخر، فاقتبلناه كلنا بصدور رحبة

جزلين ان يكون الامن العام قد اخذ على عاتقه ان يقوم بالدعاية لنا في انحاء العالم ، على السنة الصحف والراديو، في كل الاندية والمجالس والدور التي يهيمها مصير هذه الامة
اولا ...

اجل لقد كانت ضحكاتنا تملأ فضاء الامن العام الخالي الامن الحرس الصامت . ومن لا يعترف ان الضحك في الساعات الخطيرة الحرجة ، لا يصدر الا عن النفوس القوية ، والعقائد التي لا تلين ..

اما انا فقد رجعت الى نفسي ، اريد الخروج من المأزق ، ولكن ادرت بعد لأي ، ان المدعويين سيفهمون من الصحف - والصحف تدخل كل الخبايا - سيفهمون اني بين ليلة وضحاها اصبحت عريس السجن ، فلن يقبلوا على تهنتي لبعث المزار بين دار العروس وبين الرمل ، ولبعث الفرق بين العروسين ..

ثم قلت ان اعتقالي ليلة العرس سوف يكون له تأثيره في كل احساس ، وسوف يتحدث به الناس في كل مكان ، وفي هذا ما فيه من وسائل الترغيب والتشويق اخبار الحزب ومعرفة كل ما يقال عنه وما يكتب وبالتالي الاعجاب بمبادئه والدخول صفوف المجاهدين لاجلها . فيكون الاعتقال اذاً قد خفف من اعباء الاذاعة من انه عبء ثقيل .

والقريب ان رجال الامن الذين لا يؤخذون بالعواطف ، ضحكوا للحديث رأوا امامي على الطاولة كفوفي البيض ، والقبة وتوابعها ، وكان هنالك واحد ، وفي يده خاتم خطبة ، رأيتة يجذب الي كمن يريد الاستفهام اذا كنت مغرباً
لا ؟ ..

وكان الوصول الى السجن ، وكانت ليلة كتلك التي صلب فيها المدعى بين المجرمين العاديين ، يلوي رأسه في صبر وشجاعة الهيتين ، بينما الصالون يتشاور في امر الدين . ولن احدث في هذا المكان عن اسبوعي في السجن ، فقد - الى جانب الزعيم والعمد وسائر المجاهدين اشبه بالنعيم ، وقد استطعنا ان نجتذبنا فئات بني البشر احباب الشيطان وطرائد الفاقة والمجتمع الفاسد ، فنحظى من بالاجلال والاحترام ، ويتسارعون الى خدمتنا عن طيبة خاطر .

ولن احدث احدا عن الظلمة والروائح غير المستحبة وعن الاثر الذي يجز في النفس ، عندما يشعر الانسان بأنه فقد حريره في استنشاق الهواء النقي ، ومداعبة نور

يوم تاريخي طغت فيه موجة من الكآبة والاضطراب على انحاء البلاد جميعا ، وبدت الشوائع ، يذر قرنها في كل ناد ، واخذت الالسة تنطلق بما يصور الخيال او الغاية ، واتجهت الانظار الى دائرة الامن العام وسجن الرمل ، وفي كل نظرة حيرة وبجران ..

وعصارى اليوم السابق لهذا التاريخ كنت اكتب للزعيم ، هذه الكلمات :

« بعد غد في الساعة الواحدة من السابع عشر من نوفمبر ، موعد اول عرس سوري قومي اجتماعي ، وتشاء الظروف ان يكون عرس احد رفقاتك الخالص فأرجو يا حضرة الزعيم ، ان تكون الشاهد على عقد القران . ليكمل معناه القومي بشهادتك وحضورك ، ويكون فجر عهد جديد على الحزب السوري القومي الاجتماعي مليء باعراس الكرامة والنصر . »

وقد نزل الزعيم عند رغبتى ، وكان من البديهي ان المتح ، في دهاء وخبث ، عن هدية الاشبين . فقرر ان يحمل الينا باقة من الازهار مكتفيا بهذا المقدار لعجز في ميزانيته الخاصة ، وهي لم تكن يوما بغير عاجزة بشهادة (رجال الامن) الذين قبضوا في ما قبضوا عليه من التحف عند الزعيم غرشا ونصف الغرش اودعت معه سجن الرمل ولما نزل ...

كان من المقرر ان يدعى مجلس العمدة الى حفلة عرس عميد الاذاعة ، كما تقضي التقاليد والواجب ، ولعل الفرصة كانت سانحة لان يلتئم المجلس بجلسة رسمية في دار العروس للمداولة ببعض الشؤون الملحة ، واتخاذ بعض المقررات قبل شهر العسل ...

واعتراف كهذا بعد محاكمتنا والحكم قد يفيد المدعي العام السيد « فورنيه » في قضايا غير قضية الحزب السوري القومي الاجتماعي ، لاني رأيت اهتماما منه للاهتمام الى المقر الذي كنا نعقد فيه اجتماعاتنا الرسمية ... فهل دار العروس من الامكنة التي يحظر فيها الاجتماع على احد ؟ ..

وبعد ان كنا قد ضربنا موعد السفر وهو الساعة الواحدة من اليوم التاريخي 16 نوفمبر ، اذ بنا نسافر كلنا على دفعتين الى دار الامن العام ، وهناك يلتئم الشمل ، ويكتمل موكب العرس ، بحضور الزعيم والمجلس وسائر الرفقاء .. ولكن ، يا للأسف ، كانت تنقصنا العروس !!

والغريب اني ما وجت ، كما ان احدا من المعتقلين ما وجم ، بل كان الاعتقال مدعاة فرح ومزاح للبعض ، وتفكير هادىء للبعض الآخر ، فاقببلناه كلنا بصدور رحبة

جزلين ان يكون الامن العام قد اخذ على عاتقه ان يقوم بالدعاية لنا في انحاء العالم، على السنة الصحف والراديو، في كل الاندية والمجالس والدور التي يهيمها مصير هذه الامة اولاً...

اجل لقد كانت ضحكاتنا تملأ فضاء الامن العام الخالي الامن الحرس الصامت. ومن لا يعترف ان الضحك في الساعات الخطيرة الحرجة، لا يصدر الا عن النفوس القوية، والعقائد التي لا تلين..

اما انا فقد رجعت الى نفسي، اريد الخروج من المأزق، ولكن ادرت بعد لأي، ان المدعويين سيفهمون من الصحف - والصحف تدخل كل الخبايا - سيفهمون اني بين ليلة وضحاها اصبحت عريس السجن، فلن يقبلوا على تهنئتي لبعده المزار بين دار العروس وبين الرمل، ولبعده الفرق بين العروسين..

ثم، قلت ان اعتقالي ليلة العرس سوف يكون له تأثيره في كل احساس، وسوف يتحدث به الناس في كل مكان، وفي هذا ما فيه من وسائل الترغيب والتشويق لتتبع اخبار الحزب ومعرفة كل ما يقال عنه وما يكتب وبالتالي الاعجاب بمبادئه والدخول في صفوف المجاهدين لاجلها. فيكون الاعتقال اذاً قد خفف من اعباء الاذاعة، بالرغم من انه عبء ثقيل.

والغريب ان رجال الامن الذين لا يؤخذون بالعواطف، ضحكوا للحادث، لذن رأوا امامي على الطاولة كفوف البيض، والقبة وتوابعها، وكان هنالك واحد منهم، وفي يده خاتم خطبة، رأيتة يحدق الي كمن يريد الاستفهام اذا كنت مغرورق الجفن ام لا؟..

وكان الوصول الى السجن، وكانت ليلة كتلك التي صلب فيها المسيح، بين المجرمين العاديين، يلوي رأسه في صبر وشجاعة الهيئين، بينما الصالبون يتشاورون في امر الدين.

ولن احدث في هذا المكان عن اسبوعي في السجن، فقد كان الى جانب الزعيم والعمد وسائر المجاهدين اشبه بالنعيم، وقد استطعنا ان نجتذب الينا فئات بني البشر احباب الشيطان وطرائد الفاقة والمجتمع الفاسد، فنحظى منهم بالاجلال والاحترام، ويتسارعون الى خدمتنا عن طيبة خاطر.

ولن احدث احدا عن الظلمة والروائح غير المستحبة، وعن الاثر الذي يحز في النفس، عندما يشعر الانسان بأنه فقد حريرته في استنشاق الهواء النقي، ومداعبة نور

الشمس المحيي، الالهي، المبارك.

اما المخلوقة التي كتب لها ان تشترك معي في حياتي، على اي وجه تقلبت، والتي دعاها الواجب الوطني الى التضحية وهي على عتبة الاكليل، فقد كانت همي الاوحد وانا بين الجدران الاربعة ...

لقد كنت افهم عمق احساسها، وادرك كيف تذوب حنانا ودموعا وجزعا، عندما يوافيها الخبر بأن عريسها اصبح بين يوم ويوم عريس السجن، بل عريس المشنقة على ما يصور الوهم ويوسوس القلب المفجوع للجنس اللطيف في مثل هذه الظروف المفاجئة قضاء وقدرًا.

لقد كنت اتصورها، وانا بين الرفقاء، تملأ اصداء اصاحيكننا جوانب السجن، تشرق بالدمعة السخينة، ويعلو صراخها، خارج جدران المعقل المحصن بالرمال، منتظرة ان تسترق نظرة من تحب، او تسمع له نداء، فلا تعود الا بالخيبة، واذا رق لها السجن، فبكلمة من الشاعر مديره السيد محمد جواد.

لقد كنت اراها بالخيال في قريتها يوم الاكليل، قبل ان يوافيها خبر الاعتقال، وقد تردت ملابس العرس الفضفاضة، وفاض على وشاحها الزجسي النور والظهر والصبا والبهاء، وتجلي على مفرقها وجبينها الجمال الازهر، وقد حف بها صغار من اقربائها بسلال الزهر، يتمرن على نثره ذات اليمين وذات الشمال، وهي تنحني على اخوتها وابويها والاقرباء والرفيقات فلا تنفك عن الجميع حتى تكون الدموع قد بللت اعطافهم... ثم فجأة يحمل اليها احد اعضاء الحزب السوري القومي الاجتماعي، بيد مرتجفة، ووجه كالح، كتابا مني خططت فيه بكل رباطة جأش هذه الكلمات:

« كوني رجلا في فتاة، بعد ان القي القبض علي في القضية السورية التي تعرفين. وياك ان تطهري أي نضعف او ارتباك في هذا الوقت العصيب الذي يتطلب التضحية بكل ما عز لاعلاء شأن الامة واثبات وجودها في عين الشمس وعين العالم كله ...»

... فيقع الكتاب من يدها، وقد تقع مغميا عليها، ويستحيل العرس الى شبه ماتم... كيف لا، والعقلية العامة في الجبل تخاف السجن خوفها من الغول والغرق والموت... بل ان الشرف ومكارم الاخلاق وفضائل الذات الانسانية تدفن كلها بين اذيال كلمة « السجن » الرهيبة المرجفة!!..

كنت اتصور كل ذلك، فأجثم وحدي على الفراش الوثير وقد رتبناه مقاعد في

مستعمرتنا السورية في احد (القواويش) الرحبة، وتكتنفي المواجهس فترة قصيرة من الزمن، فيمتقع لوني، وتتناوبي ثورة نفسية لم اكن لاستطيع كبحتها، لا بالعقل ولا بالنظام العسكري، واضعف، ثم انتفض على كل شيء، ثم يضيق صدري بقدر المساحة التي كان يشغلها فراشي في مستعمرتنا المحكي عنها. ثم تجول في عيني دمعتان محرقتان اخفيها خجلا من نفسي ومن المجاهدين...

« فاجعة »... هذه الكلمة التي كنت ارددها وابتسامة صفراء تخط على وجهي سطورا سطورا.. والتفت الى الرفقاء. فاجعة؟ اليس كذلك يا حضرة الزعيم الحبيب؟

اما الجواب على هذه الكلمة فكان قهقهة تبدأ بجورج حداد وتنتهي بالعميد نقاش، ثم اسكت دون غضب، ثم اصغي الى نداء من طرف الحلقة، وصوت فيه رنة عذوبة، هو صوت نقاش يترنم بهذه الكلمات على سبيل التعزية والسلوان:

« جورجيت مهلا - سوف نراك ».

فاسرع اليه في لهفة الطائر الشريد وجد مأوى ورفيقا امينا واصرخ به:

« يا يسر، مهلا، سوف نراك ».

وجورجيت اسم عروسي و« يسر » اسم عروسه. وهكذا كانت تنقضي ثورتي النفسية في ترنيمة لا وزن لها ولا قياس، فأقبل العميد زكي نقاش ونشأكي هنيهة، ثم اعود الى وجه الزعيم فاراه والابتسامة جامدة على جبينه، ابتسامة الرجولة التي لا تبسم الا اذا قامت بمسؤولياتها على الوجه الاكمل، ابتسامة الامة المجاهدة التي تهدي الى صراط الجهاد المستقيم، ابتسامة الزعيم الذي خلق ليكون زعيما.

فأفلت من نقاش، واعدت الى حلقة الرفقاء اناقش، واندم على ساعة الضعف واتعزى بالقول الساري: « ان من الضعف لقوة »، واسمع صوتا من احدى الزوايا: « ولنا نحن محبوبات وامهات وزوجات ». فأجيب اما انا فلي عروس. ولكن عروس سورية عليها ما علي لوجه امتهنا. وكيف تلين صلابة الشباب لاولى الصدمات، وهي خفيفة الوطاء، في سبيل الواجب المقدس؟

وهكذا الى ان خرجت من السجن بكفالة، بعد اسبوع كامل، وكنت مدينا لها ولحضرة نقيب المحامين الغيور، بجريتي، وجزت مراسم الاكليل في تظاهرة حساسية من الشباب السوري القومي الاجتماعي، ثم كان محل الاقامة الاجباري الذي عينته لنا النقابة، فأمضينا شهر العسل بالرغم منا، في قرية العروس، ننتظر بين الدقيقة والدقيقة

دعوة المستنطق الى غياهب السجن مرة اخرى، لان المسؤولينات لا ترحم ولكن المستنطق والحمد لله كان رحوما ..

وبين السجن والعرس صعد الحزب السوري القومي الاجتماعي الى القمة، ويكفيه تأييد الامة التي من اجلها اسس ولها يحيا ... وبين السجن والعرس خطونا الخطوة الاولى نحو الهدف الكبير الذي يعانق احلامنا كل صباح وكل مساء ..

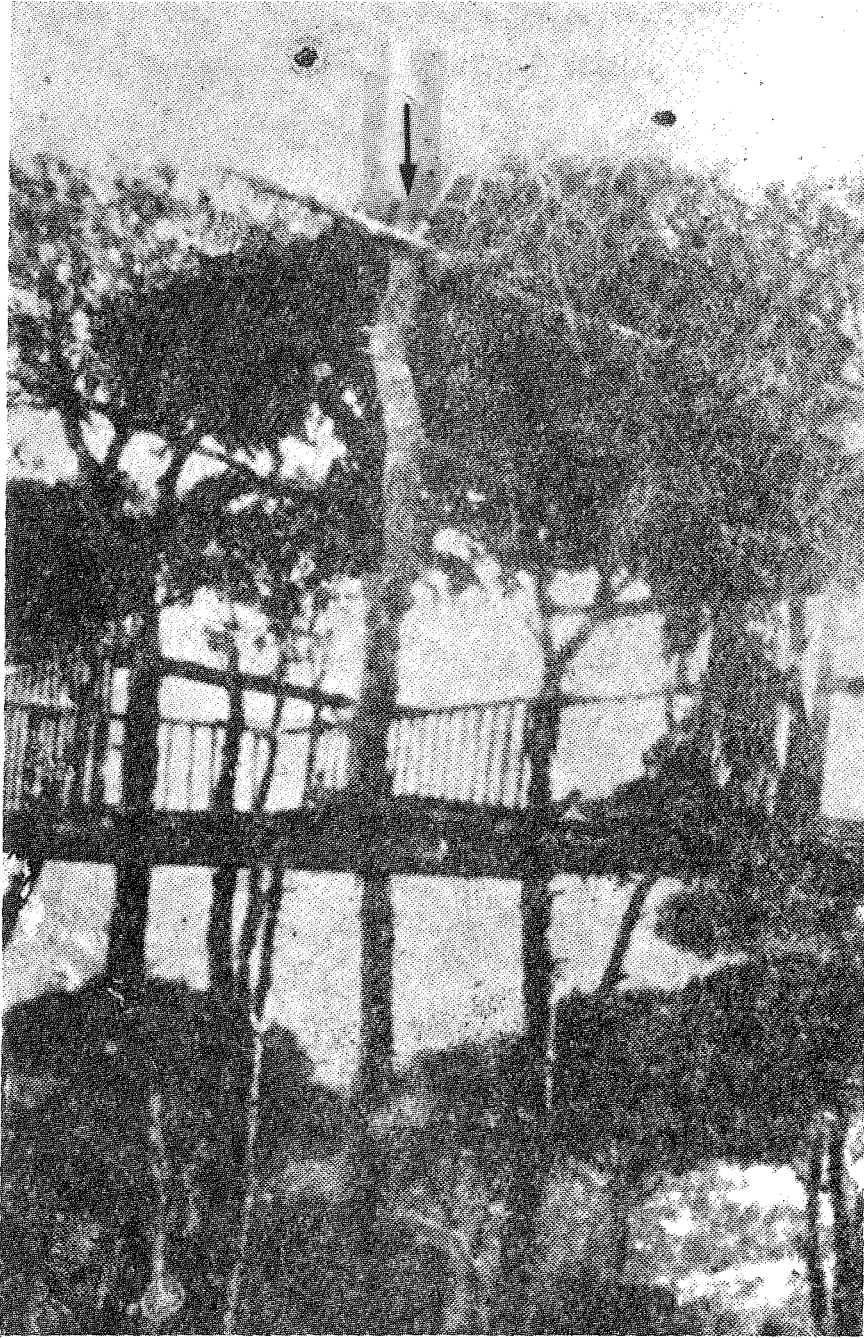
رمزان

لمناسبة انكشاف امر الحزب وقعت حادثتان تقريبا في آن واحد في هذا اليوم - 16 تشرين الثاني - جديرتان بالتسجيل.

« الحادثة الاولى: حادثة تختص بالطبيعة، بالفلك، بالطقس. « كان الجو صافيا، والدراري تلمع في زرقة الاديم فتلطف من زرقته، ولكن بعد ساعات قليلة هبت ريح زعزع وجاءت في اثرها بروق ورعود. ثم شقت سحب الجو صاعقة وانقضت على صنوبرة احدى الزوايا القائم عليها عززال الزعيم على تلك الهضبة المنفردة المخضلة من ظهور الشوير ففسختها وايستها، اما العرزال فقد بقي كما هو والصنوبرة اليابسة ظلت قائمة على الزاوية».

اما رمزا فهو في اشتراك الطبيعة في الغضب على ما يجري، الاشتراك الذي ترافق فيه الطبيعة بعض الاحداث الخطيرة على وجه هذه البسيطة. كان تعليق الزعيم عليها عندما اتصل به نبأ الحادثة: « ان قصف الصاعقة في سكون ليل ذلك اليوم بالذات يوم الانكشاف الذي تحول الى اضطراب هو الصوت الخارجي الوحيد الذي وجد فيه، وهو سجين النهضة القومية الاول، اشتراكا بما يعتمل في نفسه».

والحادثة الثانية: ايضا، هي حادثة تختص بالطبيعة. وكما حدث للصنوبرة التي انقضت عليها صاعقة، كذلك عصفت الرياح بغتة وبشكل لم يسبق له مثيل وانقضت على جزء من سور سجن الرمل في ذلك الليل نفسه، ليل الانكشاف، فدكته دكا مما اوجد بلبله عظيمة في ادارة السجن وفي قيادة الدرك لتلافي الاخطار التي احدثت بالسجن من جراء هذا الهدم، خصوصا وان في السجن ضيفا ولا كالضيوف.



المرزال والصنوبرية اليابسة قائمة على الزاوية

اما الرمز في اشتراك الطبيعة في الثورة على اسوار السجن وتهديم ذلك الجزء منه فهو
رمز معنوي يلدّ وصفه باشتراك قوى غير منظورة في تأييد الحق وزهق الباطل . الحق
الممثل بالسجين الاول لنهضة الحق القومية وزهق الباطل الممثل في حيز الحريات والظلم
والاستبداد .

كان رد فعل الزعيم عندما درى بما جرى للسور ان ابتسم ابتسامة عريضة تعبر عن
شعور الرضى لهذه المشاركة العفوية التي تحكمت فيها صدفة ، يجلو لنا ان نعطيها الف
تفسير وتفسير .

انكشاف الحزب وتأثيره

وتحت هذا العنوان كتب جبران جريج في جريدة «البناء»، في العدد 87/1033 الخاص بذكرى تأسيس الحزب، تاريخ 18 تشرين الثاني 1972 ما يلي: « كان من الطبيعي ان يكون اول شيء يتبادر الي ذهن القوميين الاجتماعيين هو التسؤل عنمن ، هو او هم ، وراء افشاء سر وجود الحزب ، اذ ان هذا الافشاء يعدّ خيانة للقسم الحزبي . ومن هنا بدأت سوق الشائعات والاقاويل تروج . وراحت تتوسع وتنفلش الى ان انحصرت في الاخير في اتجاه شخصين لا غير ، هما شارل سعد وعزيز الهاشم . اما الاول فلانه طرد من الحزب قبل انكشافه بمدة قصيرة ، هو وثلاثة آخرون . تركزت التهمة على ناحية ردة الفعل لطرده فانتقم وافشى بالسر . واما الثاني فلانه تبين انه على علاقة مع الفرنسيين ليس معروفا كنهها بالضبط وقد كان هو صاحب مشروع ، كان تحت الدرس ، كما مر بنا سابقا .

وبعد مضي بعض الوقت وبالنسبة لموقف شارل سعد الايجابي في سياق التحقيق وتكتمه على بعض المسائل التي كان يعرفها ، اخذت تنحسر التهمة عنه ، وتتركز اكثر فأكثر على عزيز الهاشم وخصوصا بعد مواقفه السيئة ان في التحقيق او سواه . لكن الزعيم ، ومع القيادة الحزبية ، لم يقبل نارساء تهمة خيانة الحزب على اي منها بشكل نهائي حتى تتوفر لديه البيّنات الصالحات للحكم الاكيد الذي لا يمكن ان يرقى اليه أي شك او ريب ، خصوصا وانه كان قد اشتبه في اخلاص بعض الاعضاء فشدّد على عدم تسرب اية معلومات اليهم وبصورة اشدّ حول الوثائق والاوراق والملفات . وبعد دراسة طويلة للورقة الاولى الموجودة في ملف المفوضية ولما كانت تحتويه من اسماء تبين ان هذه الاسماء تخص الاعضاء الذين كانوا يرتادون منتدى « فتوح » الكائن

في ساحة الشهداء، ازاء « مقهى الزجاج »، هذا المنتدى الذي كان ملتقى الكثير من الذين يعملون في حقل السياسة الاستقلالية.

ومن دراسة لهذه الاسماء تبين ايضا انه لم يغفل هذا الواشي عن اسم واحد من المرشدين القوميين الاجتماعيين الا اسمه، وبعد دراسته ودراسة ظروف انتمائه الى الحزب رست التهمة عليه واصبحت اكيدة. كان مأمون اياس مكتشف هذا الخائن وقد اثبت الزعيم صحة هذا الاكتشاف في احد اعداد جريدة « الزوبعة » التي كان يصدرها في الارجتين. ان هذا الاثبات لم ينف تهمة الخيانة عن عزيز الهاشم لاسباب اخرى لا تتعلق بالانكشاف انما نفاها بصورة قطعية عن شارل سعد.

اما من حيث تأثير التأسيس فذلك يمكن تلخيصه باديء ذي بدء في ان سعاد شق الطريق بالقدوة لمجابهة المخاطر التي كانت تهدد كل من كان يفكر في بناء نهضة قومية اجتماعية تشمل جميع مرافق الحياة ولها نظرة جديدة الى الحياة والكون والفن، وفي تحدي السلطة الاجنبية والسلطات المحلية المتحالفة معها في الوقت نفسه.

اسس سعادة الحزب متحديا كل الصعوبات المادية والنفسية التي كان اي كان سواء يحسب لها الف حساب فاعطى بهذا التحدي درسا خالدا لا يُنسى، بقوة الارادة والعزيمة والشجاعة والاقتحام.

هذا التأسيس الذي كان يعدّ ضربا من المستحيل او من الجنون في ذلك الحين كما صرح الكثيرون ممن احتك بهم عارضا فكرة التأسيس عليهم امثال الدكتور رثيف ابي الملع او الدكتور انيس فريجة او امين الريحاني او عيسى اسكندر المعلوف كما ورد معنا.

ان الوضع الاجتماعي - السياسي الذي نشأ في الوطن السوري على اثر تأسيس الحزب وانكشافه هو وضع جديد يصح ان يعتبر مرحلة انتقال وتطور للامة السورية كلها، في جميع دولها وكياناتها على جميع الساحات والميادين فنقول عندما نسجل تاريخ هذه البلاد « قبل تأسيس الحزب السوري القومي الاجتماعي او بعده ».

وفي الختام اطرح السؤال الآتي، من زاوية سلبية اخرى، « ما كان يمكن ان يكون عليه الوضع في بلادنا لولا 16 تشرين الثاني 1932 ؟ ».

خلاصة القول ان سعادة في 16 تشرين الثاني سنة 1932 وسنة 1935 اطلق مارد الحرية من قمقم العبودية والخنوع والذل، فتحررت الحرية في الفكر والقول والكتابة والعمل.

في الصحافة

الصحافة في بيروت، استقبلت هذا الحدث بما يستحق من الايجابية وراحت تتبع ما جريات وقائع التحقيق ثم المحاكمة بشغف واهتمام الا اربع جرائد اعلنت موقفها العدائي منه وان بنسب مختلفة وهي جريدة « لاسيري » الفرنسية اللسان، الناطقة شبه الرسمية باسم السلطات المنتدبة، ولاغرو بعدائها لما تمثل. جريدة « لوريان » الفرنسية اللسان ايضاً وقد ذكر ميشال زكور هذه الجريدة بالتعبير التالي « او يصدقون اختراعات جريدة « كالاوريان » لا تتورع عن الطعن بكرامة ابناء بلادها ». جريدة « صوت الشعب » الشيوعية وجريدة « البشير » لسان حال الجزويت.

وبمناسبة ذكر جريدة « البشير » انقل هنا المقطع الذي نشره الزعيم عنها في جريدة « سورية الجديدة » الصادرة في سانبولو - البرازيل العدد 1 السنة الاولى تاريخ 11 مارس 1939 قال « جمعية الجزويت في سورية جمعية اجنبية تقوم بجميع الاعمال السياسية الخفية لمصلحة التسلط الفرنسي اليوم ولغيره عند الاقتضاء وفيها فرع مكمل لقلم الاستخبارات الفرنسية وهو من اكثر فروع الجاسوسية نشاطاً. هذه الجمعية رأت بعد نشوء الحزب السوري القومي الاجتماعي ان قوتها الجاسوسية قد اصبحت هزوءاً وسخرية، لان الحزب السوري القومي الاجتماعي تمكن من الاشتغال ثلاث سنوات كاملات دون ان تدري بعمله جاسوسيتها الواسعة الانتشار. فنشطت لانقاذ مركزها المههد بمحاربة الحزب السوري القومي الاجتماعي فحولت جريدتها « البشير » التي كانت تصدرها كل شهر او نصف شهر، مرة، الى جريدة سياسية يومية

غرضها الدس على النهضة السورية القومية الاجتماعية والعمل على زرع الشقاق بين الشعب عملاً بالسياسة الاجنبية وساعدتها السياسة الاجنبية وحلفاؤها النفعيون لانها تخدم مصالحهم، خصوصاً الموظفين الذين يرون منفعتهم في خدمة السياسة الاجنبية .

ورضي عن جمعية الجزويت المقام البطريركي الماروني وهو لا يدري انها من الالغام الموضوعه تحت السلطة الروحية الوطنية لتقويضها . ولا يحتاج المراقب طويل عناء لادراك استفحال شر هذه الجمعية الاجنبية الذي اصبح يهدد كل سلطة روحية وطنية .»

هذا في لبنان اما في باقي الكيانات السورية فقد نشرت الصحف نبأ الانكشاف بشكل بارز لا يروي غلة الا جريدتان فلسطينيتان هما الكرمل وفلسطين كانتا ايجابيتين للغاية. وفي الدول العربية بخاصة مصر، فقد نشر الخبر بشكل لا يدل على الدقة .

اعتقل الزعيم ومعه غرش ونصف الغرش

لست ادري لماذا ابرزت الصحف البيروتية خبر وجود غرش سوري واحد ونصف الغرش فقط، لا غير، في جيب الزعيم عند اعتقاله . ولعدم وجود جواب مقنع شاف عندي اكتفي بابداء هذه الملاحظة حول هذا النشر الذي اراه متعمداً اذ لم يسبق ان نشر خبر اعتقال اي سياسي بارز او شخصية بارزة ويرفق خبر اعتقاله بخبر وجود كمية المال التي في حوزته او في جيبه .

اغتتمها فرصة مناسبة لكي ابرز من جهتي ناحية هامة جداً من شخصية الزعيم وهي انه لم يحسب للمال حساباً كعامل لا بد منه في عملية تأسيس الحزب فاذا رافقناه منذ ان وطئت قدماه ارض الوطن وحاولنا معرفة ما في جيبه من حطام الدنيا لما وجدناه يحتوي على شروى نقيير ...

ففي مدة وجوده في ضهور الشوير نزل ضيفاً على ابن عمته وديع الياس ثم مدة وجوده في دمشق لم يكفه ما كان يحصل عليه من تدريسه في « الجامعة العلمية » ثم من تحريره في جريدة « اليوم » فقد خرج في نهاية المطاف مديونا للسيد احمد غندور الذي كان موظفاً كبيراً في شركة شل، والذي كان

يشاركه السكن مع نسيبه، طالب الطب، محمد روح غندور وذلك في منزل متواضع يقع في زقاق البندق، قرب الصالحية. حرر للسيد غندور سنداً بقيمة هذا الدين على الرغم من عدم قبول المذكور بذلك وعند الافتراق يقدم الزعيم لصديقه، احمد غندور مجموعة اسطوانات موسيكية كلاسيكية تذكارا لهذه الفترة التي قضياها معا. هذه الاسطوانات التي كان يشتريها بالرغم من ضيق ذات اليد. كل ذلك لم يمنعه من محاولته تأسيس الحزب في دمشق، واخيراً، مدة وجوده في الجامعة الاميركانية، وهو يؤسس الحزب، مدة ثلاث سنوات، يقضيها في تدريس الالمانية للراغبين والعربية لبعض الاجانب المستشرقين، لم يكن دخله ليكفيه بلغة العيش (حتى ان يجار « الكوخ » كان يسدد من اجر تدريس وداد المقدسي، ابنة صاحب البناء، اللغة الالمانية). وكان مطعم حداد يقدم له الطعام وان كان قد حدد هذا الطعام بوجبة واحدة في اكثر الايام.

زد على ذلك ما يقوله جبران بختازي، امين مكتبة الجامعة الاميركانية، الذي اعجب به وتوطدت الصداقة بينها عن طريق المكتبة « فقد كان الزعيم من الزبائن « المدمنين » والكتب التي كان يطالعها كلها ضخمة من « العيار الثقيل ». من الناحية المالية كان قمة في المناقب، كنت من الميسورين وكان عدد لا بأس به، من الاساتذة ممن لا يكفيهم معاشهم، وهو منهم، يلجأون الي يستقرضون فكنت الي. كان اكثرهم يتأخر احياناً عن موعد الايفاء الا « انطون » فقد كان يدفع في الموعد الذي كان يحدده سلفاً. كان يرد المبلغ مهما يكن ضئيلاً حتى لو كان خمسة غروش، لانه كان يعتبره قرصاً واجب الايفاء كالمبلغ الكبير، لاعربون صداقة او اتاوة».

وهل من عجب بعد الذي ذكرته من الناحية المالية اذا اعتبرنا الزعيم رجلاً متفوقاً غير عادي، اذ انه قدر وهو بهذا الوضع الفقير، ان ينشئ مجلة وان يلقي المحاضرات، ان يلعب شطرنج ويغلب واخيراً ان يؤسس حزباً وان يقوم باعباء هذا التأسيس خصوصاً في القسم الاخير من سنته الثالثة عندما بدأ بسلسلة الاجتماعات وبكلمة مختصرة مفيدة ان يتحدى القدر الممثل بالمستعمرين: الفرنسي، البريطاني، التركي، اليراني، « المصري. بهذه النهضة السورية القومية الاجتماعية وكل ما معه في جيبه غرش سوري ونصف الغرش؟ ».

وختاماً للحديث عن الناحية المالية اورد جوابه لي في مقابلة معه سنة 1935 في مكتب الحزب السري في شارع فوش. قلت « ونحن قادمون الى احتياجات كثيرة تستلزمها النهضة. مثلاً، جريدة ومطابع ونحن ليس لدينا مال » .

قال « اما من جهة المال فان الروحية ستتكفل به فالروحية تخلق المال لكن المال لا يخلق روحية » . ودعته وانصرفت وكلماته ترن في اذني « الروحية تخلق المال. المال لا يخلق روحية » . نعم وهذه الكلمات ما تزال ترن في اذني حتى اليوم. (ورد هذا الحديث في السنة السابقة).

عبء الانكشاف

قبل ان انتقل الى السنة الحزبية الرابعة انقل ما كتبه الزعيم في جريدة الحزب « النهضة » في العدد 29 الصادر في 16 نوفمبر 1937 مقالاً تحليلياً لهذا التاريخ، تاريخ انكشاف امر الحزب ومايعنيه في تاريخ الامة السورية الجديد وهذا هو نص المقال: « هذا اليوم تاريخي في حياة الامة. ففي مثل هذا اليوم منذ سنتين تماماً اعلن للعالم ان الامة السورية قد ابتدأت تاريخها.

في السادس عشر من نوفمبر سنة خمس وثلاثين وتسعمائة والفر ولرور ثلاث سنوات على تأسيس الحزب السوري القومي انبث رجال دائرة الامن العام في بيروت، في الاحياء التي يسكنها زعيم الحزب ومعاونوه ودخلوا منازلهم باكراً عند الصباح واستاقوهم الى دائرة الامن العام.

وفي مساء ذلك اليوم اجري مع الزعيم والعمد الاول للحزب، التحقيق القضائي الاول الذي ارسلوا على اثره الى سجن الرمل بمذكرات توقيف غير مؤقت. وكان الجو صافياً والدراري تلمع في زرقة الاديم فتلطف من زرقتة. ولكن بعد ساعات قليلة هبت ربح زعزع وجاءت في اثرها بروق وعود. ثم شقت كبد الجو صاعقة وانقضت على صنوبرة احدى الزوايا القائم عليها عززال الزعيم على هضبة منفردة مخضلة من الشوير فشقت الصنوبرة وايستها. اما العرزال فقد بقي كما هو والصنوبرة اليابسة لا تزال قائمة على زاويته الى اليوم.

في مثل هذا اليوم منذ سنتين خرجت الى مجال الحياة العملية مبادئ الحزب السوري القومي معلنة لأول مرة في التاريخ الحديث ارادة امة كانت بين الامم التي سقطت منذ قرون وظن العالم انها ماتت واصبح وطنها قطاع للامم الغربية.

في مثل هذا اليوم منذ سنتين نهضت الامة السورية من بين الامم الميتة وابتدأت تاريخها الجديد. فكان اول حوادث هذا التاريخ سجن زعيم الحزب السوري القومي واركان ادارته. والزعيم يقول في اجد خطبه: « ويل للامة التي لا تاريخ لها ».

ان الغافلين عن حاجات الامم الجاهلين طبيعة نهضاتها ظنوا ان الحزب السوري القومي قد بلغ نهايته في السجن. اما السوريون القوميون في السجن، فايقنوا انهم قد ابتدأوا افعالهم الواسعة، وان النهضة القومية قد ابتدأت تاريخها فولدت هذه الروحانية الجبارة ذخراً لا ينفى لحيوية النهضة وفاعليتها.

لن يختلف تاريخ النهضة السورية القومية عن تواريخ النهضات القومية الاخرى الابعميراته الخاصة الدالة على معنويات خاصة وشخصية خاصة فهو سيكون تاريخ صعود وهبوط وعشرات واقالات الى ان تبلغ الامة محجتها.

في هذا اليوم يقف السوريون القوميون معظمين هذا الاختبار الاول العظيم الذي برهن عن معدنهم وعزيمتهم الصادقة.

في مثل هذا اليوم منذ سنتين وقفت الامة مشدوهة، لأن منها قد خرجت نهضة جبارة تضاهي نهضات الامم الاخرى وتقرن اسمها باسماء الامم الحية التي غسلت عارها بتضحياتها.

لم تعد الامة بعد هذا اليوم تتسقط الفتات عن موائد حريات الامم الاجنبية، بل اصبحت تشارك مع الامم الحرة بمجهودها في سبيل الحرية.

بعد هذا اليوم لم تعد كرامتنا القومية مستمدة من كرامة اخلاق الغير بل من قيامنا بمتطلبات الحياة القومية الحرة.

اليوم يقف السوريون القوميون في طول البلاد وعرضها ويذكرون هذا الحدث الخطير الذي رد اليه استقلالهم الفكري ورفعهم من وسط الطبقات المائعة المفرقة.

اليوم يقف السوريون القوميون صامتين متأملين الحكمة الكامنة في قول الزعيم « ويل للامة التي لا تاريخ لها ».

اليوم يصدقون ويقولون: ويل للامة الخائعة التي تجبن عن الاضطلاع بتبعة تاريخها وتفضل سلامة الجسد على سلامة قيمة الحياة وتفضل التسكع للفاتحين على حل مشقات تاريخها.

في هذا اليوم ابتدأت الامة العظيمة تاريخها. هنيئاً للامة التي لها تاريخ!

الموضع السياسي في سورية الطبيعية

في الشمال الغربي: كان الزحف التركي بعد الحرب العالمية الثانية قد احتل كيليكيا رغم مقاومة رمزية قادها ابراهيم هنانو سنة 1920 ثم استعدادات لاحتلال ماسمي في التجزئة السياسية « باللواء ». هذه الاستعدادات قائمة على قدم وساق. ادارة اللواء فرنسية، مستقلة عن ادارتها في الشام ولبنان. ثم جزيرة قبرص الواقعة تحت الانتداب البريطاني وله فيها قاعدة عسكرية.

في الشمال الشرقي: كانت ايران قد وضعت يدها على منطقة الاحواز - عربستان الحدودية سنة 1925. اما المملكة العراقية الهاشمية فهي تحت الانتداب البريطاني الذي من اهم اسباب وجوده بتروال الموصل.

في الجنوب: فلسطين تحت الانتداب البريطاني يخيم عليها كابوس وعد بلفور يجعلها وطنا لليهود ثم شبه جزيرة سيناء السورية الى قناة السويس تحت الحكم المصري. ثم الامارة الهاشمية في شرق الاردن وخليج العقبة ومعان موضوع نزاع بينها وبين المملكة العربية السعودية على البحر الاحمر.

في الشرق: الجمهورية السورية تحت الانتداب الفرنسي وهي تنتقل بين تجزئة خاصة بها من ضمن التجزئة العامة. فمن دولة العلويين الى دولة جبل الدروز ودولة حلب ثم دولة دمشق فالى الغائما والمطالبة قائمة وقاعدة فيها من اجل الوحدة السورية.

امارة الكويت تحت الانتداب البريطاني مع قوس الصحراء العربية والخليج الشرقي او خليج العرب او ما كان يسمى بخليج العجم الذي ترنو اليه

الكرديستان
بحيرة وان

بحيرة
اورميه

ايران

الانقسام الفارسي
(البيخياروي)

الزيب الاعلى
الزيب الاوسط

ديلا

بفداد

طرون

الحواز

عباران

البصرة

بادي

الكويت

الخليج العربي

المن

البحر

ميد



دولة الفرس .

واخيراً الجمهورية اللبنانية تحت الانتداب الفرنسي وهي التي انتقلت من متصرفية جبل لبنان الى دولة لبنان الكبير ثم الجمهورية اللبنانية وفيها تحركات تطالب بضم ما سمي « بالاقضية الاربعة » الى الوطن الام .

الوجود الفرنسي والوطني في لبنان والشام

مركز الوجود الفرنسي من ادارات مدنية او عسكرية هو في بيروت ، في السراي الكبير . هذا من حيث الوجود الفرنسي البحت اما من حيث وجوده في هيكلية الدولة ان في لبنان او في الشام فقد كان له مستشار في كل وزارة ومستشار في كل محافظة ما عدا رؤساء الدوائر مثل مديرية الامن العام او في المحاكم التي كانت مختلطة كما سيجيء معنا في سياق السرد .

اما الجيش فقد كان يمثل السلطة المنتدبة اصدق تمثيل فقد كان مشكلا من جنود مغاربة وجزائريين وتونسيين وستغاليين وشراكسة . انما كان فيه فرقة لبنانية وحيدة سميت « القناصة » اسوة بقناصة جبال الالب .

عند انكشاف امر الحزب كان المفوض السامي الفرنسي الكونت دي مرتيل وعلى الصعيد اللبناني كان حبيب باشا السعد رئيساً للجمهورية وكان الشيخ محمد الجسر رئيساً لمجلس النواب .

هذا في لبنان اما في الشام فقد كان انتخب محمد علي العابد رئيساً للجمهورية وكان عطا الايوي رئيساً لمجلس الوزراء وصبحي بركات رئيساً لمجلس النواب .

الوجود البريطاني والوطني في فلسطين والاردن

كان الوجود البريطاني في فلسطين تاماً كاملاً ، اذ لا مجالس منتخبة او كيان سياسي جمهوري او ماشابه انما كان من الجهة المحلية الوطنية الهيئة العربية العليا على رأسها المفتي الحاج امين الحسيني ، وكذلك بعض التشكيلات العسكرية القتالية اهمها بقيادة القسام والقواقجي .

في امارة الاردن كان الوجود البريطاني ممثلاً عسكرياً بقائد الجيش « جيش البادية » كلوب باشا الحامل الجنسية الاردنية وعلى رأس هذه الامارة الامير عبد الله بن الحسين .

الاعتقاد



القسم الأول

من 16 تشرين الثاني 1935
الى 12 أيار 1936



الامتحان الاول

نبدأ هذه الحلقة باستئناف حديثنا عن سير النهضة السورية القومية الاجتماعية على طريق الحياة، اذ يتعرض الحزب السوري القومي الاجتماعي الى اول امتحان لقوة عقيدته وصلابة نظامه وولاء اعضائه لزعيمه الذي دخل السجن عند انكشافه في فجر السادس عشر من تشرين الثاني .

لم يتسن للزعيم تنفيذ هذه الخطة ففي فجر نهار السادس عشر من شهر تشرين الثاني داهمت منزله في شارع جان دارك رأس بيروت المعروف منا « بالكوخ » قوة من رجال الامن العام، تريد تفتيشه واعتقاله . كانت الاوراق الحزبية المختصة بالزعيم في مكان امين، تحت أرضية الغرفة ولكن كان بعض المراسلات والاوراق التي كانت بين يديه للدرس موجودة في حقيبة على كرسي مكتبه فألقى عليها عباة واستأذنهم للحلاقة الصباحية وأخذ الحمام فسمح له بذلك .

قام بهذه الاعمال الصباحية كعادته كأنه لم يحدث امر ذو بال حتى انه راح ينشد اغنية وهو يتناول الحمام . وقبل ان يرافقهم الى دائرة الامن العام سال المفتش ان كان يحسن به ان يأخذ منشفة وصابونة وفرشاة اسنان ومعجون لها فقال له المفتش « لا بأس » فتناولها وتأبط مجموعة كتب وغادر المنزل برفقة رجال الامن الى دائرتهم حيث وجد بعض المسؤولين فأعلن لهم انه اعترف بوجود الحزب وعليهم ان يعترفوا بوظائفهم وان يتركوا ما تبقى له .

نستمع، الآن، الى ما قاله لي ويكتور موسى، السكرتير الاول في مديرية الامن العام المقرب جداً من مدير الامن العام الفرنسي، الموسيو بوشيد : « استقبلنا انطون

سعادة في المكتب استقبلاً رسمياً جافاً كما كنا نستقبل اي موقوف عادي خصوصاً اولئك الذين يعملون في السياسة، ونحن في مديرية الامن العام ادرى الناس بنفسيتهم ولكن سرعان ما تبدد الجفاء ليحل محله التقدير والاحترام فتبدلت الصورة التي كانت مرسومة سلفاً وذلك عند اول جواب للسؤال الذي وجهه مدير الامن العام فكان جواباً رزيناً جدياً يحمل كل شروط الادب والمسؤولية .

وجدنا انفسنا امام موقوف من نوع خاص، يفرض على من يتعاطى معه، وان من موقع السلطة تجاهه، الاحترام والتهيب .»

ويقول الزعيم في خطاب اول اذار 1938 عن هذا الموضوع بالذات: « كان هذا الاعتقال اول تجربة تتعرض لها قوة المبادئ والمناقب والاخلاق الجديدة . وقد وقع معاويتي اعضاء مجلس العمد وبعض الموظفين المساعدين في حيص بيص . وكانوا في حيرة من امرهم حينما مرت بهم الساعة الثانية بعد الظهر الى الغرفة المجاورة لغرفتهم في دائرة الامن العام . واحد منهم تنكري وتظاهر بانه لايعرفني . الا ان رئيس مجلس العمد نعمة ثابت اقترب مني وهز يدي هزة معنوية وقال « لا بأس » . والشيء الوحيد الذي تمكنت من ان اقله لهم في مروري هو اني قد اعترفت بوجود الحزب السوري القومي الاجتماعي وانه يجب على كل واحد ان يعترف بالوظيفة والمسؤولية اللتين يحملهما ويترك الباقي من الامر لي انا .

من هذه النقطة، ابتدأت الثورة الروحية، العملية على الخوف والوجل والتهرب، على صفات الخنوع والذل . « اني اسست حزباً قومياً في السر لالكي يبقى في السر، بل ليظهر للملا معلنا تجدد امة كان العالم يظنها ميتة » هذه هي العبارة التي اجبت بها على سؤال قاضي التحقيق الاجنبي عن السبب في كون الحزب سرياً .

اتظنون ان هذه العبارة هي التي كان يتوقعها الناس ؟ الم يقل الكثيرون في نفوسهم « سزى كيف يتصل سعادة من تبعة الامر الذي يقوم به .

ان موقفي في دائرة الامن العام وعند قاضي التحقيق الفرنسي كان مشجعاً لرفقائي ولكن بعد الليلة الاولى في السجن عاد اليهم الشك والتفكير في المصير المبهم فاخذوا ينحون علي باللائمة ويعدون اتساع نطاق الحزب من الاغلاط التي اؤاخذ عليها، واني لو اصغيت لرأي بعضهم وعملت به لما كان الحزب بلغ هذا الاتساع ولما انكشف امره ولما كنا دخلنا السجن . فلما تضايقت من هذا الملام حملت وسادة وانتحيت ناحية وقعدت لوحدي فشرع رئيس مجلس العمد بالغلط الذي ارتكبهه وجاء الي واعتذر عن

الضعف الذي اظهره . وبعد ايام جاءت الاخبار عن تنبه الرأي العام وتقديره موقف الحزب فانتعشت الآمال داخل السجن وقويت المعنويات خارجه بما ظهر من عطف في الرأي العام . ومع ماظهر على معاوئي الأول والرفقاء الذين سجنوا معهم من ضعف اولي فلا بد لي من التصريح بأن فترة الضعف كانت قصيرة وانهم تحملوا الصدمة ، هم وعيالهم واهلهم ، على افضل ما امكن » .

اودع الزعيم الغرفة رقم 6 من البنانية الثانية من بنايات سجن الرمل ومعه الذين اعتقلوا في هذه المناسبة ثم نقل الجميع الى الغرفة الثانية من البناية نفسها .

الوضع في السجن

وانقل ، الآن ، ثلاث صور عن وضع الزعيم ورفقائه في السجن . واحدة بقلم العميد قبرصي والثانية بقلم الرفيق ويكتور اسعد والثالثة على لسان الرفيق يوسف الدبس بعد ان نقلنا ماقاله الزعيم عن هذا الموضوع بالذات في خطاب اول اذار 1938 . وذلك ما نشر في جريدة « صدى لبنان » بمناسبة ذكرى تأسيس الحزب العدد 184 ، تاريخ تشرين الثاني 1946 ، تحت عنوان « من ذكريات السجن عام 1935 وكذلك ما نشر في العدد الخاص عن اول اذار في جريدة البناء سنة 1957 .

قال العميد قبرصي : « لن اختم هذه الذكريات وعذوبتها تحرق النفس ، قبل ان اشير الى يوم السجن الاول .

لقد دخلنا السجن ، ونحن نمتحن اول مرة في صلابتنا وصمودنا وشجاعتنا واخلاقنا . لقد كنا بأكثرينا من الشباب المطلقين على الحياة ، لم تعركنا التجارب ، نتصور بأن النضال العقائدي لن يكلفنا اكثر من خطاب ، او مناقشة ، او حضور اجتماعات تحت جنح الدجى . اما السجن والحرمات والاضطهاد ، فقد كنا نعتبرها الفاظاً ، لاحقيقة وراءها . لان الحزب سري ومن منا يهبط الى درك الخيانة ؟

لقد اصبحنا في السجن . هذا خسر اهله وذاك عروسه والآخر عياله ، وبعضنا رأسه له . رحنا نضرب احساساً باسداس . لم تكن طاقتنا النضالية الا في دور التكوين ، فكندا نسقط .

هنا يبرز المعلم . لقد لحظ هذا الوهن . لحظ ان النظرات المتوجهة اليه من بعضنا فقدت نورها المشع . لقد شككنا . فاذا به يجمعنا حوله ويلقي فينا العظة تلو العظة ،

ونراه صباحاً يقبل علينا باسماً مهلاً، كأنما السجن ساحة رياضية، فلا يمضي الا يومان حتى نكون قد اعتدنا الحياة الخشنة وصرنا في نظر انفسنا على الاقل ابطالاً، نتبارى في من يجد افضل نكتة او افضل حديث، ليظل جو السجن جواً مرحاً ومفيداً .

القدوة الصالحة المثالية التي كانها المعلم لنا، كانت اسخى معين نهلتنا منه الصبر والاحتمال وتعلمنا الصمود والبطولة . ما من شيء لا يمكن للانسان ان يتعلمه حتى هذه الفضائل الروحية التي عليها تبني نهضات الامم .»

★ ★ ★

وقال الرفيق ويكتور اسعد: « في عام 1935 اتسع نطاق الدعوة اتساعاً شديداً وانشئت عدة منظمات وكان لا بد ان يكتشف الافرنسيون امرنا اخيراً فانضم اليها اول خائن . ولا اريد تدنيس هذه الذكرى باسمه، وسرعان ما كانت اسماؤنا كلها في دائرة الامن العام الفرنسية . حتى صح العزم اخيراً على البطش بنا ففعلوا ولكنهم وجدوا انهم جاؤوا متأخرين ثلاث سنوات .

انه من دواعي الفخر لنا ولامتنا ان تبقى مثل هذه الحركة عاملة ثلاث سنوات كاملة وان ينتمي اليها الوف الاعضاء فلا يجد المستعمر بينهم خائناً واحداً . وكان الاعتقال الاول في 16 نوفمبر 1935 .

داهمنا رجال الامن في منازلنا عند الصباح الباكر واخذونا الى مكاتب الامن العام



ويكتور اسعد

الفرنسي وكانت آنذاك في خان انطون بك وقد وقعت بين ايديهم وثائق واسماء كثيرة جاء معظمها من منزل فؤاد خوري الذي لم يكن يعرفه الا عدد قليل من الاعضاء بينهم الخائن المنتمي حديثاً .

كنا ثمانية في اليوم الاول، وبعد تحقيق استمر الى المساء نقلنا الى سجن الرمل وكانت معنوياتنا ممتازة وجو المرح سائداً فينا ووضعونا اولاً في الغرفة السادسة من البناية الثانية بعدما جزوا شعرنا وكانت ليلة امطار واعاصير هائلة فقلنا ان الزوبعة غاضبة .

ولم يصل لنا الا فراشان . لان باب السجن اغلق في المساء دون وصول امتعتنا ، فنام الزعيم ونعمة ثابت وزكي نقاش وعبد الله قبرصي على فراش واحد ونمت مع مأمون اياس وفؤاد خوري على الفراش الآخر . واستيقظنا في الليل واذا ماء المطر قد دخل من نافذة مكسورة في « القاوش » فبلل الفراشين واضطررنا الى تمضية ماتبقى من الليل جالسين .

كان عبد الله قبرصي يشرح للسجناء ان موعد عرسه كان في اليوم الثاني وها هي قفازات العرس البيضاء التي اشتراها في اليوم السابق لا تزال في جيب رداءه .

عيد ابرام الدستور

لم يمنع السجن من ان يحتفل الزعيم للمرة الأولى بالذكرى السنوية لوضع الدستور الذي حدد تاريخه كما مر بنا سابقاً في 21 تشرين الثاني 1934 . لم يشأ الزعيم ان تمر هذه المناسبة وللمرة الاولى دون تكريسها رسمياً وهكذا كان ومنذ ذلك اليوم ، اصبح 21 تشرين الثاني من كل سنة يوم عيد ، اسماه الزعيم « عيد ابرام الدستور » .

وفي هذا الصدد يقول الرفيق ويكتور اسعد ايضاً : « بعد خمسة ايام احتفلنا في القاوش بعيد الدستور في 21 نوفمبر وكان قد تم الاتصال المنظم بيننا وبين الخارج وانضم اليها عدد جديد من المعتقلين وكلهم في احسن ما يكون من المعنويات ماعدا منفذ عام طرابلس . كان يندب سوء حظه بشكل اضحكننا كلنا . سجلنا في السجن احد عشر انتاءً جديداً الى ان احست بنا الادارة فنقلتنا الى قاوش خاص » .

وجاء في « عبد الله قبرصي يتذكر » الجزء الاول ، الصفحة 109 تحت عنوان « ذكرى ابرام الدستور الاولى في السجن »

طبعاً كان النقيب محمد جواد هناك . يطبق علينا النظام بروحية الموظف الامين ،

روحية الموظف جابار في رواية البؤساء لفكتور هوغو Victor Hugo ، لكنه يحاول ان يوانسنا بابتسامة - وان خبيثة احيانا - ويظل يحس اننا لسنا في السجن لسبب دنيء . يحس وان مرغما اننا رجال قضية .

الحراس من رجال الدرك فئتان متناقضتان . فئة من فصيل محمد جواد لا تفهم الا العبودية للموظفة . وفئة وطنية واعية بالبداهة اننا سجناء سياسيون لا يجوز ان نعامل كالمجرمين العاديين من اصحاب السوابق او مرتكبي الجرائم الشائنة ...

اما السجناء - كما ذكرت سابقا - فقد كانوا يتبارون في خدمتنا . لقد حملوا عنا كل ضرائب السجن ، وعاملونا كضيوف مكرمين . بعضهم ظن اننا سنخرج من السجن حكاما للبنان ، بيدنا الحل والربط ، وبالتالي بيدنا حق العفو عنهم ، واننا سنرد لهم حسن المعاملة ، عفوا عاما شاملا نبيض به السجون فلا يظل في لبنان سجن ولا سجين .. كما جرى في مطلع سنة 1976 اذ اخرج المقاتلون كل السجناء وهدم سجن الرمل البغيض !

عشنا في السجن اشتراكيين ، فما يصل الى احدنا كان ملكا مشتركا . اذا جلسنا الى الطعام عقدنا حلقة حول المعلم ، وانزلنا ما في الاكياس من خيرات ، واكلنا ونحن نتبادل النكات . ساعة الطعام للسجين كساعة الطلعة - اي النزهة - هي وقته المفضل . يعدّ الدقائق والثواني بانتظار « الطلعة » وانتظار الطعام - القروانة - .

عندما كان الزعيم ينزوي مؤثرا الانفراد والمطالعة والتأمل ، كنا نبتعد عنه ونتحلق حول فؤاد مفرج او صلاح لبكي او جورج حكيم ... او نعمة ثابت ومأمون اياس وجورج حداد .

نعمة ثابت لم يتخل عن اناقته في السجن وكذلك مأمون اياس . لو كان بالامكان استعمال الكرافات - ربطة العنق - لما تخلينا عنها . نعمة ومأمون - وخاصة نعمة - من البرجوازية الانيقية المرفهة . واشهد هنا انها رغم الرفاه والاناقة كانا في السجن من افضلنا صمودا ومن اكثرنا مرحا . عبسة السجن الفاقد حريته واحلامه كانت تربض على جباهنا ، انا وزكي نقاش على وجه التخصيص ، بيننا نعمة ومأمون والآخرون استطاعوا التغلب على العبوس والكمد والكبت . الطامة الكبرى بالنسبة لي ولزكي ، انه كان عريسا جديدا ، وانا تزوجت السجن عوضا عن خطيبي التي كانت تنتظرني في ثوب الزفاف ..

يوم الخميس في 21 تشرين الثاني كان يوما مشهودا . طلب الينا سعادة ان نعقد

اجتماعا حافلا، لتعيّد الذكرى السنوية الاولى لابرام الدستور. صحيح انه صنف في كانون الثاني 1937، اما ابرامه ووضعه موضع التنفيذ فقد تم فعلا في 21 تشرين الثاني 1934.

عقدنا جلسة، اقمنا شبه حلقة حول المعلم. وحوالي الساعة الخامسة وقفنا وادينا التحية وراح سعادة يحدّثنا عن قيمة الدستور، عقيدة ونظاما. وعن وجوب الاحتفال بعيد ابرام الدستور لانه الشرعة التي كرسّت تأسيس الحزب الفعلي. ولكننا في السياق، عوضا عن عيد الدستور، شرعنا تقليدا حزبيا آخر بأقامة الاحتفال في عيد تأسيس مجد ذاته كيوم تاريخي وابرام الدستور الذي هو حدث حزبي بالغ الاهمية ايضا.

سراقيا في السجن

من الاسئلة التي كانت تطرح على المعلم في السجن وقبله، لماذا لا يكون العراق جزءاً من الامة السورية؟ طرح هذا السؤال كما اسلفنا القول المهندس مجد الدين الجابري - الذي قيل لي انه انتمى الى الحزب فيما بعد وطرحه الكثيرون غيره.

ولكن تصور قيام دولة سورية - عراقية كان واردا عند سعادة بدليل اننا عقدنا حلقة في السجن، قبل خروجي بيوم او يومين، وتطارحنا هذا الموضوع، واذا كنت غير مخطىء في التذكر، اعتقد ان الدكتور جورج حكيم هو الذي اقترح اسما للدولة السورية - العراقية الموحدة: سراقيا.

الا ان هذا الموضوع حسم، بعد ان اكتملت دراسات المعلم وبجوته واستقصاءاته عندما كان في معتربه القسري في الارجننتين في مطالع الاربعينات، اذ تثبت من مراجع علماء الجغرافية وعلم طبقات الارض - الجيولوجيا - والمراجع الموثوقة.



اما الرفيق يوسف الدبس فيقول: « واذكر ايضا، وهو في السجن كيف كان يمشي في القاوش ذهاباً واياباً بتلك الطلعة الحلوة ويلتفت الينا ويقول: « يا شباب، الارض تضيق بنا، واردد في اعماقي « نعم يازعيمي » الارض تضيق بنا ».

« من ذكريات السجن عام 1935 »

قال العميد قبرصي :

كانت الساعة الثامنة والنصف مساءً لما انتهى استجوابنا الاول لدى المحقق الفرنسي السيد تمبال واصدر بحققنا مذكرات التوقيف غير الموقت وارسلنا الى سجن الرمل .
واول ما يجب ذكره هو اننا حشرنا في سيارتين يجرسنا رجال الدرك وتسمع ضحكاتنا عالياً في الشوارع كأننا ذاهبون الى عرس لا الى حبس .

بلغنا السجن في التاسعة الا ربع فاستقبلنا الملازم محمد جواد وكان قائد السجن آنذاك ، ببشاشته السمراء . كان اكثرنا لا يعرفه ولا يعرف عنه شيئاً . اما هو فلم يستطع ان يخفي اعجابه بنا وبجركتنا وبقوة تنظيمنا التي كانت قد تسربت بسرعة البرق الى الرأي العام .

ومثلنا واحداً واحداً بين يدي موظفي مكتب السجن ، وكان لم يتسع بعد ، اتساعه اليوم ، ولا ظهرت عليه رائحة المكاتب والتنظيم الحالية ، بل كان لا يزال عبارة عن طاولات قديمة السن تذكر بالبستيل ، محشورة بعضها الى بعض ، وكانت رائحة الحبس تنتشر في جوه كريهة ، بغليظة .

بدأت عملية التشليح . فلا قام ولا ساعة ولا عقدة رقبة ولا ورقة مكتوبة ولا درهم يمكن ان تدخل الحبس . انها تحفظ كلها باسمنا في خزائن الامانات في السجن . والمهم انه لم يكن بيننا واحد من اصحاب السوابق ليكون لنا دليلاً ولم يكن يدور في خلدنا ان هذا الذي « يسلحننا » ، أمراً ، ناهياً ، هو من طائفة السجناء ، مثلنا ، فقد تعود فيما تعود ان يخرج الاوامر من فمه طبيعية كأنه واضع القانون او مدير السجن .

وانتهت هذه العملية بسلام . واذا بشاويش يأمرنا بالسير وراءه فسرنا ، وكانت نكات مأمون اياس وجورج حداد لا تكل ولا تمل . والحق يقال اني بالرغم من دراستي القوانين واتخاذي المحاماة مهنة ، لم اكن قد قرأت شيئاً عن انظمة السجون في بلادنا وفي العالم بل كنت اعتقد جازماً ان السجن السياسي ذو امتيازات ، ينام على سرير ويأكل طعاماً فاخراً ويقراً ويكتب على هواه بحيث يكون السجن بالنسبة اليه حجزاً بسيطاً عن الاتصال بالعالم الخارجي . ولم اكن اتوهم لحظة ان دركيا جاهلاً ، من اخر دسكرة من الدساكر ، نال وظيفته بواسطة الاقطاعي الفلاني ، او السياسي الفلاني ، يتحكم برقابنا

وينال من اعراض الناس باقذع الشتائم والمسبات، كأنما له ناموس خاص في مخاطبة قطع المساجين الطاع الخانع .

سرت مع الرفاق وراء الشاويش وخيالي يورق ويزهر باوهام الامتيازات ووصلنا الى البناية الثانية وهي عبارة عن بناية طويلة عريضة، تنتهي الى ساحة فيها ثماني غرف (قواويش) اربعة الى اليمين واربعة الى الشمال، وفيها غرفتان لمن يؤمر وقفهم في الانفراد . وفي الوسط ممر صيق وعند المدخل تماما غرفة للحلاقة .

قال الشاويش : « تفضل ، يا استاذ انطون ، الى الحلاق » . فاعتقد حضرة الزعيم انه مدعو لحلاقة ذقنه فعجب من تلك المعاملة الحسنة والمجاملة السخية ، فما كان من المزيّن - وهو سجين ايضا - الا ان بدأ بجزّ شعره كأنما يخلقه حلقا . فاحتج الزعيم وعلا صراخنا ومضت دقائق هرج ومرج كان صوتي فيها اعلى صوت محتجا باسم القانون والامتيازات .

فظهر السيد محمد جواد وببيده سيف القانون القاطع . ودعاني الى القراءة فقرأت ويا لهول ما قرأت ، عند دخول كل سجين يجب ان يقص شعره قصا كليا . فافتنعت مرغما وقلت : انها اولى الظلمات فلنتنظر الثانية ...

واخذنا بعد ذلك الى الغرفة رقم 6 التي قد اعدت لنا . وكنت انا لا ازال مصرا على ان قاووشا لا بد ان يكون في طابق علوي واننا سننام كل في غرفة ، وسنحلم احلاما دافئة عن المجد الذي سيكون لنا في امتنا وفي العالم ، باعتبارنا اول محاولة جديدة منظمة لخلق نير الانتداب ، ودفع هذا الوطن في تيار المدنية الحديثة ، باصلاح جميع فروع الحياة فيه اصلاحا كليا شاملا .

ولكن خاب ظني هذه المرة ايضا . فقد دفع الشاويش بابا امامنا ضخما وفتحه في ضجة وعنق . وكنت اتقدم الجميع لازف اليهم البشري : بشري السجن الفندق ، فاذا بنا امام السجن القبر : منظر تقشعر لهوله الابدان . بشر ينامون في اغطية زرية رثة . اكوام من الاجساد منثورة كافراخ السردين في العلب . وروائح كريهة تنته من انفاس المجرمين واوساخهم تعبق في ذلك الجو الرجس فتزيده اجراما على اجرام ووباء على وباء وغازات سامة فوق غازات سامة !!!

وانه لم يرعني في ذلك النهار مشهد كمشهد الساعة . لقد جفلت كمن تقع رجله على هوة او تنبت في وجهه افعى ! جفلت وتراجعت صائحا : لن ندخل الى هذا القبر .. نحن

سجناء لا اموات . وكان الزعيم والرفاق قد اطلوا على المشهد ورجعوا الى الوراء . وعلت الضجة واشعلت الانوار ورجع الشاويش ثانية الى القائد محمد جواد ، فجاء والقانون في يده فقرأنا وفهمنا ودخلنا .

يا لظلم الناس للناس ! « عبد الحميد كرامة كان في هذه الغرفة ، ولم ينقل الى المستشفى الا بعد وساطات ووقت ، انا ليس عندي صغير ولا كبير ، الكل متساوون » . هكذا كان يحدثنا محمد جواد .

دخلنا على هذا العرض من الالوان والاجناس . دخلنا فكأننا ملائكة الرحمة ارسلت لتبشير اهل جهنم بالعودة الى الايمان .

يا للانسانية المعذبة ! بالفطاعة الجرم يعاقب مجرم افطع ! يا لقطعان بني البشر - اقل قيمة من الماعز - تساق الى النطع بداعي الاصلاح !

نعم ، هي الصرخة الاولى التي صرخناها في وجه تلك المخلوقات الحية الميتة التي استقبلتنا اجمل استقبال ، فتعرفنا اليها في ليلة واحدة ونمت بينها وبيننا صداقة وولاء . فكنا رفاقا وكانوا رفاقا وكلنا نأتمر بامر الزعيم .

وكان عالم السجن عالماً لنا الاوحد ، وكانت السماء تمطر الغضب على الظالمين . وتمطر علينا الاحلام . انا احلم بعروسي اللابسة ثوب الاكليل تنتظر حضوري في موكب العرس ، فتصل اليها اخبار السجن . وزكي نقاش يحلم بشهر العسل الذي لم يكن بعد قد ودعه وجميعنا نشترك في حلم واحد : اننا دشنا العمل المنظم لانقاذ بلادنا . وها قد انقذت ، واستقلت . واصبح السجن ذك يات عذابا . واصبحنا نحن كما كنا جنودا لا تكن لها عزيمة ، تسهر على هذا الاستقلال ، وتعمل على دفعه ، وتصلح هذا الوطن الى ان يصبح مشعلا من مشاعل المدينة » .

الزعميم في السجن

وهنا لا بد من نشر مقال مأمون اياس الذي ظهر في عدد «المعرض» الخاص 1094 تاريخ 25 شباط 1936 تحت عنوان «الزعميم في السجن».

الزعميم؟ ومن هو الزعميم؟ واي زعيم هو هذا؟.

تساءل الغرباء عن الحزب، وقد حق لهم ان يتساءلوا واتمنى لهم ان يعرفوا ان هذا الشاب الهادي المنهمك بدروسه الالمانية وبرياضته وتسليته (في نظرهم) هو قائد حركة تعميرية اصلاحية تضمّ الوفا من شباب سورية.

فجر تجاوبت اصداؤه جوانب سورية بسرعة عجيبة وتلقاه اعضاء الحزب بين واجم وثائر ومعترض.

كل يريد ان يكذب نفسه فيما سمع فيجرب ما استطاع ان لا يقرب قادما من بيروت خوفا من ان يؤكد له الخبر، الا ان حبه للزعميم وحرصه عليه وعلى قضيته كانا يدفعانه دفعا في استقصاء الخبر.

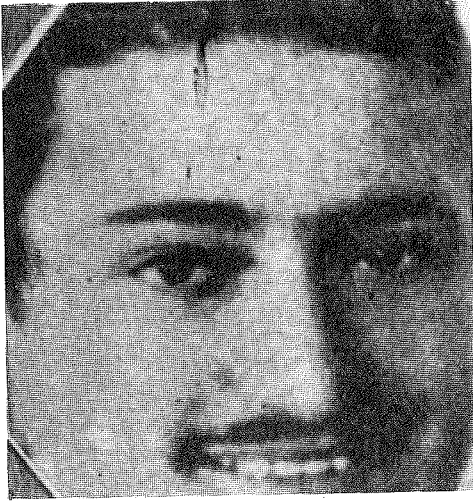
الزعميم في السجن.

حيرة، ارتباك، تساؤل!

في المدينة.

في الجبل.

في كل قرية وفي كل زاوية من زوايا الشوارع فمن قائل ان الحركة قد شلت، وان عمل سنتين او ثلاث سنوات ذهبت هباء منثورا، الى من صورت له مخيلته تززع



مأمون اياس

موقف الزعيم وتلاشي القضية الا ان احدا لم يفكر بالخوف بل كانوا جميعا يتوقون الى اللحاق بزعيمهم ومشاطرته سجنه .

كنت تراهم زرافات ووحدانا يجوبون الشوارع متشردين يتشاورون فيما بينهم عما يجب فعله . وكذلك تراهم وقد تسربوا الى الاحراج في الجبال وجلسوا في ظلمة الليل تحت هطيل الامطار يفكرون في قضيتهم ويتساءلون عن مصير زعيمهم .
ولكن ...

لو كنت لا تعرف ادارة الامن العام ولو لم يكن هناك بضعة من رجال الشرطة يحيطون بالزعيم يوم كان فيها ورأيت ذلك الوجه الصامد الثابت وتلك الجلسة الطبيعية لما قيل لك قط ان الشاب الجالس وراء المكتب يقرأ في كتاب الفيلسوف (كنت) هو في قبضة القانون او رهن التحقيق .

لو شاهدت الزعيم في ادارة الامن العام يدي بافادته ، لما شعرت بأنك امام رجل قانون يسأل متها عن الجريمة التي اقترفها لانه ليس من العادي او المؤلف ان يجيب متهم على اسئلة الشرطي بذلك البرود وبتلك اللهجة العادية .

اني لاذكر مواقفه في جميع اطوار التحقيق في خلال المدة التي امضيتها معه في السجن الى ان ودعته قبل تركه ايانا عائدا اليه ، اني ، لأستعرض كل تلك المواقف فلا اجد واحدا منها تشوبه شائبة او فيه ما يجعلني اطرق في الارض .

لقد برهن الزعيم ان باستطاعته ، بما له من شخصية فذة وروح ديمقراطية ، ان يحتفظ

بنفوسنا ، محبة له ، محترمة اياه في الوقت نفسه وقد قادنا الى السجن وفيه كما كان يقودنا في خارجه وبنفس الحزم والعزيمة الصادقة والصدر المعرض بجرأة الى كل عوارض الحياة وشدائدها .

انظر اليه وقد دخل السجن وقيد الى (قاووش) تمدد فيه خمسون من الاشخاص بينهم الحشاش والسارق والمحتال والمختلس ، اسمعه وهو يقول الى احدنا عندما تململ من وجودنا مع هؤلاء «هون عليك فهذا جانب من الامة التي تعمل لها . وهذه الفئة هي باشد الحاجة الى خدماتنا فيجب ان تدرسها وتفهم نفسيته جيدا» وهذا ما برهنته لنا الايام بالفعل بعد ذلك اذ كان الزعيم لا يألو جهدا في تخفيف الام السجناء ومواساتهم وقد اصبحوا جميعا يلتفون حوله ويثونته شكواهم فيقودهم في سبيل الخير والاصلاح ويبعث في نفوسهم الجرأة والصبر .

لم نكن لنستطيع التعرف بعضنا الى بعض لو لم تتح لنا هذه الفرصة في البقاء لمدة طويلة ، نأكل معا وننام معا ونقضي الايام والليالي جنبا الى جنب ، لذلك فنحن نشكر الظروف التي مكنتنا من معرفة زعيمنا المحبوب هذه المعرفة الوثيقة ومن معرفة بعضنا البعض جميعا . ولقد اعجبت بكثير من خصال الزعيم التي ظهرت لي جلية في السجن .

منها مقدرته على المثابرة على القراءة والكتابة والتفكير مثابرة يومية متتابعة . فلم يميض علينا يوما في السجن حتى كان قد وضع لنا برنامجا يتبعه يوميا - وليس هذا مما يدعو الى العجب وزعيمنا عرف بحبه للنظام واغراقه في احترامه - وكنا نقضي اربع ساعات في صباح كل يوم في المطالعة ، وكان اكثرنا لا يستطيعون الاستمرار دون توقف طول هذه المدة فيتحدثون همسا بينهم اما هو فكان لا يترك الكتاب من يده حتى تمضي الساعات الاربع بكاملها .

وكان من ضمن البرنامج ايضا ساعة للاحاديث فكان اول حديث سرده علينا حضرة الزعيم هو عدة مشاهدات بسيطة في ظاهرها ولكنها تبين في حقيقتها الفرق بين روحنا القومية المريضة وروح الاقدام الاوروبية الصحيحة ، وتفسير ذلك انه عندما كان عائدا الى سورية من المهجر ورست الباخرة وهي ايطالية في مرفأ ايطالي تقدم موظفو الجمرک وجوازات السفر فأخذوا يساعدون المسافرين الايطاليين في الدرجة الاولى ويسهلون لهم النزول الى البر ويفهمونهم عن كل ما يجب عمله بلطف واناة ثم يساعدون بقية الركاب . اما في بيروت فقد جعل الموظفون السوريون همهم الاول تسهيل امور

المسافرين الاجانب ثم شتم السوريين وتأخيرهم واهمال امورهم . كان هذا اول ما شاهده الزعيم لدى عودته من المهجر فطبعت صورته في مخيلته وتركت فيها اسوأ الاثر .

عاد من المهجر ليجاهد في سبيل محبوبته ومحبتنا سورية وفي صدره آمال وآمال وقد كان يحسب العمل ممهدا سهلا بعض السهولة وكان يظن ان الافكار مؤهلة بعض الشيء لعمله ولكن هذا المشهد طرد ذلك الظن طردا من نفسه واكد له صعوبة العمل الذي هو مقبل عليه وصور له الصدمة الهائلة التي ستجابهه بها الطبقة المثقفة في البلاد والموظفون منها ، هذه الطبقة التي افسدتها عوامل المدنية الزائفة والتفرنج المائع . ولكن ذلك لم يزدده الا رغبة في العمل وحبافيه .

كان اول خبر بادرنا به السيد فؤاد مفرج الذي لحق بنا الى السجن بعد خمسة ايام من اعتقالنا هو ان زوبعة انقضت على عرز ال زعيم في ظهور الشوير فاجتاحت نصفه ليلة اعتقالنا بالذات . وهذا العرزال كان ملجأ الزعيم حين يبغي الراحة التامة والانقطاع الى التفكير . فمنه انبثقت اكثر مشاريع الزعيم . وربما نشأت فيه اول فكرة للحزب فقد عز علينا ان تقع به هذه الكارثة ، الا ان حضرة الزعيم تلقى الخبر بابتسامة مبهمة ظلت مرتسمة على ثغره مدة طويلة كان يفكر فيها صامتا .

★ ★ ★

قال لي الرفيق زكريا اللبايدي بالرغم من التشديد على مراقبة الزعيم في هذا الاعتقال فانه لم يعدم وسيلة للاتصال بالمسؤولين بواسطته بينما شاء سوء الحظ ان لا يتمكن المسؤولون من الاتصال به .

كلنا يعلم انه دخل السجن وفي جيبه غرش سوري واحد ونصف الغرش وراحت الايام تتعاقب وليس في صندوق السجن اي مبلغ من المال باسمه ويبدو ان احدا لم يفكر بهذه الناحية فيذهب الى ادارة السجن ويضع باسمه مالا مع ان طعامه كان مؤمنا من مطعم حداد تنقله اليه الرفيقة عفيفة حداد ، ابنة صاحب المطعم .

واخيرا وصل خبر خطي اليه فيه العبارة التالية : « انسيتموني ؟ اعملوا على تأمين مبلغ خمس ليرات في صندوق السجن باسمي » . لا ضرورة للقول انه اسرع الى تلبية الطلب وبالتالي تأمين الحاجة المالية من حين الى آخر بل زاد عليها بعض الحاجات الاخرى .

تضاف هذه الظاهرة الى غيرها من سابقاتها ولكنها تبقى الابرز الآن في هذه الفترة من السجن .

السّجن الأوّل

ويقول الامين عبد الله قبرصي في مقاله المنشور في البناء العدد 87-1033 تاريخ 16 تشرين الثاني 1970 ،

« ان كتابة تاريخ الحزب، بل تاريخ اية مرحلة من مراحلها، هي عمل جماعي بالضرورة، ما يسجله اي عضو من اعضائه او قائد من قاداته، ليس الا اسهاما في العمل. انه نوع من الوثيقة الخاضعة للتحليل والتعليل.

ان ما اسجله مثلا في هذه الذكريات هو نتاج الذاكرة ولكنه مطبوع فيها طبعا. روي شفويا في مناسبات عدة بل دون في مذكرات كتبت سنة 1940-1941 ايام التشرد هربا من الظلم الاستعماري وحفظ في امكنة امينة، الا ان يد احد قادة الحزب المطرودين، وقد كانت مؤتمنة عليه رفضت تسليمه بعد الطرد، فهو محفوظ بين محفوظاتها. من هنا ليس هذا التسجيل مرتجلا ولا هو يكتب للمرة الاولى منذ سنة 1935 .

لقد اخترت هذه المرحلة، من عهد الانكشاف، لانها غنية بالوقائع وغنية بنقاط التحول في المجاري الحزبية وغنية بالهموم والقلق والانفعالات النفسية سلبا وايجابا. انها التجربة الاولى التي مر بها الحزب. لقد كانت محك الصمود والصلابة والقدرة على التحدي.

كيف انكشف الحزب ومن كشفه

في مرويات الرفيق جبران جريج، ان الزعيم كان يخطط لكشف الحزب، لانه كان يدرك اهمية الكشف القسري، ومردوده الازاعي.

وفي ما كتب المعلم، اتهام شبه صريح للاستاذ شارل سعد انه هو الواشي. الا اننا للامانة التاريخية، نقول ان الحكم على الواشي الخائن، لا يمكن ان يصدر، بقناعة كلية، رغم مرور 37 عاما عليه. فمقابل اتهام الاستاذ شارل سعد، الذي لم تقم عليه ادلة الا استنتاج سعادته، هنالك اتهام اخر للاستاذ عزيز الهاشم، الذي كان رئيسا لحزب الاستقلال الجمهوري ودخل الحزب كعضو عامل، وما ان مضى على دخوله ايام حتى كان الانكشاف، (خاصة والرئيس شمعون اتهمه صراحة في حديث لي معه سنة 1936 في طريقنا الى المفوضية العليا لمراجعة ادارية، قال الرئيس شمعون ان عزيز الهاشم في المكتب الثاني الفرنسي ولهذا السبب انه هو الذي فضح وجود الحزب).

وهنالك رواية ثالثة، وهي ان احد اعضاء الحزب كتب رسالة الى شقيق له في ذكر - السنغال، ذكر له فيها انه دخل حزبا سريا، وعدد له مبادئه. وذكر اسماء زعيمه والعمد وبعض المسؤولين ووقعت هذه الرسالة في يد سلطات الانتداب، فشرعت بالملاحقة انطلاقا منها.

ان الجزم في المسؤول عن كشف الحزب بوشاية الى الامن العام الفرنسي غير ممكن اذن، حتى الان، لان الادلة القاطعة غير متوفرة. هذا هو رأيي على كل حال.

كيف عرفت بانكشاف الحزب

كنت قد وجهت الدعوات لحضور حفلة اكليلي في بتعبوره الكورة يوم الاحد في 17 تشرين الثاني من سنة 1935. كان الزعيم هو اشبيني. قبل المهمة على مضض لانه لم يكن يرتاح لاضاعة وقته في المجاملات الاجتماعية. ولكنني عميد الدعاية والنشر وكان من المنتظر ان يبارك الاكليل سيادة المطران ابيفانيوس، مطران عكار حاليا، ومطران الكنيسة الارثوذكسية المستقلة انذاك.

باكرا، يوم السبت 16 تشرين الثاني، نزلت الى السوق التجاري، لاكمل معدات العرس من ملابس ومشرب. راسمالي، وكنت قد استدنته من الاخوين فوزي واميل عازار، موكلّي في ذلك الزمان، لم يكن يتجاوز الخمس وعشرين ليرة سورية. وبدأت ابتاع من محلات كرم، في شارع ويغان، الكفوف البيضاء وربطة العنق والقميص المنشاة ومحزمة الجيب الحريرية، واذا برفيقنا المحامي الفقيده عادل عيتاني، يمر من هناك مهرولا، ولمحني وصاح بي: اين انت؟ الزعيم في السجن،

لم يخطر ببالي، ان الحزب انفضح، كان ذلك شبه مستحيل لكثرة ما كنا نتخذ من

حيطة لتجنب الافشاء، سواء في انتقاء الاعضاء او في جو الارهاب النفسي الذي كنا نضعهم فيه، فالملوث المحتم ينتظر الواشي، ولا مهرب له منه، لان فرقة الفدائيين القوميين بالمرصاد لكل من تسول له النفس بفضح السر .

اذن الزعيم في السجن، لسبب ما، فلنسارع الى اول سيارة تاكسي ولنهبط على مركز الحزب، في شارع فوش، في المبنى الذي لا يزال قائما حتى الان، بمقابل بنك لبنان والمهجر، حيث يقوم فندق امبريال، في مقر الشركة - الستار، الشركة السورية التجارية .

نزلت من السيارة، وانا افكر قلقا بأمر العروس والعرس وبقاعة الزهر التي اشتريتها، ووضعت فيها بطاقة باسم انطون سعادة... وانطلقت عدوا باتجاه مكتب الحزب، اتسلق درج السلام اربعا اربعا وورائي الاستاذ عادل عيتاني، اكثر تودة وانضباطا .

امام الباب يقف شرطي... شرطي لماذا؟ ولكي لم آبه له . كنت انتضي حقبة المحاماة، وكأني فارس الفوارس، يهابني الكبير والصغير، فحقيبة المحامي مرعبة لكل ذي بصيرة ولو كان شرطيا... ودخلت بلا تردد . اما عادل، فاستمر، بهدوء وحكمة، يتسلق الدرج الى ان وصل الى الطابق العلوي حيث فندق امبريال... ونزل في الفندق، فيما نزلت انا في مهب الريح ! .

ماذا وجدت؟ عددا كبيرا من الرفقاء يتهايمسون . هبطت علي الحكمة من اعالي الخوف . ما رددت علي تحية احد . سرت باتجاه مكتب موكلّي السيدين فوزي واميل عازار اللذين كانا مستأجرين في الشركة السورية التجارية مكتبا صغيرا... تحدثت اليهما حديثا لا راس له ولا عقب، ثم انصرفت باتجاه المدخل، لاعود ادراجي، كمن كان ضيفا وعاد . بادرتي الشرطي، ان لا يخرج، فكل من دخل لا يخرج الا بأمر من المفوض العام، وهو الان غائب . حاولت ارهاب الشرطي فما ارتهب . حاولت اغراءه فما اغري . فقفلت ادراجي، وقلت في نفسي: لقد بلغنا نهاية المطاف . انه السجن .

لحظات، واذا بمأمون اياس مقبل بقامته المديدة وجبينه الضاحك . كان مأمون عازبا، ولم يكن موعد عرسه في اليوم التالي، لحسن حظه !

لحظات بعدها - وكنت قد تخلصت من كافة ما احمل من اوراق حزبية - دخل علينا رجل بدين على رأسه قبعة من جوخ . حيانا بأدب وسأل مأمون: ما اسمك؟

- مأمون اياس .

- انت توقع بالخبر الاخضر ؟

- نعم ...

- وانت ؟

- عبدالله قبرصي .

ما ان سمع الرجل باسمي ، وكان اسمه اسكندر الدحداح ، مفوض في الامن العام الفرنسي حتى تراجع الى الوراء ، ولمسك بقبعته بيده اليمنى وانحنى قليلا وقال :

- لي الشرف ان احيي السيد غوبلز ! ..

لم يعد هنالك شك ، بأن الحزب اصبح بكامله في قبضة السلطات الفرنسية . لقد وقعت الواقعة .

كدت اضحك ، وقلت للشيخ الدحداح :

- دون نقاش ، ارجو ان تدلنا على وجهة السير ... ان سيارة لا تزال تنتظرنا على الباب .

وخرجت ومأمون برفقة المفوض العام بسيارة عبد الحفيظ التي كانت لا تزال على الباب تنتظر . سندفع اجرتها من ميزانية العرس . ميزانية العرس تتحول الى ميزانية الحبس ...

في الامن العام

ووصلنا الى دائرة الامن العام ، في بناية خان انطون بك ، تحت مكاتب شركة كنار لاين التي كان يديرها نعمة تابت والتي فيها ادخلنا الاستاذ المؤرخ الكبير زكي النقاش قبل حوالي السنة ...

وتلاقينا هنالك ، رهطا من القياديين والاعضاء العاملين ، لا اذكرهم جميعا . كان بينهم نعمة تابت رئيس مجلس العمدة وعميد الداخلية ، زكي نقاش عميد الحربية ، الدكتور جورج صليبي الذي كان طالب طب في السنة الاخيرة ، وفؤاد خوري ، وويكتور اسعد ، وآخرين ...

كنا نتساءل : اين سعاده ؟

واذا به يدخل الى الغرفة المتصلة بغرفتنا ، محاطا برجال الامن . كان متعبا . ربطة عنقه تهبط قليلا عن مكانها في قبته المنشأة . شعره منبوش على غير عادة . ما ان تلاقى

النظر بالنظر حتى هب كل واحد منا، وادينا التحية. فردها بتؤدة وتمهل وهو يبسم ابتسامة قلقة.

لا اريد ان ابالغ. كنا وجلين. ولكننا كنا نضحك لنكات جورج صليبي. كان يبدو وكأن معنوياته اعلى من معنويات عميد حريبتنا... انه لشأن انساني، ان نضطرب وان نهتم. وان تطغى علينا الهواجس. لم يكن وضعنا وضعاً مفرحاً. انكشاف الحزب ليس انتصاراً. كنا نتوقعه هزيمة ودماراً... ولم تكن اعصابنا قد تفولذت في المواجهة والتحدي، والصبر والاحتمال.

كنا نضحك لنكات جورج صليبي، وكنا نتهامس، وكان، المأزق ينفرج مع كل ساعة تمر. كنا نستعد لمواجهة الصدمة الاولى. كان الامتحان عسيراً فهل نجتاز الامتحان بنجاح؟!..

كنا نتداول في ما يجب ان نصرح في التحقيق. كمحام، المحامي الوحيد بين الموقوفين، كان علي ان اشير، ان استنبط، ان اهيأ الاجوبة على عناصر الاتهام.

واذا بسعاده وهو يتمشى باتجاهنا زارعا غرفته بخطاه المتئدة يقول بصوت مسموع: نحن حزب ثقافي، اقتصادي، نعمل في سبيل رقي الشعب وتوعيته. اني صرحت بكل شيء فلا داع للكتان. هذا معنى ما سمعناه... وحفظناه.

ولم يمر الفصل الاول من المأساة، دون دعابات ظريفة. فقد راح شرطي غر، عرفنا انه من الدامور، يريد التهكم على سعاده، فقال كلمة فهمنا منها غمزا ولزاً واستهزاء، فانتفض جورج صليبي بكل حماس الشباب وقال للشرطي: اياك ان تمس الزعيم بأية كلمة. اسحب كلامك والا... وهجم جورج باتجاهه، ووقفنا كلنا نشد ازره... فامتقع الفتي، وقال: والله لا اقصد سوءاً!.. وانتهت المشادة بسلام.

اهتمنا بالجوع. فاذا بالشرطة من حراسنا يشيرون بأن نطلب طعاماً من مطعم قريب، فطلبنا لنا وللزعيم. واكلنا كلنا بشهية، كأننا نسينا الماضي والمستقبل وكأن الجوع هو حاضرنا ومستقبلنا معا...

وبعد الظهر، جاءنا الشيخ اسكندر الدحداح مرة اخرى وقال جادا وبصوت جهوري:

- انتم الان موقوفون بأمر من قاضي التحقيق، ممنوع عليكم تخطي عتبة هذه الغرفة. الشرطة مفوضه باطلاق النار على من يحاول.

فصحت به:

- بلا تهديد ووعيد. نحن نفهم القانون...

فأجاب الرجل:

- لو كنت تفهم القانون يا استاذ، لما كنت هنا!..

وظفقتنا، نحن وسعاده، نضحك ملء اشداقتنا، بما فينا اسكندر الدحداح وسائر افراد الشرطة...

تفتيش المنازل

كل الذين جيء بهم من منازلهم، اِرتاحوا من التفتيش. الزعيم ونعمة ثابت وزكي النقاش وجورج صليبي وسواهم. اما انا ومأمون اياس ومن قبض عليهم في مركز الشركة السورية التجارية، فقد كان علينا ان نذهب مخفورين، الى منازلنا، بقصد البحث عن الوثائق والاسلحة... والخرائط. كنا بدأنا نفهم ان التهمة الموجهة اليها كانت مؤامرة على سلامة الدولة الداخلية والخارجية فيما كنا وحدنا - كما اثبت التاريخ - طريق السلامة الداخلية والخارجية معا. التهمة لم تكن بلا ادلة. فقد عثر على خرائط لمطار رياق، وعلى تنظيمات ارهابية!! الخ...

وكان من نصيبي ان اذهب تحت قيادة المفوض سلامه عازوري وعدد قليل من الشرطين. كم كان هذا العازوري طيبا وانسانا ومفوضا محترما ومحبوبا.

قلت: غدا يوم عرسى، الناس مدعوون من كل مكان. ظلم الا نخبرهم بتأجيل الخفلة الى اجل غير مسمى. ما العمل؟

قال: تمر بمكتبك، وتتلفن منه الى احد اقربائك وهو يبلغ الاخرين.

قلت: شكرا...

وكان مكتبي في بناية السمطية على الزيتونة، مع المحامين ابراهيم وفهم الخوري، على بعد خطوات من الامن العام. تلفنت الى طرابلس وكتبت رسالة الى العروس مع الرفيق القديم جورج سر كيس جاء فيها: كوني رجلا في فتاة... الخ...

لم يفتش المفوض سلامه عازوري المكتب. انه ليس بأسمك، قال لي، فلا يجوز ان نفتشه. كانت هنالك بعض الاوراق اعطيناها للمستخدم محمد خير الصاوي برسم التمزيق او الحريق.

واتجهنا الى المنزل. كان شبه فارغ. العروس وحدها ستملؤه. ستبيع مصاعها
وسنبيع ما تبقى لنا من املاك في دده الكورة لكي نشترى بعض الضروريات للصالة
وغرف النوم...

قال المفوض آمر الشرطة: احرسوا الابواب. انا افتش وحدي.
ودخلت واياه المنزل، غرفة غرفة. كان يتظاهر بالتفتيش ولكنه لا يفتش شيئا.
قال لي: انتم رجال وطنيون. ابي احترمكم. تريدون الاستقلال للوطن. من لا
يريد منا استقلال بلاده. قل لي، ما عندك من المنوعات؟
اوجست خيفة وترددت.

قال لا تخشى شيئا.
وبالفعل نظم محضرا بانه لم يعثر في المنزل على اي شيء ممنوع...
هكذا كان المفوض سلامه عازوري، رجلا من هذا الوطن، يأخذ بساعد ابناء
بلاده، الذين ما اسسوا حزبا للسلب والنهب والعمالة، بل لتحرير بلادهم من الانتداب
ومن المثالب والفساد لتحقيق وحدة سورية الطبيعية، اي اكبر قوة عسكرية ثقافية
سياسية في العالم العربي والشرق الاوسط...

لا اعرف اين انت الان ايها المفوض، بعد 37 سنة، احبيك شاكرا، آملا ان
تكون بين الاحياء وان تقرأي، لانك مثال الموظف الشريف ايام حكم فرنسا!..

الى العدلية والسجن

نقلنا تحت حراسة شديدة الى قصر العدل. وضعنا في غرفة النظارة. كانت اولى
خطانا في طريق الجلجلة، تلك الغرفة القذرة، تنضح بالجراثيم والابوثة.

لم اكن غريبا عن قصر العدل. منذ سنة 1931 كنت قد بدأت اترج، قبل ان انا
الشهادة من معهد الحقوق، في مكتب النقيب الشيخ ادمون كسبار. ولكن 16 تشرين
الثاني 1935 كان يوم سبت. كان القصر مقفرا الا من بعض رجال الشرطة. اما
القضاة والمحامون فلا اثر لهم. المحقق تمبال، الذي كنت اعرفه لماما، هو الذي اوكل
اليه امر التحقيق معنا. الزعيم كان اول المستجوبين. كاتبنا ضبطه كانا: الاستاذ فريد
حبيب، القاضي والمدير والسفير فيما بعد، والاستاذ جورج بويوز زميلنا في عالم المحاماة
اليوم.

استجوب سعادته خلال ما يقارب الساعتين، اما نحن الباقيون، فقد مر بنا المحقق سريعا.

كان الاستجواب الاول، في ذلك الليل، نوعا من الشكليات، لابلاغنا مذكرات التوقيف وضبط افادتنا الاولى. المحقق كان يقصد منه تبين علامات طريقه في دعوى هي الاولى من نوعها في تاريخ القضاء اللبناني الحديث.

لم نعثر مع الاسف على ملف تلك الدعوى التاريخية، فقد ضم الى ملفات التحقيق في الدعاوي التي سبقت ضدنا سنة 1939-1940 امام القضاء العسكري وما فهمناه مؤخرا ان تلك الملفات، اما اتلفت او انها في وزارة الدفاع الفرنسية في باريس...

المهم اننا نقلنا الى سجن الرمل، واصبحنا ضيوف النقيب محمد جواد. من اهم ما اذكر، ان سعادته كان يحمل في جيبه « ثروة طائلة »: قرشا ونصف القرش فقط لا غير!..

اثنان بين الموقوفين، كانا في حالة وجوم وقلق بارزين: زكي النقاش وانا. هو عريس جديد ما مر على زواجه اشهر وانا عريس السجن، يلقي القبض علي قبل ان يرتفع على رأسي « اكليل المجد والكرامة ».

معاملات الاستقبال، لم تكن كثيرة التعقيد: مصادرة كل ادوات الانتحار، من احزمة واقلام، وكل ادوات الرشوة، من مال ومتاع.

الرفقاء كلهم، في هرج ومرج، كأنما هم على ابواب الجنة. لم يكن احد منهم قد زار قبلا هذا القبر المكلس.

وادخلنا كلنا بعد اجراء المعاملات الادارية، الى البناية رقم 2، القاووش رقم 6، على ما اذكر.

يا لظلم الانسان للانسان!

يا لظلم القانون للانسان!

ادخلنا الى القاووش، ونحن نعتقد اننا داخلون الى غرفة نوم، فيها اسرة وثيرة الفراش، والى جانب كل سرير طاولة صغيرة فيها كل مستلزمات الحلاقة والنظافة. لانها كانت المرة الاولى التي ندخل فيها السجن، ولاننا سجناء سياسيون، كان من حقنا ان نتنظر معاملة خاصة، فيها احترام لنا كمناضلين ومثقفين.

يا لهول ما شهدنا، قذارة اشبه بقذارة غرف النظارة في قصر العدل، تنشب

اظافرها في انوفنا روائح مسمومة، ويطالعنا لهاث السجناء، اخواننا وشركاؤنا الجدد في الحياة، محموما كأناييب الغاز، موبوءا كحفر بيوت الخلاء!

كان الزعيم يتقدمنا، وثيد الخطى، كمن يتهالك في خطاه، ولكن رافع الرأس، باسم الشفتين، مشرق الجبين. كان نعمة ثابت وزكي النقاش وانا وراءه. ما ان نشبت اظافر القاوش في انفي، حتى ادركني ما يشبه الغثيان، سددت انفي وتراجعت الى الورا. فامسك بي احد الرفقاء وجري معه.

في الغرفة ازدحام وضجة. الضيوف الجدد ملفت الانظار. انهم من طراز جديد، غير مألوف. كيف تفعل القردة في غابة اذا مر بها آدمي؟ الشاويش، رئيس الغرفة، ابو حطب، يأمر صفا من المساجين ان يمزمو بطانياتهم بأسرع من البرق للانتقال الى قاووش آخر. يجب ان تخلي مساحة من ارض الغرفة على قدر عددنا. مترين او ثلاثة امتار. تلك كانت مساحة عالمنا الجديد، عالم السجن الاسود. عالم الضمائر العفنة.

كان سجين اسمه عرب ابرز اصحاب تلك الضمائر. عينه ابو حطب أمرا للشلة المغادرة، فلم تمض دقائق الا وكان الراحلون صفا واحدا على الباب، واذا بأيدي الباقين تحيي صارخة: مع السلامة يا عرب، فلم تتمالك نحن الا ان نشترك في الوداع: مع السلامة يا عرب، مع السلامة يا عرب!..

بعضنا كان لهم اهل في بيروت. انجدنا بعض هؤلاء الاهل بفرشة واحدة وبعض الاغطية. اضطررنا ان نستعمل جوانب الفراش كمخدات، وارجلنا في العراء، على الحصير او على البلاط. من استطاع نوما نام ومن لم يستطع سهر الليل مع وساوسه وهواجسه وتوقعاته السوداء.

نمت ويدي على انفي. كدت اختنق بالغازات السامة المتصاعدة من انفاس المراحيض ومن انفاس هؤلاء «الاخوة» الجدد، وهم اما من اصحاب السوابق في السرقة والنشل والتهميب، واما من مدمني المخدرات والقنلة والسفاحين.

القابلون للإصلاح منهم، سيصبحون لنا رفقاء، اخوة حقيقيين. ان في السجن نفسها نفوسا كبيرة اذا كان لنا عين تفرز في الاطواء...

لا من باب الارستوقراطية، ولا من باب الاستكبار، مجت انفسنا هذه الحيرة الجائرة. نحن من ابناء الشعب، ما كانت الرسالة التي من اجلها نسجن الا من اجله، من اجل فلاحيه وكادحيه وبؤسائه، اكثر منها لمترفيه واثريائه واقويائه... ولكن

قدارة السجن وقذارة النزلاء كانت سبب الامتعاض والشكوى!..

في تلك الليلة سقطت صاعقة على احد اسوار السجن ، فسقط احد جوانبه ، وعرفنا فيما بعد ان صاعقة اخرى سقطت على صنوبرة قرب عرزال سعادته في ضهور الشوير فقصمتها... وكانت الصاعقة رمزا.. هدمت اسوار الباستيل، ونزلت في جوار العرزال فما اثرت في اخشابه العاتية اثرا...

في صبيحة اليوم التالي، دعينا الى صالون الحلاقة وتعلمنا كيف نسحب الشكات على دكان السجن، كما تعرضنا لاول التجارب: جز شعورنا جزا كاملا، كما يجز شعر الغم في مطالع الصيف. وكان التمرد، وكنت انا قائده باسم المحاماة والقانون. ولكن اين للمحاماة ان تكون ذا شأن في مملكة محمد جواد، الرجل الذي يمزج الخبث واللؤم والختل بالشعر والوطنية، فيطلع منه كوكتيل اخلاقي عز نظيره في كل أمر سجن، في اي بلد من بلدان الله الواسعة. حضر - جل جلاله - يحمل القانون في يده، وابتسامة صفراء على شفتيه. القانون المبتسم ابتسامة صفراء، ويل لطالبي العدالة من جلالته! كان النص واضحا: ان على كل سجين ان يحنو راسه امام الماكنة الحاصدة. لا فروقات ولا امتيازات، حتى ولا للزعيم! كنا نحس على لسان محمد جواد سما في حلاوة الكلمات، اسمه الحسد. كيف يكون في السجن حضرة الزعيم، لا يقابله للآمر، الا حضرة النقيب!.. وشتان بين الزعيم والنقيب! ويل لهذه «الشتان» من حسد محمد جواد!..

حسنا قلت للآمر، النص صريح، ولكن اين النص على وجوب جز شعر السجناء السياسيين؟ كان في ذهني اننا بلد حضاري، وان قوانيننا مستوردة من اوروبا، وان اوروبا تقيم وزنا ضخما للسجين السياسي. نسيت ان قوانيننا فرنسية الاصل، وان سنة 1935 لم تكن سنة السجن السياسي في فرنسا!!..

كان محمد جواد على الاقل مهذبا، ما اتهمني بجهل القانون - وكنت اجهل قانون السجنون كليا فما اقرأ منه الا ما له علاقة بمقابلة المحامين للسجناء فقط - فقال:

- ليس في لبنان اي امتياز للسجناء السياسيين.. انهم مثل سائر المساجين.

- هكذا اذن انطون سعادته وهذه الشلة من المفكرين والمناضلين تعاملها كما تعامل

ابو حطب وعربا، من المهريين والحشاشين والقتلة؟

- ليس الحق علي، قال محمد جواد، انا لست واضع القانون. انا منفذ القانون.

حقك على السلطات التشريعية.

- اجل حقني على السلطات التشريعية .. سنعرف كيف نذك يوما حصون
الباستيل ...

وضحك ضحكته الصفراء المعتادة وانصرف، فيما كان المقص المجنزر يفتك في
شعري وشعر سعادته وباقي الاخوة.
وجاء عصر ذلك اليوم، بطيئا. الساعات في السجن طوال كليل الارملة واليتيم
والثكلي. ولكنه جاء اخيرا.

ملكة محمد جواد فيها بعض الخيرين. محمد جواد نفسه انسان ساعة تتحرك فيه
اصالة اهل صور الميامين. لقد سمح بادخال الصابون والكتب ومعجون الاسنان
والمناشف والاحرمة وبعض الاطعمة الشهية. دخول هذه الاشياء الى السجن، يعني
شروق الشمس، يعني انفراج الازمة، يعني رائحة الحرية تدخل انوف المستعبدين!

ولكن... يوم الاحد هذا يوم عرسني. ماذا حل بالعروس والمدعويين؟؟ هل
تخاف فتنحل بيننا روابط الحب، وتضع علي الى الابد فرصة العمر ببناء عش ذهبي!
لقد كنت انسى. انتقل من ذاتي، الى جو سعادته والاخوة المرحين الفرحين. ولكن
فجأة تشتعل نار في صدري، فانزوي وانطوي. كان هنالك لي اب واخوة، ما ان
اعبس، حتى تلاحقني الابوة والاخوة من رفقاء الحياة، فاذا انا في الجو، فاذا انا ناس
العرس والعروس، لاهلل واكبر للعهد الجديد، عهد العطاء في سبيل الامة.

مر الاحد بسلام.

الابواب موصدة. الحرس بكم. لا خبر ولا تعليق.

نتعلق حول الزعيم، نحن الضيوف الجدد مع الضيوف القدامى، هؤلاء الذين نسا بهم
القدر ونبذتهم الحياة، ونصغي الى تعليقه على الحدث. كان واثقا انها بدء مرحلة
انتصار. سنصبح حديث العالم. النهضة في الساحات الانترنسيونية مدار اخذ ورد ...

الاثنين حميد فرنجية في السجن.

كان قد بدأ نجمه يلمع.

توثقت بين سعادته وبينه صداقة واحترام متبادل عبر الشاعر الملهم صلاح لبكي
الذي كنا قد ادخلناه في الحزب منذ اربعة او خمسة اشهر.

تطوع حميد فرنجية للدفاع عن الزعيم، وجاء الى السجن ليقابله. فمقابلا وعاد المعلم
الى القاووش مستبشرا مهللا. طلب اليه الاستاذ فرنجية ان يكتب له رسالة يخبره فيها
بما حدا به الى تأسيس الحزب. فكتب له الرسالة التاريخية المنشورة في النظام الجديد.

الثلاثاء حدث جديد ، طلبت انا الى الادارة .

لبست معطفًا فوق البيجاما ، واعراني زكي النقاش طربوشه ، لكي اخفي به الصلع المفتعل . هرولت . الدعوة الى الادارة فرج . انها امتياز لمن لهم خارج الاسوار نفوذ او نافذون ! ..

وكان الخبر المفرح . مطلوب الى العدلية . سيارة السجن الصفراء كابتسامه النقيب محمد جواد بالانتظار . يجب ان تقيّد يداي قبل المسير . لماذا ؟ هل يجوز تقييد محام ؟ هل يمكن لمحام ان يفر من وجه العدالة ؟ ولكن القانون هو القانون ، وليس لسجين ان يتمرد . الخضوع اصبح الخبز اليومي . نحن في مملكة العبودية ! لا اله الا السجن ! .. وانطلقت بنا السيارة ، تمخر الشوارع والازقة .. ما احلى وجوه الناس ! ما اسعد العالم بنور الشمس والحركة والحرية ! الغصّة تملأ حلقي ونفسي واشعر ابي حزين . اكاد اتمزق ، اثور ، ارمي بنفسي الى الشارع . ليس من اغراء اعز من اغراء الحرية . ليس اثن من الحرية ! ..

ووصلنا الى قصر العدل . الحرس يقتادونني الى مكتب نقابة المحامين . الزملاء يتراخضون ليسلموا علي . بين ليلة وضحاها صار عبدالله قبرصي احد نجوم قصر العدل . يا للنجم الشاحب المتواري خلف اسوار العبودية ... في النقابة . ماذا في النقابة ؟ خطيبي . عروسي . لم التفت الى النقيب الاستاذ نجيب الدبس ، ولا الى اعضاء النقابة جان جليخ ، جان تيان وباقي الزملاء . رحلت اقبل عروسي وامسح بيمينتي دموعها الكارحة على خديها الموردين ! .. يا للقاء الحرية ولو للحظات ! يا للقاء الحبيب ..

صاح بي النقيب :

خلصنا من الغرام . تعال قدم لنا ايضا حاحا عن هذا الحزب ؟ ما هذا الحزب ؟ ما هي اهدافه ؟

ما نسيت ابي عميد الدعاية .. والتفت الى النقيب ومجلس النقابة جادا ، اشرح سوريا للسوريين والسوريون امة تامة ...

- انت ، انتم ، قال لي جان جليخ ، يا مجانين ، تريدون ان تقهروا الانكليز والفرنسيين واليهود ، وتوحدوا سورية ولبنان وفلسطين ؟ انت ، انتم ؟ ما هذه المهزلة ؟

- اجبت الاستاذ جليخ ، الذي كان بين الهزل والجد :

- نحن نضع لنا مثلا اعلى نكافح ونناضل في سبيله . ان لنا من الايمان والثقة

بالنفس وبعدالة قضيتنا ما يسمح لنا بالاعتقاد اننا سنهزم كل قوة تقف في وجهنا ،
ولو كانت قوة الانكليز والفرنسيين

- اصمت ، اصمت ، يا عبدالله . ما من اجل ان تبشرنا لندخل الحزب دعوناك ،
بل من اجل ان تعطينا سلاحا للمطالبة باخلاء سبيلك . نريد ان ننتصر لك ، شريطة
ان تصغر هذه القصة المستحيلة وتقلل من اهميتها لكي نتمكن من الضغط لاعادتك الى
حريتك... وعروسك ، الا تراها شاكية باكية ؟

- سيدي النقيب ، اساتذتي الاكارم... وكدت ابدأ خطابا تبشيريا فقساطعني
المرحوم جان جليخ الذي صار نقيبا في الدورة التالية :

- جئنا بك لتقول لنا ان قضيتكم صبيانية ، وها انت تحاول ان تدخلنا في حزبكم
لندخل معك الى السجن عوضا ان نخرجك منه كما نسعى .

قلت : انا رجل عقيدة : انا مؤمن . لا يهمني السجن بقدر ما تهمني عقيدتي
وقضيتي !..

وراح الاستاذ جليخ يضرب رأسه بكفه .

- خذوه . خذوه . اعيدوه الى السجن .

وخرجت وخطبتي تضرب احساسا بأسداس ، وتتجهم وجهها ولسانها .

اسلس القياد لتخرج . انا بانتظارك ، قالت .

وعلى باب النقابة كان المدعي العام دورلاك ، وهو من انبل القضاة الذين ارسلتهم
اليينا فرنسا ، يقول لي :

- هل ترى الى اي معجن تدفع بنا ؟ !..

واعدت الى السجن لاروي ما جرى !



قصة قص الشعر في السجن

عند انكشاف امر الحزب وصدور مذكرة التوقيف بحق الزعيم واعوانه قامت ادارة حبس الرمل بواجباتها حسب نصوص قانون السجون الساري المفعول. اي كان واجبها الاول قص شعر الموقوفين « على الزيرو » ثم حشرهم مع الموقوفين الآخرين دون مراعاة او تمييز ان من حيث الاتهام او الثقافة او المركز الاجتماعي السياسي .

اعترض الزعيم على هذه المعاملة وقدم احتجاجاً رسمياً على هذا الوضع مستنداً الى كونه سجيناً سياسياً . كان من نتائج هذا الاحتجاج، بعد درسه من قبل المستشار الفرنسي في وزارة العدل ان الاوامر وصلت الى ادارة السجن بضرورة عزله مع اعوانه في غرفة خاصة تليق بهم، الى غرفة كان يسميها السجناء « غرفة الاجانب » وذلك لميزاتها عن سواها من الغرف من حيث النظافة والترتيب والمناخ .

هذا على صعيد الحبس اما على الصعيد القانوني فقد صدر عن وزارة العدل قانون يقضي بعدم قص شعر اي موقوف « على الزيرو » الا بعد ان يصدر حكم بحقه . وقد توسع هذا القانون « فشمّل المحكومين ايضاً وذلك بالتوقف عن قص شعرهم مدة شهر قبل انتهاء مدة محكوميتهم .

لكن هذا القانون لم يميز السجناء على اساس تصنيفهم - سياسيين او غير سياسيين - وبقيت هذه الحالة حتى ايامنا هذه وان تخللتها فترات قليلة متقطعة يعامل فيها الموقوف معاملة شبه لائقة حسب جرمته ان صحفية او سياسية او اذا كان من ذوي المكانة « الاجتماعية » وذلك بتوقيفه في المستوصف او في احد المستشفيات .

لم يكن منتظراً من السلطة الانتدابية ان تذهب الى ابعد من قص الشعر. هذه هي قصة قص الشعر في السجون اللبنانية تسبب فيها سعادة عند انكشاف امر الحزب .

الوضع خارج السجن

ترك الزعيم في السجن لنتقل الى خارجه . نتفقد احوال هذا الحزب الذي اصبح الزعيم وكبار معاونيه رهن الاسر .

لم تقف الاجهزة الاعلامية الفرنسية الرسمية والشبه الرسمية مكتوفة الايدي تجاه التأييد الساحق الذي حصل عليه الحزب السوري القومي الاجتماعي من مختلف فئات الشعب في مختلف الكيانات السورية التي كانت تغلي كلها بمطالب الوحدة السورية - وان على طريقته الخاصة، فاكتشفت، بعد الدرس والتمحيص، ضالتها المنشودة في الحرب المستعرة بين التليان والاحباش، وجدتها مادة دسمة تبني عليها حملتها المسعورة على الحزب .

ان ايتاليا الفاشية مكروهة شعبياً لهاولتها استعمار الحبشة ولذلك فافضل وسيلة ضد الحزب هي في ايجاد علاقة، وان ملفقة، بينه وبينها فابتدعت تهمة الفاشية او النازية لافرق، تلصقها به، بمقارنة سطحية بين نظامه شبه العسكري وتحيته وعلمه والنظام العسكري الفاشي او النازي... مع بعدهما الشاسع لكل مدفق واع. لعلها بهذه المقارنة تنقل بعض الكره اليه. ولكن نسيت دعاية السلطات المنتدبة الفرنسية انها هي بمركز مشابه ومساو للسلطات الايتالية من حيث الاستعمار فهذه تريد استعمار الحبشة بينما فرنسا تستعمر بلادنا في الواقع، على كل صعيد كما بيتنا سابقا، كمغرم من مغام الحرب التي خرجت منها منتصرة والتي كانت من نتائجها اتفاقية سايكس - بيكو التقسيمية للوطن الواحد مع زميلتها بريطانيا العظمى. على كل حال تركزت دعاية مضادة للحزب على اساس انه حزب فاشي - نازي.

هذا من جهة الظاهر اما من جهة الخلفية التي يبطنها هذا الظاهر فهي ان هذا الحزب الوجودي يزيد الطين بلة في الموجة الوجودية التي تغمر البلاد، خصوصاً وان زعيمه مسيحي من جبل لبنان وفي حزبه فروع منتشرة في المناطق المسيحية وله اعضاء كثيرون من المسيحيين الموارنة. وهذا يعني، بكلمة اخرى، انه زاد المطالبون بالوحدة السورية فريقياً له وزنه الفكري العقدي يجب ان يحسب له حساباً واي حساب.

اذن، فلتبعده هذه التهمة بالفاشية من ميدان المعركة الرئيسية، معركة الوحدة السورية القومية ان في الشام او في لبنان.

الوضع الحزبي اثر الاعتقال

دخل الزعيم السجن مع معاونيه كما سبق واعلنا فحدث هذا السجن فراغاً تاماً في القيادة المركزية للحزب، هذا مع العلم ان الدوائر المركزية لم تكن مكتملة الاجهزة وكذلك في المنفذيات فأصبح من الضرورة الملحة ايجاد قيادة مركزية قبل اي شيء آخر ولكن كيف يكون تحقيق ذلك ممكناً، ثم كيف يتمكن هؤلاء القوميون الاجتماعيون من صد الحملة المسعورة وهم كما يقول الزعيم في رسالته الرابعة الى غسان التويني تاريخ 26 ايار 1946 « كنت في السجن ولم يكن في ايدي القوميين الاجتماعيين غير المبادئ والدستور وخطاب الزعيم في اول حزيران 1935 ونص كتاب خصوصي موجه مني الى سائل رأيي في العالم العربي. فدافع الاعضاء بهذه الوسائل وبما اكتسبوه من المحادثات مع الزعيم ومانقل عنه. وبديهي ان هذه الوسائل كانت ناقصة لا تفي بحاجة عقيدة خطيرة كعقيدة الحزب السوري القومي الاجتماعي».

اذن، لا قيادة ادارية مركزية، ووسائل ناقصة للدعاية، ناهيك عن عدم وجود المال، والاهم عدم وجود اية خبرة سابقة في موضوع خطير معقد من هذا النوع.

هذا من جهة اما من جهة ثانية يجب ان نضيف الى الحملة الاستعمارية المسعورة قراراً صدر عن المفوض الفرنسي بتاريخ 20 نوفمبر 1935 اي بعد اكتشاف امر الحزب والقاء القبض على زعيمه باربعة ايام يعزز بعض الثغرات التي لم يلحظها قانون قمع الجرائم وقد ذكره الزعيم في تعليق له في جريدة «سورية الجديدة» لصادرة في سانبولو بالبرازيل في العدد 14، السنة الأولى، تاريخ 13 مارس 1939.

... « يذكرونا بالقرار الذي صدر عن المفوض الفرنسي في 20 نوفمبر 1935

وهي القرارات والقوانين التي سببها ظهور هذا الحزب المتين النظام وهي قوانين تضع

في يد المفوض الفرنسي سلطة واسعة على القوات البرية والبحرية والجوية ليستخدمها في « قمع » كل حركة تظهر في البلاد. والناس كلهم هنا يعلمون انه لا خطر يوجب اتخاذ مثل هذه التدابير الاحتياطية غير خطر ظهور الحركة السورية القومية الاجتماعية المنظمة تنظيمياً يضاهي بل يفوق تنظيمات اجنبية كثيرة» .

بعد هذه الصورة القائمة عن الوضع الحزبي، اثر الاعتقال، خارج السجن، اود ان اسجل عملاً دفاعياً او محاولة دفاعية قام بها جنود مجهولون فاصدروا بياناً على الصحف بتاريخ 21 تشرين الثاني 1935 اي بعد خمسة ايام على اكتشاف امر الحزب ذكرت عنه كل الجرائد بما معناه ولم تنشر النص الحرفي . انقل هنا ما عثرت عليه في صحف ذلك التاريخ . « ان الحزب السوري القومي الاجتماعي لم يؤلف لتقويض كيان الدولة وقلب نظاماتها، بل لتحسين اخلاق الشبيبة وزرع روح القومية المجردة في قلوبهم وتقوية روح التآخي والتضامن بين الطوائف والسعي لرفع الحواجز الاجتماعية بينها عن طريق التعاون والتفاهم ومساعدة الدولة المنتدبة بتحضير البلاد للاستقلال، بعيداً عن كل دعاية اجنبية» .

كما انه كانت تجري اتصالات بين الصحفيين وبين من يكتشفونه من اعضاء الحزب فيروون على سنتهم المعلومات التي كان الشعب يتعطش لمعرفة، ان اكثر هذه المعلومات وان جزئية كانت صحيحة والبعض منها المتعلق بالشركة السورية التجارية كانت للتمويه .

★ ★ ★

وقد صرح احد الشبان المنتمين للحزب لجريدة « فلسطين » بأن الصحف تنشر اخباراً متناقضة عنه. وختم حديثه قائلاً: « ليس في امكان رجال الامن الدخول بيننا فنحن بعد توقيف اركان الجمعية ومعرفة اشارات التعارف وبعد تأليفنا مجلس ادارتنا الجديد قد غيرنا هذه الاشارات .

« ثم لا ينتظر منا ان نقوم بآية مظاهرة او باي عمل من شأنه ان يوجب تدخل رجال الامن في شؤوننا» .

« اننا ماضون بعملنا هذا حتى النهاية وسترون عندما تنقل قضيتنا الى القضاء اننا بعيدون عن كل تدخل اجنبي وبعيدون في الوقت نفسه عن القيام بكل ما يخل بالامن العام وليس لنا هدف الا المحافظة على اقتصاديات البلاد وتنمية صادراتها والحصول على حرية البلاد السياسية وسيادتها» .

وصرح مصدر رسمي بان التحقيق اثبت ان ليس لاعضاء الحزب اية علاقة بالدوائر الاجنبية ولاصحة لما اشيع عن وجود روابط بينهم وبين احدى الدوائر الاجنبية .

★ ★ ★

وهنا لابد من ابداء ملاحظة وهي اننا عرفنا فيما بعد ان الزعيم كان قد عين الرفيق عادل عسيران نائباً ادارياً له عند انكشاف امر الحزب لكنه بقي المرسوم دون تبليغ . (بقي المرسوم بمجوزة شقيقة الرفيق جميل عازار وقد بقيت محتفظة به كذكرى مدة طويلة من الزمن) .

حلّ عقدة الادارة

حلت عقدة الادارة المركزية على الطريقة التالية : كان الرفيق زكريا لباييدي قد نقل من وظيفته في الكورة الى وظيفة مماثلة في الدوائر القضائية في بعبداء وكان من الذين يترددون على الزعيم في شكل مستمر .

عند انكشاف امر الحزب، جاء الرفيق لباييدي الى بيت الحداد يتفقد مجريات الامور بعد الاعتقال واذ يفاجأ بالرفيقة عفيفة حداد تسحب من صدرها مرسوماً بخط الزعيم ينص على تعيينه وكيلاً لعميد الداخلية وعلى تعيين الرفيق فؤاد ابي عجرم ناموساً للعمدة . كان تاريخ صدور المرسوم 14 تشرين الثاني اي قبل انكشاف الحزب بيوم واحد وكان الزعيم قد كلفها بتبليغه للرفيق لباييدي وهو بدوره يبلغ الرفيق ابي عجرم .

تهيب الرفيق لباييدي الموقف وهو حديث الانتماء من جهة وقليل الخبرة في الامور الادارية الحزبية من جهة اخرى لكنه تشجع وتناول المرسوم وانصرف مصمماً على القيام باعباء هذه المسؤولية على احسن ما يتمكن . هذه المسؤولية الهائلة الالهية تحت ادارة الزعيم فكيف بها الآن والزعم غائب في السجن والمعركة مفتوحة المصاريع بين حزب يرى نور العلانية، حديث النشأة وبين سلطة اجنبية قوية، شرسة، خبيرة بكل اساليب البطش والطغيان .

وتشاء الصدق ان يدعوه الرفيق رفعت زنتوت، احد المسؤولين في منغذية بيروت، الى اجتماع يعقد في بيت الرفيق ناجي تميم في محلة « جل البحر »، كما مر بنا سابقاً، فيغتنمها فرصة ليتعرف على الوضع الجديد الناشئ . خرج من الاجتماع وقد

قرر ان يطلع رفيقين اثنين على صفته الحزبية الجديدة، رفعت زنتوت والحقوقى عادل العيتاني .

كان الرفيق رفعت زنتوت مكلفاً من قبل المنفذ العام اسعد الايوي للقيام باعمال المنفذية بسبب حالة الاعتقالات الطارئة . وهكذا، بعد عملية الاطلاع والدرس والبحث والمناقشة قرر مع الرفيقتين المذكورين تشكيل قيادة مؤقتة يرئسها الرفيق زنتوت محتفظاً لنفسه بمسؤوليته واشرك بعض الرفقاء الآخرين بمهام اخرى وانحصر مهمم بادىء ذي بدء بجمع بعض التبرعات لتسديد بعض النفقات كالتقليات وتأمين بعض الاعانات .

وتحت عنوان « منطق الاستعمار الوطني » يكتب جبران جريح في جريدة « الزوابع » العدد 209 في 22 ايلول 1956 ما يلي :

« وكانت ايطاليا موسوليني تغزو بلاد الحبشة فتقضي على استقلالها، وكانت عواطف الشعب السوري في كل كياناته تتجه نحو الحبشة المعتدى عليها . ويزيد هذه العواطف لهيبا اننا شعب معتد عليه فالعطف له بحكم الزمالة الف سبب وسبب والاستثمار الفرنسي لا يريد ان يتساوى به الاستعمار الايتالي . والاستعمار البريطاني يشارك الاستعمار الفرنسي رأيه ولكن باندفاع اقل . وكان ان فشل الاستعمار الفرنسي ومأجوروه وعملاؤه في اظهار سعادة الانسان من جبل لبنان، (عدوا للبنان رقم واحد) بعد ان جابهه سعادته بان لبنان كيان سياسي . فوجد ذريعة له في العمل الاستعماري الايتالي من جهة وفي بعض الاشكال الحزبية من لباس رصاصي وكيفية التحية من جهة اخرى لحبك مؤامرة جديدة على سعادته وقضيته القومية الاجتماعية .

فكانت اشاعات الاستعمار الفرنسي ومأجوروه وعملاؤه بان الحزب السوري - ما عدا هدمه لكيان لبنان وضمه « لسورية » - هو حزب فاشستي، هو عميل للاجنبي كأنّ فرنسا من اهل البلاد الاصيلين وكأنها ليست هي ايضا استعماراً، بل كان استعمارها هو استثمار وطني بامه وابيه، ... وهكذا ابتدأت مرحلة اخرى من مراحل

الصراع بين الحركة القومية الاجتماعي من جهة واشاعات الاستعمار من جهة اخرى وانضم الى فريق الاشاعات المعسكر الوطني الاستعماري اللبناني الشيعي الانتناسيوني العربي القومي التقدمي الاشتراكي العالمي وكان هذا المعسكر قد انتعش بعد وصول بعض الاشتراكيين اليهود الى المشاركة في المجلس النيابي الفرنسي فاصبح له جريدة « صوت الشعب » منبرها تنفث سموم الاستعمار الفرنسي الوطني في محاربة سعادته وربط حزبه القومي الاجتماعي بالحزب الفاشي اليتالي وغزو الحبشة المستضعفة فكانت الحملة الاولى الصحفية في لبنان باشكالها البذيئة، المستهتره، المنتهكة لكل حرمان اللياقة والادب،

وكان الموقف ينقلب رأسا على عقب فيصبح الاستعمار الفرنسي المعسكر الوطني المخلص الذي يصون مصلحة لبنان ويصبح سعادته وحزبه السوري القومي الاجتماعي الحزب الاجنبي الخائن الذي يبيع مصلحة لبنان للمستعمرين فانصب سعادته ماردا جبارا وسط هذه الحملة الجارفة يتحدى معلنا استقلال الفكر السوري من جهة وتحرير الوطن من كل اشكال الاستعمار على السواء لا استبدال استعمار باستعمار آخر.

ولكن مقصد الاشاعات لم يكن الوصول الى الاثبات بل كان للاشاعات مقصد آخر هو اظهار سعادته بمظهر المجرم ليس فقط تجاه امته وبلاده وحسب بل تجاه حزبه واتباع عقيدته القومية الاجتماعية فيتفرقوا.

وقد خرج سعادته من ذلك الاعتقال المهجوم اقوى من ذي قبل، تتحطم على قدميه الاشاعات لتنزاح العقبات ليس فقط من امام حزبه بل امام طريق الامة التي شقها والتي بدا الوعي فيها يهدبها سواء السبيل.

التَّحْقِيقَ وَالْحِكْمَةَ



مراحل التحقيق

التحقيق عند الموسيو تمبال

تولى التحقيق مع الزعيم ومعاونيه القاضي الفرنسي الموسيو تمبال يعاونه الاستاذ فريد حبيب مدونا لوقائع التحقيق الذي دام شهراً ونيف ومعه جورج بويز بوظيفة كاتب والملاحظ ان هذه الفترة هي فترة قصيرة بالنسبة لخطورة الموضوع الذي يجري التحقيق بشأنه وكأني بالمفوضية الفرنسية تريد غسل يديها منه باسرع وقت ممكن .

ليست لدينا معلومات تفصيلية عن مجرى هذا التحقيق ولكن ما هو ثابت بالتأكيد وبالممارسة ان هذا التحقيق انصب اولاً، وهذا شأن طبيعي، على الزعيم بصفته المؤسس لهذا الحزب و«المغرر بهؤلاء الشباب» كما جاء في احد بنود الاتهام. ثانياً، جرى هذا التحقيق بوجع عادي يكتنفه الاحترام والتهديب المتبادلين والدليل على ذلك ان هذا المحقق الاجنبي لم يتالك ان وجه للزعيم رأيه في رفيقنا المسؤول الطرابلسي، عند انهياره امامه بالتعبير التالي «Voilà un qui ne vous honore pas» هو ذا واحد لايشرفكم، وقد اعتبره نشازاً يחדش الصورة الجميلة التي تكونت لديه. ثالثاً، الصراحة والصدق والوضوح في الاجوبة على اسئلة المحقق التي كانت تدل على الاعتزاز بمسؤولية المشاركة في الاسهام في العمل النهضوي في الحزب السوري القومي الاجتماعي بكل جرأة ورجولة، ان هذه الصفات التي ميزت هؤلاء المتهمين عن سواهم ممن يكونون قد مثلوا بين يديه، سهلت كثيراً في اعطاء صورة واضحة جلية عن مضمون مبادئ هذا الحزب وتنظيمه مما دحض كل الاتهامات التي كانت تنشر خبط عشواء بين الناس وهذا يفسر سرعة اخلاءات السبيل للموقوفين .

سرد زمني

بأشر الموسيو تمبال التحقيق مساء السبت في 16 تشرين الثاني 1935 واستمر في عمله الى ساعة متأخرة من الليل ثم واصل التحقيق مع الموقوفين طيلة يوم الاحد .

بلغ عدد الموقوفين حتى مساء السبت 13|9 شاباً، على ان المحقق لم يلبث ان اخلى سبيل 31 منهم، واصدر مذكرات توقيف غير مؤقت بحق الزعيم، رئيس مجلس العمدة عميد الداخلية نعمة ثابت، عميد الدعاية والنشر عبد الله قبرصي، عميد الحربية زكي نقاش، المهندس جورج حداد، المسؤول سابقاً في منفذية بيروت، ويكتور اسعد، المسؤول ايضاً في الاعمال المركزية، الوكيل مأمون اياس وفؤاد خوري، الامين على الاوراق الحزبية وعددهم ثمانية .

سرت اشاعة عن توقيف تقي الدين الصلح ثبت عدم صحتها واستدعي معاون مفوض بيروت اسعد الايوي . سمعت افادته ولم يعتقل .

21 تشرين الثاني: اتهام نقابة المحامين باعتقال المحامي عبد الله قبرصي . استجواب بعض المستخدمين في مكتب « الشركة التجارية السورية » في شارع فوش . لم يعتقل احد منهم .

22 تشرين الثاني: صدرت مذكرات توقيف بحق الرفيق فؤاد يعقوب مفرج . كذلك اعتقل في طرابلس وارسل الى التحقيق فالسجن في بيروت، الدكتور سميح علم الدين، منفذ عام طرابلس ووقف لمدة ساعتين في مخفر الشرطة في طرابلس المحامي عبد الله حريكة، ناموس المنفذية وشقيقه طالب الهندسة في فرنسا الرفيق جورج حريكة . اثاره موضوع خريطة مطار رياق .

23 تشرين الثاني: اخلي سبيل العميد قبرصي بكفالة بواسطة تدخل نقابة المحامين بعد اسبوع واحد من توقيفه وفيما يلي قصة هذا التدخل .

اول اخلاء سبيل بكفالة

لمتبع هذا السرد عن التحقيق، الحق في ان يتساءل « وكيف اخلي سبيل عبد الله قبرصي وان بكفالة وهو عميد الدعاية والنشر في هذا الحزب؟ وهو يعتبر من المسؤولين الرئيسيين في قيادة هذا الحزب مع الزعيم .

هذا التساؤل جواب . هو ان العميد عبد الله قبرصي محام فما ان اعتقلته السلطة حتى تحركت نقابة المحامين لاستجلاء الخبر فكانت جلسة في نقابة المحامين .

ترأس هذه الجلسة النقيب نجيب الدبس وشارك فيها المحاميان الكبيران جان جليخ وجان تيان، احضر المحامي قبرصي من السجن وبدأ السين جيم. ارى من المستحسن ذكر بعض التفاصيل عن هذه الجلسة التي حضرتها بصورة استثنائية العروس التي تبذل يوم عرسها بيوم سجن عريسها. هذه الجلسة التي سأرسم صورة حقيقية لها لما تتضمنه من وقائع تعكس الحالة النفسية التي كانت تسود البلاد في ذلك الحين حتى في ارقى محافلها، منها نقابة المحامين .

تناول السؤال الأول ماهية هذا الحزب، حزب الشباب!!! فدافع المحامي قبرصي عنه ببلاغته المعهودة وراح يسترسل في شرح مستفيض عن مبادئه واهدافه. على اثر هذا الجواب المفعم جاء رد الفعل الغير المنتظر بلهجة تهكمية لادعة «اذن، انتم ستطردون فرنسا وجيوشها وبريطانيا وجيوشها من هذه البلاد وتريدون فوق كل هذا ان توحدوها غصباً عن كل من لا يريد من زعامات، الخ...» .

كان هذا هو السؤال الأول وبقي الأول لأن العميد قبرصي اغتتمها فرصة ذهبية للدعاية - ناسياً وجوده معتقلاً - وناسياً الغاية من استحضاره الى نقابة المحامين، وضاربا عرض الحائط بكل اعتبارات السجن وامكان الحصول على حريته - راح يحاول ايقاظ اصالة هؤلاء المحامين الكبار وبث مزايا شعبنا النبيلة فيهم من ثقة بالنفس وارادة ورجولة وبطولة وو... .

كان التعليق الوحيد من احدهم انه تمنى عليه التقليل من هذا الاندفاع والحماس وذلك في سبيل مصلحته واخيراً اقتنع الجميع ان المسألة ليست مسألة صبيانية فتقرر ان يضغط النقيب لدى القضاء المختلط لاخلاء سبيل المحامي عبد الله قبرصي بكفالة مالية مع استمرار التحقيق بهذا الشأن. نجح هذا الضغط فكان اول الذين افرج عنهم وان بكفالة مالية، مبلغها عشرون ليرة ذهبية مع فرض الإقامة الجبرية .

★ ★ ★

26 تشرين الثاني: تجدد نشاط نقيب المحامين لاخلاء سبيل المحامي صلاح لبكي . طلب الصحفي روبر اييلا اخلاء سبيله لسبب صحي . استمر التحقيق مع اركان الحزب الموقوفين كما ان ادارة الامن العام قد استدعت بعض الشبان الذين ليس لهم علاقة اساسية بالحزب لاستجوابهم في بعض النقاط . لا اعتقالات جديدة .

اخلي سبيل المحامي صلاح لبكي بكفالة مالية قدرها مئة ليرة سورية . اخلي سبيل الرفيق غندور كرم الذي اعتقل بجوار قصر البارك . تقدم المحامون بطلبات اخلاء

سبيل عن جميع الموقوفين فرفض المستنطق الا انه وعد بدرس هذه الطلبات سريعاً وقبل نهاية الاسبوع. اهم ما يدور حوله التحقيق هو اكتشاف دليل على علاقات اجنبية مع هذا الحزب. لم يجد التحقيق اي دليل حتى الآن.

28 تشرين الثاني: تم اعتقال الرفيق يوسف الدبس. جرى التحقيق معه ايضاً بشأن خريطة الرياق فتبين ان لاهلاقة له بها. صدر مرسوم بعزل اسعد الايوي، من وظيفته معاون مفوض شرطة بيروت وهو موقوف بتهمة انه منذ عام بيروت. تناول التحقيق معه موضوع كراس كتبه عن الانتداب بتوقيع ا.ا. ثم اودع السجن. (هذا الكراس مفقود).

وبينا كان المنفذ العام اسعد الايوي ينتظر في نظارة العدلية دوره للمثول امام المحقق كتب على جدارها كعادة بعض الموقوفين الابيات الشعرية التالية:

« مشينا الى الزندان يفتر ثغرنا حنانا على الاوطان، بائسة العمر
وما يوهن القلب الذي ظل خافقاً بحب بلادي، درة الشعـر والنثر
وما السجن الا للابي براءة يرصعه حبّ البلاد على الصدر»

وللذكرى والتاريخ يجب ان اسجل ان اسعد الايوي، معاون مفوض الشرطة في بيروت، المنفذ العام المعتقل كان اول عضو في الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي فقد وظيفته لهذا السبب، وقد كانت مورد رزقه الوحيد في هذا الظرف بالذات.

حقق المستنطق تمبال مع عميد الحربية زكي نقاش عن مفهوم « الحربية » و « الميليشيات » فرد على ذلك: « ليس للحزب تشكيلات حربية وانما تنص مواده على اعداد الشباب للميليشيا ولما كانت غاية الحزب تحضير الشبان وجعلهم صالحين للحكم عندما ينتهي دور الانتداب حسب صك عصبة الامم فانه من الواجب ان يكون للبلاد والحالة هذه شبان من الميليشيا يعرفون كيف يذودون عن حياض الوطن ولهذا اوجد الحزب هذا التنظيم وهو ينحصر في اعداد الشبية للمستقبل وليس للقيام بمحركات حربية او عدائية في الوقت الحاضر ».

حقق المستنطق مع المهندس جورج حداد وسأله عن خريطة رياق التي وجد عليها توقيعها مع مطالعة قدمها للزعيم بشأنها فلم ينكر.

حقق المستنطق مع الزعيم بصدد لوائح مالية وجدت مع الرفيق جان جليخ الذي اعتقل على الاثر، جرت عدة تحريات واستدعي ثمانية شباب واخذت افادتهم، لا

اعتقالات جديدة . لا اخلاءات سبيل جديدة .

احيلت خريطة مطار رياق الى قيادة جيش الشرق . راجت اشاعة ان المستنطق امر باعتقال رفعت زنتوت .

30 تشرين الثاني: - يستمر التحقيق مع منفذ عام بيروت اسعد الايوي ومع الرفيق جان جليخ . اللوائح المالية هي دفاتر الاسهم للشركة التجارية السورية . كذلك استمر التحقيق مع العميد نقاش ، بصورة خاصة عن نظام الميليشيا . استدعت قيادة جيش الشرق ، المستنطق تمبال لاستيضاحه عن بعض امور تتعلق بخريطة راق .

الطلبة والاحزاب

استدعي رامز البيروتي ، عبد السلام احمد الصيداني وجان انطوان بشير للتحقيق فبتين انهم من الطلاب . اعترفوا بانتسابهم . واخلي سبيلهم .

وقد تبين للمستنطق ان هناك عدداً كبيراً من طلاب المعاهد في بيروت ينتسب الى الحزب كاعضاء ولاصفة مسؤولة لهم . ولما كان المستنطق لا يريد ان يشوش على هؤلاء الطلاب دروسهم اكتفى بأن يرسل كتاباً الى مستشار التعليم في المفوضية العليا يلفت فيه نظره الى هذا الامر طالباً اليه الفات نظر رؤساء ومدراء المعاهد والمدارس الاجنبية والوطنية في بيروت الى ووجوب التشديد على الطلاب ومنعهم من الاشتراك في اي حزب او عمل سياسي من شأنها ان يشوشا على الطلاب متابعة تحصيلهم دروسهم .

استجاب مستشار التعليم في المفوضية العليا لطلب المحقق الفرنسي وقام بابلاغ رؤساء ومدراء المعاهد والمدارس والفاتهم الى هذا الامر الذي تحظره قوانين الدولة في البلاد المشمولة بالانتداب .

2 كانون الأول: استمر التحقيق مع الزعيم وجورج حكيم ونعمة ثابت واسعد الايوي وقد انحصرت جهوده لمعرفة مغباً المال وكيفية تصرف الحزب به . تحسنت المعاملة في السجن . احتج الموقوفون على قص شعر رؤوسهم .

3 كانون الأول: بعد ان كاد التحقيق ينتهي عاد من جديد بسبب اكتشاف اوراق جديدة استوجبت بعض التوسع في التحقيق . طلب الموقوفون نقلهم الى غرفة خاصة بهم لانهم كمجرمين سياسيين لا يجوز خلطهم بالمجرمين العاديين . استجوب مأمون اياس مجدداً وبقي موقوفاً كما ان المستنطق استدعى ديمتري الحايك وبعد استجوابه صدرت

مذكرة بتوقيفه . صدرت مذكرة توقيف بجميل عازار واودع السجن . استدعى عبد الهادي الصلح واخلى سبيله لأنه تبين ان لاعلاقة له بالحزب . استدعى جورج كرم من عاليه وبعد استجوابه اوقف على ذمة التحقيق . لم يصل الى المستنطق جواب السلطة العسكرية بشأن خريطة رياق . بلغ عدد الموقوفين حتى هذا اليوم 21 شاباً .

خريطة مطار رياق

تقدم الى المستنطق الشاب نجيب الفيكاني من البقاع آتياً من فلسطين وصرح له انه هو واضع الخريطة ، حقق معه المستنطق مطولاً بالرغم من انه كان تلقى من القيادة العسكرية افادة تقول بان الخريطة لا اهمية عسكرية لها .



← نجيب الفيكاني

الزعم عند المستنطق بشأن الخريطة

في أشاء التحقيق

اول هيئة مركزية رسمية

وما ان افرج عن العميد قبرصي حتى تبين انه يحمل مرسوماً من الزعيم يعينه فيه وكيلاً له مع تعيين الرفيق الدكتور جورج باسيل امين سر عام. وبناء على هذه الصلاحيات عين العميد قبرصي بتاريخ 26 تشرين الثاني 1935 لجنة تنفيذية برئاسة صلاح لبكي الذي كان قد تم الافراج عنه في ذلك النهار بالذات وعضوية كل من الرفقاء زكريا لبايدي، عادل عيتاني ورفعت زنتوت. اما هو فقد بقي ملازماً مكان اقامته الجبرية في بتعبورة الكورة.

مقال جريدة فلسطين

وفي هذا التاريخ، 27 تشرين الثاني 1935 تنشر جريدة فلسطين في عددها 3113 السنة 19 تحت توقيع «سوري قومي» مقالاً نقتطف منه مايلي: «جاءنا من احد اعضاء الحزب السوري القومي البيان التالي: - جرت العادة ان تبقى الجمعيات في دور التأسيس سرية مدة طويلة من الزمن حتى يتسنى لمؤسسيها واعضاءها سن قوانين وايجاد طرق صائبة يمكنها ان تنهج عليها فتأمن الزلات وتكون اقرب الى النجاح مما لو ظهرت فجأة.

أما الحزب السوري القومي في بيروت فاغراضه سامية شريفة غير ان بعض الصحف اخذت تكتب عنه ما شاءت فشوهت الكثير من الحقائق التي نريد ان نشبتها في هذا البيان. ولا بد لي قبل كل شيء ان ابدى ملاحظات عامة عن الحزب.

اولاً: - ليست للحزب اية علاقة مادية او معنوية بحزب النازي او الفاشستي او

الشيوعي وانما يعمل مستقلاً لهدف معين وغاية واحدة .

ثانياً : - لم تكن الحركة سرية حتى النهاية . وانما اراد الاعضاء التكتم حتى يتمكنوا من جمع المال الكافي لتأليف حزب يسير وبقية الاحزاب الاخرى جنباً الى جنب ويعني ذلك ان الحزب حتى ساعة القبض على بعض اعضائه كان في دوره التحضيري ليس الا

اما المبادئ... (وهنا يسرد المبادئ الاساسية والاصلاحية وكلمة عن النظام المركزي) اما الوسائل العامة الفعالة التي يتوسل بها الحزب الى تنفيذ خطته فوسائل سلمية محضة لاعلاقة للارهاب بها ...

وهكذا يرى الرأي العام من ذلك ان الحكومة الفرنسية في سورية الشمالية لم تكن محقة بزج شبان مثقفين من اساتذة وطلاب ومحامين في السجون لانهم يدافعون عن غاية شريفة وهدف اسمى ليس في البلاد بأسرها من ينكره او يتواني في الدفاع عنه .

هل تلام فرنسا لتدريس جغرافية بلادها وتاريخها وبث الروح القومية في ابنائها وانهاض مستوى رقيهم وثقافتهم الاقتصادية والاجتماعية ؟

هل يلام من يدافع عن حق مصون فيسجن ويهان وهم في وعودهم في صك الانتداب يقولون انهم انما دخلوا البلاد لرفع مستوى سكانها وتحسين شؤونها المختلفة ؟

اني ارفع بياني هذا الى الرأي العام واستصرخ اولي الامر ان ينصفوا ابناء بيروت الذين ذهبوا ضحية وشاية سافلة تنقشع عما قريب فتبيض وجوه وتسود وجوه .

كما ان جريدة فلسطين كانت من الجرائد التي بدأت ترافق اخبار الحزب منذ انكشافه وما هذا الكلمة الايجابية الا الدليل على تجردها وحسن فهمها واداركها للامور وقد كتبت بتوقيع سوري قومي للتمويه .

أَوَّلُ بَيَانِ حِزْبِي

وزع على الصحف بيان بتاريخ 3 كانون الأول 1935 بتوقيع «الحزب السوري القومي» هذا نصه: «كثرت الاشاعات عن الحزب السوري القومي وتضاربت الاقوال في غاياته ومراميه. فقد ذكرت بعض الصحف انه آلة في يد «النازي» يستعملها للوصول الى مآربه الاستعمارية.

وذكرت البعض الاخرى انه مطية يركبها «الفاشيست» لبسط سلطانهم على هذه الربوع المحبوبة. وذهب الخيال ببعض المحررين الى تصويره بجمعية انقلابية هدامة ترمي الى قلب السلطة لتحل محلها ويتقاسم الاعضاء وظائفها الى غير ذلك من الاقوال الكاذبة... ويرجع السبب في ذلك الى جهل مبادئ الحزب ومراميه من جهة وعدم النزاهة والتجرد من جهة ثانية.

اما مبادؤه فلا حاجة الى ذكرها فقد بينتها بعض الجرائد الحرة - التي تبغي الحق لوجه الحق - وهي تتلخص في اربعة اركان: اولاً - الوحدة السورية. ثانياً - الاتحاد القومي وذلك بنبذ الحزبيات المحلية والنعرات الطائفية. ثالثاً - الاستقلال بالطرق الدبلوماسية والاقتصادية. رابعاً - تهيئة الناشئة للحياة الاستقلالية وذلك بالتعليم القومي والرياضة البدنية. فهل في هذا غضاضة؟ ام هل فيه ما يدعو الى الهزء والسخرية؟

نحن لانشك في ان السلطة تعلم بنبل مقاصدنا وحسن مرامينا، بل هي تسألنا: «اذا كانت هذه مبادئكم فلماذا تعملون في السر؟».

لقد بدأنا عملنا سرّاً لاهرباً من السلطة ولاخوفاً من عدم الحصول على الرخصة،

ولكن لسبب واحد، وهو الظهور لأول مرة امام الرأي العام بمظهر القوة والتنظيم فيعجب بنا ويقبل على حركتنا واثقا من اخلاصنا ووطنيتنا .

نحن عصبة، شاهدنا ماصارت اليه بلادنا من الذل والمسكنة والبلبلية السياسية والتقهقر الاقتصادي فألنا ما شاهدناه . وحز بأنفسنا ما لمسناه، فاخذنا نعمل الفكر لتوحيد كلمتنا وتنظيم صفوفنا معتمدين في ذلك على عقلنا وعلمنا واختبارنا . ثم اخدنا نطبق مبادئنا بامانة واخلاص لانبغي من وراء ذلك الا خدمة هذه البلاد .

نحن لانرى في عملنا هذا اخلالا بالامن العام او تأمرا على سلامة الدولة ولكن اردنا مشاركة السلطة المنتدبة في تهيئتنا للحكم الاستقلالي . ومن كانت هذه نواياه وهذه مراميه فلا يعقل ان يزج في السجون ويتهم بالخيانة» .

ان هذا البيان الحزبي، الاول من نوعه، ليدل على سرعة الرد على التحدي الذي احدثه انكشاف امر الحزب بالرغم من نقص الوسائل المتوفرة بين ايدي القوميين الاجتماعيين .

ردود الفعل على البيان

على اثر صدور بيان الحزب ظهرت ايضا بعض ردود فعل في عالم الصحافة انشر نموذجاً عنها افتتاحية جريدة البيرق بقلم اسعد عقل يعبر فيه عن قلقه وحيوته ازاء ما ورد في البيان وفي ظاهرة انضمام الشباب اللبناني الى هذا الحزب السري وذلك بتاريخ 4 كانون الاول 1935 تحت عنوان « تحذير الى الشبيبة اللبنانية »:

« طالعنا في بعض الصحف امس بياناً مهوراً بامضاء الحزب السوري القومي حاول فيه ناشروه الاعراب عن اهدافه الوطنية والدفاع عن سياسته السرية للتهرب من التهم التي الصقت به كالعلاقة بجهة اجنبية ام تناول المساعدات من دول اوروبية او العمل لمصلحة غربية او التوسل بالارهاب والحركات الفوضوية لمقاومة السلطات الحاكمة وتقويض الاوضاع الحاضرة .

وتناول هذا البيان مبادئ الحزب فاذا هي ترتكز على اركان اربعة وهي التالية:
اولا - الوحدة السورية . ثانياً - الاتحاد القومي وذلك بنبذ الحزبيات المحلية والنعرات الطائفية . ثالثاً - الاستقلال بالطرق الدبلوماسية والاقتصادية . رابعاً - تهيئة الناشئة للحياة الاستقلالية وذلك بالتعليم القومي والرياضة البدنية .

لا، ليس في العمل لهذه المبادئ غضاضة ام عيب، اذا نظرنا اليها نظرة اجمالية،
ولانحن نريد ان نناقش الداعي اليها من اركان هذا الحزب السري وبعضهم قيد
التحقيق في السجون ...

يؤلفون حزباً سياسياً سؤرياً في قلب بيروت، عاصمة لبنان، ويحصرون جهودهم
المستورة منذ عامين في انشاء فروع له في المدن والاقاليم والقرى اللبنانية. دون سواها
من بقاع الوطن السوري الاكبر الذي به يهلمون ...

غريب والله امر هذه الجماعة التي اطلقت على لبنان في اوراقها ونشراتها اسم
(سورية الساحلية)... وهي تريد ان تمحو حتى اسم جبل لبنان القديم مع ان اشد
غلاته الاستقلاليين المجاهدين العاملين من اجل الوحدة السورية او الوحدة العربية او
الامبراطورية القحطانية اكتفت بالمطالبة بالاراضي التي الحقوها بلبنان بعد الحرب.

ويؤملنا جداً ان يكون فريقه من الشباب اللبناني الوطني الراقي قد خدع تحت
تأثير المصاعب الحاضرة والمشوقات المغرية، للانتساب لهذا الحزب، فتغلغل فروع
في العاصمة والجبل، حتى قيل ان قضاء المتن وحده يضم عشرين فرعا من هذه الجمعية
السرية ...

فنحن مع تمنينا ان يخرج المسجونون بسبب تلك المبادئ من محنتهم ابرياء
سالمين، نحذر الشبيبة اللبنانية من طلبة المدارس في المدن والقرى من مخاطر ومرامي
الانتساب لهذه المؤسسة التي تؤثر الظلام على النور، ونناشدهم الاصغاء لصوت
ضمايرهم المجردة ...

انه كان الأولى بمؤسسي هذا الحزب ان ينشئوا له الفروع في فلسطين التي
ضحيت عربيتها على مذبح الصهيونية والاستعمار، وفي بلاد العلويين وجبل الدروز
والاسكندرونه وغيرها من الاقاليم السورية اصلاً ووضعاً، التي فصلتها السياسة
الاجنبية عن الوطن الأم، ومازالت ترهقها بالاحكام المباشرة، لكان في جهادهم مبرر
صارخ لكل ذلك النضال. لا ان يحصروا جهودهم الخفية في لبنان وشبابه ... وليس
من يلومنا، اذا دعونا شباب لبنان على اختلاف مذاهبه وآرائه للدفاع الصريح عن
قدس حقوقه وامانيه .

« تقرر العودة الى التحقيق مع هيئات الحزب السوري القومي التي حققت معه السلطة
وافرجت عن اعضائه لأن النيابة في بيروت ترى ان تكون التهمة تأليف جمعيات سرية
بدلا من تأليف جمعية سرية .

وتتحفظ بعض الصحف التركية بقولها ان للحزب اتصالاً بسمو الخديوي عباس حلمي وينوي المناذاة به ملكاً بعد توحيد سورية . ونحن نعتقد ان هذا حديث خرافة لأن الحزب مؤلف من شبان مثقفين مخلصين غرضهم توحيد بلادهم التي جزأها الاستعمار لا اعداد عروش .

واما الخديوي فان كان يحلم بعرش سورية، عليه ان يسعى اليه عن طريق اقرب من هذا الطريق البعيد .

7 كانون الاول: استدعى الموسيو تمبال مجدداً زعيم الحزب وواجهه بعبد الله قبرصي وصلاح لبكي وبعض الموقوفين . اهم نقاط المناقشة في هذه المواجهة كانت تدور حول التقرير المفصل الذي وضعته هيئة مركزية مؤلفة من عميد الدعاية والنشر عبد الله قبرصي وعميد الحربية زكي نقاش وعميد القضاء (العدلية) صلاح لبكي وذلك عن سير اعمال الحزب خلال السنة اشهر . وقد ناقش المستنطق العميد قبرصي عن محتويات هذا التقرير خصوصاً الجمل الواردة عن علاقاته مع الخارج محاولاً ان يفهم ما اذا كان للحزب علاقة بالكتلة الوطنية او غيرها من الهيئات السياسية في البلاد، فتأكد له عدم وجود اية صلة للحزب بالوطنيين لاختلاف غايات الفريقين .

كذلك جرت المناقشة حول كتاب كان قد ارسله الزعيم اليه يدعوه فيه لتنظيم نقابة عمال الاحذية ووضع نظام لها ، فلم يذكر العميد قبرصي ذلك ولكن انكشف امر الحزب حال دون وجود اية صلة مع هؤلاء .

اما مع عميد الحربية فكان نقاشه يدور حول مسؤوليته الحربية . كان جواب العميد نقاش انه ليس خلف هذه التسمية اية نية سيئة فجل ما كان يهيم الظهور امام المنتسبين للحزب انه يعمل بكل قوة في ظل نظام موحد . ولما كانت لفظة الحربية توجب الرضوخ لاوامر الرؤساء فالغاية من هذه التسمية اذن هي فرض النظام، وان عميد الحربية مهتم في الوقت نفسه بالرياضة . انما الفدائية هي للتأثير على اعضاء الحزب وجعلهم يظنون ان هناك فئة مجهولة تعاقب كل من يخون .

انتدب المستنطق مفوض دار العدل للقيام بجوله على مصارف المدينة الكبرى، والخصوصية، لمعرفة ما اذا كان الحزب يملك اموالاً فيها بأسمه او بأسم اعضائه . كذلك تابع المستنطق تحرياته لمعرفة الاشخاص الذين يؤلفون اللجنة الفدائية . كما قيل ان لبعض المهاجرين علاقة سرية بالحزب وهم يغذونه بالمال . كان تقدير المحقق ان الاعمال التي قام بها الحزب تحتاج الى الاموال الكثيرة فمن اين جاء بها ؟؟

مَقَالٌ مِيشَالِ زَكُورٍ

في خضم حملة الانتداب المسعورة على الحزب ظهر مقال في مجلة «المعرض» لمنشئها قطب الحزب الدستوري اللبناني الاستاذ ميشال زكور نشبته فيما يلي لما يحمل في طياته من تصوير موضوعي صادق وان من وجهة نظره. كان ميشال زكور احد الذين اعجبوا الاعجاب كله بحركة الحزب ونظامه ومن الذين اخذتهم روعته. وقد نشر المقال في العدد 1088 السنة الخامسة عشرة تاريخ 4 كانون الاول 1935 تحت عنوان «حول الحزب السوري. ياسان: روجي ومادي».

«اشغل التحقيق مع معتقلي الحزب السوري القومي الصحف والاندية، وصار هذا الحزب وتشكيلاته وما احيط بها من كتمان، حديث الناس، بل ما برح مخبرو الصحف ينقلون كل يوم الى جرائدهم اخباراً جديدة وطريفة عن الحزب واعضائه، ولاندرى ما هو مبلغ الصحة من هذه الاخبار لأن الحكومة لم تشأ حتى الآن ان تطلع الناس - في بلاغ رسمي - عن حقيقة الحزب وما دار حوله من تحقيقات. ولا تؤاخذ الحكومة على ذلك لانها، قد تكون مثلنا، غير مطلعة على مجريات التحقيق الا مما تنشره الصحف.

ان عدم اتفاقنا مع مبادئ الحزب الاساسية لا يمنعنا من ان نبحث هنا الاسباب الجوهرية التي دعت الى هذا النشاط السياسي والحزبي في البلاد، ولا سيما وقد عرف الناس ان جميع المنتمين الى هذا الحزب هم من الشبان المتعلمين الراقين، بل ان العنصر الذي كان يتهم وحده في الماضي بمعارضة الكيان كما يتضح من مراجعة اسماء الشبان الداخلين في هذا الحزب السوري القومي.

ترى! ما هي الاسباب التي دعت هذه الشبيبة «اللبنانية» الراقية الى الانتفاض



میشال زکور

والالتفاف حول القومية السورية؟ وقد كان لبنان يعتمد على هذه الشبيبة لتقوية دعائه في كيانه الجديد.

علينا الا نفتش كثيراً عن الاسباب الحقيقية انها تكاد تكون محصورة في هذا اليأس الذي غمر النفوس بعد التجارب العديدة والاختبارات الاجبارية الفاشلة فاضمحل فيها ذلك الحلم الجميل الذي كان يحلمه اللبنانيون ويعللون نفوسهم بتحقيقه بعد الحرب.

أن اليأس الروحي، بالاشتراك مع اليأس المادي، قد استولى على هذه النفوس الطامحة الى مستقبل حر سعيد فولد فيها ثورات روحية مختلفة وربما كانت متناقضة ايضا ولكن اساسها واحد.

فالشبان الذين نهلوا من مناهل العلم حب الحرية والاستقلال وطالعوا في التواريخ كيف تقوم الامم الحرة وتجاهد في سبيل استقلالها، تلفتوا فرأوا وطنهم الصغير لبنان يتراجع القهقري في ميدان الاستقلال بينما البلدان الاخرى التي ربما كانت اقل قابلية للاستقلال منه قد سبقته في هذا الشوط. ورأوا ايضاً ان السياسة شيء والعاطفة شيء آخر وان الاوطان لاتبني على العواطف والاحلام، فاستيقظت نفوسهم في هذه الغمرة من اليأس والخيبة، فثارت على عقائدها وحاولت، من ياسها، ان تتأثر لنفسها من نفسها، فحولت اميالها وجهودها شطر القضية السورية لانها رأت ان لبنان، الذي حلمت به ومات اباؤها واجدادها في سبيل ايصاله الى الهدف السامي، غير موجود، كما اراده اجدادهم وارادته احلامهم وآمالهم.

واذا اضعفنا الى هذا اليأس للروحي اليأس المادي ايضاً وما اصاب البلاد من ازمة خانقة وما نزل بها من ضائقة شدت على المتعلم قبل الامي وضيقت عليه السبل شعرنا بأن هذه النتيجة المؤسفة كانت منتظرة ولا بد لها من الوصول يوماً من الايام اذا لم تصطلح الاحوال.

اننا مهما اردنا ان نقلل من قيمة هذا الحزب فهذا لايمنع مطلقاً من الاعتراف بأنه طليعة غليان في الافكار وخصوصاً في افكار الشبيبة، وعندما نرى ان الشبان قد بدأوا يفكرون بمثل هذه القضايا الهامة فلا ريب ان ذلك يكون نذير الخطر والعاقلة من تدبر الامور بالحكمة واصالة الرأي، قبل وقوع المحذور.

وان الفتى الذي يتشرب على مقاعد العلم مبادئ الحرية والاستقلال، لا يقدر ان يقنع بوطن، مهما كان صغيراً، لاجرية له ولا استقلال، وانه ليرى نفسه صغيراً ودليلاً اذا لم يحلم بكرامة هذا الوطن، لأن كرامته الشخصية من كرامة وطنه.

وعندما يصغي المنتدبون الى اقوال الفئة الخائعة ويصدقون اختراعات جريدة « كالاوريان » لاتتورع في الطعن بكرامة ابناء بلادها، يدخلون اليأس الى قلوب هذه الاكثية الحية الطامحة الى حريتها وقد اعتمدت في الوصول الى غايتها على وعد فرنسا حاملة مشعل الحرية في طريق الامم».

تكملة سرد التحقيق

4 كانون الاول: اخلي المستنطق سبيل جان جلخ وديميتري حايك وجورج كرم لان هؤلاء الاخيرين بعيدان عن الشؤون السياسية وهما يشرفان على الشؤون الرياضية. استجوب روفائيل ابو جودة واخلي سبيله وقد صرح بما يلي: « لقد اقترح علي اعضاء الحزب ان اساهم بمبلغ من المال في الشركة التجارية السورية التي اسسوها فلم امانع قط لانني مع حزب الاستقلال الجمهوري نؤيد هذه الخطة الرامية لتعزيز الصناعات الوطنية. تقدم جورج حكيم بطلب اخلاء سبيل بسبب مرضه. استجوب المهندس جورج حداد بصدد خريطة رياق. احيل منشور الحزب الى التحقيق وترجم الى الفرنسية. اهتم التحقيق انصب على اكتشاف الهيئة التي اصدرته.

5 كانون الاول: تم استجواب رفعت زنتوت بصدد معرفته عن بيان الحزب الاخير الذي وزع على الجرائد. يظن المحقق انه حل محل العمدة الموقوفين. اوقف كل من عفيف فاخوري، سامي قربان ومحمود حافظ. ومن غرائب الصدف ان يكون بين الموقوفين عدد غير قليل من اساتذة الجامعة الاميركانية، وطلابها وخريجها وكلهم من الشباب المثقفين. استجوب الزعيم من جديد ومعه جورج حكيم كما انه استدعى من جديد بعد ان كان قد اخلي سبيلها، جان جلخ وجميل عازار. طلب اخلاء سبيل جورج حكيم تحت الدرس الجدي. اوقف على ذمة التحقيق خمسة شباب جدد.

مجلة « الكرم الجديد »

وفي هذه الاثناء كانت مجلة « الكرم الجديد » التي كانت تصدر في القدس والتي كان لها موقف ايجابي منذ انكشف امر الحزب، كانت في هذه الاثناء تنشر الخبر

الطريف التالي تحت عنوان « الحزب السوري القومي » بتاريخ 4 كانون الأول 1935 :
اثرت ضجة هائلة حول الخريطة المزعومة لمطار رياق العسكري ، وانتشر خبرها في جميع المحافل والاطراف وكثر اللغظ حولها وحول وجودها فمن ناف ومن مؤكد .
قصص تروى وحكايات تسرد وخيال يتسع افقه الى ماشاء الله . وانشغل بال القوميين الاجتماعيين فراخوا يتتبعون اخبارها باهتمام خاص .

واذ نجبر يسري بين الناس كالدّم في العروق . مفاده ان واضع الخريطة تلقى امراً من الزعيم بواسطة الصحف بالحضور الى دائرة التحقيق ليتحمل مسؤوليته كاملة . ما كانوا ليصدقوا النبأ لغرابته اولاً ولطرافته ثانياً . وراخوا يتساءلون عن كنه هذه الخريطة ومدى مسؤولية واضعها وهل يجزؤ هذا القومي الاجتماعي في الاقدام على خطوة خطيرة من هذا النوع ، مستقبلها مجهول ، غامض !!! ومن جهة اخرى ، هل لدى الزعيم الثقة في ان هذا القومي الاجتماعي سينفذ ما طلب اليه القيام به فعمد الى هذا الاعلان وهذه الطريقة بالذات ؟ انه لامتحان عسير وتجربة فذة في آن واحد .

وتناهت الاخبار ان القومي الاجتماعي ، صاحب الخريطة ، حضر من حيفا الى دائرة التحقيق ووضع نفسه تحت تصرف المستنطق . نجح مبدأ الثقة . تغلبت روح المسؤولية على الانهزام والخوف فعلا ، كان الامتحان عسيراً والتجربة فذة .

كان الرفيق نجيب الفيكاني من الاعضاء الاول في بلدة رياق وكان يعمل في احدى دوائر مطار رياق العسكري الفرنسي وقد وقعت في يده خريطة للمطار استحسن ان يقدمها للزعيم عليها تفيد في شيء . حول الزعيم هذه الخريطة الى المهندس الرفيق جورج حداد لاعطاء رأيه في اهميتها . بعد درسها تبين له انها خريطة عادية لا اهمية عسكرية لها ، واعادها الى مكتب الزعيم الذي ابقاها بين اوراقه .

وكان من الطبيعي ان يتبين للمستنطق عدم اهميتها العسكرية ولكن هذا لا ينفي الاهتمام بكيفية الحصول عليها ، الخ . . . وهذا لا ينفي كذلك ان تروج عنها اقاويل تجعل لها اهمية واية اهمية . انها تخص مطاراً عسكرياً وكفى .

9 كانون الاول : لم تسفر التحريات عن وجود اموال في المصارف او في امكنة اخرى عن اية نتيجة . اخلي سبيل مأمون اياس بكفالة مالية ، اذن المستنطق للعميدين قبرصي ولبكي بالاقامة في بيروت ، جرى تحقيق جديد مع المنفذ العام اسعد الايوي

بعد اخذ افادة شقيقه الرفيق رفيق الايوبي . شوهه امام باب غرفة المستنطق ثلاثة شبان لا يتجاوز كبيرهم السابعة عشرة من عمره وهم ينتمون الى عائلات معروفة في البلد وقد صرح احدهم ان رجال الشرطة تحروا منازل والديهم ثم دعوهم لمقابلة المستنطق وهم من طلاب المدارس .

يوصل المستنطق الدرس والتحقيق للوصول الى استجلاء عدة امور اساسية منها التالية: اولاً: ما هي علاقات الحزب الخارجية الوارد ذكرها في التقرير المضبوط، وهل للحزب علاقات مع خارج البلاد المشمولة بالانتداب، وهل هذه العلاقات مع هيئات حكومية، ام الاهم، هل هناك علاقات خارجية مع احدى القنصليات ام مع الجمعيات او المؤسسات الاجنبية الموجودة في البلاد؟ ثانياً: هل جمع الحزب اموالاً من اركانه ام تلقى اعانات مالية من الخارج، واين ذهب المال الذي جمع في هذا السبيل وكَم هو مقداره، واذا صرف فعلى اي طريق؟ ثالثاً: هل للحزب تشكيلات حربية حقيقية، وما هي هذه التشكيلات، ومن هم اعضاء الهيئة الفدائية الوارد ذكرها في التقرير العام الذي وضعه الحزب؟

هذه هي الامور الرئيسية التي يسعى المستنطق في استجلاء غوامضها والتي لا يمكنه ان ينهي التحقيق في قضية الحزب قبل ان تكون لديه اية ادلة قاطعة .

10 كانون الاول: كان عدد من المحامين البارزين قد تطوع للدفاع عن الزعيم، واخص بالذكر الآن الاستاذ حميد فرنجية الذي ارسل له الزعيم كتاباً « ساعده في عملية الدفاع وذلك فيما » دفعه الى انشاء الحزب السوري القومي الاجتماعي « بتاريخ 10 ديسمبر 1935 . (وهو منشور في الجزء الثاني من الآثار الكاملة) .

وافقت الحكومة على طلب مجلس النواب بعدم مساواة الموقوفين من اجل قضايا فوق العادة بالمجرمين العاديين في حلق شعر رؤوسهم ووضعهم في غرف المحكومين . ابلغ هذا الامر الى مديرية سجن الرمل فبدأت التقيد به . وعلى ذلك فلن يخلق شعراي موقوف بعد اليوم من المتهمين بتشكيلات الحزب السوري القومي الاجتماعي .

تقدم عفيف فاخوري، محمد النقاش، محمود حافظ وفؤاد مفرج بطلبات اخلاء سبيل ووعده المستنطق بدرسها .

جرى التحقيق مع رفعت زنتوت بصدد البيان الذي نشر في الصحف باسم الحزب فانكر علاقته به ولم ينكر علاقته بالحزب .

صرح احد اعضاء الحزب بعد خروجه من السجن بما ملخصه: « ان السجن في كل حال لا يطاق، ولكن حالة الرفقاء فيه حسنة، وهم فخورون باعتقالهم من اجل مبادئهم الوطنية. انهم لا يشكون اية معاملة سيئة، بل ان السجن اتاح لهم الاجتماع للتشاور والتداول حول مبادئ الحزب دون ان يخشوا رقيباً .

« نحن لم نرتكب ما يخل بالامن او يعاكس عمل الانتداب الافرنسي لان غايتنا هي تحضير الناشئة على العمل المستقبلي والانكال على النفس لیتمكنوا من الاضطلاع بمسؤولية الحكم في المستقبل، والاستعداد للاستقلال. ولا شك ان هذا التحقيق الذي يقوم به القضاء سينتهي باعلان براءتنا » .

لم يكتشف التحقيق اي فرع للحزب في الشام او في فلسطين. وجد بين الوثائق الحزبية مخابرتين بين الزعيم وبين احد الاحزاب المشكلة في بيروت لادغام الحزبين في حزب واحد .

11 كانون الاول: لا اموال في المصارف. (تقرير المفوض جوزيف كرم) لارلاقة مع الاجانب. خصوصاً ايتاليا. من المنتظر ان تحتم التحقيقات في قضية الحزب خلال هذا الاسبوع ثم ينصرف المحقق الموسيو تمبال لاعداد تقريره العام عن الوثائق التي وجدت وعن التهم الموجهة الى كل عضو من اعضاء الحزب لرفعها الى النيابة العامة ثم تقديمها الى القضاء الذي سيقول كلمته الاخيرة فيها. بعد تقديم هذا التقرير سيتقرر اخلاء سبيل معظم الموقوفين على ان يحاكموا غير معتقلين .

14 كانون الاول: اخلي سبيل عفيف فاخوري. استجوب فؤاد خوري الذي وجدت عنده اوراق للحزب، ثم استجوب ايضاً التاجر منح الراسي الذي اعتقل قبل يوم فقط. تلقى المحقق معلومات تفيد انه ليس للحزب علاقات مع الاحزاب الشامية. سيبت في الاسبوع القادم بطلبات اخلاء السبيل التي تقدم بها الموقوفون .

16 كانون الاول: جرى تحقيق مع الزعيم وعميد الحزبية زكي نقاش. توكل الاستاذ عبد الله اليافي عن العميد زكي نقاش وقدم له طلب اخلاء سبيل. تم الافراج عن معاون مفوض الشرطة اسعد الايوي وكذلك عن منح الراسي. جرى تحقيق جديد مع عفيف فاخوري والمهندس جورج حداد. تقدم عدد كبير من المحامين للدفاع عن الموقوفين .

في الأعلام الخارجي

ونشر الآن عن الوضع الاعلامي خارج السجن اثر الاعتقال، هذا المقال الذي نشرته احدى الجرائد الفرنسية الصادرة في باريس مثلاً على التشويه الذي كان حاصلًا بالتعريف عن الحزب، ان عمداً او نقصاً، في المعلومات. (عدد البيرق الصادر في 17 كانون الاول سنة 1935).

« نشرت جريدة «الافر» «œuvre» الباريسية مقالاً عن اكتشاف الحزب السوري القومي في بيروت، تحت عنوان «الشرق يستيقظ... مؤامرة على السلطة الفرنسية في سورية» جاء فيه ما تعريبه: لقد وقعت في الشرق الادني مؤخراً امور خطيرة تستدعي الاهتمام الجدي. فقد اكتشف رجال الامن مؤامرة خطيرة جداً في بيروت تعمل للقضاء على السلطة الفرنسية والقيام بثورة واسعة في البلاد، واطهر التحقيق حتى الان ان الشباب السوري المثقف قد الف حزباً ثورياً هتلرياً يجبك في الخفاء خيوط الثورة في البلاد، وقد قبض حتى الآن على ثلاثين شخصاً من الذين يشايعون الوطنيين السوريين. وعرف ان هنالك اكثر من الف شاب منضمين الى هذا الحزب الخطير.

وقد ظهر للسلطة الفرنسية بعد التحقيقات التي قامت بها ان الوطنيين الاشتراكيين من اعضاء هذا الحزب السري يتصلون بصورة مباشرة مع الاشتراكية الوطنية الالمانية والفاشستية الايطالية اما رئيس هذه الجمعية فهو الموسيو انطون سعادة مدرس اللغة الالمانية في الكلية الاميركانية في بيروت، وبين اعضاء هذه الجمعية التي ظهر انها تتجاوز الالف عضو، عدد لا يستهان به من طلاب واساتذة الكلية المذكورة. فهل نستطيع ان نزيد على المرجعين اللذين قلنا بان الجمعية تتصل بها، مرجعاً ثالثاً!!

ثم قد ظهر بان الجمعية المذكورة قد صرفت في سبيل الغاية التي تتآمر لاجلها ما يزيد على الـ 30 الف ليرة فمن اين استطاعت الاتيان بهذه المبالغ وليس بين اعضائها صاحب ثروة؟

ان هنالك سوالات كثيرة يجب ان تطرح حول هذه الجمعية الخطيرة، ولكن الاسرار تكتنفها حين تفيد ان المحققين من رجال القضاء الفرنسي في سورية لم يستطيعوا حتى الان انتزاع كلمة واحدة من المقبوض عليهم تشير الى المرجع الذي يتصلون به فهم متكتمون الى آخر حدود التكم.

اخيراً ان مايجري في سورية الآن يجب ان نهتم به كثيراً . فهنالك افكار بعيدة ترمي لتأليف امبراطورية عربية تشمل سورية وفلسطين ولبنان وبقية البلدان العربية في الشرق الادنى . وقد وقع في فلسطين ما لا يقل خطورة عما يقع في بيروت، فقد تألفت عصبة مسلحة لمقاومة السلطة البريطانية بادارة الفدائي عبد القادر يوسف . وقد وقعت المعركة الاولى التي قضى فيها على الذين عرفوا من هذه العصبة . ولا يقل قلق بريطانيا في فلسطين عن قلق فرنسا في سوريا . (كذا) .

وفي جريدة « الكرملة الجديد » يرد مقال تشجيعي بتاريخ 18 كانون الثاني 1936 اثبت بعض فقراته فيما يلي : « اتخذ الحزب لنفسه الصفة السرية ضنا بمبادئه من ان تناوؤها السنة وايدي ذوي المصالح الشخصية . ولكي لا يظهر للرأي العام والسلطة الا بعد ان يصبح قوة لا يمكن ان تسحق وتصبح مبادؤه غرساً لا يمكن استئصال جذوره من الافكار والقلوب .

وقد تمكن الحزب من الاحتفاظ بصفته السرية هذه، مدة ثلاث سنوات تمكن من خلالها ان يضم تحت لوائه بضعة آلاف من عنصر الشباب . ذلك العنصر الذي لا يزال بعيداً عن زغل السياسة، بعيداً عن الافكار العتيقة البالية، بعيداً عن المطامع والاغراض الشخصية . ذلك العنصر المجدد، الطموح الى الرقي . ذلك العنصر الذي لاتقوم حركة وطنية الا على اكتافه .

وتمكن الحزب ايضاً في انشاء مايقرب من مئة فرع في جميع انحاء سورية شمالاً وجنوباً .

ولم يكن اقبضاح امره واعتقال زعيمه واركانه الا ليزيده قوة وعدداً ويزيد اعضائه ايماناً بمبادئه وحباً لزعيمه . وبالرغم مما تبذله السلطة لتحويل الرأي العام عن الحزب وتنظيمه بشتى الوسائل كالاشاعة بان له علاقة باحدى الدول الاجنبية

وما شاكل . وبالرغم عما كانت بعض الجرائد تنشره من اخبار ملفقة عن الحزب . وبالرغم من ان البعض الآخر من الجرائد لا يجروا ان ينشر عن الحزب الا اخباراً مقتضبة دون تعليق من اي نوع ، لا يزال الرأي العام في سورية وخارجها يعطف على الحزب ويناصره . ويندفع الالوف من شبان سورية الى الانخراط فيه والسير تحت لوائه .

اكتشفت ادارة الامن العام في بيروت وجود الحزب وقالت بعض الجرائد كما ظن البعض ان في الامر وشاية . ومهما يكن الامر . فان كان الحزب السوري القومي واعضاؤه . عملاً بالمبدأ القومي الصحيح ، لا يجوز ان يظنوا او يفكروا ان افتضاح امر الحزب كان نتيجة وشاية من سوري .»



... كانت النيابة العامة قد ارجعت اوراق دعوى الحزب للمستنطق طالبة منه اعادة التحقيق في هذه القضية . على ان المستنطق استدعي الى بعلبك للتحقيق في حادثه . فأجل موعد الاستجواب الى غد وارجع الزعيم ورفاقه الى السجن . وقد تمجهر عدد كبير من اعضاء الحزب حول سيارة السجن واعطوا تحية الحزب لزعيمهم بين اعجاب الناس وحماسهم .»

الكرمل : نحن نحترم مبادئ الحزب السوري القومي النزيمية ولانعارضه فيها لكننا نذهب الى ابعد مما يذهب اليه ونتمنى ان تكون غايته بعد الحصول على استقلال سورية الاندماج في الجامعة العربية .

مجلة « المصور » المصرية

وفيا يلي مقال جيد لمجلة « المصور » المصرية تحت عنوان « الحزب السوري القومي برهان على تطور الحالة الفكرية والنفسية في سورية ولبنان » نشبته كما هو : « تشغل قضية الحزب السوري القومي الذي اكتشف امره اخيراً في لبنان الرأي العام السوري واللبناني واهتمام السلطة الفرنسية الى ابعد حد . وقد اسس هذا الحزب في بيروت الاستاذ انطون سعادة وهو من رجال التعليم في الكلية الاميركية ونجل المرحوم الدكتور خليل سعادة ، العالم المعروف ورئيس جمعية الرابطة السورية في البرازيل سابقاً . والحزب يسعى الى توحيد سورية الكبرى بما فيها سورية الحالية ولبنان وسورية

الجنوبية او فلسطين، ويعمل لاستقلال هذه الوحدة استقلالاً تاماً وقد تأسس منذ سنتين وظل امره مكتوماً بالرغم من انضمام بضعة الاف من خيرة شباب البلاد المثقف اليه . ونظام الحزب يدل على مهارة مؤسسيه بل على نبوغهم، فقد حسبوا حساباً لكل كبيرة وصغيرة وقسموا وظائف رؤساء الحزب بحيث تتناول الشؤون الخارجة والداخلية والاقتصادية والحربية والمالية وغيرها . ومما هو جدير بالذكر ان بين اعضائه كثيرات من كريمات العقائل والاوانس وليس للحزب فروع في سورية وفلسطين وغيرها من الاقطار العربية .

ولم ينكر احد من الاعضاء الذين اعتقلوا علاقته بالحزب بل انهم جمعياً كانوا يجاهرون بها ويفاخرون . وقيام هذا الحزب في بيروت برهان على تطور الحالة الفكرية والنفسية في البلاد الخاضعة للانتداب الفرنسي وعلى الخصوص في لبنان . وقد دام التحقيق مع الاعضاء المعتقلين بضعة اسابيع وكان الرأي العام ولا يزال يعطف عليهم العطف كله .

ختم التحقيق

اعادة التحقيق

18 كانون الاول: استجوب المستنطق تمبال كل الموقوفين للمرة الاخيرة وابلغهم انه ختم التحقيق.. اخلي سبيل فؤاد خوري وويكتور اسعد وسيبقى من الموقوفين لاحتلهم الى المحاكمة اربعة ما عدا الزعيم . وهم رئيس مجلس العمدة عميد الداخلية نعمة ثابت، عميد الحربية زكي نقاش، رفعت زنتوت وفؤاد مفرج . اجيز لجميع الموقوفين الاتصال بمحاميههم . وعلى ذلك يكون التحقيق قد دام شهراً واحداً .

في اثناء سوق الموقوفين بطريقهم الى دائرة الاستنطاق، وقع حادث ادى الى اعتقال الرفيق نهاد نجل المحامي الاستاذ ملحم حنا . تفصيل ذلك ان الشاب المشار اليه جمع بعض الشبان ووقف معهم في الرواق وما كاد يمر من امامهم الموقوفون حتى حياهم بتحية الحزب الرسمية . وما ان وصل الخبر الى الموسيو تمبال حتى امر بتوقيف الشاب نهاد ملحم حنا وياشر استجوابه فوراً فافاد انه ينتمي الى الحزب السوري القومي . ارسل بعدها الى التوقيف ثم اخلي سبيله بكفالة والده .

اتهم المستنطق اعضاء الحزب وفقاً للمواد 3 ، 6 ، 12 ، و13 من قانون 3 اغسطس 1909 ، معطوفة على المادتين الأولى والثانية من القرار L. R. 115 المتعلق بقمع الجرائم .

نصوص المواد

المادة 3 - (المكملة بقانون 26 ايار سنة 1928)

لا يجوز تأليف جمعيات مستندة على اساس غير مشروع، مخالف لاحكام القوانين

والآداب العمومية او على قصد الاخلال براحة المملكة وبكمال ملكية الدولة او تغيير شكل الحكومة الحاضرة او التفريق السياسي بين العناصر العثمانية المختلفة، ويرفض اعطاء العلم والخبر بها وتحل بمرسوم يصدر في مجلس الوزراء .

المادة 6 - يمنع منعاً قطعياً تأليف الجمعيات السرية . فبناء عليه يجب حالاً عند تأليف الجمعية ان يعطي مؤسسوها الى وزارة الداخلية، اذا كان مركزها في بيروت والى اكبر مأموري الملكية في المحل، اذا كان مركزها في الخارج، بياناً مضمياً ومختوماً منهم يحتوي على عنوان الجمعية وبيان مقصدها ومركز ادارتها واسماء المكلفين بأمر الادارة وصفتهم ومقامهم ويعطي لهم مقابلة لذلك علم وخبر ويربط بهذا البيان نستختان من نظام الجمعية الاساسي مصادقة عليهما بخاتم الجمعية الرسمي .

وبعد اخذ العلم والخبر تعلن كيفية من قبل المؤسسين . ويتحتم على الجمعيات ان تعلم الحكومة في الحال بما يقع من التعديل والتبديل في نظامها الاساسي او في هيئة ادارتها ومقامها . وهذا التعديل والتبديل انما ينفذ حكمه على شخص ثالث من يوم اعلام الحكومة به . وينبغي ان يرقم في دفتر مخصوص واي وقت طلبته الحكومة العدلية او الحكومة الملكية ينبغي ابرازه لها .

المادة 12 - ان الجمعيات التي لاتعلن امرها وتنبئ الحكومة باعطائها البيان وفقاً للمادتين « 3 و 6 » فكما انه بعد منعها من قبل الحكومة يجازى مؤسسوها وهيئة ادارتها وصاحب محل اجتماعاتها او مستأجرة بالجزاء النقدي من خمسة ذهبيات الى خمسة وعشرين ذهباً وكذا اذا كانت هذه الجمعية قد تألفت لغرض من الاغراض المضرة او الممنوعة المبينة في المادة « 3 » او في قانون الجزاء، يحكم ايضاً على حدة بالجزاء المعين في القانون المذكور . (راجع المواد 337 و 338 و 339 من قانون العقوبات) .

فقرة مضافة بالمادة 2 من المرسوم الاشتراعي رقم 41 الصادر في 28 ايلول 1932 : كل من يشترك على اي وجه كان في جمعية او لجنة او هيئة ترمي مباشرة او بالواسطة الى عرقلة سير المصالح العامة يعاقب بالحبس من ستة اشهر الى ثلاث سنوات وبغرامة نقدية من 25 الى 200 ليرة لبنانية سورية او باحدى هاتين العقوبتين .

المادة 13 أ- من خالف احكام المواد 4 و 5 و 7 و 9 وما لاتعلق له بالاخبار والاعلان من احكام المادة 6 يجازى بالجزاء النقدي من ذهبيتين الى عشرة ذهبيات . وعند التكرار يعاقب بضعفي هذا القدر . ومن ابقى خلافاً لهذا القانون جمعية مُنعت

بمقتضى المادة 12 او جدد تأسيسها وادارتها يعاقب بالجزاء النقدي من عشرة ذهبيات الى 50 ذهباً وبالحبس من شهرين الى سنة . ويعاقب بهذا الجزاء من جعل محلاً له مجتمعاً لاعضاء جمعية ممنوعة .

اما المادتان الاولى والثانية من القرار 115 L. R. فهما :

المادة الاولى : يعاقب بالسجن من شهرين الى سنتين وبغرامة من خمس الى خمسين ليرة سورية او باحدى هاتين العقوبتين فقط، كل اخلال بالسلام والنظام العام يقع باحدى الصيغ المنصوص عليها في هذا القرار، تعاقب المحاولة بالعقوبات الجارية على الجرم نفسه، تطبق احكام هذا القرار مع الاحتفاظ بكل عقوبة اخرى اشد ينص عليها قانون الجزاء او قرارات المفوض السامي السابقة او كل قانون آخر نافذ .

المادة الثانية : يعد اخلالاً بالسلام والنظام العام ويقع تحت طائل العقوبات المذكورة في المادة الاولى :

- الاشتراك بجمع او حشد او موكب غير مأذون به .
- حمل شعار او علم او غيرها من الرموز، اذا كانت المجاهرة بهذا الرمز من شأنها ايجاد معارضة بين فريق من الاهلين وفريق آخر وقد تقلق النظام العام بنوع من الانواع .
- عرقلة السير على الطرق العمومية، بقصد التأثير على عمل السلطات او الاخلال بسير المصالح العمومية .
- الخطب والاغاني او الصراخ الداعية الى الشغب .
- نشر اخبار كاذبة من شأنها تهيج الرأي العام او اذاعة هذه الاخبار .
- الهدايا والوعود او اعمال الشدة او الضرب او التحقير والتهديد للاشخاص او للهيئات بقصد عرقلة عمل السلطات او سير المصالح العمومية .
- التحريض على عصيان القوانين والانظمة او على كره السلطات او كره الاهلين او احتقارهم .
- انشاء او نشر او طبع او توزيع او حمل مقالات او تصاوير تدعو الى الشغب او الى ارتكاب الجرائم المذكورة في البنود المبينة اعلاه .

مرحلة ختم التحقيق

19 كانون الاول: لبي العميد قبرصي دعوة المستنطق خلافاً لما ذكرته بعض الرصيفات عن تواريه عن الانظار. فقد جاء الى دار القضاء في الساعة الرابعة من بعد الظهر وقابل المستنطق تمبال الذي ظل يهقق معه الى الساعة السادسة والنصف مناقشاً في بعض الامور المسندة اليه ثم تركه فسافر رأساً الى مسقط رأسه في الكورة. وتقرر اخلاء سبيل فؤاد مفرج بكفالة قدرها مئة ليرة سورية.

انصرف تمبال لاعداد تقريره وظل في مكتبه حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ثم رفعه الى النيابة العامة لدى المحكمة البدائية المختلطة لتدرسه بدورها ثم تحيله الى المحكمة. وبما ان دوائر القضاء ستعطل بمناسبة الاعياد فليس من المنتظر ان تتولى المحاكم النظر في هذه القضية قبل الاسبوع القادم وقد يؤجل موعد المحاكمة الى منتصف كانون الثاني.

20 كانون الاول: تأخر ختم التحقيق لأنه لا تزال هناك بعض نقاط غامضة في التهم الموجهة الى رفعت زنتوت تتعلق بموقفه من الحزب ولذلك فقط وضع في غرفة منفردة ومنع عنه الاختلاط مع بقية الموقوفين الى ما بعد انتهاء التحقيق، ولهذا السبب سيتأخر تقديم القضية الى المحكمة الى الاسبوع القادم. ولما كان الاسبوع القادم من الاسبوع التي اكثر ايامها عطلة فلا ينتظر ان تبدأ المحكمة النظر في قضية الحزب السوري القومي قبل منتصف الشهر القادم.

23 كانون الاول: وافقت النيابة العامة على قرار الاتهام وانصرف المحامون لاعداد الدفاع وقد اتفقوا في جلسة عقدوها على توحيد جهة الدفاع خصوصاً وان اكثر الاعضاء يقعون تحت تهم واحدة.

24 كانون الاول: تقرر اخلاء سبيل رفعت زنتوت بكفالة مالية اسوة برفقائه، وذلك بعد ان اصر على افادته الاولى. اذن المستنطق للامير الطيب رثيف ابي اللمع بزيارة السجن لمعاينة الزعيم الذي اصيب هناك بانحراف صحي. صدر مرسوم بكف يد الرفيق شفيق شرتوني الموظف في العدلية المتهم بانه من اعضاء الحزب (وهوثاني عضو يصاب بفقد وظيفته).

30 كانون الاول: حقق تمبال مع الزعيم والعميد نقاش ثم استدعى رفعت زنتوت الذي كان قد تقرر الموافقة على اخلاء سبيله بكفالة مالية فتم اليوم تسريحه من

السجن. اعيد التحقيق من جديد مع فؤاد مفرج. مأمون اياس، وفؤاد خوري وغيرهم وقد بقيت التحقيقات معهم الى ما بعد الساعة الواحدة بعد الظهر ثم استؤنفت بعد الساعة الرابعة وتأجلت الى اليوم التالي. يقال ان سبب هذه الاعداء هو ان هناك نقاطاً لا تزال غامضة في التحقيق من جهة العلاقات الخارجية والمالية اوجبت توسيع التحقيق على هذا الشكل المفاجيء.

قرار الاتهام

وفي الرابع من كانون الثاني 1936 ختم المستنطق الفرنسي التحقيق واحالت النيابة العامة زعيم الحزب واعضائه الى المحاكمة ناسبة اليهم التهم التالية:

اولاً: تشكيل جمعية سرية هدفها الاخلال بالامن العام والاضرار باراضي الدولة وتغيير شكل الحكومة.

ثانياً: تأليف جمعيات سرية لتحقيق هذه الغاية.

ثالثاً: تنظيم اجتماعات سرية غير مرخص بها.

رابعاً: جمع اموال وتشكيل شركة تجارية بصورة مخالفة للقوانين.

خامساً: القيام بتشكيل هيئات من الميليشيا بصورة مخالفة لأنظمة وقوانين البلاد.

ومع ان التحقيق كان قد انتهى فان المستنطق تمبال ظل يواصل مهمته وذلك في مراقبة التحارير والمراسلات التي كانت ترد الى الاعضاء ولكن دون جدوى، وعند اختتام التحقيق دعا المحقق الزعيم ومعاونيه الاثني اللذين بقيا موقوفين معه وهما نعمة ثابت وزكي نقاش لابلغهم قرار الاتهام فتجمع عدد غفير من اعضاء الحزب في ساحة دار القضاء وعند خروج الزعيم من غرفة المستنطق هتفوا له وحيوه التحية الحزبية مما تسبب في توقيفهم عدة ساعات ثم اخلي سبيلهم.

وبعد ان احيلت ملفات التحقيق الى المحكمة المختلطة بقي تعيين موعد الجلسة للمحاكمة موضع درس دقيق اذ ان مسألة انتخاب رئيس للجمهورية اللبنانية من قبل المجلس النيابي كانت الشغل الشاغل للمفوضية الفرنسية ولذلك فقد تأجل الموعد الذي كان قد تقرر مبدئياً في 16 كانون الثاني الى 23 منه.

وفي 7 كانون الثاني كان المستنطق الفرنسي قد دعا اليه الزعيم لأخذ افادته في بعض المسائل. وفيما كان رجال الدرك يهبطون به سلم قصر العدلية لأقتياده الى السجن، اصطف امامه في الرواق نحو عشرين شاباً وهتفوا له بصوت واحد هتافاً عالياً: «فليحيي الزعيم» وكان في ايدي اثنين منهم آلتا تصوير اخذاً بهما رسمه. وقد حصلت، ازاء هذا الحادث، ضجة كبيرة في القصر، وتراكم الناس على اصوات الهتاف يسألون ما الخبر. وعلى الأثر وصلت شردمة من رجال الدرك فاعتقلوا بعض الشبان، لاسيما للذين كانا يحملان آلتى التصوير، اما الذين تركوا منهم فقد أبوا الا الالتحاق بالجند الى المخفر وطلبوا اليهم ان يوقفوا مع اخوانهم، مقرين بانهم هم ايضاً قد اشتركوا بالهتاف لرعيمهم فوقفهم الجند واستجوبوهم، لكن المدعي العام المركزي الاستاذ وجيه الخوري لم ير في عملهم ما يدعو الى الاخلال بالامن، فاخلي سبيلهم لقاء سند اقامة بسيط اخذه على كل منهم.

انْتِخَابُ رَئِيسِ الْجُمْهُورِيَّةِ الْبِنَانِيَّةِ

في 20 كانون الثاني 1936 دعي مجلس النواب اللبناني الى اجتماع لانتخاب رئيس للجمهورية وفقاً لاحكام الدستور التي اعادها المفوض السامي الكونت دي مارتيل الى حيز التنفيذ ان كانت معلقة مدة اربع سنوات تقريباً .

ولابأس من كتابة نبذة وجيزة عن هذه الفترة بالذات على سبيل المعلومات لاعلى سبيل التاريخ .

كانت سلطة المفوض السامي حتى في مرحلة الحكم الدستوري فوق كل القوانين . اما المجلس النيابي فقد كان مرتبطاً بممارسة احكام هذا الدستور فيحل عند تعليقه ويعقد جلساته عندما يطلق الدستور كلياً او جزئياً . انما هذا لايعني ان صلاحياته كانت كاملة كما هي اليوم فقد كان محظوراً على المجلس انتخاب رئيس الجمهورية .

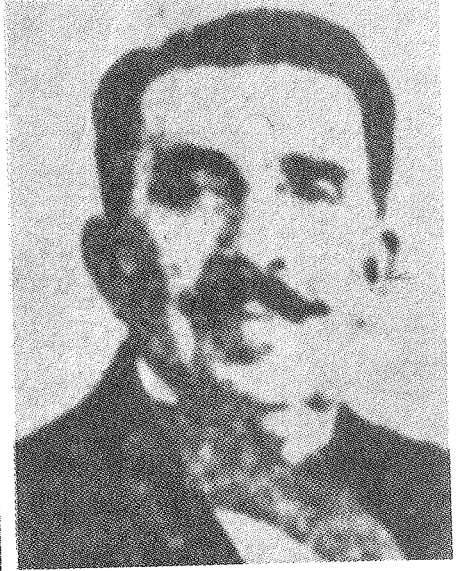
اما سبب تعليق الدستور سنة 1932 فيرجحه العالمون بالسرائر انه كان ترشيح الشيخ محمد الجسر لرئاسة الجمهورية الذي شعرت المفوضية الفرنسية بميل اكثرية النواب الى دعم هذا الترشيح وانتخابه فيأتي مواطن محمدي سني الى رئاسة الجمهورية اللبنانية المنوى عقد لوائها الى مسيحي ماروني . هذا الترشيح الذي لا يوجد نص صريح في الدستور يمنعه . فاصدر المفوض السامي قراره بتعليق هذا الدستور حتى يحول دون اتساع رقعة اللاطائفية المعرقة لاعماله .

وكان من نتائج هذا التعليق ان نشأت كتلة سميت فيما بعد بأسم « الكتلة الدستورية » برئاسة الشيخ بشارة الخوري احتجاجاً على هذا التعليق .

سبق دعوة المجلس النيابي الى انتخاب رئيس للجمهورية تدبيران من قبل المفوض



الكونت ده مارتيل



حبيب باشا السعد

السامي الاول: فك عقال الدستور جزئياً . فاجرى انتخابات لمجلس نواب جديد ولكنه لم يترك للمجلس حق انتخاب رئيس الجمهورية ، بل قام بتعيين حبيب باشا السعد في هذا المركز لمدة سنة واحدة ثم جدها سنة اخرى انتهت في 20 كانون الثاني 1936 اما التدبير الثاني فقد جاء بعد انقضاء هذه المدة على اثر بعض التدابير الاستعمارية كمنح شركة فرنسية حق استثمار التبغ اللبناني لمدة خمس وعشرين سنة ثم اضراب الجزارين في زحلة و اضراب المحامين في بيروت . فكانت لكل هذه الحركات اصدقاء صارخة لما كان يخالف الشعب من نقمة على الاوضاع القائمة . فقام على اثرها باعادة الدستور بكامل احكامه فكانت جلسة الانتخاب في 7 كانون الثاني وحيي اميل اده رئيساً للجمهورية - والمفوضية على الحياد!! - لمدة ثلاث سنوات، جعلها قرار المفوض السامي ست سنوات.



الشيخ محمد الجسر



اميل اده



بشارة الخوري

كان هذا الجو الملبد في السياسة المحلية اللبنانية سبب التأخير في تعيين موعد محاكمة الزعيم ومعاونيه الذي تمّ كما ذكرت سابقاً بعد ثلاثة ايام من انفراج الازمة الدستورية بالانتخاب المار ذكره وهكذا يبدأ الحزب بالمحاكمة، مرحلة جديدة مع مرحلة جديدة ايضاً في السياسة اللبنانية في عهد اميل اده الذي لم يكن انتخابه امراً عادياً .

الوضع الحزبي

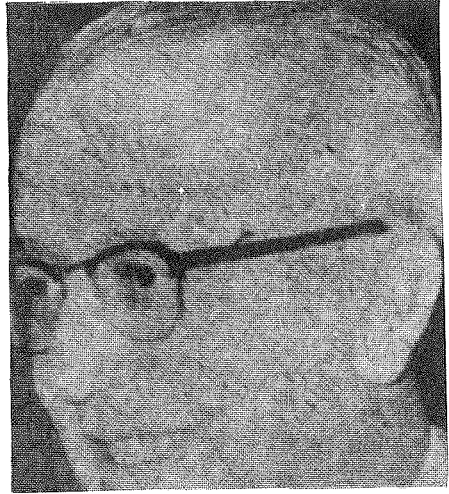
تركنا الوضع الحزبي عند اللجنة التنفيذية التي شكلها العميد قبرصي بصفته زعيماً بالوكالة ولكن هذا التدبير لم تطل مدة العمل به فقد استصدر الزعيم مع انتهاء التحقيق مرسوماً بتعيين الرفيق صلاح لبكي نائباً للزعيم والغاء كل تدبير سابق، وعلى هذا الأساس بدأ نوع من الاستقرار في الإدارة المركزية بعد ان مارست الإدارة الموقته الأولى مدة عشرة ايام تقريباً والإدارة الثانية ما يقرب من الشهر.

في المركز كان على نائب الزعيم الرفيق صلاح لبكي ان يختار معاونيه لملء الشواغر في المصالح الرئيسية. لم يتوفر لدي معلومات كثيرة عن هذه الفترة. كل ما عندي ان نائب الزعيم شكل مجلس مفوضين مؤلف من المهندس جورج حداد للدخالية يعاونه قاسم حاطوم وأمون اياس للمالية يعاونه جميل عازار اما الاذاعة فقد بقيت من ضمن مسؤوليته. على الصعيد العملي في الزيارات الحزبية برز نشاط ملموس لمفوض المالية مأمون اياس.

كما انه عين نائب الزعيم عبد الله الجميل منفذاً عاماً لمنفذية بيروت بدلاً من الرفيق اسعد الايوي الذي كان قد اعتقل وجرّد من وظيفته كما مر بنا. وكذلك عين الرفيق مصطفى المقدم منفذاً عاماً لمنفذية طرابلس بدلاً من الدكتور سميح علم الدين واصبحت مديريات الكورة الاربعة منفذية عين الرفيق جبران جريج منفذاً عاماً لها. في الحقل الاداري لم يتعاون زكريا لبايدي اما رفعت زنتوت فما ان خرج من السجن حتى كان له موقف لم ينسجم مع نظام الحزب فعوقب بالفصل فانطوى وانزوى ولكن زكريا لبايدي استمر في موقفه وكتب اكثر من مقال في جريدة «البلاد» يستعرض فيه هذا الموقف فعوقب بالفصل ايضاً.



حبيب ابو شهلا



حميد فرنجية

من الناحية الحقوقية نشطت المساعي لتوكيل المحامين فكان ابرزهم: حميد فرنجية، حبيب ابو شهلا، بالدفاع عن الزعيم. شارل عمون المختص بالدفاع العام من الناحية الجزائية، عبد الله اليافي الذي اختص بالدفاع عن عميد الحربية زكي نقاش، شفيق ناصيف الذي اختص بالدفاع عن رئيس مجلس العمدة عميد الداخلية نعمة ثابت، وقد اختص بالدفاع بصورة عامة موريس الجميل، يوسف جرمانوس، ويكتور حكيم، فؤاد الصغير ومختار مخيش وغيرهم من آل ذوق وآل غطاس وآل مارون وآل صفا.

عبدالله اليافي



موريس الجميل



أول قصيدة زجلية

والان قبل الانتقال للتحدث عن محاكمة الحزب التاريخية اود ان انقل القصيدة التي نظمها الرفيق قاسم نجد من العبادية وغناها الرفيق يوسف تاج في كل محفل وناد وذلك لما فيها من صدق التعبير ولانها افضل ترجمان وشاهد على قبول القوميين الاجتماعيين لتحدي السلطات الاجنبية .

يا زعيم! مهما جرى فينا ماشين تا نحقق امانينا
يا عقيد الحر للاحرار مسكوك، ما مسكوا مبادينا!

* * *

يا عقيد الحر للاحرار ويا عليّ القدر والافكار
ويا نبي مرسل لزيح العار وتام شعث قوام مدعورا
وترد لينا مجد ماضينا

* * *

وتام شعث قوام مدعورا كانت عظيمي واصبحت صورا
سهرت لو ما كان منشورا يسجنوك وبعدنا جلاييط
ما كسيت ريشة خوافينا

* * *

يسجنوك وبعدنا جلاييط مش قادرين عالطير والتخطيط
بعد اللتيا والتي، التخطيط كان ماشي ومبدأك ماشي
وما تأخرت تكي مساعينا

* * *



يوسف تاج

كان ماشي ومبدأك ماشي
وفي طلوعك صار متلاشي
رغم سعي الفاشم الواشي
عندما نور الحقائق بان
والكل اقروا فيك هاديننا

* * *

عندما نور الحقائق بان
المسيح بغابر الازمان
تجنّدت بحزبك الشبان
ضحى بنفسو تافدى مجموع
وانت مثلو كنت فاديننا

* * *

ضحى بنفسو تافدى مجموع
وبقيامتو ضووا الكنيسة شموع
وانت مثلو سلكت هالموضوع
وبقيامتك، مش منصفين لولا
شموع ضويننا اياديننا

* * *

وبقيامتك مش منصفين لولا
يا فخر سورية لنا المولى
عجائب علمنا لك ولادهولا
يبيقك تا نير العبودي
يزول رسمو من نواصينا

* * *

وجدير بالذكر، ان هذه القصيدة الزجلية عدا عن تصويرها الصادق للمرحلة
الحزبية التي نحن بصدها عن انكشاف امر الحزب، هي في الوقت نفسه اول قصيدة
من هذا النوع في الحزب.

حَفَلَةُ هَنَاوُ التَّابِئِيَّةِ فِي دِمَشْقٍ

في الثاني والعشرين من تشرين الثاني توفي ابراهيم هنانو في حلب، رئيس الكتلة الوطنية في الكيان الشامي التي اقامت له حفلة تأبينية كبرى في دمشق بمناسبة مرور الاربعين يوماً على وفاته وذلك بتاريخ 11 كانون الثاني 1936 .

اذكر اننا شكلنا وفداً في طرابلس لحضور هذه الحفلة وماعدت اذكر ان كان هذا الشأن تم بايعاز من القيادة الحزبية او كان تدبيراً محلياً . كان الوفد مؤلفاً من الرفقاء مصطفى المقدم؛ جبران جريج، سعدي الذوق واحد افراد آل معوض من زغرتا ولشد ما كانت دهشتنا عندما وجدنا ان للحزب خطيباً بين الخطباء فسررنا كثيراً لهذه المفاجأة . كان الخطيب الرفيق يوسف الدبس وإني انقل مارواه لي عن هذا الحدث الخطير :

« ابراهيم هنانو شخصية جبارة عمل في القضية الوطنية والحركة الاستقلالية حتى اصبح مثلاً لرجال الشام . وكانت حياته جهاداً وتضحية بلسانه وقلمه وسلاحه ، ولم يتقاعس يوماً عن خدمة بلاده حتى اغمض الردى عينيه وكان علماً من اعلام الوطنية . وقد اقيمت له حفلة تأبينية كبرى في دمشق اشترك فيها جميع رجال الشام والفكر والسياسة من جميع الاقطار العربية .

طلبت من صديقي فخري البارودي ، وهو احد اقطاب الكتلة الوطنية التي كان يرأسها ابراهيم هنانو، ان اكون احد الخطباء في حفلة التآبين فوافق دون تردد . ولما وصلت دمشق ودخلت بيت صديقي فخري البارودي وبصحتي بعض الشباب القوميون ومنهم سليم معلوف نائب زحلة اليوم دونت اسمي في سجل التشريفات وانني احد



ابراهيم هنانو

الخطباء باسم البقاع. لم يمض وقت طويل حتى اقترب مني الدكتور توفيق الشيشكلي نائب حماه وطلب مني ان اخطب باسم الحزب القومي فافهمته انني لا املك هذا الحق قبل ان اعود الى زعميي وأستاذنه. وهكذا اتصلت بالزعيم اسأله الموافقة فقبل. ولما حان موعد الحفلة وعرف الدكتور شيشكلي بموافقة الزعيم على طلبه طار فرحاً.

ثم حان موعد الحفلة ومشى الموكب الى الجامع الأموي، جحافل من البشر يتقدمهم سعد الله الجابري، عبد الرحمن الكيالي، هاشم الاتاسي، توفيق الشيشكلي، جميل مردم، لطفي الحفار، نسيب البكري، رياض الصلح، نجيب البرازي، علي الأطرش وغيرهم كثيرون ممن لا اتذكرهم.

اول مسيحي يخطب في الجامع الأموي

الجامع الأموي الكبير ضاق على رحبه بهذا البحر الخضم والحشود العجيبة، خلعنا احذيتنا ودخلنا المسجد وصعد الخطباء الى السدة، وبعد اداء فريضة صلاة الجمعة عن روح الفقيه الكبير وقف الاستاذ فخري البارودي والقي كلمة قال فيها « لو كان الجميع يتفانون في الجهاد كما كان يفعل ابراهيم هنانو لما كانوا في هذه الحالة السيئة » ثم عقبه الدكتور توفيق الشيشكلي بكلمة قال فيها: « ايها المؤمنون تضامنوا ووجدوا صفوفكم وسيروا على نهج هنانو ودافعوا عن وحدة البلاد وسيادتها » ولم يكذ ينتهي الدكتور شيشكلي من القاء كلمته حتى وقف فخري البارودي وواقفني الى جانبه ووضع يده على كتفي وصاح بصوت عال « ايها المسلمون هذا اول مسيحي يخطب في جامع بني امية فصرخ الجميع بصوت واحد « الله اكبر ، الله اكبر » .



يوسف الدبس

لا ازال اذكر تلك الوقفة التاريخية من حياتي، وكلما فكرت بها يخفق لها قلبي وازداد ايماناً بحبي لبلادي . موقف مهيب، الجماهير المحتشدة في جامع بني امية تهتف كلها وتكبر كلما القيت بيتاً من الشعر ونال الاستحسان .

يا فقيه الاممة، الامة ثكلى
وعلى جمر غضاها تتقلّى
قلبها النابض اضحى ساكنا
زندها المفتول في الشدة شلا
رب قبر ضم ابيه هيكلا
زرع المبدأ في الناس وولى

* * *

ايها الذائد عن اوطاننا
كنت للتضحية الحمرا مجلاً
هلع الشعب على قائده
وبكى الناس فقيداً عز مثلاً
والشباب التاع من هول النبا
وبسوريا ترى الحزن تجلى

* * *

هنا سقطت بعض الابيات لا اذكرها .

بعد هذا يا هنانو لاتقل
ان شعباً انت من افراده
يا رجال الشام هذا الاجني
فابعثوها ثورة عارمة
ليس في اوطاننا غير الأذلا
حقه من دهره ان يستقلا
يزرع الافكار احقاداً وردلاً
ثورة حمراء لم نعرفها قبلا
دعينا بعد اداء الصلاة في الجامع الاموي لتناول طعام الغداء عند السيد نسيب
البكري وهو احد اعضاء الكتلة الوطنية البارزين ومحافظ جبل حوران، وحين وصولنا
لبيت البكري كان هناك السيد عطا الايوبي الذي كان يومذاك رئيساً للحكومة
الشامية . وحين قدمني السيد فخري البارودي لرئيس الوزراء التفت الي وقال « الاستاذ
دبس، الست انت الذي القيت القصيدة في الجامع الاموي؟ » قلت: « نعم » قال بعد
ان مد يده على ذقته « اسمع من هذه اللحية وغادر دمشق في الحال قبل ان يلقي القبض
عليك فقد اصدرت المندوبية مذكرة توقيف بحقك » وحين سمع فخري البارودي هذه
الجملة انتفض كالاسد الجريح والتفت نحو رئيس الوزراء وقال « اسمع يا عطا بك اذا
القيتم القبض على الاستاذ دبس والله لاقفل حمص وحماه والشام وحلب، وارجو ان تبلغ
اصحابك ذلك » (وهو يقصد بالطبع رجال الانتداب) .

تناولنا الطعام وانتقلنا الى الجامعة السورية حيث اقيمت حفلة التأبين الكبرى التي
كان من خطبائها الاخطل الصغير، عمر ابو ريشة، رشاد رويحه، واسعاف النشاشيبي
وغيرهم وكان عريف الحفلة العلامة فارس الخوري .

انتهت الحفلة في ساعة متأخرة واذكر انني لم اعد الى الفندق الا الساعة الحادية
عشر ليلا وما كدت ادخل الغرفة وابتدىء بخلع ثيابي حتى قرع الباب ودخل ضابطان
احدهم فرنسي والثاني شامي ومعهم ثلة من الجنود وطلبوا الي « السير معهم لدار
المندوبية وعند ذلك تذكرت كلمة رئيس الوزراء عطا الايوبي وجواب فخري
البارودي له وقلت في نفسي هل يتجرأ الافرنسيون ويضعوني في السجن بعد تهديد
فخري البارودي لهم » . ومشيت معهم الى باب الأوتيل حيث كانت سيارات رجال
الامن تقف هناك وجلست في سيارة صغيرة بجانب ضابط الامن الشامي حيث اخذ
يطيب خاطري ويقول « لاشيء سوى ابعادكم عن الشام » . وهكذا اوصلوني الى الحدود
البنانية حيث كانت سيارة اخرى بانتظارنا ومنها وصلت الى دير الغزال .

المحاكمة

الادخال على قدم وساق، بكثرة تكاد لاتصدق، وتيار عارم اجتاح صفوف الشعب المتعطش الى مثل هذا النوع من الحياة، حياة العمل لاحياة القول، حياة المجابهة والتصدي لتحديات حاجات البلاد من حرية واستقلال. الكل يتربق بشغف واهتمام موعد المحاكمة لسماع انطون سعادة زعيم الحزب السوري القومي، لسماع ماذا سيقول هذا المغامر المجازف. كانت الناحية المعنوية مرتفعة جداً.

تألفت هيئة المحكمة المختلطة على النحو الآتي: الرئيس فرنسي واسمه جان روسيه، عضو اليمين فرنسي ايضاً واسمه مانين، عضو اليسار، سوري، لبناني المنطقة، ناصر رعد (من بلدة سير الضنية). المدعي العام فرنسي ايضاً واسمه فورنييه. وتعين لهذه المحكمة ترجمان هو غبريال باسيلاوكاتب المحكمة في الوقت نفسه.

وفي الموعد المحدد التأمت الهيئة وبدأت المحاكمة. واني انقل هنا وصفاً لهذه الجلسات عن جريدة البيرق الصادرة بتاريخ 24 كانون الثاني 1936: « جرت في الساعة التاسعة من صباح امس محاكمة اعضاء الحزب السوري القومي في المحكمة البدائية الجزائية المختلطة وقد حضر تلك المحاكمة جمهور كبير من الشبان والطلاب واطباء الحزب والمتفرجين والصحافيين والمحامين. وكان رجال الشرطة يحافظون على النظام.

وبعد ان تليت اسماء المتهمين واعمارهم، تلا حضرة الرئيس صيغة الاتهام كما



في المحكمة

وضعها المحقق تمبال . وسأل الاستاذ سعادة هل له مساعدون في وضع هذا النظام ام لا فقال ان مساعده هو الاستاذ عبد الله قبرصي .

الرئيس: - اذن ، انت تتحمل مسؤولية النظام؟

سعادة: - نعم .

وبعدها تلي قانون الحزب السوري القومي ونظامه واستغرقت تلاوته زهاء النصف ساعة .

كلمة رئيس المحكمة

- سنفحص كل بند على حدة . هناك في دستوركم صيانيات . وهناك ما هو آفة وهناك ما هو عميق جداً . أما الدليل على صيانياتكم فذلك الاسلوب النازي الذي اتخذتموه (وهنا اظهر صورة الاستاذ سعادة كما نشرتها جريدة المعرض بلباس الحزب وشارته) . انا اعرف قصدكم فانتم تريدون ان تنشئوا مثلاً عليا بين زهرة شباب بلادكم حتى يستعدوا لمواجهة المستقبل .

ولكن هناك ايضاً مسائل مخيفة، مثلاً: السر الكامل المفروض، العقاب الاكبر، اركان حرب مع رئيس اعلى، صفة تشريعية وجرائمه، بوليس سري، ووزارة خارجية، هذا شيء يجري الى حد بعيد... وهناك، ايضاً، سلطات دكتاتورية مسكوبة في قالب لطيف .

ثم اذا رجعنا الى الدستور لرأيناه منقولاً . وانت لو طالعت تاريخ الثورة الفرنسية لوجدت انك بنيت نظاماً على اساس « اهرام سياسي » اعني : انت الرئيس الاعلى والمنفذ الاوحد - رأس الاهرام - انت تعين المساعدين الخمسة والمجلس الذي يحاكم ويحكم الحزب وبالاحرى، رأسه هو اذن انت .

بعدها نرى الوزارات، ثم السكرتيرية، رؤساء المنفذيات، ثم المديرات ثم انظمة خاصة للاعضاء، حسب سنهم وطبقتهم. كل هذا يدل على رغبة لاشعال الفتنة وبلبلة الافكار. وان من استوحيتهم منهم، من روسيا الى المانيا الى ايطاليا، كانت تسيرهم هذه الرغبات .

وليس فقط هذا، بل نراك تسعى لضم فئات معينة من الناس الى حزبك . اخذت الذين يفيدون : كانشاء مصلحة لاسلكية - اخذت الذين يعرفون الحقوق : المحامين، ثم اخذت تضم الجنود والبوليس والعمال . لم تحاولوا ادخال نقابة الاحذية الى الحزب وبعض السائقين وغيرهم ؟

ثم وجهتم انظاركم الى خارج سورية : فلسطين . انت بذاتك قد ذهبت الى فلسطين للدعاية كما هو مذكور في احد دفاترك . اذن قد لمسنا الاهمية : حصر المسؤولية وحسن التدبير .

من اين اتى الحزب بالمال ؟

ولكن الحزب يحتاج الى مال . من اين تأتون به ؟ وينقص السلاح، فاين تجدونه ؟ المال قد جثم به (1) من الاعضاء . (2) من الجمعية السورية التجارية (3) من عرض روايات في رياق . (4) من كتاب اسعد الايوي . (5) شيء صبياني، ولكنه يدل على ناحية من عقليتكم .

الاستعداد الحربي

السلاح والتدريب العسكري كيف وصلتم اليها ؟ ان الميليشيا التي اعتنقتم مبدأها هي لتشويق الروح العسكرية لاتباعك، يانطون سعادة . تقول انها انظمة للمستقبل ولكنها للحاضر بدليل اهتمامكم بجمع الجنود وكيفية جمعهم، وتوفير الملابس الواحدة وايوائهم والسؤال عن عمرهم، الخ . . .

الوثائق المضبوطة خير دليل

ولسنا نخطب في كلامنا خبط عشواء . فقد وجدنا في بيتك وثائق خطيرة تدل على ماضيك ومن حقي ان اقول لك انك تجاوزت بعض الحدود حقاً .

وهنا اخذ الرئيس يتلو بعض نقاط خصوصية وردت في دفاتر خصوصية ضبطت عند الاستاذ سعادة وبين هذه الفقرات هذه: « حديث مع عميد الحربية بمسألة تأليف فرقة صيانة الحزب والقضية وجمع السلاح الذي يمكن اعضاء ان يتبرعوا به » .

ابو شهلا: - ان الاستاذ سعادة يعطيك التفاصيل عن هذا .

الرئيس: - لقد تعود الاستاذ سعادة على الكلام، فلا عجب ان اسمعه الآن مطولاً . ثم تابع ايراد الوثائق فتلا بعضها المتعلقة بصلات الكتلة الوطنية بالحزب وكيف ان الحزب كان يرفض الانضمام اليها .

وقرر ايضاً شيئاً خطيراً عن « وجوب تأليف ميليشيا وفرقة اولى وتحضير الرؤساء » .. وعن « تحضير كمية السلاح الموجودة عند الاعضاء وما يمكن استخدامه حالاً » وعن « معرفة من يعرف فن الطيران من السوريين، ومن هم الموظفون العسكريون الذين يمكن الاستعانة بهم لتأليف كتاب بهذا الصدد » .

ثم تكلم عن خارطة رياق، وقرأ فقرات من خطاب القاہ سعادة للدلالة على نيته وعلى رغباته بمحاربة الانتداب، وقرأ أيضاً بعض رسائل لاعضاء الحزب في الخارج وفي الداخل، ثم وجه كلامه الى سعادة وقال: « لقد انتهيت من بياني ولما كنت تتحمل المسؤولية الكبرى، فعليك ان تتكلم بهدوء وحرية » .

هذا ما ورد في الصحف اما وصف الزعيم لهذه المحاكمة فقد ورد في جريدة « الزوبعة » في الارجنتين في العدد 74 تاريخ 15 آذار 1944 .

المعركة السياسية التاريخية الاولى

في الثالث والعشرين من شهر يناير سنة 1936 وقفت سورية لأول مرة بعد نحو عشرين قرناً تجاه الارادات الخارجية وامام العالم المتمدن منبثقة شخصيتها الصريحة وحققها الاصيلي الاكيد في الحياة والسيادة والاستقلال .

ان تشنجات وحوادث كثيرة حدثت في سورية في القرون التي عقت زوال السيادة السورية في العهد السلوقي اهمها حوادث العهد الاموي وحوادث العهد الابوي .

ولكن جميع تلك التشنجات والحوادث كانت خالية من قضية قومية صريحة يصح ان تسمى قضية الامة السورية وشخصيتها وحقوقها ومصالحها .

كانت هناك حوادث قضايا دينية وشخصية وقبلية . واذا كانت حقيقة الامة السورية تطل في لمحات من تلك القضايا فلم يكن ذلك ظهوراً جلياً لشخصية الامة وقضيتها القومية الصريحة . ولذلك فلم توجد قضية قومية حقيقية للامة السورية مستقرة في وجدانها، حية في قلوب ابنائها ومنقلة في اجيالها فظلت عناصر هذه الحقيقة الاجتماعية الكبرى يلوح بعضها في بعض الحوادث ثم يختفي، ثم يلوح بعضها الآخر في بعض الحوادث الاخرى ثم يختفي .

لم توجد قضية قومية صحيحة لسورية حتى كان نشوء الحزب السوري القومي الاجتماعي ولم يدرك العالم ان لسورية قضية قومية اجتماعية حتى كانت محاكمة الحزب السوري القومي الاجتماعي التاريخية في الثالث والعشرين من يناير سنة 1936 ، او بالحري محاكمة زعيم الحزب واعضاء مجلس عمده وعدد من موظفيه في المحكمة الاجنبية المسماة « المحكمة المختلطة » .

كان يوماً عظيماً بزغت شمس على محيط التف فيه الشك على اليقين حتى اذا بلغت الشمس رابعة النهار اضمحل الشك وتأيد اليقين وزهق الباطل وفاض الحق فوزه المبين .

في هذا اليوم وقف شاب اسمه انطون سعادته ليقارع قوات عظيمة ويقاوم وحيداً الظلم والظالمين ويلقي على اتباعه دروساً في الاقدام والبطولة الخالدة ولينزع الخوف من قلب شعبه ويعيد اليه ثقته بنفسه وبمحمته في الحياة المثلى والخلود .

لم يكن لهذا الموقف سابقة في كل تاريخ سورية منذ نحو عشرين قرناً . انه ليس مواجهة مشنقة بعد حكم لم يبق مفر منه ، بل هو موقف صراع رهيب بين قوتين غير متكافئتين مادياً وابواب الرجوع والهرب لاتزال مفتوحة وبجمال التخلص من المسؤوليات واسعاً . وجميع الامثلة السابقة من تاريخ سورية في الازمنة الاخيرة تدل على شيء واحد وخطة وحيدة . محاولة التملص والهرب بل ان حوادث متأخرة عن زمن محاكمة الحزب السوري القومي الاجتماعي اثبتت ان محاولة التملص والهرب لاتزال الخطة المتبعة في جميع الاعمال السياسية خارج نطاق الحركة السورية القومية الاجتماعية ، كما جرى حين تخلى رجال « الكتلة الوطنية » الشامية عن المعركة بعد نزول الجيش الفرنسي الى اسواق دمشق في مسألة الاعتصامات في اوائل سنة 1936 . وبعد محاكمة الحزب السوري القومي الاجتماعي ، وكما جرى حين تخلى اولئك الرجال عنهم

عن طلب الوحدة الشاملة مع لبنان بسبب ضغط الفرنسيين في مفاوضات « المعاهدة »
السيئة الطالع وحين تخلوا بعد ذلك عن لواء الاسكندون وعن الوحدة التامة بين المناطق
كجبل حوران ومنطقة اللاذقية ولواء الجزيرة وغيرها، وكما حدث للرجال الذين
حاولوا تقليد الحزب السوري القومي الاجتماعي في تشكيلاته واعلنوا ما سموه
« الشباب الوطني » ذا فرق « القمصان الحديدية » فان الذين قبض عليهم منهم استعطفوا
الدولة المحتلة وارسلوا من سجنهم كتباً الى اصدقائهم يوصونهم ان يكونوا مع
فرنسا!!

كل هذه الامثلة المعوجة التي لم يمكن ان تنشيء لسورية قضية سقطت في الثالث
والعشرين من يناير سنة 1936 وقام على انقاضها مثال عظيم للاستقامة والثقة بالنفس
والبطولة الخالدة .

في قاعة المحكمة

كانت الحكومة قد اخذت استعداداتها لهذا اليوم فحظرت الدخول الى دار القضاء
على كل من لا يحمل وثيقة او اذناً خاصاً يخوله ذلك . ووزعت فرق الدرك والشرطة
في مركز المدينة وحول دار القضاء . وكل الذين رغبوا في حضور المحاكمة ولم تكن
لهم في دار القضاء قضية يتخذونها حجة للدخول اضطروا لطلب مأذونية خاصة . ومع
ذلك فقد غصت قاعة المحكمة المختلطة بالناس . فكان عدد المحامين من اعضاء
نقابتهم كبيراً وحضر عدد من رجال القانون والسياسة وجمهور كبير من الطبقات العليا
وافراد من جميع اوساط الشعب وكان بين الحاضرين عدد قليل، نسبة، من السيدات
بعضهن كن يتهاسن بالفرنسية . ولما صارت الساعة التاسعة والنصف كانت الاروقة
والممرات الملاصقة لقاعة المحكمة المختلطة قد صارت جسماً واحداً مرصوفاً من
الناس .

لم يكن الازدحام في الخارج حول دار القضاء اقل من داخلها مع ان المجال اوسع
كثيراً . هناك كانت جماهير من الشبان الآتين من كل حذب وجهة يدفعهم دافع يعونه
ولا يعونه .

كانت اشكال الناس المتجمهرين، حسب روحيتهم، كثيرة . كان هنالك كثيرون
جاؤوا ليحضروا مشهداً قد يكون في غرابته لذّة . وبعضهم جاؤوا لينظروا الى فثة من
« الاغرار » تحاول القيام بامور لاتعرف عواقبها الوخيمة عليها وهي تمثل الآن امام

المحكمة لتنال جزاء جهلها وغرورها وغلطها في تقدير قوتها وقوة السلطة القائمة في البلاد! والبعض الآخر من الناس جاؤوا لانه لم يكن لهم عمل هام يقومون به . ولم يكن قليلا عدد الطفيليين .

اما القوميون الاجتماعيون فكثيرون منهم اتوا ليكونوا قرب زعيمهم في هذا الموقف الرهيب ، جاؤوا ليهتفوا له وللقضية التي اوجدها ، مها كان من امر المحكمة ومن نتيجة المحاكمة . ومنهم من اتى « ليرى ما سيحدث » والذين ايقنوا منهم بوخامة العقاب والهلاك لم يأتوا ، بل ذهبوا في وجهات اخرى يطلبون الخمول والسلامة . وعدد قليل من الرفقاء مدرك واع اتى يملأ نفسه ايمانا عظيماً بزعيمة وقضيته ، هذا العدد اتى دار القضاء كما كان يأتي قبل السجن الى مقر الزعيم ، يطلب تعاليم الزعيم وحكمته . هذا الفريق اتى واثقا ان زعيمه في المحكمة لن يكون غير زعيمه في المجامع الاخرى .

وباكرًا في صباح هذا اليوم التاريخي جيء بالزعيم من السجن في سيارة نقل الاشقياء والمجرمين وجيء معه بالرفيقيين الوحيدين اللذين ابقيا موقوفين معه وهما رئيس مجلس العمدة وعميد الداخلية نعمة ثابت وعميد الدفاع زكي النقاش ، ناظر كلية المقاصد الخيرية الاسلامية واستاذ التاريخ فيها . وكان الثلاثة مخلوقى شعر الرؤوس على عادة سجن المجرمين . وادخلوا قاعة المحكمة حالما فتحت ابوابها فكانوا اول الداخلين اليها بعد المستخدمين البسطاء المنوط بهم ترتيب القاعة . واخذت لهم صورة وقد وقف خلفهم جنديان من جنود المحافظة في السجن . وكانت المراكز التي اتخذوها على مقاعد خاصة بالمتهمين الموقوفين .

ثم اخذ الناس يتواردون وحدانا ثم زرافات ، وبين القادمين كان رفقاء متهمون اطلق سراحهم بكفالة مالية ورفقاء غير متهمين اتوا ليكونوا « حاضرين » وبسرعة امتلأ المكان وصار الوقوف اكثر من القعود . وكثيرون لم يكونوا يعرفون الزعيم وكثر الهمس بينهم على من يكون الزعيم . وكثيرون بقوا في حيرتهم وتساؤلهم الى ان اطلت هيئة المحكمة بملابسها المهيبة فوقف الناس .

امام رئيس المحكمة صحائف مكدسة من اوراق الحزب المصادرة بينها نسخة من خطاب الزعيم في اول يونيو 1935 ، ومن تقارير قاضي التحقيق والمدعي العام . رفع الرئيس رأسه عن الاوراق ، وقد امسك بيده بعضها ونادى : انطوان سعادة!

لم يجب احد فكرر المناداة : انطوان سعادة! فلم يكن جواب . وصار الناس يتلفتون

ويتساءلون. والذين كانوا يعرفون الزعيم صاروا يوجهون اليه نظراً فاحصاً او حائراً، ولعل البعض ظن ان الرجل احاق بقلب الزعيم فخارت عزيمته وعقل لسانه. والتفت المحاميان فرنجية وابو شهلا الى الزعيم وقالوا له: «الرئيس يناديك». فاجاب الزعيم بهدوء تام: «لم اسمع الرئيس يذكر اسمي». ولاحظ الرئيس حديث الاستاذين مع الزعيم فسأل مستوضحاً فاجابه الاستاذ ابي شهلا: «انه المقصود بالمناداة حاضر ولكن لا يجيب لانه يقول انه لم يناد باسمه».

فسأل الرئيس: «ما اسمه؟» فقال الزعيم لمحامييه ليبلغا الرئيس «اسمي انطون سعاده». فنظر الرئيس في وجه الزعيم الهادي ثم امر الكاتب بتصحيح الاسم وصدرت المناداة من جديد: انطون سعاده! فنهض الزعيم واجاب: «حاضر» وشخصت الابصار الى هذا الفتى الذي فرض شخصيته وطريقة تفكيره على المحكمة منذ اول احتكاك بينه وبينها.

فسأل الرئيس الزعيم: «هل تفهم الفرنسية؟» فأجاب الزعيم «نعم» فاخذ الرئيس يشرح قضية الحزب بالاستناد الى التقارير والوثائق التي بين يديه. خلاصة شرح الرئيس انه قد اكتشف امر الحزب السوري القومي وتبين انه يعمل سرا لامور ثورية ولتغيير شكل الحكم في البلاد وتعريض سلامة الوطن ومنع اعضاء الدولة في لبنان من ممارسة حقوقهم المدنية وانه يحرص على كره الفرنسيين مستشهدا على ذلك بكتاب مرسل من الرفيق جورج حريكة الذي كان طالباً في الهندسة الزراعية في كلية تولوز، فرنسا، الى الزعيم. وزاد الرئيس ان الثورة كانت تنهياً بدليل الخرائط وتدابير التشكيلات الحزبية البديعة التنظيم ولكن اعوز الحزب المال لتحقيق اغراضه. ولسد هذه الحاجة قرر الزعيم انشاء «الشركة التجارية السورية» التي صودرت اوراقها من مكتبها الكبير في شارع فوش.

وخص الرئيس نظام الحزب وتشكيلاته بدراسة مستفيضة. فقال ان ترتيب التدرج من المديرات الى المنفذيات الى العمدة الى الزعيم هو ترتيب هرمي الشكل وانه مبني على رأي المفكر السياسي الفرنسي «سياس» وبهذا التحليل اراد الرئيس ان يزيل عن الحزب كل فكرة ابتكار اصلي وان يرد اصول تفكيره الى مصدر فرنسي. اما تشكيلاته وطريقة التنفيذ الحزبية فقال انها من ادق واكمل ما عرفه حتى اليوم. ورجح الرئيس انها منقولة او مستمدة من انظمة نشأت حديثاً في اوروبا.

وختم الرئيس شرحه بتوكيد التهم على الزعيم بتأسيس الحزب والعمل سراً ضد

القوانين النافذة. وبالقائه الخطب وعقد الاجتماعات السرية وبانه الباعث والمحرك الاول المسؤول عن جميع هذه الاتجاهات الرامية الى توليد كره للمفوضين الفرنسيين وتغيير شكل الحكم وتعريض وحدة الارض وتعطيل حقوق اعضاء الدولة المدنية وغير ذلك. ثم قال انه للزعيم الآن حق الكلام والدفاع عن نفسه ولكنه يرغب اليه والى جميع المتهمين ان لا يحوّلوا المحكمة الى منصة خطب اهاجة وتعريض وان يقتصروا كلامهم في الوجهة القانونية المشتملة عليها الدعوى.

كان الرئيس في اثناء شرحه الطويل يسأل الزعيم بين الفينة والفينة هل يتبع الشرح وكان الزعيم يجيب بالايجاب. ولما رأى الزعيم ان الشرح يطول ويتناول نقاطاً متعددة اشار الى الاستاذ حميد فرنجية الذي كان واقفاً بالقرب منه الى جانب الخطار، ان يعطيه ورقة فلم يفهم المحامي اشارته فاكب الزعيم بسرعة من فوق الخطار ومد يده وانتزع من دفتر الاستاذ فرنجية عدة اوراق اخذ يدون عليها ملاحظاته على شرح رئيس المحكمة.

لما فرغ الرئيس من شرحه وتهمه وجاء دور دفاع الزعيم عن نفسه وحزبه سأل الرئيس الزعيم هل يريد التكلم بالفرنسية فأجاب الزعيم انه سيتكلم باللغة القومية. فطلب اليه الرئيس ان يتكلم باللغة الفرنسية لانه يحسنها. فقال الزعيم ان الموضوع دقيق وتمكنه من لغته القومية يجعله اقدر على التعبير عن رأيه بدقة ارتجالاً فالح الرئيس على الزعيم ان يتكلم بالفرنسية فاجابه الزعيم ذلك الجواب الذي هز المحكمة والجمهور وتجاوب صدهاء في طول سورية وعرضها. « حضرة الرئيس، اني سوري وفي بلادي واني اقود حركة تحريرية ترمي الى اقامة السيادة القومية وجعلها مطلقة فلست اقبل ان احمل على الكلام في بلادي بغير لغتي ».

كانت عبارة الزعيم صريحة، قاطعة فلم يسع الرئيس الا القبول. وعلى الاثر جرى شبه مفاوضة بين الزعيم والرئيس كان الاستاذ ابي شهلا المترجم فيها للاتفاق على كيفية ترجمة كلام الزعيم الى الفرنسية وفي الاخير تقرر ان يتكلم الزعيم وان يتولى الترجمة كاتب المحكمة وان تكون الترجمة بعد كل جملة او عبارة تامة المعنى. انها طريقة سقيمة تعرقل الخطاب ولكن لم يكن بد منها اذا كان يجب اظهار قضية الحزب السوري القومي الاجتماعي تجاه التهم وشروح القضاء الاجنبي.

الدفاع التاريخي

ان دفاع الزعيم التاريخي منشور في الاثار الكاملة الجزء الثاني ولكني سأذكر العناوين الاساسية للردود على التهم المنسوبة وهي: تأسيس الحزب وصفته السرية . تعطيل وحدة سورية الجغرافية . تغيير شكل الحكم: استقلال التفكير القومي . الحقوق المدنية والسياسية . نفي مبدأ كره الاجنبي . البواعث على ايجاد الحزب . الوقاية من المشاغبات . تشجيع تنوع المزايا . السلاح والفدائية . الحزب ضد الدعاوات الاجنبية .

ولا بأس من ايراد بعض الانطباعات التي تكونت لدي من حضوري هذه المحاكمة التي تعبر في الوقت نفسه عن الانطباعات التي تكونت لدى الكثير من رفقائي وبعض الملاحظات التي لم ترد في الصحف التي نقلت منها وصف المحاكمة ومنها وصف الزعيم .

« جئت بيروت لاحضر جلسات المحاكمة ... كنا نتصل بكل من تقع عيننا عليه من القوميين الاجتماعيين او المسؤولين او المحامين ولكن دون جدوى . الكل يشير بانتظار نتيجة ما سيجري في هذا المحاكمة .

الباحة تعج بالوافدين . قاعة المحكمة لا تتسع لمزيد . تحولت الى كتلة لحمية من البشر . تشرئب باعناقها لتراه . لتلقي عليه نظرة ، لتشاهده فتشاهد تأثير المحاكمة عليه ولكن ... كيف السبيل الى ذلك .

حاولت ان اتغلغل ، فشلت . حاولت ان استخدم طول قامتي وتمغيظها ما استطعت الى ذلك سبيلا . نجحت جزئياً . استطعت رؤية رأسه واحدى كتفيه . كلامه غير مسموع كفاية مع ان الصمت كان يرين على الاجواء . ومع ذلك لست ادري ما الذي كان يجعلني مسمراً في مكاني . كل ما سمعته منه ومن الواقفين ازائي ان رئيس المحكمة ناداه باسم انطوان فلم يجب وعند سؤاله عن السبب اجاب انه اسمه انطون في العربية وهو يود ان يتكلم لغته لا اللغة الفرنسية .

كل ما افدته من هذا الموقف اني رأيت يده تمتد الى شريط كهربائي قريب منه ، معلق في طرفه لمبة تهتز . فيمسكها لتهداً ولم اعد اذكر ان كانت يده هي التي مستها فحركتها فاعاد اليها السكون . وقلت بيني وبين نفسي « انه لشخص مالك نفسه ، متملك من اعصابه » . وزيادة على ذلك اضيف ما انبأتني الذاكرة به الآن انه صوب كلمة اخطأ الترجمان في ترجمتها فنال اعجاب الحاضرين لدقته وتأنيه .

كل ما استخلصته قبل صدور الحكم من عدد من المحامين ان الزعيم ما كان في حاجة اليهم فقد دافع عن نفسه خير دفاع وكان على مستوى الزعامة . حقاً انه زعيم .

الاهم من كل هذا بنظري ، ان الزعيم اثلج صدورنا بموقفه لا للدفاع عن نفسه بل للذود عن امته . دافع من موقف الهجوم بشن حملة على التقسيم ومعاهدة سايكس - بيكو وهاجم من انتهك حرمة ارضنا في سان ريمو وسيفر ولوزان . واتصفت كلمته بالجرأة والعالم فأدهش الجميع برباطة جأشه ومقدرته .

نعم ، خرج انطون سعادة « الاستاذ » من هذه المحاكمة التي استمرت اربعة ايام منتصراً انتصارين كبيرين : الاول ، ثبت عامل الحياة في النهضة السورية القومية الاجتماعية واطلقها لتتبوأ مركزها في الوجود . والثاني ، ثبت في نفوس اعضاء الحزب ثقتهم به . انه الزعيم الذي يسلم اليه المصير . لم يعد « الاستاذ » كما نلقبه بل صار الزعيم . لم يصبح زعيماً بموجب اليمين الذي اقسمت . صار الزعيم عن حق وحقيق .

وانقل ايضا ما كتبه الرفيق ويكتور اسعد عن موقف الزعيم في المحاكمة وذلك في العدد الخاص باول اذار من جريدة البناء سنة 1957 : « لا يزال في روع المواطنين قبل القوميين الاجتماعيين موقف الزعيم في المحاكمة . لقد كنا كلنا نتلهف ان يسمح للزعيم بالكلام وقد فعل الفرنسيون ذلك فاستحقوا اعترافاً بنزاهة عدالتهم .

في ذلك اليوم شعر كل مواطن من اقصى الوطن الى اقصاه برعشة اعتزاز صادقة تهز نفسه هذا . ولكن منذ تلك اللحظة ايضاً اعلن اعداء الامة حربهم الضروس على الحركة القومية . وقال النائب العام للمحكمة « اسحقوا رأس الافعى » وفي قوله كان يمثل جميع المصالح العدوة التي ظلت ملاحقة سعادته حتى تمكنت منه اخيراً ولكن بايد اثيمة من ابناء امته التي احب .

ما اشد ما كان اعتزازنا نحن به في تلك اللحظة وما اعظمه في وقفة العز تلك ! « ... اني متهم بخرق حدود بلادي ، فأقول ان حرمة حدود بلادي قد انتهكت في معاهدات سيكس - بيكو وسيفر ولوزان » ان مهمة الانتداب هي ان تساعدنا لكي نرتقي . ومهمتنا اذن ، هي ان نسهل مهمة الانتداب وذلك بالارتقاء بانفسنا .

كنا نكاد نرقص في قفص الاتهام اعجاباً وتحية واعتزازا ومن منا يذكر هذه الساعة ولا تطفر الدموع من عينيه ؟ يقال ان سعادة ترك لحزبه قضية ونظاماً - لقد ترك سعادته للامة كلها تاريخاً مجيداً حافلاً بمواقف البطولة التي تشرف كل من

سينتمي الى الوطن الذي انجب سعادته» .

★ ★ ★

وإني انقل عن جريدة النهار، العدد 734 ، في تاريخ 24 كانون الثاني 1936 متابعة محاكمة الحزب السوري القومي الاجتماعي التي تناولت اعضاء الحزب من مسؤولين مركزيين او اعضاء عاديين بعد ان نشرنا وصفا مفصلاً للجلسة الاولى التي عقدتها المحكمة المختلطة في هذا الصدد .

قالت النهار تحت عنوان: « استجواب اعضاء الحزب السوري امام المحكمة المختلطة . تنظيمات الحزب لم تحقق كلها ، والحزب نفسه عبارة عن مشروع» .

« والاستجواب مظهر اخر من مظاهر النظام والقوة والعقيدة . فكل منهم يناقش الآخر بالاقرار ويريد ان يتحمل شيئاً من اعباء المسؤولية ولكنهم في نزاحهم لم ينسوا انهم متحدون بالغاية والهدف فلم يناقض احدهم الاخر . اما الزعيم فهو هاديء ساكن يعود اليه رئيس المحكمة فيسأله عن قضايا هامة ، ويتلقى اجوبة صريحة لا تترك مجالاً للشك انه يريد ان يحتفظ بالمسؤولية مهما كان نوعها ويخشى ان ينتقل جزء منها الى كتف شاب من اعضاء حزبه .

وراع المستمعين ما شهدوه من وحدة في الرأي واتفاق على الكلام . فكل منهم ساكن يلقي الاجوبة بهدوء ممزوج بشيء كثير من توقد الذهن وحدة الذكاء . ولاغرو فهم شباب تتقفوا في احسن الجامعات وهضموا مبادئ ثقافتهم الاجتماعية فلم تكن المحاكمة سوى فرصة انتهزوها ليظهروا قوتهم الكامنة في زوايا نفوسهم الشابة الناضجة .

سعادته والشركة التجارية

تركنا الزعيم امس يلقي خطابه . وفي الساعة الثالثة بعد الظهر استأنفت المحكمة عملها فاصغت الى ترجمة الخطاب ، ثم بدأ الرئيس يستجوب السيد انطون سعادته فسأله عن معنى ما جاء في المفكرة نمرة 2 بشأن السرجان والليوتنان؟

سعادته - لقد قلت سابقاً ان هذه النقاط وردت في اقتراحات بعض الشبان فوضعها موضع الدرس ولم اتخذ اي اجراءات عملية بصدددها .

الرئيس - ومن هو الليوتنان العسكري وما علاقته بالحزب؟

ج - ذكر لي بعض الاعضاء ان من المستحسن في حالة الاقدام على تنفيذ المشروع استشارة اصحاب الخبرة في الموضوع، فجاه ماذكر ولكنه لم يحدث اكثر من ذلك.

س - ما هي علاقة الحزب بالشركة السورية التجارية وهل تعترفون بها؟

ج - لا انكر ان للحزب علاقة ادبية قوية بالشركة، فهي انبثقت من احد اعضائه وصاحب الفكرة يستطيع ان يشرحها لكم احسن مني. وكل ما استطاع قوله هو ان الحزب يساعد كل مشروع يرمي الى تنمية الاقتصاد والانتاج في البلاد. وقد اقتصرتم مهمتنا على تشجيعها لانه يمكن للخارجين عن الحزب ان ينتسبوا اليها فهي ليست للحزب وحده.

وتحول الرئيس الى استجواب السيد نعمة ثابت وهو فتى في ميعة العمر شغل وظيفة عميد الداخلية.

س - هل اشتركت بوضع القانون الاساسي؟

ج - لقد اقترحت بعض الاقتراحات ولكني لم اكتب شيئاً بيدي انما ابدت رأبي في قضية الاجتماعات.

س - هل قرأت النظام الاساسي؟

ج - نعم، قرأت ذلك ولم استغرب من مواده شيئاً ثقة مني انها وضعت لتشجيع الروح والفضائل العسكرية، ولا صلة لها بالتآمر على انشاء قوى عسكرية.

س - وما قولك بالدعوة الى السلاح؟

ج - لم يكن هنالك سلاح فهي دعوة للرياضة البدنية فقط.

س - ما قولك وانت عميد الداخلية بالملاحظة الواردة في تقرير منك عن قضية الاعداد؟

ج - هذه ملاحظة كتبتها بعد حديث جرى بيني وبين الاستاذ قبرصي بهذا الصدد، واذكر انني قلت له آنذاك انه لا توجد في انكلترا قوانين ادارية كالقوانين والنظم الفرنسية. على كل فاني نسيت ماورد في التقرير. فهل بامكاني ان اراه؟ (يرى التقرير ثم يقول انها مجرد فكرة فقط بدليل وجود فاصل بينها وبين التقرير نفسه).

- س - هل عرفت بتأسيس الشركة التجارية السورية؟
- ج - كانت معرفتي بها قليلة جدا لان الشركة لا تدخل ضمن نطاق عملي . ونحن لم نبحثها في جلسات المجلس .
- س - هل عرفت برسالة الايوي؟
- ج - نعم وقد وافقت على ما جاء فيها غير انه عمل شخصي لا علاقة له بالحزب .
- س - كنت عاملاً نشيطاً في الحزب . يشير الى جهودك تقرير عميد الاذاعة وانك جمعت في منزلك ... (ثابت مقاطعاً) هذا عزيز ثابت .
- الرئيس - وانت ثابت ايضاً .
- ثابت - نعم، ولكني من غير ثابت تقرير الاستاذ قبرصي ، فذلك عزيز ثابت وانا نعمة ثابت .
- فضحك الرئيس واكتفى بهذه الملاحظة .

عميد الاذاعة

- وقبل ان يتدءى الرئيس باستجواب عبد الله قبرصي قال انه يأسف بان يستجوب محامياً كان يود ان يراه في مقاعد الدفاع لا في قفص الاتهام .
- س - لقد لعبت دوراً كبيراً فعينوك عميداً للاذاعة ووافقت على وزارة الحربية .
- ج - نعم وافقت اعتقاداً مني انها حركة رياضية .
- س - هل تركت الحزب في الصيف الماضي؟

ج - لم انفصل عنه ولكني خطبت وقد انتهت الخطبة بزواجي (ضحك) فاضطرت للاهتمام بشؤوني الخاصة . قال لكم الزعيم ان القواعد الاساسية منه ، اما الانظمة الداخلية فقد عهد الي بها بصفتي من رجال القانون وكان الزعيم يصلحها كما يريد . وقد فكرت بوضع مشروع نقابة الاحذية بعد اضرابهم في العام الماضي على ان يكون لهم حق الانتساب الى الحزب . غير انني قطعت المفاوضات معهم عندما بلغني ان الحكومة لم تعترف بهم . وكان السيد جورج حكيم على صلة مع عمال الاحذية لانه اخصائي في الموضوع . اقول ذلك في سبيل اعلان الحقيقة لا تهرباً من المسؤولية .

لقد كان حزبنا سريراً فلم يكن من المستطاع الجهر بشيء منه ، اننا لم نكره احداً على

الانتساب الينا، فنحمله على اعتناق مبادئنا عن طريق الاقناع فقط. اما قضية الفرق الفدائية وصيانة الحزب فهي محض خيالية وعبارة عن محاولة، هدفنا فيها القاء الوهم في نفوس الاعضاء فيحافظون على السر. ولم نرم في الحربية الى اكثر من انشاء ناد للرياضة البدنية وقد فشلت هذه النظرية وياللاسف. وامامكم التحقيق واوراقه، فاذا كنتم تجدون عملاً واحداً يتعلق بالحربية فارسلونا الى المشنقة!...

س - كيف كان موقف الحزب خلال قضية المونوبول؟

ج - ان اساس مبادئنا فصل السلطات الزمنية عن السلطات الروحية. فلما توجه بعض الاعضاء الى بكركي على عهد حملة المونوبول، قلنا للاعضاء ان يتقيدوا بمبادئ الحزب فيقلعوا عن التدخل في الحملة على الاحتكار. اما لجنة الخارجية فقد كانت بعهدة الزعيم وكنت اسجل التقرير الذي يرسل الي فقط. ولم نستطع ان نمثل الروايات الوطنية لصعوبات قانونية. اما الشركة التجارية فقد تألفت خلال تنغيبي عن الحزب.

عميد الحربية

واجاب السيد زكي نقاش انه عميد للحربية ولكنه ليس حربياً. فهو استاذ منذ 13 سنة وهذه الصفة فهو صديق النظام، عامل على المحافظة عليه. وذلك ما جعل الزعيم يعهد اليه بهذه المهمة الرياضية وانه كان عليه ان يصلح التقرير فوصل متأخراً ولم يكن له شرف الاشتراك بوضع اي مشروع.

الرئيس: هل انت استاذ ومراقب وعميد حربية؟ فاما ان تكون هذه الامور « ولدنة » او شيئاً آخر؟

ج - للحربية اهمية كلامية والاحداث يتأثرون بلفظة الحرب فاتيناهاهم بها لنجعلهم يهتمون بالرياضة.

س - هل تعرف شيئاً عن جمع السلاح؟

ج - لا...

الرئيس: هوذا قائد لا يعرف شيئاً عن الحرب.

مستشار المالية والمحاسب

وقال جورج حداد انه كان منفذاً لبيروت وظل منفذاً وانه كان امين صندوقه لا « صندوقي » ولكنه شغل وظيفة المنفذية العامة في بيروت بعد شغورها. وقد درس الهندسة في الجامعة الاميركانية ولا يفهم اصول مسك الدفاتر.

س - هل تعرف حسابات؟

ج - ايوه بحسب عال (ضحك)

س - كيف كنت تقبض الوارد وماذا فعلت به؟

ج - الحاسبون في المديرية يقبضون ويسلمون للصندوق، وكانت المقبوضات زهيدة على عهدي فلم يزد ما قبضته بالشهر الواحد عن عشرين ليرة سورية.

واجاب السيد جورج حكيم الاستاذ في الجامعة الاميركانية انه درس اصول المالية ودخل في الحزب في شباط 1935 وتعين في المالية بعد اسبوعين. وقد عرف بالقانون الاساسي واطلع على المواد المتعلقة بالمالية وان مهمته اقتصرت على وضع برنامج للسياسة المالية يصلح ان يكون برنامج حزب سياسي. وانه طلب الى الزعيم اعفاءه من العمل لأن اعماله كاستاذ في الجامعة لا تمكنه من متابعة عمله في الحزب.

مؤسس الشركة التجارية

واجاب فؤاد مفرج مؤسس الشركة التجارية انه عاد من اميركا بعد غياب طويل فاجتمع الى السيد سعادة وتحدثا معا عن شؤون البلاد الاقتصادية والسياسية. وكان يعتقد ان حالة البلاد غير مرضية وانها لم تكن كما كان ينتظر. وقد ادرك زعيم الحزب قصده فاعلمه عن مبادئ الحزب فوافق عليها واشترك به.

س - تقول في الاستنتاج انك الفت شركة مع روفائيل ابي جوده ومأمون اياس

ومحمد القاضي؟

ج - لقد امتنع الدحاح (مفتش في الامن العام) عن تسجيل كل ماقلته في الاستنتاج وقد نبهته مراراً الى ذلك فانا دخلت الشركة ولم اولفها فالشركة لم تكن من فكري.

رسالة الايوي

واجاب الامير اسعد الايوي انه كان صحفياً في طرابلس ودخل الشرطة منذ 7 سنوات وانه كان عضواً في الحزب لا منفذاً عاماً لبيروت.

س - وما معنى هذا المرسوم الصادر بتعيينك؟

سعادته - لقد عينته بدون علمه وبعد ان اكد لي السيد فؤاد مفرج انه يقبل، فصدر المرسوم مؤقتاً ومعلقاً على قبوله حتى اذا لم يقبل عد المرسوم لغوا.

س - وما علاقة رسالتك بمفرج؟

الايوبي - هذا كتاب وضعته عام 1922 وكنت ارجو رجاً من وراء طبعه .
وعندما قال عن الانتداب انه غير جائز شرعاً قصد تحقيق قول الحلفاء عن الانتداب
انه صيغة مؤقتة، وان الانتداب نظام وليد الحرب العامة فلم يكن معروفاً في عالم
الاستعمار قبل الحرب .

اياس واسعد

واجاب مأمون اياس انه لم يعرف من النظام غير المواد المتعلقة بالداخلية لأن
الباقي ليس من اختصاصه وانه كان مساعداً مع مفرج في الشركة ولم يدفع راسمالاً .
وان قضية قيمصه الزرقاء التي ورد ذكرها في كتاب عشر عليه التحقيق هي شخصية
جاء بها من فلسطين .

واجاب ويكتور اسعد انه كان سكرتيراً بالمالية ثم عين سكرتيراً لفحص اوراق
طالبي الدخول . وكان معه دفتر قديم للمقبوضات وان السكرتير لا يشتغل بالحسابات
وانه ابتاع نسخة « الرسالة » التي وجدت في حوزته من شخص لا يذكر اسمه .

س - لماذا وقع بينك وبين رفعت زنتوت خلاف .

ج - نظام الحزب يوجب تأدية التحية والسيد زنتوت تمنع عن العمل بموجب
النظام فرفعت الامر الى الزعيم .

المحامي ابو شهلا - كيف تناولت رسالة الايوبي في مركز الحزب؟

ج - لا اذكر قد تكون على سبيل الاعارة او انني اشتريتها من احد اصدقائي .

ابو شهلا - الدفاع يريد جلاء هذه النقطة ومعرفة ما اذا كان الكتاب يوزع
بواسطة الحزب ام بصفة شخصية . والمتهم قال في الاستنطاق انه لم يدفع ثمن الكتاب .

ج - لا اذكر ابداً . . . وقد يكون الابهام ناتجاً عن السؤال في الاستنطاق لاني
اجهل الفرنسية .

روبير ابيلا

واجاب السيد روبر ابيلا انه عضو في لجنة للاذاعة وانه رفع استقالته شفويّاً الى
الزعيم بعد سوء التفاهم الذي وقع بين الزعيم والسيد شارل سعد، فلم تسجل استقالته
ولولا ذلك لما دخل السجن وانه كان على صلة مستمرة مع الزعيم قبل الخلاف وان
اللجنة اجتمعت في المقاهي واحياناً في مكاتب بعض الاعضاء وان الحزب لم يعقد

اجتماعاً عاماً .

الدفاع - هل كانت هذه الاجتماعات بالصدفة كما يجتمع الادباء على كاس عرق في الحانات ام انها كانت بدعوات خاصة ؟

ج - كان هنالك تفاهم عام بيننا فكنا نجتمع دون دعوة احياناً في اول السهرة و احياناً بعد السينما .

الاستاذ صلاح لبكي

وقبل أن يبدأ الرئيس باستجواب المحامي صلاح لبكي كرر اسفه ثم قال: هل كنت تجهل القانون ؟

ج - نعم، واقسمت يميناً على قانون اجهله ولكني اعرف مبادئه الاساسية واهدافه الاجتماعية .

واجاب انه حضر اجتماعين للجنة الاذاعية وان عدد اعضائها 13 وانه لم يحضر اجتماعاً عاماً، وانه اقبل من لجنة الاذاعة لمخالفته القانون الداخلي وتخلفه عن حضور جلساتها . وانه عهد اليه بوضع تقرير عام عن الحزب فلم يفعل فقام بالمهمة سواء وانه في قوله بالوحدة السورية يسعى الى تحقيقها بوسائل سلمية دولية .

الاستاذ عمون - اسأل الاستاذ قبرصي لماذا اقال الاستاذ لبكي من لجنة الاذاعة .

قبرصي - لانه لم يعمل فيها واللجنة بمجموعها لم تعمل فكانت عبارة عن مشروع .

الرئيس - الغريب ان كل شيء لم يعمل في هذا الحزب .

قبرصي - الحزب كله عبارة عن مشروع فاذا كنتم تجدون غير المشروع فاعدمونا رمية بالرصاص . لقد عينت اللبكي بالاذاعة ولكن اللجنة كلها بما فيها الاستاذ لبكي لم تعمل فاقلتها كما انني انا لم اقم بعمل ايضاً .

الاستاذ عمون - ماذا كان يفعل المرحوم والدك، يا استاذ لبكي ؟

ج - كان رئيساً للمجلس النيابي اللبناني .

عمون - وقبل الحرب ؟

اللبكي - كان مديراً في بسكنتنا عندما صودرت الاوراق من قنصلية فرنسا، فنفاه الاتراك ولكنه صعد الى الجبال وظل رجال الدرك يطاردونه .

وكانت الذكرى قد اثرت في نفس الاستاذ صلاح فدمعت عيناه وتوقف عن

الكلام بعد ان رجا الاستاذ عمون ان يتوقف عن اسئلته هذه .

الرئيس - ان المحكمة تحترم عواطف الاستاذ وترسل تحية زكية لروح والده .

سعاده يشرح القانون

وقال عمر اللبان انه تعين في الحزب ولم يقسم يميناً وانه لم يوافق ابدأ على الدخول بالحزب . وقال السيد منح رأسي انه دخل في الحزب وبلجنة الاذاعة بواسطة الاستاذ قبرصي وانه اقسم اليمين وانه لا يعرف القانون .

سعاده - لم تكن معرفة القانون شرطاً اساسياً يتوجب على كل طالب دخول، لعدم وجود نسخ كافية، لكنه كان من الضروري ان يعرف كل عضو المبادئ العامة ولا سيما المبدأ النضالي ويوافق عليه .

الراسي - لقد دخلت حزباً اهدافه اجتماعية وكنت اعتقد ان سرينته مؤقتة وانه سيرز بشكل يرضي الحكومة والشعب وعينت بالاذاعة فلم تدع لي اشغالي التجارية فرصة للعمل فطلبت الى العميد اعفائي فأجابني انه سيقبل اللجنته كلها . فأكتفيت بكلامه وانقطعت عن حضور الجلسات بعد ان شهدت جلستين في مقهى من مقاهي المدينة .

لم اضعهما في تابوت والدي

وقال فؤاد خوري انه استقال من المالية . سواء وجدوا استقالته ام لا ... وانه اطلع على المبادئ العامة الاساسية ولم يعرف بالمليشيات لانها ليست من اختصاصه وان الزعيم وضع عنده لائحة باسماء الاعضاء لثقتة الشخصية به، وانه وقع على بطاقة في الامن العام ووقع بجانبه احد الموظفين (وقد بحثت المحكمة عن هذا البطاقة)، وانه لم يطلع على كتاب رفيق الحلبي الذي يقول فيه انه سيدخل 200 عضو في الحزب، وانه لم يحضر اجتماعات المالية فهو سكرتير يوقع على الدفاتر بعد ان تصل اليه .

واجاب جورج صليبي انه طالب طب في الجامعة الاميركية كان يزور صديقه جورج حداد في منزله، حتى اذا ما اراد مبارحة المنزل وكلفه صديقه بنقل كتاب او وصية الى رأس بيروت فعل ذلك على سبيل الصداقة . وانه لم يكن مديراً لفرع الجامعة .

الرئيس - هل انت صاحب المسدسين ؟ (واظهرتها الرئاسة) .

ج - لا ...

الرئيس - لقد وجدتهما التحقيق في منزلك .

ج - كانا للمرحوم والدي فلما مات نسيت ان اضعهما معه في تابوته .

النيابة - انت ياسعاده! صريح فما هي وظيفة جورج صليبي ؟

سعاده - كان السيد جورج صليبي يستخدم حسب الظروف . والشيء الوحيد الذي قام به هو نقله الرسائل بين المركز في رأس بيروت والمدينة . وقد فكرت بتعيينه مديراً غير ان دروسه لم تسمح بذلك .

واستأنفت المحكمة جلستها صباح الجمعة فأجاب محمد النقاش انه كان عضواً في لجنة الاذاعة وابتاع رسالة الايوي . وقال رفعت زنتوت انه كان رئيس الحسابات ولم يكن في الاذاعة . ثم سرد حادثة خلافه مع ويكتور اسعد . واجاب سامي قربان انه ظل عميداً للمالية اسبوعين ولم يتسلم غير 7 ليرات وقال محمود حافظ انه كان في الاذاعة فاقاله الاستاذ قبرصي ، وانهم كانوا يجتمعون عند الاصدقاء وفي المقاهي .

واجاب عفيف فاخوري انه كان المحاسب العام وانه تعلم التجارة في الجامعة الاميركية فهو مقتدر بالحسابات (هنا الرئيس: ضحك) ... وانه كان على اتصال مع سعاده قبل ان يصبح عضواً .

وكرر الرئيس اسفه عندما بدأ باستجواب المحامي عادل عيتاني . فأجاب انه كان مدير ناحية فاستفهم الرئيس من سعاده عن واجبات مدير الناحية ، فقال الزعيم : « على مدير الناحية ان يجمع اعضاء ناحيته فيبلغهم الاوامر ويلاحظ اذا كانت الحسابات صحيحة وعليه ان يهتم بعلاقاتهم مع الحزب .

وافاد الدكتور سميح علم الدين انه كان مديراً في طرابلس يتلقى اوامر الزعيم وينفذها وانه استقال في تشرين الثاني وانه لم يجمع الاعضاء مطلقاً .

واجاب جميل صوايا انه كان في الحزب منذ النشوء ولكنه لم ينل شرف التأسيس لأن في نظام الحزب مادة تقول « ان مؤسس الحزب هو رئيسه » .

وقال ايضاً : « عندما قبلت بالمبادئ كانت اساسية تعليمية ولم تكن مكتوبة اما التدابير التي اتخذت بعد ذلك فهي لمساعدة الفكرة التعليمية . واني لم اشغل في الحزب وظيفه ما ولم اطلع على خفاياه واسراره .

ونادى الرئيس على جوزيف الدبس فتبرم من لفظة جوزيف فهو يفضل ان يدعوه يوسف . واجاب على اسئلة الرئاسة انه كان مديراً لفرع رياق وكان مجتهداً وسيظل

مجتهداً ايضاً ولكنه لم يدخل احداً في الشركة التجارية بل جرب ان يبيع اسهمها وانه لم ير في انظمة الحزب خطراً وهو يجهل عدد الاعضاء في منطقته .

واجاب شفيق الشرتوني انه كان مساعداً طيباً في الجامعة الاميركية وترك العمل منذ عامين ثم عين حارساً في العدلية .

واجاب عادل ماهر ان تعليمه ابتدائي .

الرئيس - لقد اقترحت على الحزب اختراع مدفع خاص بالبحر وآخر للهواء ومدفع بري؟

ج - طلبت الى الحزب ان يقرضني مالا فاكمل اختراعي في اميركا ثم اقدمه للحبشة (ضحك) .

الرئيس - ثم قدمت مشروع اختراع مترليوز ومشروع باكة للاعدام؟

ج - نعم، وكل ذلك في سبيل الحبشة (ضحك) وكنت اريد ان استدين من الحزب لأن الاحباش وعدوني باموال كثيرة ثمناً لاختراعاتي .

الرئيس - هذه « ولدنات » لا اهمية لها وانا انصح، اليك ان تعود الى قريرتك في المختارة وتتابع حياة الهدوء والسكينة .

متابعة المحاكمة

واني انقل عن جريدة الرابطة ختام المحاكمة في قضية الحزب . تاريخ 25 كانون الثاني 1936 مايلي :

قال مندوبنا القضائي: « في الساعة التاسعة والنصف من صباح امس الجمعة تابعت محكمة بداية الجزاء الاجنبية النظر في قضية الحزب السوري القومي، القضية التي اشرفنا اليها في عدد امس وقلنا انها قضية تعميرية لا اثر لكل ما يشاع حولها من انها جمعية ارهابية اتخذتها بعض الدول الاجنبية وسيلة لاجراء مركز الانتداب وجل ما هنالك ان فريقاً من الشبان المفكر رأى بعينه الوقادة ما آلت اليه حالة الامة من يؤس وشقاء والشبيبة بنوع خاص من التخث والميوع فالقوا ذلك الحزب الذي نتابع مشاهدة فصوله على مسرح القضاء .

محاضرة عن اللغة العربية

تابعت المحكمة استماع افادة بقية المتهمين وهم السادة: محمد النقاش، رفعت زنتوت، سامي قربان، محمود حافظ، عفيف فاخوري، عادل عيتاني، سميح علم الدين،

جميل صوايا، يوسف الدبس، شفيق الشرتوني، عادل ماهر وقد خيل الينا ونحن نستمتع لهؤلاء الفتيان اننا في مباراة خطابية او في احد اسواق الادب حتى ان اكثرهم وهم من الطبقة الراقية المثقفة حذوا حذو زعيمهم واضربوا عن التكلم بالفرنسية. وقال احدهم السيد سامي قربان ان لغة البلاد هي اللغة العربية فيجب ان لا يجبروا على التكلم بغيرها كما هي الحالة في مصر فان الدولة الانكليزية هناك لا ترسل الى الوظائف القضائية في المحاكم المختلطة الا كل من تعلم اللغة العربية تعليماً صحيحاً. وقد كان لاعتراض السيد سامي قربان نجل فقيه العلم والادب المرحوم داود قربان ضجة في المحكمة.

واستمعت المحكمة بعد ذلك الى افادة السيد يوسف الدبس فاعترف بانه من الحزب ولكنه امتنع عن الجواب لما سألته المحكمة عن قضية « الخريطة » التي وجدت بين اوراق الحزب لمركز الطيران في الشرق.

مطالعة النيابة العامة

وكان الكلام بعدئذ لممثل النيابة العامة الذي القى مطالعة وان كانت قصيرة فقد تضمنها الشيء الكثير عن القضية وقد قال عن اعضاء الحزب انهم مشاغبون وانهم عصابة تسعى الى قلب الحكم وتغيير شكل الحكومة والدعوة الى الثورة وهدم النظام.

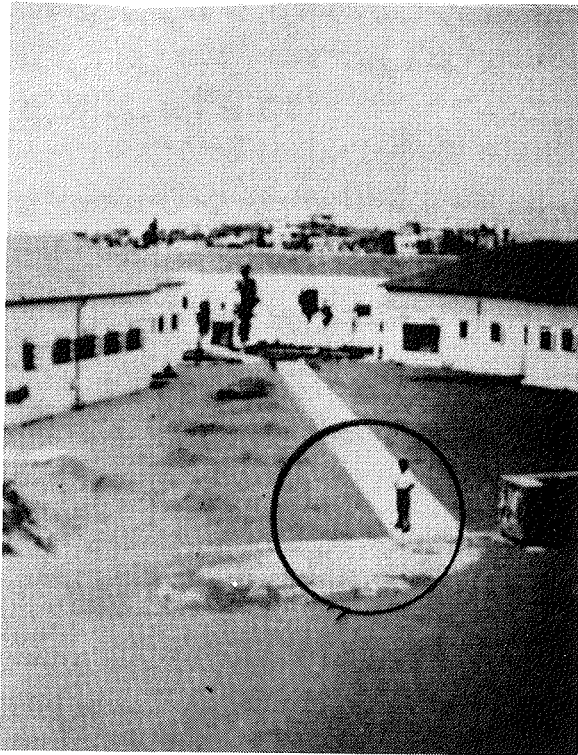
ومما قاله: انا لا اصدق انكم كنتم تجتمعون في المنازل والمقاهي. وقد انشأتم الشركة التجارية وسيلة لاختفاء مراميكم الثورية ونزعאתكم الهدامة وقد كنت اود لو يتسنى لي ان احكم بادانة كل واحد منكم باقصى ما ينص عليه القانون ولكني اترك ذلك لعذل المحكمة.

ولما انتهى المدعي العام من مطالعته وقف وكيل الدفاع الاستاذ النائب حميد فرنجية فالقى دفاعاً مطولاً يقع في عدة صفحات طلب فيها براءة الشبان من التهم الموجهة اليهم وعقبه بعدئذ الاستاذ حبيب ابو شهلا وكانت الساعة قد بلغت الواحدة فأرجئت الجلسة الى ما بعد الظهر.

جلسة بعد الظهر

تابعت محكمة بداية الجزاء الاجنبية في الساعة الثالثة بعد الظهر النظر في قضية الحزب وكانت هذه الجلسة مخصصة لاستماع دفاع المحامين المتطوعين نذكر منهم الاساتذة: اميل لحود، يوسف جرمانوس، عبد الله اليافي، شارل عمون، شفيق ناصيف، ويكتور حكيم، فؤاد الصغير، مختار مخيش. فقد القى كل منهم دفاعاً.

وعندما انتهى المحامون من دفاعهم سأل الرئيس السيد سعادة عما يقوله قبل ختام المحاكمة فوقف وقال اني اسأل المحكمة الكريمة ان لا تجعل القوانين والتدابير



جورج صليبي

الزعيم في سجن الرمل

الارهابية كقانون قمع الجرائم وغيره، فوق القضاء. فقد تعودنا ان نرى القضاة منزهين من كافة الاهواء والمؤثرات وقبل ان تنتهي المحكمة في النظر في قضيتنا هذه للاختلاء امام وجدانها لاعطاء الحكم اطلب منها العدل واني اشكر الرئيس الكرم والمستشارين والنيابة العامة على ما ابذوه من رحابة الصدر والنزاهة والتجرد راجياً ان يكون حكمها العتيد مجرداً نزيهاً مثلها .

وارجئت الجلسة لاعطاء الحكم الى الثلاثاء القادم .

نص الحكم

وانقل عن جريدة « البيروق » تاريخ 29 كانون الثاني 1936 نص الحكم الذي صدر بقضية الحزب السوري القومي الاجتماعي، قال مندوبنا القضائي: « كان صباح امس موعد اصدار الحكم على المتهمين في قضية الحزب السوري القومي، ففي الساعة التاسعة التأم هيئة محكمة بداية الجزاء المختلطة برئاسة موسيو روسيه الذي افتتح الجلسة بقراءة حيثيات الحكم وهي تقع في عدة صفحات كبيرة .

وبعد تلاوتها، تلا صورة الحكم وهي تقضي بسجن انطون سعادة زعيم الحزب مدة

سته اشهر مع غرامة 25 ليرة جزاء نقديا وبسجن كل من السادة نعمة ثابت، عبد الله قبرصي، زكي النقاش، اسعد الايوي، شهراً واحداً مع تأجيل التنفيذ وبجزاء نقدي على كل منهم قدره 25 ليرة .

وبسجن كل من جورج حداد، جورج حكيم، فؤاد مفرج، مأمون اياس، ويكتور اسعد، روبر ابيلا، صلاح لبكي، عمر لبان، منح راسي، فؤاد خوري، جورج صليبي، محمد نقاش، سامي قربان، محمود حافظ، عفيق فاخوري، اسبوعين مع تأجيل التنفيذ .

وبترثة كل من السادة عادل عيتاني، سميح علم الدين، جميل صوايا، يوسف الدبس، شفيق الشرتوني، عادل ماهر، جان جليخ، رفيق الايوي ونجيب الفيكاني .

وقد حضر هذه الجلسة جمهور غفير من المتفرجين ومن اعضاء الحزب . وعندما خرج انطون سعادة في سيارة مصلحة السجون مخفوراً بالجند صاح اتباعه الذين كانوا ينتظرون خارج قصر العدل: الى اللقاء . ولحقوا به الى سجن الرمل على سيارات عديدة وكان عددهم يربو على المئة شاب . وعلى باب سجن الرمل ادوا له التحية ثم انصرفوا الى بيوتهم .

هكذا انتهت قضية الحزب السوري القومي ولاندري ما يكون مصير هذا الحزب في المستقبل . وكان كثيرون يلهجون بالثناء على هيئة المحكمة وسعة صدر رئيسها .

اني اكتفي بهذا القدر عن المحاكمة لانني لم اوفق في كل محاولاتي مع مكاتب المحامين المذكورين الحصول على نصوص او بعض من دفاعهم ان عن الزعيم او عن رفقائه . وذلك لاكمال الصورة وقد يكون السبب تقادم الزمن .

واني انقل بهذه المناسبة تعليق جريدة « الشعلة » المصرية لاعطاء فكرة عما كان يدور في هذه الاوساط . قالت الشعلة: « حكم في سورية اخيراً على عدد كبير من اعضاء الحزب السوري القومي . وكان علم الحزب الذي ضبط في قاعة الاجتماع من اكبر ادلة الاتهام التي اخذت بها المحكمة للشبه الكبير بينه وبين الصليب النازي المعكوف . والصورة المنشورة فوق هذا الكلام تمثل الزعيم انطون سعادة في احد مواقفه الخطابية وقد ظهر العلم خلفه وهي تدل دلالة واضحة على ان شباب الاقطار الشقيقة متقدمة من الوطنية الصادقة الملتزمة . »

التعليقات على الاحكام

اجمعت اقوال المعلقين ان في الصحف او في المنتديات السياسية، ان الاحكام كانت بمنتهى التساهل وهذا صحيح بالرغم من صححات المدعي العام اثناء مطالعته التي تميزت بمنتهى القساوة والتي ما تزال تتردد لدى الذين مروا بهذه المحاكمة ومنهم العميد قبرصي: Frappez les têtes « اضربوا الرؤوس ». هذا وان كان في الاخير ترك الامر لهيئة المحكمة .

هذا من جهة اما من جهة اخرى فاننا اذا القينا نظرة الى المواد القانونية التي استند اليها الحكم لوجدناها تمثل الحد الادنى . فالمادة 12 تقضي بعقوبة الحبس من ستة اشهر الى ثلاث سنوات وبالغرامة النقدية من 25 الى 200 ليرة لبنانية . والحد الادنى يعني التساهل .

وقد تساءلت الاوساط السياسية عن سبب هذا التساهل فانقسمت الى رأيين: واحد يقول ان المسألة لا تستحق من الاهمية اكثر من ذلك والاخر يقول ان حزباً مثقفاً من هذا النوع لا يجوز ان يعامل الا بهذه الروحية، روحية التساهل والعطف والعدل الصحيح .

على كل حال استخلص الدليل على التساهل من موقف الزعيم نفسه من هذا الحكم وذلك بأن رفض استئنافه والدليل الآخر على التساهل في تلبية طلب الزعيم ان يسمح له في البقاء في غرفة الانفراد لينصرف للمطالعة والتأليف .

اما الزعيم فيقول في خطاب اول اذار 1938 مايلى: « بالموقف الذي وقفناه بين دخول السجن والخروج من المحكمة انتصرت روحية الحزب السوري القومي الاجتماعي على عوامل الزمن العتيق وروحيته العديمة الفضائل والمناقب .

بعد المحاكمة وصدور الحكم بالسجن ستة اشهر انصرفت الى تأليف كتابي « نشوء الامم » فاكملته في نحو ثلاثة اشهر بينما كنت اتتبع ما يمكن اعمال الحزب وحالة البلاد .»

واختم الحديث عن المحاكمة بما ورد عنها في خطاب اول اذار 1943 في مدينة كردبا، الارجنتين:

« وكان أول انتصار وأبرز جميع الانتصارات الهامة ذاك الذي أحرزه الحزب السوري القومي الاجتماعي بقوة عقيدته ودقة خطته السياسية على شرع دولتين كبيرتين

اتفقت اغراضها على سحق ارادة الأمة السورية واذلال نفوس ابنائها، أعني قانون الجزء العثماني الجائر والقوانين الجائرة التي سنتها دار المفوضية الفرنسية باسم الانتداب. فقد علمنا، لعظم دهشتنا ونحن موقوفون لدى اكتشاف امر الحزب السوري القومي الاجتماعي، ان المواد التي سنحاک بموجبها في المحكمة المختلطة ليست مقتصرة على مواد مراسيم وقرارات المفوضية الفرنسية الظالمة كمواد القانون المسمى « قانون قمع الجرائم » وغيره من القوانين الجائرة التي تحرم الاجتماعات وحرية الفكر بل تتعداها الى مواد قانون الجزء العثماني، أي قانون الدولة التي كان يتهمها الاوروبيون بالوحشية.

في المحكمة المختلطة انتصرنا على مجموع مواد هذه القوانين الظالمة المتحدة ضدنا واثبتنا حق امتنا في ممارسة حقوق الحرية والمصالح القومية، مها يكن من أمر الثمن الذي دفعناه بسرور وفخر لقاء ذلك.»

ومن دلائل التساهل ما جاء في مستهل كتابه « نشوء الامم »: « يعود الفضل في انجاز تأليف هذا الكتاب الى التسهيلات العملية التي قدمها لي في السجن المعاون الصحي الادجودان كمال الزاهد بتقدير منه. والى العناية التي احاطني بها اصدقائي ورفقائي في الحزب السوري القومي السادة نعمة ثابت، فخري معلوف، زكي نقاش، وجورج حكيم، اذ سهلوا لي الحصول على المستندات واللوازم للعمل.»

وبصدد نشوء الامم يقول الرفيق ويكتور اسعد في العدد الخاص من جريدة البناء سنة 1957 : « بعد المحاكمة انصرف الزعيم الى اكمال كتاب نشوء الامم الذي بدأ باعداده قبل عدة سنوات، وكانت الدروس المؤيدة للنظريات الجديدة الواردة فيه مدونة بشكل منظم في بطاقات صغيرة مع الاشارة الى مراجعها، ولعل تلك البطاقات كانت اغرب مجموعة من نوعها في العالم لانها كانت مأخوذة من المراجع العلمية بلغاتها الاصلية فالزعيم كان يتقن عدا العربية، الالمانية والروسية والانقليزية والبرتغالية، اتقاناً تاماً ويحسن الى جانبها الافرنسية والايتالية والاسبانية.

شاهدته مرة يقرأ بشغف كتاباً المانياً فسألته عن موضوعه فاذا به الانتروبولوجيا - علم جاف في لغة اجف - يتعلق بقباسات الرؤوس ومدلوها السلافي. كان ذلك قبل صدور « نشوء الامم » بثلاث سنوات. كان عمره آنذاك 28 عاماً.

مقال الشاعر القروي في اول شباط 1936 : « انطون ذلك الفتى النجيب الذي يعرفه الوسط السوري السانبولي اذ كان يعاون المرحوم ابيه في تحرير « الجريدة » ولما يكد يجاوز نصف العقد الثاني من عمره النافع الطويل ان شاء الله .

عرفنا الفتى انطون في هذه الحاضرة وهمّة ابعده من سنّه ومراده اكبر من جسمه وكان بعض المتعنتين من الادباء يستثقلون ظله لحشره نفسه بين جماعة المنشئين والكتّاب الناضجين وكان كاتب هذه السطور يناقش عنه لما كان يتوسم فيه من مخايل النجابة التي امهلها الله يمينه حتى صارت شمائل حلوة رائعة تدعو الى الدهشة والاعجاب .
- ان الهلال اذا رأيت نموه ايقنت انه سيصير بدرأً كاملاً -

على ان نفسه الكبيرة ووطنيته العظيمة التي رضعها طفلاً من ثدي امه ومحبرة ابيه لم تقف به عند حد الاكتفاء بمخدمة بلاده عن طريق حشو ادمغة الاحداث بقواعد العلوم الجافة العقيمة كما يفعل اغلب زملائه في كل مدارس البلاد بل حملته على المجازفة بالمنصب والمخاطرة بالحياة في تأسيس حزبه العظيم الذي برز من عالم الغيب الى عالم الشهادة، هذا البروز الخطير الرائع يضم تحت لوائه الوفا من نخبة الشباب الراقي المثقف نساء ورجالا ومن كل المناصب الرفيعة والحرف الشريفة . ولولا خيانة ذلك النذل الساقط الذي يدل اسمه على مسماه ويتبرأ من نسبه الكرم من فعله اللئيم لبلغ الحزب من السطوة والقوة، وهو ماض في عمله الصامت، مبلغاً عجبياً غريباً ولنضج نضوجاً تاماً ينفجر بعده انفجاراً بغيتاً هائلاً يقلب سورية رأساً على عقب، شاقاً القبور، ممزقاً الاكفان، ناشراً المطويين وواهباً الحياة للذين في اللحد .

ان فوز الحزب السوري القومي وانتشاره هذا الانتشار السريع في طول البلاد وعرضها لم يجيء دليلاً على مقدرة الزعيم وحسن بلائه فقط، بل كان برهاناً ناصحاً على ان الشعب اللبناني الذي كنا نحسبه فقد مروءته المعهودة في اسلافه، هذا الشعب الذي عددناه مع الغابرين شعباً ميتاً يهان فلا يشعر بالهوان ويحرج فلا يحس بالالم . هو شعب لا تزال تنبض في عروقه دماء الحياة، وتختلج في صدره عواطف الشمم والاباء وانه كان قطعاً تامهاً لا يفتقر الا لراع صالح يلمّ شمله، والى مجاهد عامل ينظم صفوفه .

فلتحي، يا انطون، يا ابن ابيك العظيم، يا شبل ذلك الاسد الرئبال . وحييت ايتها الوجوه الصباح الحافة بوجوه الزعيم المحبوب كما تحف الاقمار بشمس النهار . اننا عليك ايتها الشبيبة الغضة نعقد الآمال وبك نرجو حسن المآل . حرسك الله من كيد العبيد وصنائع الاستعمار وغدر الخائنين . وابقائك للوطن العزيز القوي بامثالك بقاء طويلاً .»

وفها يلي رسالة الشاعر فرحات .

لاباز - البرازيل، في 11 شباط سنة 1936

عزيزي انطون،

حياك الله، يا انطون! وسدد خطاك وبيّض وجهك يامبتّض وجه الوطن ووجه اخوانك المهاجرين. لقد كان اول ظهورك كبيراً، يا انطون! حتى كأنك الشمس وقد خرقت حرمة النظام الطبيعي اذ بزغت بغتة في منتصف الليل .

لقد حاولت مراراً ان اكتب اليك مهنتاً بهذا العمل العظيم، ولكن كان يصدني جهلي كيف اكتب اليك وباية واسطة، حتى ذهبت اخيراً الى « سان بولو » وسألت اخاك ادوار عن الطريق فدلني، وها انا الآن اقوم بواجب تهنئتك مسروراً . لا حديث في « سان بولو » وفي معظم الاقطار الاميركية الا حديثك، يا اخا المهمم .

واني اؤكد لك، ان اخواتك وكلهم وانا يحسدونك على هذا السجن الشريف الذي ساقك اليه عمك الطيب الممتلىء عظمة ومجدا، اقول انهم يحسدونك والحسد في هذا الموضوع فضيلة .

زدت رفعة، يا اخي! وبلغت ما تمنى وما يتمنى كل غيور مخلص لسورية والعرب ولازلت القائد الذي ينضوي تحت لوائه الاحرار. واعلم ان الاشهر الستة التي ستقضيه في سجنك، كما قرأت مؤخراً، ان هي الا البوتقة التي تزيد معدنك الطيب طيباً وجوهرك اللامع لمعاناً واسلم معافي لاختك واحد جنودك .

ولا يسعنا بمناسبة ذكر اثر انكشاف امر الحزب السوري القومي الاجتماعي في الوطن الا ان نسجل ان هذا التأثير في البرازيل لم يقتصر على مدينة سان بولو بل تعداه الى ريو دي جنيرو حيث روى لنا الزعيم الطرفة التالية: « كان المغترب جورج دده من الذين انحطوا في الجمعيات التي انشأها اثناء نشاطه السياسي في البرازيل فما ان سمع بتأسيس انطون سعادته الحزب السوري القومي الاجتماعي حتى اتصل به مهنتاً بهذا الانجاز العظيم مطالباً الانضمام الى صفوفه ويسأل عن الكيفية للحصول على ذلك . فما كان من الزعيم الا ان اشار عليه امكانية الحصول على قسم الانتاء وتأديته فيصبح عضواً نظامياً في الحزب السوري القومي الاجتماعي . وهكذا كان واصبح اول عضو في البرازيل . (تذكرنا هذه الواقعة بواقعة انتاء مصطفى ارشيد في حيفا التي مر ذكرها في المجلد الاول) .

الوضع الحزبي المركزي والسياسي

في 17 شباط راجت في بيروت شائعة مؤادها ان رجال الامن العام اعتقلوا بعض افراد الحزب ولكن الحقيقة كانت ان الرفيق فؤاد مفرج لم يهدأ بعد خروجه من السجن فوجدت ادارة الامن العام في جنسيته الاميركانية حجة لاستصدار قرار من المفوضية العليا بابعاده الى خارج حدود البلاد المشمولة بالانتداب وقد استدعته مديرية الامن العام وابلغته نص القرار واعطته مهلة 24 ساعة ليتمكن خلالها من السفر الى الخارج .

نفذ هذا القرار وانتقل الرفيق مفرج الى حيفا حيث استقبله الرفقاء بالترحاب . وفي 20 شباط رفع الزعيم كتاباً الى المرجع المختص يهتج فيه على معاملة ادارة السجن له كبقية المجرمين العاديين فكانت النتيجة ان صدرت الاوامر بوضعه في غرفة افراد خاصة . والان نترك الزعيم في هذه الغرفة حيث الف « نشوء الامم » كما ذكرت انفا ونعود الى مواصلة الحديث عن العمل الحزبي في المركز .

نبدأ بخروج العميدين من السجن . كان يوم خروجها يوماً مشهوداً اذ تظاهر عدد كبير من القوميين الاجتماعيين امام سجن الرمل لاستقبالها وعلى رأس المتظاهرين الرفيقان جميل عازار ونهاد ملحم حنا، كما هو ظاهر من الصور المنشورة . كان هذا الاستقبال الممتاز من أولى المظاهر الحزبية العلنية .

عدد « المعرض » الخاص

وزيادة على ذلك استطاعت القيادة المركزية ان تقنع صاحب مجلة « المعرض » المجلة الاولى في العاصمة اللبنانية، الاستاذ ميشال زكور، احد اركان الكتلة

الدستورية باصدار عدد ممتاز بهذه المناسبة السعيدة فصدر العدد 1094 بتاريخ 25 شباط 1936 مزين بالزوبعة الحمراء وبصورة اجتماع اول حزيران 1935 وقدم له بافتتاحية رائعة يبدي فيها اعجابه بمحركة الحزب وعقيدته ونظامه . وقد نشرت كل مقالات الاقلام القومية بصورة متتالية في اعداد « صباح الخير » هذه المقالات التي خاضت ميادين علمية متنوعة كتبها نعمه ثابت ، صلاح لبكي ، عبد الله قبرصي ، زكي نقاش ، جورج حكيم ، فخري معلوف ، روبر ابيلا ، صلاح الاسير ، فؤاد سلمان ، رشد معلوف ومأمون اياس . وهي منشورة في ختام هذه السنة الحزبية تحت باب « وثائق » .

الحزب . . . درس وعبرة

هذا هو عنوان مقال ميشال زكور الذي قدم به العدد الخاص من مجلته « المعرض » ، عدد 1094 تاريخ 25 شباط 1936 الذي صدر باقلام قومية اجتماعية .

« يعجب القراء . ولاريب ، عندما يرون ان قسماً من مقالات هذا العدد من المعرض قد انشأها شبان ينتمون الى الحزب السوري القومي . كتبوها باقلام هادئة وافكار مختصرة - في حين ان المعرض قد عرف من يوم نشأته بنزعته اللبنانية وانصرافه في شتى مواقفه الى تأييد قضية الاستقلال اللبناني ، لايتحول عن هذه العقيدة التي كانت ارث اللبنانيين من قديم الازمان .

ولكننا اردنا - ونحن ثابتون على عقيدتنا اللبنانية - ان نجابه الحقائق والوقائع ونعالج الحالة الحاضرة كما هي في الواقع لا كما نتمنى ان تكون .

وفيما نحن نصرح باننا لسنا من القائلين بمبادئ الحزب السوري القومي لا بد لنا من الاقرار بان الظروف والاسباب التي اوجدت هذا الحزب وسهلت سبل الانضمام الى صفوفه خصوصاً عند الشبيبة الراقية المتعلمة هي ذاتها التي ما برحت منذ 15 عاماً تنحت من اثلة الكيان اللبناني وتضعف من قوة العقيدة فيه .

افلم تَسرَ عدداً غير قليل من اولئك الذين كان يرجى ان يكونوا جنود لبنان وامل مستقبله يظهرون فجأة في صفوف الحزب السوري القومي وربما فعلوا ذلك عندما رأوا ان القضية اللبنانية ما برحت تتراجع كل سنة الى الوراء وان تلك الاماني التي علل اباؤنا وعللنا انفسنا بتحقيقها كانت اخيب من سراب !!!

فكان الاستقلال وهما . . .

وكانت الكرامة حلماً ...

وكان الدستور وصية يعث بها العابثون ويلهو بها اللاهون .

واستفاقت شبيبة لبنان على ابواق الحرية تملأ آذان الشعوب فاسكرتها هذه الانغام
التائرة وارادت ان تكون حرة بعد ان مات الآباء والاجداد بمحقة هذه الحرية، فمدت
يديها لتطال الثمرة اللذيذة الشهية فاذا الايدي قاصرة عن منالها والنفوس تكمل محترقة
من العيون .

وكيف نطلب من هؤلاء الشبان ان يرضوا بهذه الحال وهم قد تعلموا الحرية في
تواريخ جميع الشعوب وخصوصاً في تاريخ الشعب الافرنسي الذي الهب العالم بثورته
يوم نشر على الارض حقوق الانسان .

عبثاً سعى هؤلاء الشبان الى الانطلاق من جو لبنان فتململوا عندما رأوا ان سوء
التفاهم يزداد كل يوم ويتسع خرقة وانه الامل بالاستقلال شيء وتحقيقه شيء اخر .
تململوا عندما رأوا ان عاصفة الاستياء والخيبة ما برحت تحتاج الصفوف حتى وصلت
الى بكركي فاجتاحت حتى البطريرك الشيخ . اذ ذاك انفجرت في صدورهم روح
الخيبة من مصير لبنان فتلفتوا بقلوبهم وامالمهم الى سورية . وليست سورية احسن حالا
من لبنان ولكنها اوسع مجالاً .

هكذا نشأ الحزب السوري القومي ومن ذلك الفشل الاليم في تحقيق الامل القديم
استمد الحزب قوته وحياته .

هذه حقائق قد يغضب منها بعضهم ولكن اعلانها واجب على كل مخلص لوطنه
فالعلة الكامنة تقتل صاحبها والصراحة طريق التفاهم .

ولا نتردد في التصريح ان ما اوصلنا الى هذه الحالة من الخيبة وسوء التفاهم هو
عدم الصراحة في القول واستخدام الزلفى والتملق الى ذوي السلطان في العمل حتى
تعود المنتدبون على المتملقين فحسبهم اصدقاء واتخذوهم اعوانا ونفروا من المخلصين
الصادقين فنظروا اليهم كما ينظرون الى الخصم .

ان الحزب السوري القومي ينتشر بسرعة في لبنان ولاداعي للتحقيق واخفاء
الحقيقة فاننا نشعر كل يوم بسرعة هذا الانتشار وربما استفقنا بعد حين ومبادئ هذا
الحزب قد تغلغت في الاكثية اللبنانية واذ ذاك لاتنفع المحاكمة ولا السجن لانها
يطالان الاشخاص ولا يطالان المبادئ .

ان على المنتدبين ان يسهلوا على اصحاب العقيدة اللبنانية مهمتهم التي اصبحت شاقة في هذه الايام، عليهم ان ينظروا الى هؤلاء نظراً صادقاً فلا يرون في اخلاصهم خصومة ولا في صراحتهم عداوة .

ان الفكرة اللبنانية تتلاشى وتضمحل اذا ظلت على ماهي عليه اليوم . ولكي تعيش وتنمو من جديد يجب ان تسقى بماء الاستقلال والدستور والكرامة . فالنفوس الذليلة لا يمكنها ان توجد اوطاناً

ان مبادئ الحزب السوري القومي لا تتفق مع قضيتنا اللبنانية ولكننا نحترم القائمين بهذه المبادئ لانهم مشوا بها وفتحوا امامها الطريق بقوتين جبارتين هما: النظام والعقيدة . وقد ظهرت هاتان القوتان في محاكمة اعضاء الحزب الاخيرة .

وإذا كنا لانشارك اعضاء الحزب القومي مبادئه فاننا ندعو اصحاب العقيدة اللبنانية ان يسيروا على طريقته - بعقيدة ونظام - لانها اساس النجاح في القضايا الوطنية .

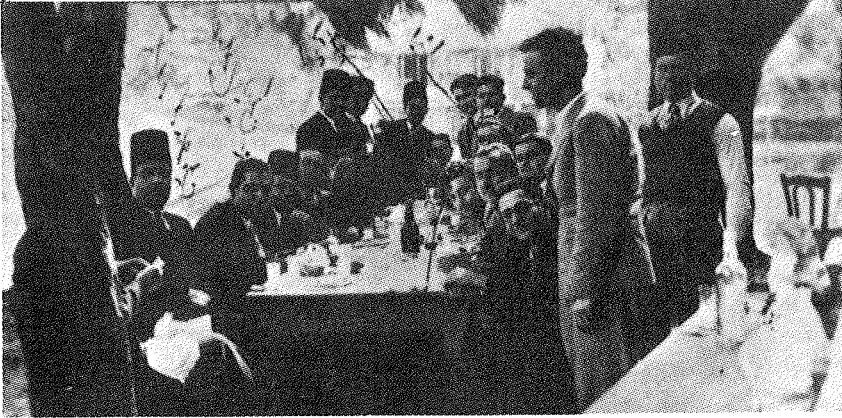
ميشال زكور

اول اذار

والمظهر المبتكر الذي رعته القيادة المركزية هو اتخاذها قراراً باشعال النيران على قمم الجبال بمناسبة ذكرى مولد الزعيم في اول اذار، وذلك تكريماً لصاحب الذكرى السجين من جهة ومن جهة اخرى اغتنامها فرصة للاعلان عن وجود الحزب المتحرك ومدى انتشاره لاكسابه قوة سياسية توظف للمصلحة القومية العليا مروراً بفائدتها الاعلامية لدى اوساط الشعب فتلمس لمس اليد وتشهد بالعيان ما لا يستطيع الحزب ايصاله اليه بوسائله الاذاعية العادية مهما تكن قوية فكيف وهي دون المطلوب بكثير .

وبالمناسبة انقل ما كتبه في « صباح الخير » في عدد اول اذار 124 تاريخ 1978 / 3 / 5 تحت عنوان « عرض وتذكير »: « حل الاول من اذار هذه السنة والزعيم في سجن الرمل يقضي محكومية الستة اشهر التي اسفرت عنها محاكمته عند اكتشاف امر الحزب . حل الاول من اذار بعد دفاعه المجيد في المحكمة المختلطة في النصف الثاني من شهر كانون الثاني . هذا الدفاع التاريخي، الاول من نوعه في تاريخ بلادنا الحديث .

كان القوميون الاجتماعيون في هذه المرحلة من مراحل صراعهم المستجد على الساحة اللبنانية، بشكل خاص، بحاجة الى مناسبة يثبتون بواسطتها وجودهم في الميدان



الاجتماع الاداري برئاسة نائب الزعيم صلاح لبكي في مقهى نهر الكلب بتاريخ 7 اذار 1936 ويرى الايوي واللبكي من الشمال ومعاون الداخلية قاسم حاطوم الواقف الى اليمين .

ومكانتهم وقوتهم فوجدوا ضالتهم المنشودة في مناسبة الاول من اذار فتأججت النيران على القمم في جميع انحاء الكيان اللبناني وبخاصة على قمة جبل صنين، فقد تسلق الجبل، رغم تراكم الثلوج، رفقاء من ضهور الشوير ومن الجوار ووقدوا فيها النار .

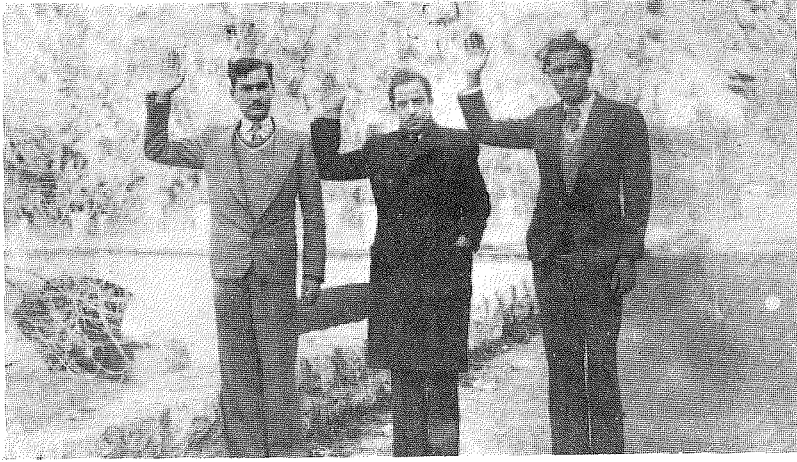
في سنة 1935 كان الاول من اذار مناسبة اجتماعية اما الآن في سنة 1936 صار الاول من اذار مناسبة حزبية سياسية جاءت متممة للمحاكمة الاولى التي ظهر فيها الزعيم وحزبه على خشبة المسرح القومي اروع ما يكون فيه الظهور .

اول اجتماع اداري

نظم في خبير هذا الاجتماع الاداري سرد الاخبار المركزية . فقد دعى نائب الزعيم، صلاح لبكي، المسؤولين في المناطق الحزبية الى اجتماع لدرس كيفية استقبال الزعيم لدى خروجه من السجن، وتجنباً لمضايقات رقابة الامن العام فقد قرأه بعقد هذا الاجتماع في احد مقاهي نهر الكلب (القريب من بيروت) كما هو واضح من الصورة المرفقة . جرى هذا الاجتماع في السابع من شهر اذار سنة 1936 .

الوضع الحزبي السياسي في الشام ولبنان

قلت في مستهل الحديث عن هذه السنة الحزبية الرابعة ان الوضع السياسي في الشام ولبنان عند انكشاف امر الحزب كان وضع المطالبة بالوحدة السورية والمعاهدة من قبل رجال الكتلة الوطنية في دمشق اما في لبنان فكانت نعمة « الاقضية الاربعة » والحقها بالوطن الام « حديث المنتديات ومحور العمل السياسي السوري في لبنان ماعدا الجهة المعاكسة لهذا الاخلاق .



من اليمين جبران جريج، الكورة رفيق ابو كامل، الشوف ويام ابو خليل، البقاع الفريه.

وقلت ايضا ان من خلفيات الحملة الصحافية المسعورة التقليل من وزن الحزب السوري القومي الاجتماعي في دعم مطلب الوحدة السورية من جهة وتشويه سمعته من جهة اخرى بالصاق تهمة الفاشستية به.

والان اقتطع من خطاب اول اذار 1938 ما جاء في هذا الصدد. « مما لامشاحة فيه ان ظهور الحزب السوري القومي بهذا المظهر الجريء السامي اطلق في جسم الامة تياراً فكرياً قوياً وثورة خواطر لم يسبق لها مثيل في القرون المتأخرة. وكان من البديهي ان تنكسف امام انوار النهضة القومية الانوار الضئيلة التي ظلت مدة من الزمن الانوار الوحيدة في البلاد. ولكن اصحاب هذه الانوار الضئيلة غاروا غيرة كبيرة من الحزب ورأوا ان يقوموا بعمل يحول اتجاه الانظار اليهم بعدما اخذت تتجه الى الحزب السوري القومي فحركوا الجماعات في الداخل وحلوا على الهياج واقفال المدن والمطالبة بعقد معاهدة تحل محل الانتداب. ولكنهم لما تيقنوا من الخطر الذي احذق بهم حين تدخل الجيش الفرنسي في الامر اصعدوا بياناً الى الشعب يدعونه فيه الى العودة الى مجرى حياته العادية وترك الامر لهم ليعالجوه بطرقهم السياسية ولكن الطلاب ابوا الاذعان لهذا البيان وكان بينهم عدد من اعضاء الحزب السوري القومي فاطهروا خرق رأي البيان ونادوا بالاستمرار في الاضراب الى ان تتحقق المطالب. وخرج الطلاب يطوفون احياء دمشق ويعيدون اغلاق مافتح من مخازنها الى ان تقرر فتح المفاوضات التي انتهت بعقد المعاهدة.

الحقيقة ان عقد المعاهدة لم يكن الا استشارياً للتنبه الذي احده ظهور الحزب

السوري القومي . ولذلك جاءت المعاهدة خالية من الشروط القومية الاساسية واقتصرت على بعض المطالب التي لا تعبر عن ارادة الامة بل عن وجهة نظر رجال « الكتلة الوطنية » غير المنظمين وغير واضحي الاهداف القومية المنشئين سياستهم على الاعتبار والمناسبات .

وليس اظهر لسياسة « الكتوليين » الاعتبارية من حملة رجالهم على الحزب السوري القومي قبل درس مبادئه واهدافه وسياسته ومن ابائهم الاتصال به والاعتراف به وبجدارته لمعالجة القضية القومية والمسائل السياسية والتضامن معهم فهم غاروا غير شديدة على كبريائهم من ان يمسخها تفوق الحزب السوري القومي بنظرته القومية الجليلة ونظامه البديع ونهضته الرائعة . ولم يريدوا ان يكتفوا بالمقدار الذي تمكنوا من اعطائه ، اذ ليس ذلك من صفات الشركات السياسية بل ارادوا ان يدعوا كل شيء لانفسهم وان ينكروا على غيرهم مؤهلاتهم وابتكارهم . فبدلاً من ان يفتحوا الباب للتقارب بينهم وبيننا والتفاهم على خوض المعركة معا ، والمعركة تلك كانت تحتاج لوجودنا والاستعانة بنظرياتنا ونظامنا ، تجاهلونا وتجاهلوا الحدث العظيم الذي قمنا به والثورة التي ولدناها واهملوا الامكانيات التي اوجدتها النهضة واقتصروا في مفاوضات سنة 1936 على المطالب عينها التي قدموها سنة 1928 ، بل على اقل منها .

مع كل ذلك ومع انهم بادأونا بهجوم اعتباري فقد قررت التعاون معهم على الرغم منهم في سبيل المصلحة القومية واصدرت تعليماتي في هذا الصدد من السجن وبناء عليها توجه من عينته نائباً ادارياً للزعيم واخذ بصحبته احد المفوضين الى دمشق وعرف هذا الوفد بوفد صلاح لبكي ومأمون اياس ، الذي قدم للوفد المفاوضات مذكرة اقتصادية باسم الحزب . . . (هذه المذكرة منشورة في الجزء الثاني من الاثار الكاملة) . ثم عدت فارسلت تعليمات من السجن بوجوب ارسال مذكرة باسم الحزب السوري القومي الى الوفد الذاهب الى باريس توصي هذا الوفد بوضع تحفظات في المعاهدة من اجل العقيدة القومية في لبنان وترك الباب مفتوحاً لاتصاله بالشام في المستقبل . وقد جاءني من ادارة الحزب جواب رسمي بان مذكرة بهذا المعنى سلمت الى الوفد في رياق قبل مسير القطار بدقائق قليلة . (وقد ساهم الرفيق يوسف الدبس مساهمة اساسية في تنفيذ هذه المهمة التي كادت ان تفشل لولاه) . ثم ارسلت تعليمات جديدة في 25 شباط بوجوب وضع مذكرة باسم الحزب السوري القومي تعلن وجهة نظر الحزب في المسألة المعروضة للبحث في باريس .

وقد كانت دهشتي عظيمة عندما قرأت في الجرائد ان الاستاذ صلاح لبكي، الذي كان انثذ نائباً للزعيم، قدم باسمه الشخصي مذكرة الى الجمعية الاممية عرفت « بعريضة الاستاذ لبكي » (لم اعتر على نص هذه العريضة) وقد علققت على هذه « العريضة » في كتاب ارسلته من السجن في 8 اذار 1936 بهذه العبارة « ان الحزب يجب الا يظهر بانه يقتصر على تمثيل لبنان وتمثيل ارادة لبنانية بل يجب ان يمثل دائماً امال الامة السورية جمعاء » ولم اعلق انثذ شيئاً على المظهر الشخصي الفردي الذي ظهرت به هذه « العريضة » التي اردتها ان تكون رسمية او لها، على الاقل، صفة الجماعة.

ايها السوريون القوميون!

ان حزبكم هو الذي قام بالنهضة القومية التي حملت وزارة فرنسا على انتهاج خطة جديدة تجاه سورية ولكن المتزعمين لم يحسنوا الاستفادة من الظروف الملائمة التي خلقناها، بل استفادوا منها لعقد معاهدة لم يحتاطوا لجعلها مستوفية شروطاً اساسية واتخذوها هي احتياطاً لسياستهم. وعندما سألنا عن اسباب تراجعهم في المفاوضات سمعنا انهم قالوا: « ان الفرنسيين كانوا يرفضون البحث خارج النطاق الذي حدده ».

التبدل في الموقف الفرنسي

وبهذه المناسبة اورد موجزاً مكثفاً عن موقف فرنسا تجاه ما كان يجري في دمشق. فبعد الاضراب المنوه عنه الذي دام ستين يوماً تبدل الموقف الفرنسي، وغير نهجه في معالجة الوضع الشامي وقرر اعتماد التفاوض مع رجال الكتلة الوطنية فدعا مندوبين عنهم الى بيروت وشرع في التفاوض معهم ووقع الفريقان في الاول من اذار 1936 وثيقة الدخول في المفاوضات لعقد معاهدة بينها.

ولهذه الغاية اعلنت المفوضية العليا عن عزم المفوض السامي على السفر الى باريس للاتصال برجال الحكومة الفرنسية والتباحث معهم بشأن المعاهدة. وقالت ان الموسيو دي مرتيل يستقبل الاشخاص الذين يرغبون في وداعه بهذه المناسبة في السراي الكبير. وفي الوقت المحدد وقفت قافلة المودعين عند قاعدة الساعة القائمة بين « السراي الكبير » و« قصر العدل القديم ». فكان منهم رئيس الجمهورية السورية محمد علي العابد، رئيس الجمهورية اللبنانية اميل اده، رئيس الحكومة السورية عطا الايوبي ووزراؤه، امين سر الدول اللبنانية الدكتور ايوب ثابت وكبار معاونيه، رؤساء

الطوائف الدينية، عدد كبير من النواب الشاميين واللبنانيين وجمع غفير من الاعيان والوجوه وموظفي الدولة، وسافر المفوض السامي على ان يلحق به وفد الكتلة الوطنية .

والحقيقة التي يجب ان تقال ان المفوض السامي الكونت دي مارتيل كان افضل مفوض فرنسي فهم الاوضاع في الشام ولبنان وسعى الى تبديل الاوضاع السمي الخبيث ولنا عودة الى هذا الموضوع فيما بعد .

حول المذكرة

وبهذا الصدد يقول جبران جريح في كتابه « مع انطون سعادة » الجزء الاول، الصفحة 42، تحت عنوان « مذكرة »: « تقرر ارسال وفد شامي يمثل الكتلة الوطنية الى العاصمة الفرنسية للمفاوضة على عقد معاهدة بين فرنسا والشام . وكان تقرر ان يسافر الوفد الشامي الى باريس مرورا برباق .

كان الزعيم في السجن لكن هذا السجن ما كان ليحول درن تتبعه للاحداث السياسية في الوطن ولذلك ما ان علم بمسألة سفر الوفد حتى قرر تقديم مذكرة سياسية يزود بها الوفد المفاوضات تتضمن وجهة نظر الحزب بشأن الاستقلال والمعاهدة والوحدة فأوعز الى نائب الزعيم الرفيق صلاح لبكي باعدادها وتقديمها . ففعل وقدمها بنفسه الى الوفد في محطة رباق .

اهم ما جاء في وجهة نظر الحزب كان بصدد مكان لبنان في هذا الخضم السياسي المصري . كانت وجهة النظر هذه - كما فهمت من الزعيم فيما بعد - تتلخص في ان لا تتنازل الشام الكتلوية عن سورية لبنان فتكرس انفصاله نهائياً وان سياسياً . يجب ان يسجل - على الاقل - تحفظ بهذا الشأن يترك المجال واسعاً للشعب اللبناني ان يقرر هذا الموضوع في مستقبل الايام . ونقطة اخرى، هامة ايضاً، هي اعتبار الكيان الشامي المركز الوحدوي لسورية الطبيعية كلها فتنحصر فيه كل المسائل المتعلقة بالوحدة وهكذا تكون حكومة الشام الحكومة السورية الوحدوية وان رمزياً .

ان هذه المذكرة سجلت موقفاً حزبياً للتاريخ، لا اكثر ولا اقل .

مؤتمر الساحل

هذا بالنسبة للشام اما بالنسبة للبنان فلم يدع الحزب الفرصة تفوته فاشترك في اجتماع مؤتمر الساحل الذي عقد في منزل السيد سليم علي سلام في بيروت بتاريخ 10 اذار | 1936 واني اورد فيما يلي بعض المقاطع من محضره التي لها علاقة بما سجله وفد

الحزب من اقوال وتصاريح، وكان الوفد مؤلفاً من نائب الزعيم صلاح لبكي والمفوض مأمون اياس .

« ترأس سليم سلام الجلسة ودعا السيد صلاح عثمان بيهم للقيام بمهمة سكرتير . بعدها قرأ علي ناصر الدين مشروع المذكرة التي وضعها بعض الاخوان لرفعها الى المفوض السامي بمناسبة سفره الى باريس تطلب فيها الوحدة السورية . طالب السيد احمد رضا من النبطية ان تضاف كلمة شاملة الى كل كلمة وحدة . (ان المذكرة كانت تطلب بالحاق الاقضية الاربعة بالوحدة السورية) .

وبمناسبة هذه المطالبة قال صلاح لبكي : « ارجو ان يسجل ان خمسة عشر الف فتي من فتيان لبنان يطلبون الوحدة السورية (تصفيق) واذا قلت ان خمسة عشر الف فتي لبناني يطلبون الوحدة فاني على ثقة مما اقول . ان لبنان ايها السادة هو قطعة من سورية (تصفيق) وشباب لبنان اليوم لا يرضون ان ينفصلوا عن امهم » . (تصفيق طويل) .

ومن الاشخاص الذين برزوا في هذا المؤتمر المحامي فوزي بردويل من زحلة الذي كان قد اسس « رابطة الشباب الحر » وسآتي على ذكر انتمائه الى الحزب مع افراد الرابطة فيما بعد . قال فوزي بردويل : « كان بعض الغلاة يطلبون في الماضي ان يكون لبنان منفصلاً عن سورية ، اي ان يعيش وحده ، واما الشباب اللبناني المثقف فهو يرى اليوم ان مصلحة لبنان هي في الوحدة السورية (تصفيق) . . . وقد سمعنا في هذين اليومين ان الكتلة قبلت المفاوضة دون ان تبحث في لبنان خوفاً من الاصطدام والعرقلة » .

علق عبد الحميد كرامي على هذا القول بما يلي : « ان للكتلة ايها الاخ ميثاقا تتمشى عليه ومن اول بنود هذا الميثاق طلب الوحدة السورية ، فلا بد لها ، اذن ، من ان تطلب هذه الوحدة في مفاوضاتها المقبلة وعلينا نحن ان نلح بالطلب وندفعها للحاح دون ان نصطدم باحد » .

وكان علي ناصر الدين فجاً في طرحه الى ان قال : « من الكياسة والانصاف الا يزعم الاخوان اللبنانيون في المؤتمر انهم يمثلون لبنان وهم في الواقع لا يزعمون ذلك » فأجابه صلاح لبكي بصراحة كلية : « لولا شدة اخلاصي لقضية الوحدة السورية ولولا ثقتي بشعور اخواني العاملين لضم البلاد باجمعها لكنت شعرت بعد الذي سمعته الآن باننا غرباء في هذا الاجتماع ، وعلي مع اخواني ان ننسحب لان لاعلاقة لنا بالامر . (اصوات : معاذ الله !! لا . . . نحن كلنا اخوان) . نحن كلنا فصلنا عن سورية

وليس انتم وحدكم ايها السادة (تصفيق) فاذا كان ابناء الاقضية المسلحة يطلبون الرجوع الى سورية فابناء لبنان هم ايضاً يطلبون الرجوع الى امهم التي سلخوا عنها (تصفيق) ان لبنان هو جزء من سورية (تصفيق) ونحن نصر على ذكر لبنان في طلب الوحدة لان لبنان معترف به دولياً في عصبة الامم وصك الانتداب هو لسورية ولبنان معاً، نحن نطلب الوحدة السورية الشاملة خوفاً من ان نقع في صهيونية اخرى» وبعد مجادلات بيزنطية كان بطلها علي ناصر الدين ويوسف يزبك اعترضها الشيخان سليمان الضاهر من النبطية والشيخ احمد عارف الزين من صيدا، حتم يوسف يزبك قائلاً: « اكرر قولي انه من الواجب ان نتمسك بالسيادة القومية الصحيحة وبالاستقلال التام. واما الوحدة فموجودة في الواقع: موجودة في الجمارك وفي البريد والبرق وفي التشريع العام وفي غير ذلك ولكن ابناء البلاد لا يمارسونها لان المسيطرين يديرونها مباشرة. فارجو اذن ان يكون مطلبنا الاستقلال التام للبلاد السورية اللبنانية ومسألة الوحدة تحل بين السوريين واللبنانيين .

ففاجأه المفوض مأمون اياس: « الاستاذ يوسف يزبك يطلب السيادة والاستقلال فلأي بلد يطلبها؟ يجب ان يحدد كيان الوطن الذي يريده، واذا جاريناه في طلب الاستقلال لسورية ولبنان فنكون قد اعترفنا بشيء اسمه لبنان منفصل عن سورية ونحن نريد الوحدة السورية الشاملة » .

كان عبد الحميد كرامي المتجاوب الاكبر لطرح وفد الحزب بطلب الوحدة السورية الشاملة وأورد هنا البعض من اقواله: « لان مسألة الوحدة ليست قضية دينية،



عبد الحميد كرامه

ليست مطلباً اسلامياً كما يزعم بعض المتأثرين بالدعاية الأجنبية وانما هي مصلحة قومية فنحن اذن نطلب الوحدة لانكاية بأحد بل لمصلحة الوطن ولمصلحة لبنان وسورية على السواء (تصفيق) واذن فاني اقترح ان نتمسك بطلب الوحدة السورية الشاملة لأن البلاد لا تعيش بدونها». (تصفيق).

واخيراً، كان اهم شيء في هذا المؤتمر تبنيه للوحدة السورية الشاملة التي طرحها الوفد الحزبي فجاءت في صلب نص المذكرة التي رفعها الى المفوض السامي الفرنسي مع نسخة الى عصبة الامم والتي وقعها جميع الحاضرين باستثناء كاظم الصلح، عادل عسيران وشفيق لطفي.

وقد بقي عالقاً في ذهن كاظم الصلح موقف الوفد الحزبي فافصح عنه في مقاله المنشور في عدد النهار الممتاز الصادر برأس السنة 1975 المختص بالدستور والميثاق...

« تليت المذكرة وبدأت المناقشة واشترك فيها كما قلت، الذين ذكرت اسماءهم... وصلاح لبكي الذي قال « ان في لبنان 15 الف شاب يريدون الوحدة السورية الجغرافية الكاملة». كذلك طالب فوزي بردويل من زحلة بالوحدة السورية الشاملة».

(للتوسع مراجعة كتاب « مؤتمر الساحل والاقضية الاربعة (1936) للدكتور حسان علي حلاق).

رسالة جميل مردم

رسالة مردم الى البارودي من باريس تاريخ 27 اذار 1936 : Trianon Palace
Hotel Versailles عدد سورية الجديدة 19 و 20.

« اخي الحبيب! تحيات واشواق وقلبات، وبعد فقد تلقيت كتابك واطلعت على اخبارك وسررت لدوام نشاطك واستمرارك في جهادك. واطن انني لم اكن مخطئاً يوم حملتك على العودة الى ميدان الجهاد وعلى هجرك - للجزيا - ومن فيها. (الجزيا قرية فخري بك). لقد تفرست بك وانني احمد الله على تحقيق آمالي التي كانت في موضعها فلم يعد لك حق بعد الآن بمعاتبتني على انزالك الى ساحة الجهاد ولا بد ان تكون اكتشفت في نفسك في الايام الاخيرة كثيراً من المزايا والصفات التي كنت تجهلها. وانا اعتقد بان ما يظهر الآتي سيكون اغرب واهم ما رأيناه او نراه منك.

عندما تأخرت علي بالجواب فكرت بمخاطبتك باستدعاء وقد كتبت صورته وكدت ارسله وان لم يردني الجواب فكرت بارسال انذار مصدق وان لم تجبني اليه فكرت باذاعته في الصحف. ولكن بارك الله فيك فقد وفرت علي كل هذا العناء وطلعت علي بكتاب اطول من ليالي الشتاء فقد قرأته وتلوته على الاخوان وها انني اذكر لك بعض الملاحظات عليه.

اولاً: تذكر في كتابك باننا اهملنا جانب احزاب اليسار وهل يخطر ببالك اوببال احد بان هذه الهفوة تصدر عنا او اننا نهمل اي ناحية من نواحي العمل المفيد للقضية الوطنية. فكن مطمئناً، ناعم البال وثق باننا نراقب الحوادث والامور ولاندرع شاردة او واردة تمر دون ان نستثمرها لصالح الوطن.

ثانياً: الحزب السوري القومي. ليس من مصلحتنا مقاومة هذا الحزب بل بالعكس يجب الاتصال به وتقوية عمله في المناطق الساحلية التي يعمل فيها. الاخوان معنا لا يشاطرونك الرأي بوجود اصابع اجنبية تحركه.

ثالثاً: حركة الشباب الوطني سارة جداً ولكن الاستقلال بالاسم وبالمظاهر يضر بمكانة الكتلة الوطنية والواجب علينا ان نسعى بتقوية الكتلة وتعزيز نفوذها فهي بالرغم من بعض عيوبها ونواقصها احسن هيئة يمكنها الاضطلاع بالمسؤوليات مهما كان نوعها، خاصة وان الاخين العزيزين اللذين يشرفان على الشباب الوطني وتنظيمه معتبران عضوين في الكتلة الوطنية وانها يعرفان ما اضمره في نفسي نحوها من صحبة وتقدير وعطف وارجو لها مستقبلاً زاهراً وهما عاملان في خدمة وطنها. ولست بحاجة الى ذكر اسميها فانت تعرفهما وانا لاشك مطلقاً بان الشباب الوطني وفخري البارودي والكتلة الوطنية « كلاب والابن والروح القدس » ولكني من انصار التوحيد المطلق وافضل كلمة واحدة على كلمات متعددة وانت تعلم استعداد البلاد عندنا للفرقة والتحزبات فيجب ان نعلمها الالتفاف حول هيئة واحدة ولا اخالك الا باذلا جهدك صحبة الاخين الدكتور المأمون والدكتور عجلاني لتلافي هذه الامور البسيطة التي هي ظاهرة اكثر منها حقيقية.

رابعاً: لا بد انك تنتظر مني ان اخبرك عن امورنا واحوالنا بعد ان بحثت ما يجري عنكم. ان جميع ما ذكر وما قيل حتى الآن من تشاؤم وتفاؤل مبتسر وسابق لاوانه فنحن نجثنا الى هنا على اسس معينة وواضحة فاذا سلم لنا بها قبلنا والا فنعود من حيث اتينا. واظن ان نضوج الامة اصبح كافياً ليحفز بها للدفاع عن حقوقها والمطالبة

بها وانها سوف لاتنام على ضم ولا تقبل ان يلحق بها الاذى وان يستمر بها الذل نجما فوق سماءها . اننا نبذل اقصى الجهد لاقتناع المسؤولين بضرورة حل القضية السورية حلا مرضيا يعود بالنفع على الجانبين . واطن ان التطورات الجارية اليوم في فرنسا تساعد على هذا الحل ولا يعلم ذلك تماماً الا بعد اسبوع او عشرة ايام اي عندما تتألف الحكومة الجديدة وتتقدم الى المجلس واننا نرقب بفارغ الصبر هذا اليوم لنعرف مقدار ما يتحقق من الآمال المعقودة .

الاخوان هنا كلهم بخير ، يهدونك تحياتهم واشواقهم والمرجو ان تكونوا جميعا متمتعين بالصحة التي نرجوها لكم والله تعالى يحفظكم ويبقيكم والسلام .»

مرسوم الحل

وختاماً للوضع الحزبي السياسي في لبنان والشام اضع بين يدي القراء نص المرسوم الجمهوري بحل الحزب السوري القومي .

مرسوم رقم 218 / E بحل جمعية

ان رئيس الجمهورية

بناء على القرار رقم 1 المؤرخ في 2 كانون الثاني 1934 والقرار رقم 1 المؤرخ في 3 كانون الثاني 1966 الصادر من المفوض السامي .

وبناء على المواد 2 ، 6 ، 12 من قانون الجمعيات المؤرخ في 27 رجب 1927 .

وبناء على المادة 3 من القانون المشار اليه المعدلة بقانون 26 ايار 1928 .

ولما كانت الجمعية المسماة « الحزب القومي السوري » مؤلفة بطريقة سرية وعاملة بطريقة غير قانونية في اراضي الجمهورية اللبنانية .

ولما كان غرض الجمعية المذكورة غير مباح ومخالفاً للقوانين وكان من شأنها ان تمس بغايتها النظام والامن العامين .

وبناء على اقتراح امين سر الدولة : يرسم ما يأتي

المادة الاولى - حلت الجمعية المسماة « الحزب القومي السوري » .

المادة الثانية - ينشر هذا المرسوم ويبلغ حيث تدعو الحاجة الى ذلك .

الامضاء : اميل اده

بيروت - في 17 اذار 1936

امين سر الدولة . الامضاء : الدكتور ايوب ثابت

النشاط الحزبي

والآن سأقوم بجولة على الفروع الحزبية الموجودة وعلى الفروع المنشأة حديثا في
الوطن وعبر الحدود ابتداء من تاريخ الانكشاف الى تاريخ خروج الزعيم من السجن في
12 ايار 1936 .

في الجامعة والمدارس الأخرى

في الجامعة الاميركانية لم يطرأ جديد يذكر لان الانكشاف شغل محيطها بالتحقيقات ثم المحاكمة ان بالنسبة للاعضاء في المديرية او للاعضاء الاساتذة . انما هذا لا يعني ان العمل كان مشلولاً فقد جرت عدة انتسابات اذكر اهمها سروري بارودي من حماه، وفخري معلوف الذي يقول الزعيم عنه : « انه كان من اوائل الذين تعرفوا الي والى فكري بعد عودتي الى الوطن سنة 1930 ، ولكنه بقي ضعيف الشعور بالحاجة الى اعتناق مبادئها مع انه شعر بسمو مستوى فلسفتها، والسبب لذلك كان فقد التربية القومية والوطنية العامة، من ناحية، ومن ناحية اخرى وجوده تحت تأثير بيئة خاصة . فكان غرضه الاول ان ينجح في دروسه وينال شهادة، وان يصير بعد ذلك معلماً . وبما انه اتخذ فرع الرياضيات والفيزياء ابتداءً يعالج بشغف جميع القضايا الرياضية التي يمر عليها نظره واراد التوغل في هذه الابحاث .

وبعد محادثات طويلة معه في مدة سنتين بالتقريب اظهر تردداً وتقاساً عن العقيدة القومية الاجتماعية جعلاني اياس منه . وفي هذه الاثناء كان يحتك بالانهمامين . امثال الطالب فؤاد خليل مفرج، الذي توفي فيما بعد في اميركانية، وبالعروبيين امثال الدكتور قسطنطين زريق الذي كان استاذاً في التاريخ في الجامعة الاميركانية، ويسمع اقوالهم ونظرياتهم، ومع اعترافه لي انه يرى حججهم ضعيفة وان المبادئ التي اعلنها تتفوق على منطقتهم وجميع حججهم وانه صار يعتقد بصحة هذه المبادئ ظل يمتنع عن اعتناقها وعن الدخول الى الحزب الذي عرف بتأليفه ويقدم الاعذار لحاجته الى رضی ادارة الجامعة عنه وخشيته من عواقب انفضاح الامر وهو اكبر اخوته الايتام الاب والذين يجب عليه ان يساعدهم على العيش واكتساب العلم وغير ذلك .



سروري بارودي

لم تنفع جميع شروحي وايضا حاتي لحملة على تغيير موقفه من قضية صار يعتقد كل الاعتقاد بصحتها. فتركته ولم اعد ابحاثه، خصوصاً بعد ان رأيتة يخالف نصيحتي ويدخل برفقة فؤاد خليل مفرج الماسونية في محفل اميركاني الطقس في بيروت، غير حافل بكل ما شرحت له عن حالة الماسونية، التي خبرتها بنفسي من زمان في اختبار قمت به في مدة قصيرة جداً.

ولم ينضم الرفيق معلوف الى الحركة السورية القومية الاجتماعية، مع كل علمه بمبادئها واهدافها، الا بعد الاعتقالات الاولى وبعد ان جذبت روعة القضية اهتمام الشعب واعجابه. ومن ذلك الوقت نشط الرفيق معلوف مع فئة القوميين الاجتماعيين النشيطين وابدى وعياً حسناً وفهماً جيداً لامور ومسائل عديدة وظل هذا شأنه الى ان انتقل الى اميركانية للدرس فاستأذن الزعيم في الانتقال فأذن له.

(من رسالة الزعيم الثانية الى غسان تويني تاريخ 7 نيسان 1946).

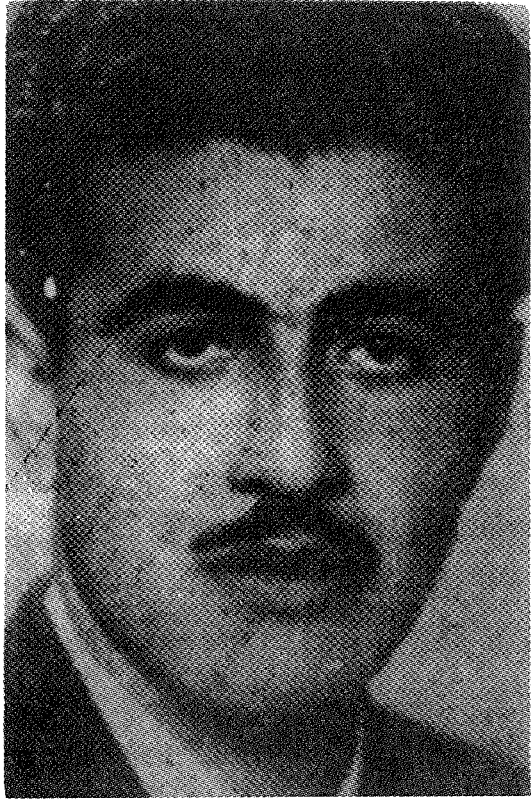
اما في المعاهد الاخرى كالبطيركية والجامعة الوطنية في عاليه فان المعلومات التفصيلية تكاد تكون معدومة لولا الذي ورد في التحقيق من استجواب الكثير من الطلبة مما اقلق المحقق فاستنجد بمستشار التربية ليعمم تنبيهها على المعاهد بوجوب تحذير طلابها من الانتماء الى الاحزاب وبصورة خاصة الحزب السوري القومي وذلك حفاظاً على دراستهم.

انما التطور الهام الذي حدث هو العمل الحزبي الطلابي في دمشق وطرطوس. ففي دمشق انتشر الحزب في جامعة الحقوق واذكر على سبيل المثال عبد الحكيم مراد من

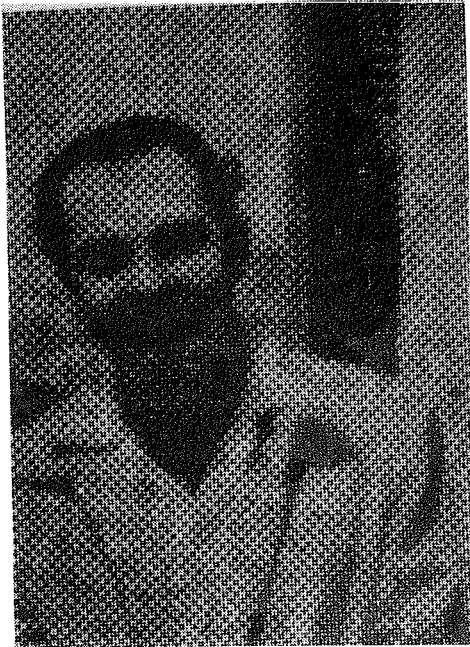
دمشق واديب الحسيني من الشويفات الطالب في دمشق ماعدا المسؤول في دمشق، طالب الطب روجي الخياط الذي ورد ذكره في حلقة سابقة في السنوات الحزبية السرية .

والجدير ايضاً على سبيل الطلبة: البؤرة الجديدة التي تكونت فيها وحدة حزبية ناشئة وذلك في الكلية العلمية . واذكر على سبيل المثال الطلاب ثابت تاج الدين، نعم نصار وخالد...، اصف اليهم معلم المدرسة خالد موره لي . والمهم في مجال ذكرهم هو ما ساهموا به في عملية اضراب مدينة دمشق من اجل المطالبة بالمفاوضات التي ذكرها الزعيم ونقلت قوله في الحلقة السابقة، اعيدته فيما يلي: « ولكمهم أي الكتلة الوطنية لما تيقنوا من الخطر الذي احدق بهم حين تدخل الجيش الفرنسي في الامر اصدروا بياناً الى الشعب يدعون فيه الى العودة الى مجرى حياته العادية وترك الأمر لهم ليعالجوه بطرقهم السياسية ولكن الطلاب ابوا الاذعان لهذا البيان وكان بينهم عدد من الحزب السوري القومي فاطهروا خرق رأي البيان ونادوا بالاستمرار في الاضراب الى ان تتحقق المطالب وخرج الطلاب يطوفون احياء دمشق ويعيدون اغلاق مافتح من مخازنها، الى ان تقرر فتح المفاوضات التي انتهت بعقد المعاهدة » .

هذا في دمشق اما في طرطوس فقد تكونت بؤرة طلابية جديدة صار لها شأن فيما بعد وذلك في معهد اللاييك الذي كان يدرس فيه الرفيق الياس جرجي ومن طلابه، ماعدا حافظ منذر الذي ورد ذكره في حلقة سابقة في السنوات الحزبية السرية، الطلاب محمد الرافي، معين عرنوق، وويكتور عرنوق ابن شقيقة حافظ وغسان جديد وبديع اسماعيل .



غسان جديد



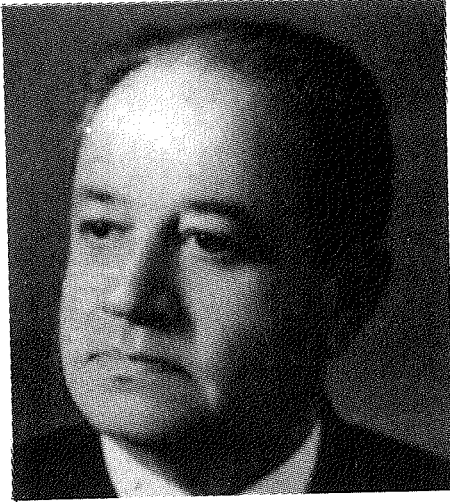
بديع اسماعيل

فِي بَيْرُوتَ وَضَوَاحِيهَا

عود على بدء تركنا منفذية بيروت في طريق التكوين كمنفذية في فترة السنوات السرية والآن يجب ان نسجل بفخر واعتزاز احدى عجائب النمو الحزبي والانتشار النظامي في ظل الاعتقال والتحقيق .

لقد اصيبت هذه المنفذية الاساسية من منفضيات الحزب، اذ هي منفذية مركز الحزب وقيادته، لقد اصيبت لهذا السبب بالذات باجهزتها فعدت مع الانكشاف دون منفذ عام ودون معاونين للمنفذ العام ومع ذلك فقد تكونت المديريات وتسلم قيادة المنفذية بالوكالة الرفيق « الشيخ » محمد القاضي، من بيصور، احد تجار سوق اياس . ان لقب شيخ كان للتمييز بينه وبين الرفيق الطالب محمد القاضي من الشويفات، وكان ايضاً في عمر الكهولة . اما المديريات فقد كانت التالية : رأس بيروت ومديرها ناجي تميم، ساقية الجنزير ومديرها علي اللبان، وطى المصيطبة، ومديرها اديب الزهيري، البسطة وقد اتخذت لنفسها لقب « مديرية جبل النار » للتدليل على الحماس ومديرها محمد راشد اللاذقي، الناصرة، وقد اتخذت لنفسها لقب « مديرية النصر » تيمناً بالنصر، ومديرها علي بيضون، احد تجار سوق سرسق الكبار، الاشرفية ومديرها بهيج سمعان، منطقة النجمة ومنها زقاق البلاد، وهي في وسط المدينة ومديرها عبد الله الجارودي، الموظف المرموق في الاطفائية . ومنطقة كركون الدروز ومديرها صلاح بكداش يعاونه الرفيق حسن بكداش الملقب « بالبرنس » .

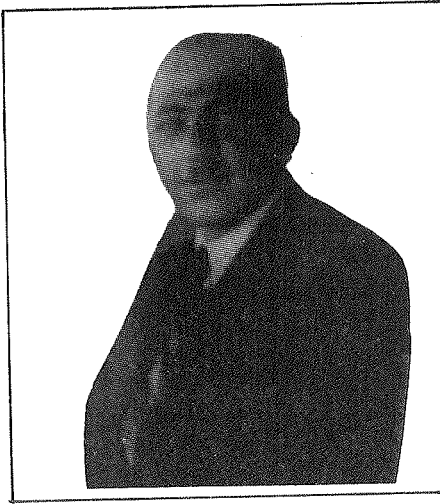
كان الحد الادنى للمديرية اربعين عضواً وقد شذت « جبل النار » فاتسعت للثمانين . ماعدا عدد وفير من الاعضاء المنتشرين في المصيطبة والمزرعة والجميزة . وعائشة بكار وفي الضواحي . فقد كان فرع فرن الشباك والشياح وحرارة حريك في حالة الانشاء . والمهم في منفذية بيروت ان الاكثرية الساحقة من اعضائها كانت من



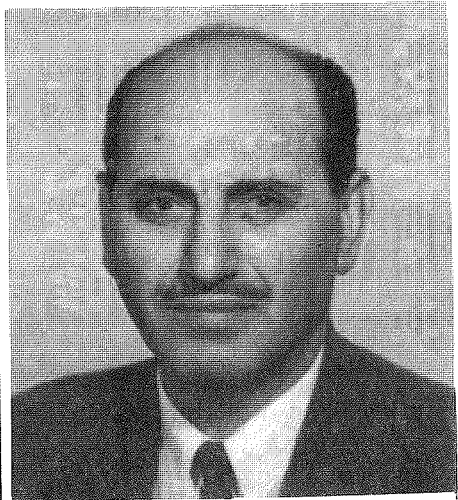
محمد راشد اللاذقي

ابنائها على اختلاف عائلاتها. وسيأتي ذكرهم تباعاً حسب النشاطات التي قاموا بها والمسؤوليات التي حملوها ومنهم من لا يزال حياً يرزق حتى اليوم ومنهم من لا يزال يمارس عضويته حتى هذا التاريخ. كانت المديرية خلايا حية تعج بالحركة والنشاط والتوالد فاقتحمت الميدان بحموية نادرة المثال.

بهيج سمان



ناجي عم



مشروع ضمان فيلم السينما

صاحب الفكرة الرفيق ناجي تمم مدير مديرية رأس بيروت . كان الحصول على المال هاجس كل سوري قومي اجتماعي من اعلى القمة الى القاعدة الدنيا لذلك لم يستغرب المنفذ العام بالوكالة الرفيق محمد القاضي عندما فاجأه المدير تمم بمشروعه: نضمن فيلم سينما . نجعل توقيته ليلة موعد المحاكمة اذ ستكون المدينة غاصة بالقوميين الاجتماعيين الذين سيأتون لحضورها هذا ما عدا المواطنين المحبذين او الذين يحبون الاطلاع . انه بمشروع رابح ولكن هنالك عقبة واحدة قد تكون كأداء . انه بحاجة الى المبلغ اللازم دفعه للحصول على الضمان .

فك المنفذ العام بالوكالة العقدة . وافق على المشروع وكلفه بالمباشرة بالتنفيذ ليذهب الى مدير صالة «التياترو الكبير» وليستطلع منه مقدار المال المطلوب وليعد اليه . انه على استعداد لتمويل المشروع . طار المدير تمم فرحاً وما أبطأ وها هو يهرول الى مدير السينما السيد نقولا معماري يطرح عليه الموضوع وبعد سؤال وجواب يوافق على الضمان ويحدد له المبلغ المطلوب بعد ان اقتنع ان غاية الضمان غاية شريفة لبعض الفتيان .

عاد المدير تمم الى المنفذ العام بالوكالة وقبض منه المبلغ وحمله مسروراً الى السيد معماري الذي طلب منه ان يتقدم بطلب خطي حول المشروع ويحجبه بالموافقة الخطية ايضاً حسب الاصول . بعد اتمام هذه الخطوة الاساسية يبحث عن احدى المطابع المغمورة لطبع البطاقات التي تقرر ان تكون اثمانها متميزة باللون فمن قيمة الليرة الى خمس ليرات مثلاً ازرق وبرتقالي واخضر وابيض الخ... حالفه النجاح اذ وجد ضالته المنشودة في مطبعة مغمورة في احد زوارب سوق سبور . وجد نوعاً من البطاقات الجاهزة لا تحتاج الا لملء فراغها وكانت باسم الشبيبة الزاهرة . طبع كمية منها وحملها الى المسؤول واحتفظ بكمية منها يوزعها والمسؤول يتدبر الباقي .

الى هنا كانت الامور تسير حسب المشتهى ولكن ضمان فيلم سينما ليس بالامر المكتوم فوصلت اخباره الى دائرة الامن العام التي استعلمت من السيد معماري عن هوية الضامن ومكان عمله فقصدته احد مأموري الامن وطلب منه مرافقته لمقابلة مدير الامن العام الموسيو بوشيد فلبى وهو رابط الجأش ، ثابت الجنان .

تمت المقابلة وكان سؤال وجواب . كانت النتيجة ان اقتنع او تظاهر مدير الامن العام بالاعتناع ، بان المشروع شخصي بحيث ولا علاقة له بعصويته التي لم ينكرها ابداً « انه مديون وله اصدقاء كثر فبدلاً من ان يستعين بهم على تسديد ديونه فكر بان

يستعين بهم بشراء بطاقات سينما « بسرر محدد يدفع من الاموال التي يجمعها ضمان الفيلم وما تبقى يسدد به ديونه « الباهظة » .

ارسل مدير الامن العام احد المأمورين الى مدير السينما السيد معماري لمحاولة اقناعه بالغاء الاتفاق ولكن عبثاً حاول وعندما ضيق عليه الخناق طلب منه بان يأتيه بأمر خطي رسمي باقفال الصالة فيلغني الاتفاق. والعرض وهكذا تتحمل مديرية الامن العام المسؤولية كاملة وهي اقدر منه على القيام بهذا الالغاء وتحمل مسؤوليته .

خلاصة القول ما الغي الإتفاق ولا الغي العرض ونجح مشروع الضمان نجاحاً باهراً. بالحضور الذي توافد للاشتراك في رؤية الفيلم فكانت ترى القوميين الاجتماعيين يقبلون ويحبي بعضهم بعضاً بكل حرية كأنه لا محاكمة سيجري موعدها في الغد، انما افراد التحري كانت مشوثة في كل مكان تراقب وتراقب. واود ان اذكر اني كنت ممن حضروا هذا العرض واشتركوا في المساهمة في نجاحه .

هذا من جهة الحضور الذي اقبل من كل مناطق الحزب فكان نوعاً من اجتماع عام علني اما من الجهة المالية وهي بيت القصيد فقد دخل الى خزانة الحزب مبلغ مئة ليرة ذهبية وهو مبلغ ضخم يكاد لا يصدق .

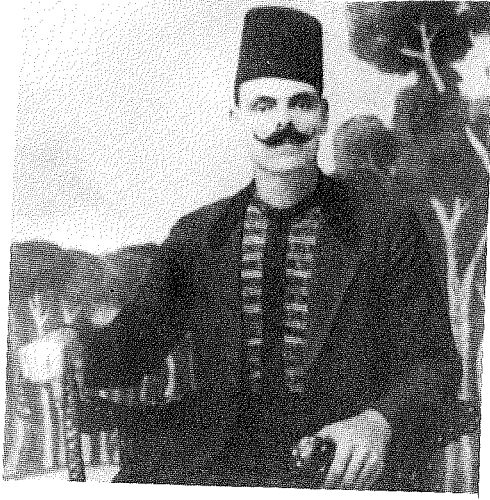
مقهى عارف في بيروت

في الزاوية المقابلة لمطعم ابو عفيف سابقاً - على ساحة البرج - في جانب سينما هوليوود حالياً، كان يقع مقهى عارف . انه مقهى ومطعم . اثنائه متقن وجميل وصریح . انه كان ملتقى الشباب على مختلف مشارهم لكنه في الفترة هذه التي اتكلم عنها اصبح ملتقى رفقاء عارف بصورة خاصة اذ ان عارف القاضي من بيصور صار سورياً قومياً اجتماعياً . ثم تطورت الاحوال وصار مقهى عارف ملتقى السياسيين الوجدويين والتيار تيار الوحدة السورية حتى ان رجال الكتلة الوطنية الشعبيين امثال فخري البارودي كانوا يجلسون فيه، وكان البارودي لا « ينهز » من المقهى حيث يستقبل الشباب دائماً .

وكذلك، من جهة اخرى، كان هذا المقهى تحت الرقابة الشديدة من قبل دائرة الامن العام . كل هذا يجري « وعلى قلب الرفيق عارف احلى من العسل » .



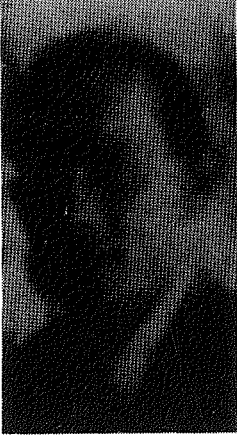
من الرفقاء الذين برزوا في هذه الفترة القصيرة التي سبقت خروج القوميين الاجتماعيين من السجن يأتي في الدرجة الاولى الرفيق عبد الغني انجا التابع لمديرية رأس



شاوول نجيم

بيروت ثم الرفيقة امينة او جميلة العيتاني « اخت الرجال » التابعة لمديرية ساقية الجنزير .
في الحقل الرياضي برز الرفيق جميل حاسيني الملقب « بالمعلم » ، وهو من مديرية
« جبل النار » وقد دفعته الاريحية القومية الاجتماعية الى التعويض من جيبه الخاص على
الرفيق اسعد الايوي بدلات رواتبه بعد عزله من وظيفته مدة طويلة من الزمن فكان
مثالا يحتذى لتطبيق ما جاء في القسم الحزبي « وان اقدم كل مساعدة اتمكن منها لاي
عضو عامل من اعضاء الحزب متى كان محتاجاً اليها » وان انس لن انسى الرفيق
شاوول نجيم من فرن الشباك وهو يتمايل بقامته المديدة وهو يفتل شاربيه المعقوفين وهو
يرتدي « شرواله » المصنوع من حرير « الست كروزا » والمطرز بالخيط الحريري اللامع
على جوانب الجيبين . كان رجلا بكل معنى الكلمة وان شبه امي . كذلك لا بد من
ذكر بروز ثلاثة رفقاء كل في حقله . ميشال صهيون في جمعية مستخدمي التجارة
فاصبح عضوا في مجلس الادارة ، عجاج المهتار في حقل الشعر العامي وهو يبيء
كتاب « السعادة الحقيقية في الوحدة السورية » ومنير العريس في الجهاز الخاص .

لم يكن للرفيقات مديرية مختصة بهن . انهن كن اعضاء في المديريات وقد برز في
الميدان الرفيقة جمال ناصيف التي استدعت للتحقيق واخلي سبيلها فورا وكذلك
الرفيقة عفيفة حداد التي كانت تهتم بمجاجيات الزعيم من مأكّل وملبس طيلة فترة سجنه .
وابرزت فترة السجن الى الساحة كلودا ثابت شقيقة رئيس مجلس العمدة وعميد
الداخلية نعمة ثابت ووالدة الرفيق ويكتور اسعد ومن المواطنين المعجبين بالزعيم بعد
المحاكمة شخصان بيروتيان هما شريف دعبول ونعوم البطراني .



منير العريس

عاد المنفذ العام الايوي الى الممارسة ولكن لم تطل مدتها بعد ان بدأ يتصرف تصرفات بعيدة عن الانضباط الحزبي في اتصالات شخصية تتعلق بوضعه الخاص بعد العزل من وظيفته من اقواله المأثورة: الرجل الملتزم ينتهي في ثلاث مراحل (1) منزويا (2) سجيناً. (3) منفيّاً . وهكذا انزوى . فتعيين الرفيق عبد الله الجميل محله .



عبدالله الجميل

في المتن ساحلاً وجبلاً

مضايقات

لم يحدث في المتن الادنى امر فوق العادة على الصعيد الحزبي البحت فالدعاية قائمة على قدم وساق والمنطقة متحركة فاعلة ولكن شيئاً خطيراً بدأت بوادره تلوح في الافق وهو موقف السلطة المحلية العدائي من القوميين الاجتماعيين. كان المسؤول الحزبي الرفيق رشيد ابو فاضل يتعاطى بالامور العامة ولذلك كان مسؤولاً أيضاً في المجلس البلدي في برمانا عدا عن انه كان استاذاً في مدرسة الفرندز.

بدأت السلطة المحلية تضايقه في عمله ان في البلدية او في المدرسة. استدعاه القائمقام فؤاد البريدي اكثر من مرة في محاولات عديدة لاقناعه ان يختار بين الحزب ولبنان وعبثاً كان يجتهد الرفيق ابو فاضل في افهامه عدم تضارب الكيان الحزبي مع الكيان اللبناني الى ان وصلت المسألة مع حضرة القائمقام المكلف باحداث ازمات من هذا النوع الى التهديد والوعيد. كان هذا القائمقام اول من اعلن العداء السافر للحزب بنفسية المأمور العبد كما سيتبين لنا في المستقبل القريب.

كذلك تناولت المضايقات مكتبة بيت مري فحضعت لعدة حملات تفتيش من قبل مأموري الامن العام لان الوشايات كانت تتناولها بانها مكتبة تخص الحزب السوري القومي الاجتماعي بينما هي فعلاً تخص بيت مري وان كان الذين اسسوها ينتمون اليه. على كل حال باءت محاولات اقفالها بالفشل.

اول مآتم قومي اجتماعي

وفي حارة الغوارنة، انطلياس، جرى اول مآتم قومي اجتماعي لاول رفيق يتوفاه الله في المغرب الاميركاني، هو الرفيق فارس سلامة من الخمسة عشر عضواً الاول، من

رومية، المتن الذي كان قد غادر البلاد والحزب ما يزال سرياً.

حمل بعض اعضاء الحزب صورته المؤطرة بالزوابع في موكب خاشع الى كنيسة مار الياس للروم الكاثوليك حيث اقيم له قداس وجزاز تكلم على اثره الرفيق الشاعر وليم صعب مؤبنا الفقيد بكلمات قومية اجتماعية اثار انتباه الحضور مع ان الزمن كان زمن الانكشاف والتحقيق والمحاكمة.

في الساحل

كان في هذا الوقت قد انتمى الى الحزب جرجس رزق المعروف بجرجس البرماني من حارة الغوارنة - انطلياس التي كانت قد بدأت ان تكون قاعدة للشوعية. هذا الرفيق شبه الامي، «معلم عمار»، ناحت الحجارة اصبح من امهر الدعاة للعقيدة السورية القومية الاجتماعية مما كان يشير سامعيه لمعرفتهم بثقافته العامة البسيطة، وقد اصبح منزله احدى محطات الاختباء للمسؤولين الحزبيين اثناء تجوالهم السري على الفروع الحزبية وذلك لمركزه المنفرد البعيد عن سائر منازل الحارة.

وهذه المناسبة يجدر بي ان اذكر ان منزل الرفيق جرجس خليل ابو جودة من جل الديب قد اصبح ايضاً محطة اختباء وكذلك منزل الرفيق سليم سعد الله على حدود جل الديب - انطلياس.

بدأ نجم الرفيق الشاعر الزجلي وليم صعب في الصعود كما ان نشاط الرفيق بديع احوش بدأ يعطي ثماره في المتن الإدنى في مديريته الجديدة.

في المتن الشمالي

تألفت في المتن الشمالي مديرية في الشوير وبقيت مستقلة عن المتن الادنى وعين لها الرفيق فريد صباغ مديراً والرفيق جورج ابو ناصر ناموساً ومن اعضائها البارزين انطون نهرا، اسبريدون فرح ورثيف بدر. وبدأ الحزب يمتد بعد زرعون، باتجاه بتغرين فينتمي فيها حلیم صليبا وفؤاد كريم صليبا. وفي الختشارة الياس الرياشي الملقب بأبو احد وايوب سماحة وفي بكفيا - المحيثة ابراهيم كمال واسعد نصار وفي المتين حسين الحلبي وفي بسكنتا اديب ابو حيدر، الياس ابو حيدر، ناصيف ابو حيدر وجورج حداد.



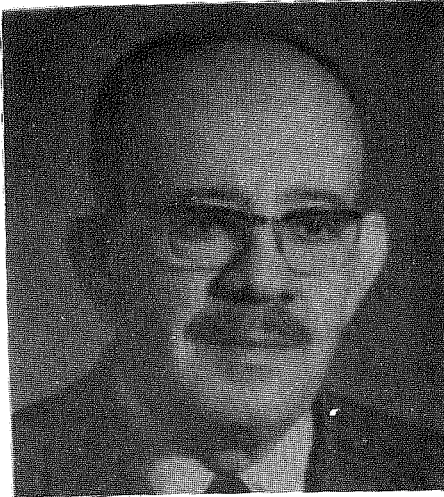
فريد صباغ

في المتن الاعلى

نما الحزب في المتن الاعلى نمواً تصاعدياً هائلاً حتى انه اصبح منفذية وفي وقت قصير جدا عين لها مديرها طبيب الاسنان فريد شكر منفذاً عاماً بالوكالة لمدة اختبارية. كانت اول مديرية مديرية رأس المتن، مديرها الرفيق عارف مكارم وفي حاننا مديرية مديرها الرفيق سليم رزق وفي شويت مديرية مديرها صالح ابو سعيد اما في باقي القرى فقد بدأت الفروع تنشأ واهمها مع اهم الأعضاء فيها هي التالية: قرنايل، نايف هلال، وديع الاعور، وحسين ابو فخر الدين هلال. القلعة، سليم المصري ونجيب المصري. بزبددين، كميل الخوري. وجميل ابو علي. كفر سلوان، عارف حاطوم وكامل سليمان المغربي. قبيع، فؤاد فخر الدين. العبادية، المسؤول



سلم المصري



جميل الحوري



جميل الحوري

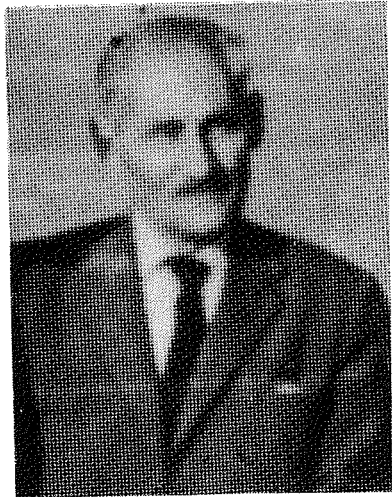
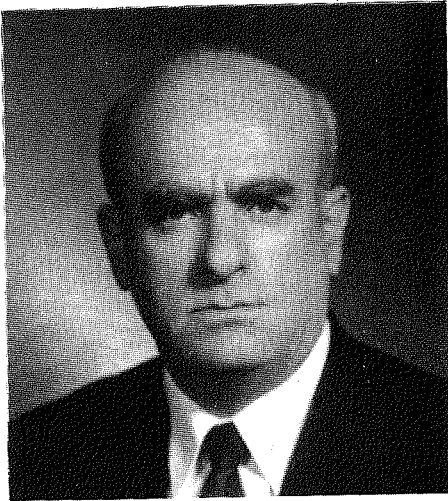
فيها سعيد نجار.. بتخيه، نجيب ابو الحسن، الصيدلي. الخلوات، ابراهيم الخطيب وعارف المصري.

★ ★ ★

على فرسه الحمراء كان المنفذ العام بالوكالة الرفيق فريد شكر يتجول في قرى المتن الاعلى يتفقد الفروع الحزبية وينشئ الفروع الحزبية الجديدة ويقوم بالدعاية الحزبية بلا كلل ولا ملل وفي الوقت نفسه يمارس مهنته يعاونه في هذه الشؤون الهامة اليوسفان: يوسف تاج ويوسف شقير. وكما يذكر قدامى القوميين الاجتماعيين الرفيق شكر وفرسه الحمراء لا بد انهم يتذكرون اليوسفين وقدمومها الى القرى راكبين جحشين يقطعان المسافات هرولة.

فؤاد فخرالدين

عارف حاطوم



في الغرب والشوف

في الغرب

وتشكلت منفذية جديدة من قرى جرد عالية ومن قرى الساحل سميت بمنفذية الغرب مركزها عاليه وعين الرفيق الدكتور محمد امين تلحوق منفذاً عاماً لها، يعاونه بشكل خاص الرفقاء امين عقل ورامز الريس وفؤاد خلف. وكان الحزب قد نما في قرى الجرد بصورة خاصة فاصبحت له فروع في بتاتر ومن اعضائها البارزين ضاهر عبد الملك، ملحم الغريزي وفايز أو فايق عبد الخالق. في الرملة خطار سلمان. في بيبصور محمد العريضي واسماعيل ملاعب. في عيتات لبيب تلحوق. في عيناب سليم الخوري وسليم زيدان. في عبيه نايف جمال.

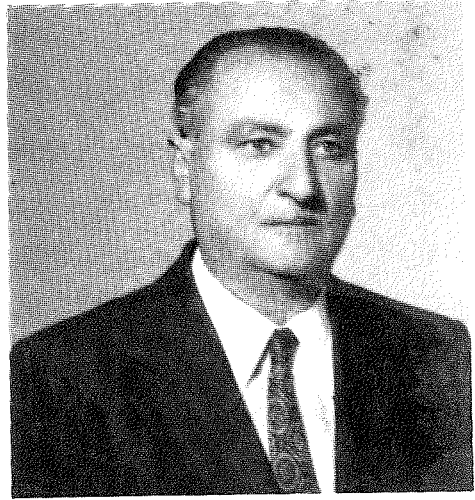
ومع نشاط الحزب السوري القومي الاجتماعي الملحوظ في كل قرى منطقة قضاء عاليه جرداً وساحلاً نشط تحرك آخر وان اضعف بكثير وهو التحرك على الصعيد «العروبي» الذي كان يقوده عارف النكدي، الشخصية ذات التاريخ السياسي على الصعيد الشامي ان في دمشق او في جبل حوران. كان مأخذه الاساسي التشديد على «السورية» بدلا من التشديد على «العربية» مع اعترافه بالمبادئ الاصلاحية وان كانت تطاله على الصعيد الاقطاعي، ومع احترامه لمحاربة الحزب للانتداب الفرنسي على صعيد طلب الحرية والاستقلال وترسيخ السيادة القومية. (كان لسان حاله مجلة «الضحى»)

في الجامعة الوطنية - عاليه

وما ان عاد فؤاد فخر الدين الى الجامعة الوطنية في عاليه حتى كانت باكورة ثمار

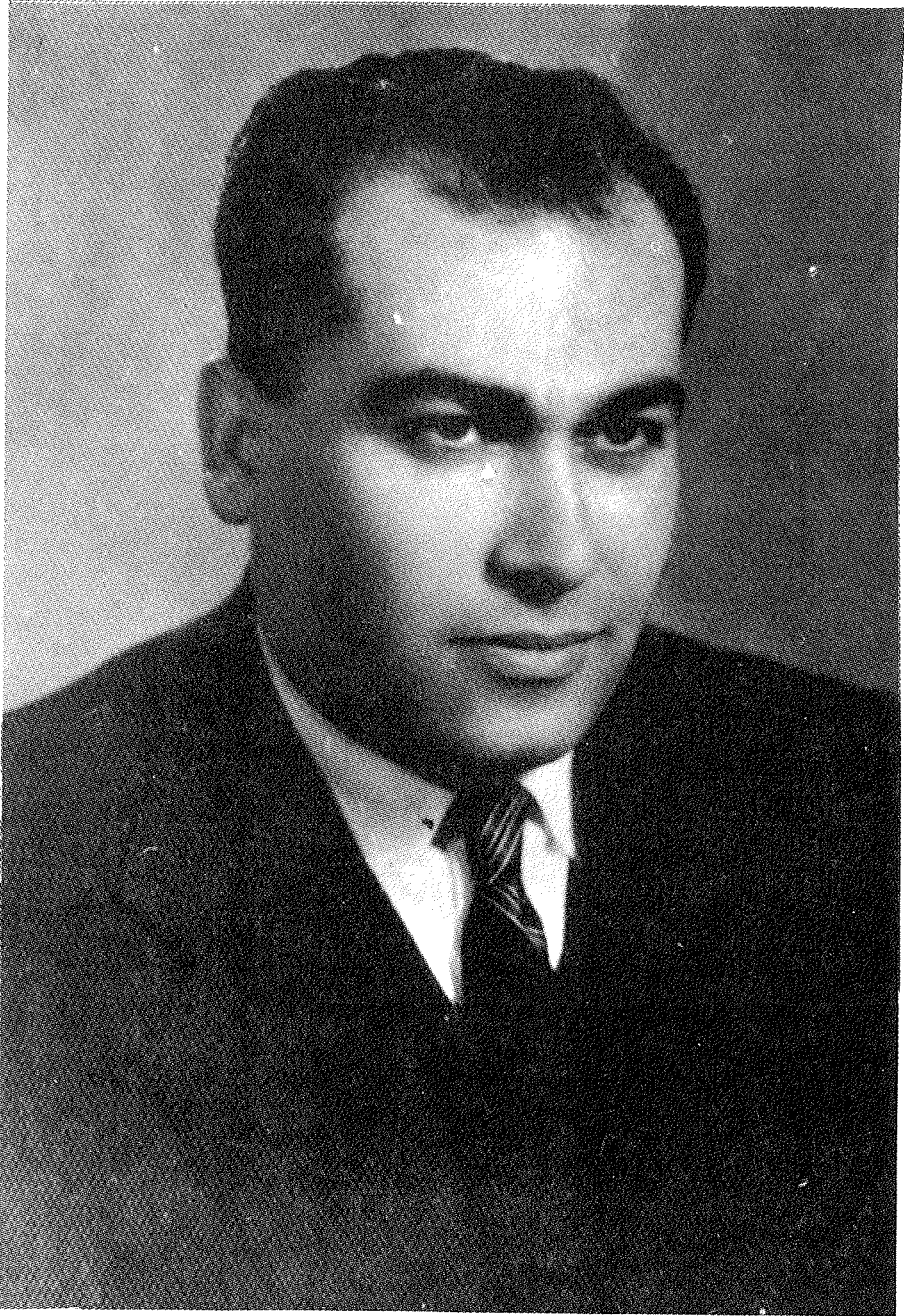


محمد المرصي



نايف جمال

عمله الحزبي ادخال الطالب كامل حسان، من بشامون، والذي بدوره اندفع للعمل الحزبي بنشاط وحيوية فكانت نتيجة اندفاعه ادخال الطالبين، نور الدين كنج من «مجدل شمس»، القنيطرة الجولان ومعروف سعد من صيدا. ومنذ ذلك الحين اصبح كنج وسعد ثنائيا طلابيا ثم ثنائيا في الفكر والعمل بعد تخرجها مما سنأتي على ذكر عملها في حينه في السنوات القادمة. (نور الدين كنج دخل المدرسة الحربية ووصل الى رتبة لواء).



كامل حسان



نورالدين كنج

في الشوف

يقول الزعيم في خطاب اول اذار 1938 : « ثم زرت منطقة الشوف التي يجري فيها نزاع شديد بين الحركة القومية ونفوذ الاقطاعيين... ». ولذلك قبل ان انتقل الى وصف هذه الزيارة التي كان اوجها اجتماع عماطور التاريخي اود ان اعود ولو قليلا الى الورا لوصف ماهية هذا « النزاع الشديد ».

لقد بدأ هذا النزاع الشديد مذ تمت المصالحة في عماطور بين عائلتين كبيرتين فيها هما عائلة عبد الصمد وعائلة ابو شقرا. واستمر تصعيدا مع نمو الحزب الذي وصل تقدير عدد اعضائه الى الف وستاية وثلاثين الى ان تحول هذا النزاع الشديد الى اضطهاد مكشوف.

مصالحة عماطور

كما تمت المصالحة في الكورة، في قرية النخلة، بين افراد من عائلة الايوي على يد السلطة الحزبية الممثلة بالمنفذ العام جبران جريج كذلك تمت المصالحة بين العائلتين عبد الصمد وابو شقرا على يد السلطة الحزبية الممثلة بالمنفذ اعام رفيق ابو كامل، كما سبقتها المصالحة بين بعقلين ودير القمر وتتوجت بالاجتماع في مغارة البوز، الذي مر ذكره في حلقة سابقة.

كانت الحزبية المحلية في عماطور عنيفة، بتقصّ المسار، حسب تعبير الامين عجاج المتهار، بتقصّ المسار اكثر من اية قرية في لبنان: قيسي وميني، جنبلاطي ويزبكي، شقراوي وصمدي. وكان القتل والضرب والمناقرات مواسم دائمة ولذلك فبالنادر ان لاتكون عداوة بين اثنين من عماطور وداوة الدم هي اعنف العداوات.

جرت المصالحة في منزل الرفيق فهد عبد الصمد وذلك بمناسبة زيارة الى عماطور قام بها المنفذ العام رفيق ابو كامل يرافقه فيها ناموس مديرية بعقلين آنذاك الرفيقين امين فارس خضر الملقب « أبو جميل »، بمعية الرفيق رفعت زنتوت وفؤاد مفرج. (كان الزعيم مايزال في السجن سنة 1935 - 1936) وما ان اجتمع الزائرون بلاعضاء القلائل، مسعود عبد الصمد، خطار باز وفريد ابو شقرا مع وجود صاحب الدار، طبعا، فهد عبد الصمد حتى جاءهم رسول من منزل قريب يُخص احد افراد عائلة ابو شقرا يطلب مقابلة المنفذ العام ويعرض عليه مشروع ادخال عدد من الشقراويين في الحزب على ان يتم ذلك في حارتهم.

كان الرفض نصيب هذا العرض. كان المشروع البديل ان يتقدم من يريد الانتماء الى الحزب الى حيث المنفذ العام موجوداً لأنه ليس لدى الحزب فرق بين عبد الصمد وأبو شقرا. وبعد مداوات وأخذ ورد أطل على الدار سليمان أبو شقرا من افراد العائلة متخطين العداوة العائلية بالانتماء الحزبي فعمت الفرحة الجميع ولكن زاد توتر أجواء الاقطاع فبرز النزاع الشديد المذكور في خطاب الزعيم وبدأت مرحلة اضطهاد اقوى بكثير من الحملة التي ذكرتها في حلقة سابقة التي تعرضت لها منطقة المتن الادنى، على يد القائم مقام فؤاد بريدي.

حملة الاضطهاد

وفما يلي نموذج صارخ عن اساليب هذا الاضطهاد كتبها لي الامين كامل ابو كامل: « كان الجو محموماً، كما مر بنا، وتم اعتقال الزعيم في 30 حزيران 1936 ولكن حملة الاضطهاد في الشوف قبل هذا التاريخ ومن ابطالها، الملازم في الاطفائية سليمان فرحات، من برج البراجنة الذي انتمى الى الحزب واخذ يخدم اسياده متسترا بهذا الانتاء ولكن سرعان ما انكشف امره فطرد من الحزب، اما في بعقلين بالذات، مركز التنفيذية فقد تولى مخفر بعقلين امر التضييق على القوميين الاجتماعيين بدءاً باعضاء هيئة التنفيذية. فالمنفذ العام شقيق الرفيق كامل ابو كامل يملك صيدلية وهي مورد رزقه الوحيد فالداخل للصيدلية اصبح معرضاً لغضب الجندرية واصبح عرضة لدفع «الظبوة»، ظبط بالدجاجات، ظبط بالمراحيض، ظبط بالخروف، الخ... حتى ضجّ الأهلون واكتشفوا بان الوسيلة الوحيدة التي تنجيهم من غضب الجندرية ودفع الظبوة هو الابتعاد عن التعامل مع الصيدلية.»

فِي البِقَاع

منفذية البقاع الغربي

ويتحول مدير مديرية مشغرة الرفيق ويليم ابو خليل الى منفذ عام للمنطقة كلها وتسمى منفذية البقاع الغربي. كانت المنطقة تموج بالمقبلين على الدعوة، المنخرطين في السلك القومي الاجتماعي مما سمح بانشاء منفذية فيها. ولا غرو في ذلك فهذه المنطقة ومشغرة الصناعية قاعدتها، كانت حديثة العهد بلبنائيتها السياسية وهي ما تزال مرتبطة بوشائج الدورة الاقتصادية السورية خصوصاً في سوقها الرئيسية مع دمشق بمسألة الجلود ودباغتها.

منفذية زحلة

اما زحلة فقد كانت لها قصة تختلف نوعاً عن سواها من المنفذيات، بدأ الحزب فيها افراداً، اذكر منهم الرفيقين توفيق التيني وسليم المعلوف، ولكنها نمت بسبب سياسي وذلك عندما التقى فوزي بردويل بوفد الحزب في مؤتمر الساحل الذي اوردت ذكره في حلقة سابقة. كان فوزي بردويل محامياً ناشئاً في زحلة عندما التقى بعدد من مواطنيه واسسوا «رابطة الشباب الحر» لمحاربة الانتداب من جهة وللعمل على وحدة البلاد السورية من جهة اخرى. دعي الى مؤتمر الساحل فالتقى بوفد الحزب المؤلف من صلاح لبكي ومأمون اياس، وبعد المؤتمر حصل اجتماع بينه وبين ممثلي الحزب في منزل نائب الزعيم صلاح لبكي حيث انتمى الى الحزب بعد نقاش وبحث وتردد. كانت العقبة الكأداء ممثلة بالعروبة ولكنها ذلت بالفهم المدرك والاقتماع الواعي.

على اثر هذا الانتفاء فار الحزب فورة عديدة لامثيل لها. اذكر ممن انتمى آنذاك

انطون رامى المحامى، طانيوس البقاعى المحامى، جوزيف بجمدونى صاحب اللسان الاذاعى، المحامى الناشئ نظمي عزقول، وديع نصر الله، جورج هاشم، الاديب والشاعر خليل القادري ونقولا ريا. ومن زحلة امتد الى تربل، المعلقة، سعد نايل، قب الياس، شتورة، بر الياس.. اصبح بالحمدونى منفذاً عاماً لمنفذية زحلة التي انشئت على الشكل المذكور.

مؤامرة اغتيال

بينما كان يجري هذا الانتشار في زحلة والقرى المجاورة لها كان اعضاء مديرية رياق يتعرضون لكل انواع الاضطهاد من قبل الفرنسيين الذين قاموا بعملية طرد جماعية لكل قومي اجتماعي يعمل في المطار او في محطة سكة الحديد ثم توسعت عملية الطرد فشملت كل من يمت بصلة قرابة من المدير الدبس الى ان بلغت اوجها عندما توصلت الى طرد كل من يعرفون انه من دير الغزال (ضيعة الرفيق الدبس) حتى وصلت بهم القحة الى القول لهم « اذهبوا الى الموسيو دبس فهو يدبر لكم عملاً في الحزب ».

كل هذا كان يعتبر مرحلة عارضة ولكن حدث ما لم يكن يخطر ببال احد امكان حدوثه « مؤامرة اغتيال » وهذه قصتها كما يرويها الرفيق الدبس:

« في احدى الليالي وكانت الساعة الثانية عشر ليلاً سمعت قرعاً على الباب فقمنا لافتحه وشد ما كانت دهشتي عندما شاهدت فتاة فرنسية، والدها كولونيل في الجيش الفرنسي في رياق وكنت قد تعرفت عليها في بيت احد الاصدقاء في رياق؛ هذه الفتاة لا ازال اذكر اخلاصها ووفاءها حتى اليوم، قالت « لا تتعجب من مجيئي اليك في هذه الساعة المتأخرة من الليل فأسمع ما جرى: كان الاجتماع في بيتنا الليلة وقد كلف احد الجنود باغتيالك عند ذهابك الى رياق دهساً بسيارة رينو رقمها كذا... فانتهب لنفسك وكن حذراً وانني افضل ان لا تنزل الى رياق هذا الاسبوع وسأخبرك بكل التفاصيل فيما بعد » ثم ركبت حصانها وعادت في الحال.

« اتخذت الحيلة للامر وكلفت احد اصدقائي الذي اعرف انه على اتصال دائم باحد الضباط فجاءني بالمعلومات التالية: ان صاحب الرينو الحمراء كان يذرع رياق ذهاباً واياباً مرات عديدة في النهار وهو يحمل اسمي بيده عله يهتدي الي للقيام بما كلفوه. في الاسبوع نفسه بينما كان الجندي المسكين يقوم بمناورته كالمعتاد ويظهر انه كان قد شرب كثيراً من الخمر اصطدمت سيارته بعامود الكهرباء وتحطمت ونقل الى

المستشفى وهو في غيبوبة. وهكذا نجوت من الخطة الجهنمية التي كانوا قد اعدوها لي» .

الشرطي القومي

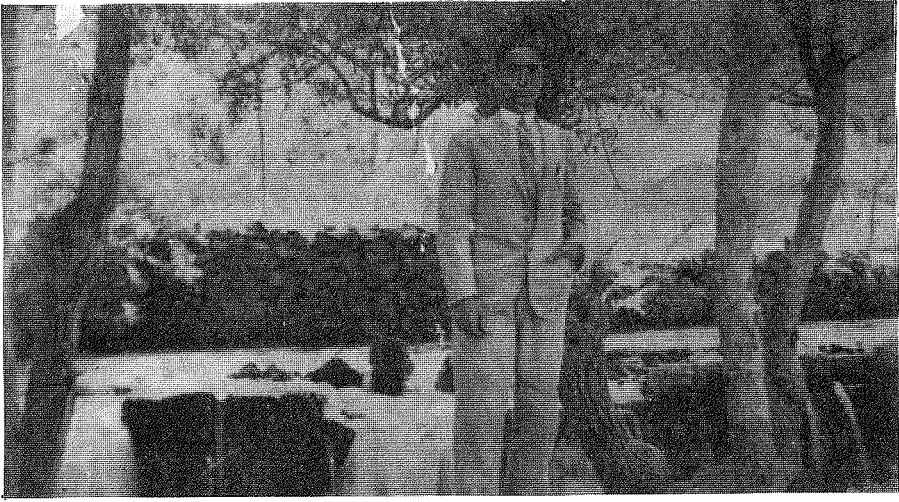
والشيء بالشيء يذكر. روى لي الرفيق دبس الطرفة الحزبية الآتية: «اتفقت مع ادارة الكلية الوطنية في الشويفات ان اكون احد معلمها وحدث انه بعد رجوعي من عطلة في دير الغزال وعند وصولي الى بيروت، وكانت الحكومة قد اصدرت امراً بتفتيش جميع القادمين اليها، وحين نزولي من السيارة وقد ناديت احد الجمالين ليحمل لي حقيبتني وكانت مملأى بالثياب وبعض الحلويات التي تعودت الوالدة ان تضعها لي عند انتهاء كل عطلة، (بجمع مربى السفرجل، بجمع تين مغلي بالجوز والسهم وزجاجتا عرق زحلاوي من الجنس الممتاز) وماكدت انادي الجمال حتى اقترب مني شرطي يحمل على جنبه مسدساً اميرياً وهو يعتقد نفسه انه نابليون وانه نازل الى معركة واترلو وقال: «مرحبا، يا شاب». قلت: «مرحبا» قال: «اريد تفتيش الحقيبة» قلت: انا استاذ مدرسة في الشويفات وذهبت الى عملي بعد عطلة العيد ولا اسمح لك بالتفتيش» قال: «هذا هو القانون» قلت: «نحن اول من يحترم القانون ولكن القانون لا يسمح بتفتيش رجال العلم» قال: «انا لا افهم غير الاوامر المعطاة لي» قلت: «ولكنني انا افهم ذلك والاحسن ان تبعد عن طريقتي والا شكوتك الى رؤسائك وانت لاتعرف من انا» .

نسيت ان اقول ان نقل زجاجات العرق كان ممنوعاً منعاً باتاً، كما ان داخل الحقيبة كان يوجد سكين كبير مذهب كان اهداء الملك فيصل الى اخي سمعان يوم كان يرئس تحرير جريدة «صدى العهد» في العراق، وهذه ممنوعة ولكنها كانت غالية كثيراً علي لانها ذكرى طيبة وجميلة.

وما كنت اقول «انت لاتعرف من انا» حتى اقترب واستحلفني بالله ان اقول له من انا فقلت: «انا يوسف الدبس» قال: «هل انت الذي قلت الشعر في بيت نعمة ثابت والذي يقول:

لا تبشر بوحدة القوم ما لم تتوحد اسلامهم والنصارى

قلت: اجل انا هو، ومن اين تعرف ذلك» قال: «انا الشرطي حلاوي، وانا قومي مثلك وقد سمعتك تتلو القصيدة في تلك الليلة الحلوة». وبعد ان صافحني بالاشارة



نجيب حلاوي في الباروك

المتفق عليها في ذلك الوقت، مد يديه حول خاصرتي واخذ يقبلني واقبله حتى انتهينا فقال: « لو كنت تحمل جبخانة من السلاح الممنوع لما تجرأ احد ان يمد يده الى شيء منها » ثم نادى على سيارة عمومية واصعدني اليها واوصلني الى الكلية في الشوينات وهو يقول: « كل خدمة تلزم يا استاذ » وودعني قائلاً: « لتحي سوريه ».

★ ★ ★

وقد وصل الحزب الى بعلبك بشخص احد المنتمين الجدد اليه، هو الطبيب المتخرج حديثاً، عبد الله الرفاعي، وفي الهرمل تضافرت جهود الرفيقيين حسين الساحلي ومحمد سيعد القبوط فنشأت مديرية الهرمل المستقلة، مديرتها الرفيق الساحلي.

في المدن السورّية

في دمشق

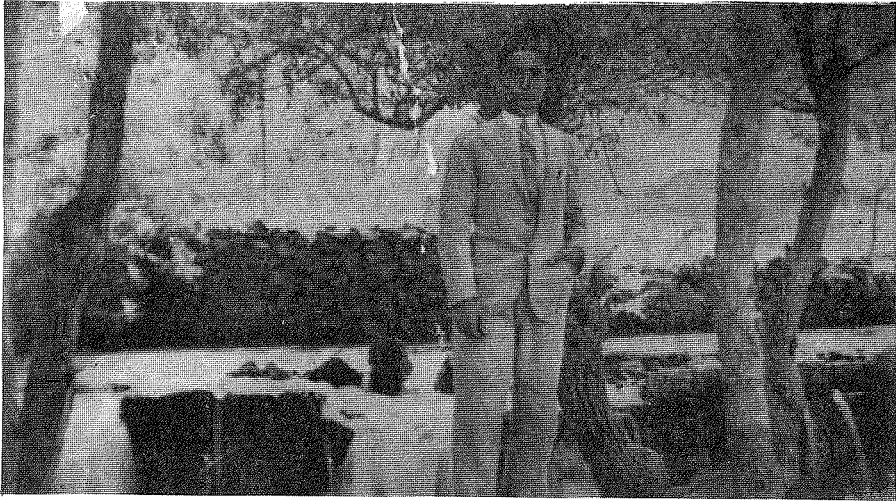
ما عدا الطلبة القوميّين الاجتماعيين الذين اتيت على ذكرهم في الحلقة السابقة فقد نشأت مديريةية للحزب، مديرها الطبيب روجي الخياط ومن اعضائها نور ايوب آغا، زكي صواف، الياس الترك، يوسف اليازجي، رشيد فرعون، حبيب قميح وهو من زحلة، فؤاد عبّو وأدمون عبّو وهما من بسكنتا المتن الشمالي، جورج شماعة وجورج عزام.

بدأت هذه المديرية تعمل حزبيّاً ولكنها مالت سياسياً اكثر من اللزوم فان مديرها انجذب بطروحات الكتلة الوطنية السياسية مما ادى الى اعادة نظر القيادة المركزية بتعيينه فاوفدت المفوض اياس لتدارس الامر وتقديم تقرير بشأنه.

في حمص، حماه وحلب، دير الزور

وصل الحزب الى مدينة حمص عن طريق طرابلس فانتمى اليه فوزي سحلول ثم سري الحلبي. وفي حماه انتمى الى الحزب الشاعر الدكتور وجيه بارودي وبعده اكرم الحوراني، خليل كلاس، نديم الباوي اما اديب الشيشكلي فقد انتمى الى الحزب وهو منخرط في سلك الجيش الفرنسي الذي كان يسمى «جيش الشرق» وكان برتبة ملازم وكذلك زميله في السلك والرتبة امير لشلاش من دير الزور وصلاح شيشكلي... فكانوا اول العسكريين القوميّين.

أما في حلب فقد كان اول عضو فيها عمر ترمانيّني وكان قد تخرج حديثاً من



نجيب حلاوي في الباروك

المتفق عليها في ذلك الوقت، مد يديه حول خاصرتي واخذ يقبلني واقبله حتى انتهينا فقال: « لو كنت تحمل جبخانة من السلاح الممنوع لما تجرأ احد ان يمد يده الى شيء منها » ثم نادى على سيارة عمومية واصعدني اليها واوصلني الى الكلية في الشوينات وهو يقول: « كل خدمة تلزم يا استاذ » وودعني قائلاً: « لتحي سوريه ».

★ ★ ★

وقد وصل الحزب الى بعلبك بشخص احد المنتمين الجدد اليه، هو الطبيب المتخرج حديثاً، عبد الله الرفاعي، وفي الهرمل تضافرت جهود الرفيقيين حسين الساحلي ومحمد سيعد القبوط فنشأت مديرية الهرمل المستقلة، مديرتها الرفيق الساحلي.

في المدن السوربة

في دمشق

ما عدا الطلبة القوميون الاجتماعيين الذين اتيت على ذكرهم في الحلقة السابقة فقد نشأت مديرية للحزب، مديرها الطبيب روعي الخياط ومن اعضائها نور ايوب آغا، زكي صواف، الياس الترك، يوسف اليازجي، رشيد فرعون، حبيب قميح وهو من زحلة، فؤاد عبّو وأدمون عبّو وهما من بسكنتا المتن الشمالي، جورج شماعة وجورج عزام.

بدأت هذه المديرية تعمل حزبياً ولكنها مالت سياسياً اكثر من اللزوم فان مديرها انجذب بطروحات الكتلة الوطنية السياسية مما ادى الى اعادة نظر القيادة المركزية بتعيينه فاوفدت المفوض اياس لتدارس الامر وتقديم تقرير بشأنه.

في حصص، حماه وحلب، دير الزور

وصل الحزب الى مدينة حصص عن طريق طرابلس فانتمى اليه فوزي سحلول ثم سري الحلبي. وفي حماه انتمى الى الحزب الشاعر الدكتور وجيه بارودي وبعده اكرم الحوراني، خليل كلاس، نديم الباوي اما اديب الشيشكلي فقد انتمى الى الحزب وهو منخرط في سلك الجيش الفرنسي الذي كان يسمى «جيش الشرق» وكان برتبة ملازم وكذلك زميله في السلك والرتبة امير لشلاش من دير الزور وصلاح شيشكلي... فكانوا اول العسكريين القوميين.

اما في حلب فقد كان اول عضو فيها عمر ترمانيبي وكان قد تخرج حديثاً من



اكرم الحوراني

المدرسة المهنية وكان ذلك على يد الرفيق اكرم الحوراني وعلى هذا الاساس اصبح الرفيق فوزي سحلول اول مسؤول في مدينة حصص والدكتور وجيه بارودي اول مدير لمديرية حماه المستقلة.

في اللاذقية، بانياس، طرطوس، صافيتا، مرمريتا، مقعبرة فتلك الخ وابتدأت الفروع تنشأ للحزب رويداً رويداً في منطقة اللاذقية ففي المدينة نفسها انتمى اديب عازار من بكفيا، مقيم في اللاذقية ويعمل في ادارة مطابع جريدة الارشاد، واحمد الشيخ خميس، احد الادباء الناشئين، عبد السلام جود احد الصحفيين وصاحب جريدة صغيرة اسبوعية اسمها « الغول » وخالد شقير صحافي ايضا.



اديب الشيشكلي



صلاح الشيشكلي

في بانياس انتمى الى الحزب المحامي اللامع شكري ديب وبجانبه مدير فرع الريجي في بانياس شفيق تحوف الذي كان له مركز اجتماعي مرموق لدمائة خلقه ومحبه الاجتماعية، طبيب الاسنان عفيف بشور من صافيتا المقيم في بانياس ومحمود احمد حبيب، نجل مفتي العلويين في المنطقة.

اما في طرطوس فقد اصيب المديرية التي كانت قد نشأت فيها في عهد السرية بنكسة مريعة. كانت هذه المديرية تابعة لمنفذية طرابلس وكان مديرها الرفيق رياض عبد الرزاق نجل نائب المدينة آنذاك والمسؤول الاساسي عن الكتلة الوطنية في هذا الزمن الذي نتكلم فيه والذي كان عارماً بتيارات الوحدة السورية على طريقة الكتلة المذكورة والعمل على نوال المعاهدة كما مر بنا سابقاً. مما اثر على صحة ايمان هؤلاء الاعضاء فانجرفوا مع تيار الكتلة. بلغ عدد اعضاء هذه المديرية ما يقارب الخمس والاربعين عضواً بفضل وجود التيارات المذكورة وبفضل نشاط مذبعتها الياس جرجي الحديث العهد بالعمل الحزبي.

واي انقل عن جريدة البناء العدد 189 تاريخ 18 تشرين الثاني 1974، الخاص بذكرى التأسيس هذا الوصف الواقعي للوضع الذي كان سائداً، آنذاك، بقلم الياس جرجي:

اما اسباب النكسة المباشرة فاني انقل عما كتبه بهذا الصدد الرفيق الياس جرجي في جريدة «البناء» العدد 337 تاريخ 22 تموز 1978 تحت عنوان «من التراث الحزبي»: «في طلعة من اعلنوا آنذاك انسحابهم من الحزب بتهمة خروجه على «العروبة»

الدكتور علم الدين بنشره مقالا مطولا في جريدة «الايام» الدمشقية. ما إن وصلت جريدة «الايام» هذه الى طرطوس حتى سارع مدير مديرية طرطوس الى عرضها على الرفقاء طالباً منهم الانسحاب من الحزب الذي لا يؤمن بعروبة الدكتور علم الدين. فكان له ما أراد بسهولة مذهلة اذ وافقه على الانسحاب من الحزب اربعون رفاقاً من اصل خمسة واربعين. وقد دبح المنسحبون عريضة «طويلة عريضة» توجهوا بها الى مركز الحزب في بيروت باعلان حل فرع الحزب في طرطوس والعودة الى قواعدهم العروبية «سالمين ظافرين». أما الخمسة الباقون فلم يوقعوا العريضة وقد اكدوا لرياض عبد الرزاق استمرار ايمانهم بحقيقة الحركة السورية القومية الاجتماعية مع توكيد عدم استعدادهم لمتابعة اي نشاط حزبي في تلك الآونة».

«تالت الاخبار وتوفرت المعلومات عن سير المحاكمات والتحقيقات في الصحف والاذاعات، فضلا عن النشرات المعادية التي برزت فجأة امام الرأي العام مجهولة المصدر والمقصد. وقد تنوعت المواقف من الحزب وتضاربت الاراء حول اغراضه ونواياه، وحول تمادي تدابير المفوضية الفرنسية المتخذة بشأنه، وما تنوي اتخاذها من اجراءات. اتسع اهتمام الناس به، خاصة الفئة المثقفة الواعية التي تحركت اقلامها لتأييده والاشادة بمبادئه وصلابة رجالاته. وتعمقت متابعتهم الجدية لكل ما كان يقال ويشاع ويكتب عن الحزب سلبيا او ايجابيا وعن تحركاته ومسلك اعضائه اثناء الملاحظات المتزايدة والضارية لهم في كل مكان. حتى صار الحزب واخباره موضوع الساعة الغالب والاهم بين سائر مشاغل الناس عموما، وموضع النقاش اليومي ومدار التعليق للجميع، كما اصبح مرمى التجريح لدى محترفي السياسة التقليديين ومحتكري الوطنية المزمين، هؤلاء المهتمين بالشؤون العامة على طريقتهم الخصوصية، وبأساليبهم اللااخلاقية العاجزة التي كثيرا ما افاد منها الاجنبي المغتصب لحق الامة ليعبث اكثر بمصالح الشعب وامانيه.

لبنان والعروبة:

فأخذت تنهال على الحزب شتى الاتهامات، وتتناوله السنة الافتراء والتجني، توجهها وتطلقها الدولة الفرنسية وزبانياتها، عملاء السوء، سموما في الدسم بمتناول جميع الجماعات والافراد، بينهم الاغبياء النافعون المسخرون للاغراض الهدامة، ومنهم الافاكون المتمرسون بالارتكاب، جماعة المأجورين المنتفعين من تفاقم الولايات تنصب على كاهل الشعب، ومن سيطرة كابوس الانتداب على مرافق البلاد وعلى طاقات

العقول والنفوس في الامة، متى تحركت لتنتج وتبدع، وحين تحاول الانعتاق والانطلاق للافضل. من بين هؤلاء الشامتين، على اختلاف سوياتهم الفكرية النفسية، تشكلت جبهة المستعمر، وتكونت قاعدة غدره وتأمرة على الحزب لينقض على افراده ايها وجدوا وحيثما حلوا محاولين احداث التأثير المطلوب لانارة الطريق المنشود الى اقتلاع سموم الاجنبي ومخالبه في النفوس والهمم والعقول. وم تداعى هذا الخليط من اصناف الخنوم لتحوير مواقف الحزب النبيلة وافكاره البناءة جاعلين منها مادة ارتكاب مركبة وذريعة تجريم محبوكة لاستمرار الملاحظات التي لا تنتهي على كل الجبهات والصعدان.

من ابرز تلك الاتهامات واشدها خطورة، لو ثبتت، التي ابتكرتها الادمغة الخلاقية لمحاربة الحزب الناشئ، لصد انتشاره النامي، وكبح انتصاراته، والتي نشرها بين صفوف الشعب، بشتى اساليب الدس والتزوير ووسائل الاغراء والارهاب، بغية تشويه حقيقة الحزب وتلويث مواقفه البطولية ونبيل مقاصده ومراميه، هذه الاتهامات هي ان الحزب ضد لبنان وضد العروبة ناهيك عن كونه حركة منافية للدين والاخلاق، وهو العميل الموصوف لحساب دولة اجنبية او دول عدة في آن واحد، دون ان يتوصل اولئك المرتزقة الخائفون على منافعهم الخاصة الى الاتفاق على تعيين الدولة التي يزعمون ان الحزب يعمل لها. هكذا اصبح الحزب بين ليلة وضحاها وبقوة تأليب سحري، « مؤامرة على الدين والوطن » اللذين يرعاهما، بالطبع، الاجنبي، ويتعهدهما بنبله المشهود وغيرته البريئة، من اجل سواد عيوننا وراحة نفوسنا الابدية في فناء جنة الفردوس. مع العلم « ان اقتنالتنا على السماء قد افقدنا الارض » دون ان ننال السماء التي لا نبلغها بالرياء والاثم بل بالصدق والفضيلة. لكن ما اكثر ما يؤخذ به سواد شعب طيب السريرة، ساذج الرؤيا، مغلوب على امره، ولا اسهل مما يصدقه ويعتقه بالتكرار والتوكيد المصحوبين عادة بالتهديد والوعيد، فينقلب بنظره الباطل حقيقة قاطعة وبقينا لا يهتمل الشك ولا يتقبل حتى بداهة السؤال والتساؤل ولو بقصد الاستفهام والاقتناع البريء.

هكذا بقوة الحراب وسموم التضليل والتهويل، يصبح مصير الناس وكرامة الانسان في مجتمع مغلول الارادة سجين الادراك، رهن الاشاعات والتلفيقات والتخرصات. تتفنن اخراجها وفرضها وتعيد نشرها فئة فاجرة مأجورة لحساب خصوصياتها الوضيعة ومآربها الحقيرة المحقرة. تلك فئة لا تعبا بما ينالها هي اخيرا من

اذى، وما تصيب به ابناء الامة جمعاء من ويلات ومآس، ولا ترعوي، عما تسببه من خراب ودمار للبلاد بأسرها حتى تسقط ذليلة وتهوي بالشعب كله فريسة حقدتها وأثمها، اذ تتحول الى ايشع اداة لاشنع ارتكاب، وتبقى للتاريخ اقدر عبرة لاقبح اجرام.

الحزب ضد لبنان او ضد الكيان اللبناني لانه يعمل لتنقيته من ادران الطائفية وآفات الاقطاعية حليفها الدائمة، ومن العشائرية وسائر العصبية الجزئية المدمرة لكل اخاء قومي وكل وحدة حقيقية صميمة، والفاثكة بكل عوامل النمو والارتقاء، والمعطلة لكل مناعة حضارية صحيحة تصون الكرامة والكفاءة. اجل كيف لا يكون الحزب ضد لبنان، وهو ما زال يناضل لانقاذه من عبث الكيانية الواهية والضائعة به بين مطامع الاجانب المتربصين في كل زاوية ومنعطف، وبين تلاعب المستغلين، يهود الداخل، من ابنائهم، كي يجعل كيان لبنان نطاق ضمان للفكر الحر يشع منه ليضيء مدى محيطه الطبيعي في رحاب الوطن السوري كله.

ان الكيان القائم على الاقطاع والطائفية يرى نفسه في حالة عمز دائم عن التعبير عما تكنه اصالة بنيه من نور واشعاع، ومهما استنبط من طرق، فلا يسعه تأمين الامان والرخاء للشعب الذي يعاني بالاجمال القلق والبؤس بسبب قلة ضئيلة ترتع في مجبوحة ثروة متزايدة، بينما تشكو الاغلبية الساحقة من تصاعد الفقر المدقع والحرمان المفزع. مما يفقده امكانية التوازن والاستقرار الاقتصادي، النفسي والاجتماعي. ولا من ينقذه من توالي الازمات والهزات الناجمة عن طبيعة تركيبه الاجتماعي، الا مبادئ النهضة القومية الاجتماعية، امل الامة الوحيد، وما يقدمه من حلول كلية شاملة كل اوجاعه.

الحزب ضد العروبة لانه يريد لها خالصة من الاوهام، متحررة من الانفصالات الديماغوجية الغوغائية ومن لوثة الطائفية العنصرية ليقمها عروبة حقيقية على اساس من الواقع والعلم ومن منطق الاجتماع ومفاهيم الاقتصاد والسياسة المتبصرة بمحاثق المصير ومعطيات السيادة. فيقاوم الحزب عقلية الانجرار الخالم وراء سحب التمني والتغني في العالم العربي، ليكون منه جبهة تقف سدا منيعا ضد المطامع الاجنبية المستشرية، وقوة تدرك لتقرر وتنصر للحق والحرية، حتى تستعيد الاجماد التالدة، لكن بنظرة جديدة الى الحياة والكون والوجود، نظرة مستمدة من واقع روح العصر، ومضمون حضارة العلم والثقافة التي تريد وتحقق لانها تعرف وتعني ما تريده، نظرة تقيم البناء الحقيقي على المعطيات العلمية العملية، لا على الفرضيات الايدولوجية التي تعني بالنظريات

وتغوص في تيه التجريدات. شتان بين ان نكون ضد العروبة وبين ان يكون لنا في العروبة رأي نقدمه للحوار والاقناع العلمي المتحرر.

الدين والاخلاق:

الحزب ضد الدين والاخلاق لانه يؤمن بوحدانية الله داعيا الى الحرية والواجب والنظام والقوة للجميع، لانه ينتشل حيوية الانسان السوري في كل مكان من حضيض البغض الطائفي، والحقد الطبقي والعدوانية، ويسمو به الى اشراقة الحق والخير والجمال، لتصبح الامة مجتمعا واحدة، لا مجرد اقلية محرومة خاضعة واكثرية طامعة متعالية، ويغدو الدين تعامل الناس بالمحبة والايمان والمساواة الصادقة، دين التوحيد يترفع عن مزلق الطائفية القائمة على الشك والنفاق والاستعلاء والمتاجرة باسم الدين. الطائفية وليدة الخوف، عاصية على الانفتاح والتعاون الخالص وعلى عقلية اليقين والصفاء. الحزب يفهم الدين رابطة فاضلة، لا تفرقة منكرة جانبية يجرمها الله وياباها المجتمع، لان الحزب يؤسس عقلية اخلاقية جديدة على الصدق والعطاء والقدوة بالمناقب المتفوقة في البناء والتضحية، عقلية تمجد الخالق بتكريم خلقه القائم على الاخلاص والامانة.

الحزب ضد الدين ايضا لانه يطالب رجال الدين كي يكونوا رجالا للدين بالتقوى والفضيلة. ويناشدهم التصرف الجريء بمناقب الايمان والتجرد الشامل لجميع الناس، لا ان يتبارى فريق منهم لتزعم جبهات خصام وفرق نزاع وقتال باسم حقوق مزعومة مهدورة لطوائفهم وذويهم والمقربين اليهم، كم قاد هؤلاء الفتن الوييلة باسم السلام والامان، ناكلين بمفهوم الاخلاق الدينية الشديد الوضوح لدلول المصلحة ومعنى المصير والبالغ اسمى العدالة والانصاف فوق كل تعصب وتزمت مقيت، لولا مفسدة الطائفية لما وسع الاقطاع التحكم بذوي المواهب والكفاءات وارغامهم على الركوع او النزوح، وبالاخلاق الطائفية الشرسة تم تحالف رجال الدين مع الاقطاع والمظالم لضرب الشعب واذلاله في مواقع كثيرة من تاريخ الامم والشعوب. شتان بين الطائفية الدينية التي تجمع المؤمنين الممارسة للدين، وبين الطائفية اللادينية التي توغر الصدور بالحقد والضغينة للخروج على الدين، والتي تحارب مناقب الدين الاصيل في النفوس والعقول بتحويلها المواطن الصالح الى مواطن منافق بالدين، عدو لكرامة مجتمعه وسلامته لانه عدو لوحدته، بينما يكون الدين سماحا وتسامحا نشهد الطائفية مجال احتكار وميدان استيلاء على حقوق الغير بشتى الذرائع اللااخلاقية. الدين وحدة واتحاد لمواجهة اله

واحد ومصير واحد اما الطائفية فانقسام وفرقة وخصومات .

لم يكن الله مرة للمسيحيين وحدهم ولا للمحمديين دون سواهم، انما هو رب العالمين قاطبة دون تفریق ولا تمييز « والخلق كلهم عيال الله واقربهم اليه انفعهم لعِياله ». وليس غير اليهودي من سفح حرمة هذا الايمان الحق وارتكب الاثم الصهيوني باعتقاده انه شعب مختار وان هناك رب لاسرائيل، يقف كل وجوده وجهوده ليرعى شؤونها وشجونها ويتعهد مصالحها ومطامعها على حساب سائر الامم، بل على انقاضها ايضا دون تورع من ارتكاب الاثم والعدوان .

الحزب ضد الدين ومناهض للاخلاق لانه القائل بحقيقة خالدة بها آمن ولها علم منذ نشأتها وهي « ليس من سوري الا وهو مسلم لرب العالمين، منا من اسلم لله بالانجيل ومنا من اسلم بالقرآن ومنا من اسلم بالحكمة، وليس لنا من عدو يجارنا في دننا ووطننا الا اليهود ». .

المفاوضات لا تعد نصرا :

ابان موجة الاعتقالات المتفاقمة والمحاكمات المتصاعدة التي تعرض لها الحزب، آنذاك، وما رافقها من تخريب نفسي وتسميم فكري تجاه الحركة القومية، حدث ان اجتاحت المناطق الشامية عامة اضطرابات ومظاهرات صاحبة تخللتها حوادث عنيفة ضد السلطة المنتدبة، تطالب « بالوحدة السورية » لتضم منطقة اللاذقية في الساحل ومنطقة جبل حوران في الداخل الى محافظات دمشق والمنطقة الوسطى مع الشمال والشمال الشرقي في الجزيرة العليا، منطقة الخابور الفرات. وقد ادت وقفة الشعب الصامدة الى ارغام الاجنبي على قبول مبدأ المفاوضات مع وفد سوري عهد بتشكيله الى جماعة الكتلة الوطنية الشامية التي كانت تدير دفعة النضال ضد المستعمر. فكأن ذلك مناسبة كسب مهمة لقضية البلاد، وبالتالي، تحقيق التفاف شعبي اشد واقوى حول الكتلة الوطنية من معظم الجماعات الوطنية العاملة في مجال المقاومة السلبية ضد الغاصب. فغمر البلاد من اقصاها الى اقصاها حماس منقطع النظير وسيطر تفاؤل عارم على سلوك الجماهير الشعبية حتى توهم الناس، على العموم، ان مجرد قيام التفاوض مع العدو هو بحد ذاته القوة القادرة على تدليل كل صعوبة قد تعترض سبيل الانتصار على المستعمر وانتزاع الاستقلال الناجز من بين برائنه، دونما حاجة الى تخطيط عملي لمواجهة كامل مراحل الصراع الدائر وكيفية الاحتفاظ، على الاقل، بالمكاسب التي قد تحصل بشكل او بآخر، وكيفية معالجة الفشل، اذا وقع، وتدبر النجاح .

كأن الاستقلال هو تحرك جماهيري ينصب انفعالا عفويا على العدو لاجراجه واخراجه من الوطن تحت كأبوس الغوغاء الحائقة الهائجة، ثم ينتهي كل شيء وينصرف الناس الى مشاغلهم الخاصة احرارا مستقلين، وتسير شؤون البلاد بهذه البساطة آمنة مطمئنة الى محجة الامال والامنيات. ليس الاستقلال هذا الاندفاع الساذج ضد الخصم او ضد طريدة مستهدفة، ولا هو تحريض حاقد موجه ضد كل من تسول له نفسه الانتقاد او معارضة جموع التيار المهيمن او احد قاداته المتريعين سعيدا فوق الاعناق المنحنية، سواء كان هذا المعارض مواطنا مخلصا ومدركا لعواقب الارتجال ومغبة الاعتباط او كان عدواً متأمرًا دساسا. هل يكون الاستقلال تحكّم فئة من المغامرين المقامرين بمقدرات الشعب ام باطلاق حرية جماعة ما، لانها مأخوذة بأوهامها وتخيالاتها، للتصرف على هواها بمصير الوطن والامة، مهما كانت نواياها بريئة ناصعة؟ هل تكون الاعمال بالنيات في المسائل العامة التي تتناول حياة شعب بأسره؟ وهل يسجل التاريخ الاماني والنيات ام الاعمال والافعال؟ الانسان بطبيعته لا يرى النوايا الا مجسدة وقائع راهنة، ولا يسعه ان يتلمسها طي الاذهان والنفوس خارج اطار التحقيق الحي الفاعل في الوجود ولا يجوز له اصلا ان يبحث عنها ويقيّمها ما دامت لم تولد ولم تلد له الخير والنفع الحقيقي ولم تسهم في السمو به وبمرافق حياته الى الاعلى والارقى. بهذه العقلية فقط تبني الاوطان وتنتصر على عوامل الضعف والتخاذل والتسليم الاعمى بالاوهام وترهات الاصنام وتستمر متفوقة.

لقد فات الفكر السياسي المتسلط على عقول العاملين في المشاريع العامة، ملتزمي الورشات الوطنية الرائجة، ومن كان يدور في دوامة اندفاعهم الساذجة البدائية، رغم اخلاصهم، ان الاستقلال لا يؤخذ ولا يعطى بل يبني مداماكا فوق مدامك، بذهنية مسؤولة مخططة، واخلاقية مؤمنة صادقة صارمة. ولا حد لبناء الاستقلال الحقيقي يقف عنده ويتوقف لديه الجهاد والعطاء. يولد الاستقلال ويترعّع في الثقة بالنفس والوعي لامكانيات الشعب وطاقاته التواقة الى الانشاء والابداع، ويستمر بالعمل الدائب المنظم المدرك لواقع الامة القومي الاجتماعي، بالعمل المنفتح على التطور والتقدم وعلى التفاعل مع معطيات الحضارة وما يحتاجه المجتمع منها لاستكمال قوته وتكوين مناعته، وفيما عدا هذا يظل الاستقلال مجرد نية حسنة وامنية مباركة تراود احلام الغظة او احلام اليقظة على احسن حال، ويبقى التوتر بالغ الرعونة في النفوس يهدر القوى البناء ويهدد الطاقات الحية بالتلاشي في حلقة مفرغة من الارهاق والاعياء

دون اية جدوى يحملها التاريخ تراثا لاجيال لم تولد بعد، فالاجيال لا بد لها ان تتعلم من عبر الماضي واختبارات الاسلاف، لتستمد روحها من مواهب الامة وسابقات التاريخ تعيد بناء من جديد من اجل مواجهة عصر جديد.

وتنفضت النهضة:

بالنظر الى المفهوم الخاطيء لمعنى الاستقلال الذي كان سائدا، بل متحكما، في عقلية الجماهير وتصوراتهم توهم الكثيرون ان قضية الحزب هي ايضا مقتصرة على العمل السياسي لمقاومة الاجنبي الدخيل، وهو، بالتالي، يمكن ان يكون مجرد حدث زائل بزوال المستعمر المحتل، ولهذا يجب ان يسارع الى الذوبان في مسيرة التيار الشعبي النائر ويسلم بقيادة الكتلة الوطنية الملتزمة، حينذاك، بالدفاع السليبي والمختصة بتحريك الجماهير الغفيرة، حتى ان عددا من اعضاء الحزب راح يتداول هذا الامر ويشير بهذا التدبير تدليلا على وطنية الحزب، وعلى مدى اخلاصه للحركة الوطنية المظفرة التي يحتمل ان تصبح بين يوم وآخر سيدة البلاد المتحكمة بمصير الشعب. وبادر بعضهم فعليا الى التخلي عن الحركة القومية الاجتماعية معلنا تأييده الصريح للحركة الشعبية الطاغية على جميع الاحداث والطاغية على كل تفكير متزن رصين يتيح التأمل المسؤول في ابعاد المستقبل بقناعة المهتمين الى الطريق الاقصر والانسب للوصول وايصال البلاد الى حقها وحريتها عاجلا. وقد شهدت الصحف، تلك الفترة، انسحابات عديدة من صفوف الحزب، لهذه الاعتبارات السطحية وبتأثير سيول الاشاعات والاتهامات التي كان يروجها الاجنبي وعملاؤه بحق الحزب، مما ساعد كثيرا على مزيد من تخريب منافذ التعقل، وتعجيل الانجراف الطائش في خضم التيار المتوتر تحت طبقة الثرثرة والصباح المنتشرة، وقت ذلك، فوق مدارك الامة، وامعن في تعطيل قدرة الشعب على التحكم بأعصابه وامكان التصرف بهدوء وروية، وافقده ايضا قوة التمييز العاقل وخاصة التحكم العادل بين هدير البراكين المتفجرة وجوح الامواج المزججة. فاختلت الموازين كلها وضاعت المقاييس الصحيحة الواعية للنظر في الامور المطروحة وسط ضراوة الدهماء وعربدتها العابثة العاتية التي كثيرا ما جلبت الويلات على الامة.

اخيرا اطلت علينا، جريدة الايام الدمشقية، بمقال طويل اعلن فيه منشئه الدكتور سميح علم الدين من طرابلس، انسحابه من صفوف الحزب، بحجة ان الحزب ضد العروبة، كما يراها هو، التي لا يسعه التخلي عنها، ويصعب عليه ان يتناولها حتى النقد البناء بالتوضيح والتطوير والتعديل، معتبرا القول بالامة السورية تجريحا مرفوضا

لعرويته ونقضا لها من الاساس المتداول المؤلف. فتلقف الجريدة مدير مديرية فرع الحزب في طرطوس وراح يدور بها على الاعضاء محاولا اقتناعهم بفضيلة الدكتور علم الدين وشديد حرصه على العروبة، واطنّب بالثناء على ولائه وجرأته داعيا الى وجوب الاقتداء به بترك الحزب وشأنه، لانه، من جهة ضد العروبة، ومن جهة ثانية لم يعد له دور ما دامت البلاد قد حصلت على استقلالها وبلغت اهدافها المنشودة بفضل نضال الكتلة الوطنية وما حققته للشعب من مكاسب هامة بموجب معاهدة 1936 السورية الفرنسية. والجدير بالذكر ان والد ذلك المدير كان احد اركان تلك الكتلة ومرشحها العتيد للنيابة عن مدينة طرطوس وقضاؤها، فضلا عما كان لمطاردات السلطة الفرنسية من اثر في حل البعض على تجميد نشاطه متذعرا بأوهى المبررات.

ثم نشطت همة المدير وتجلت حيويته في انتزاع تواقيع الاعضاء على عريضة اعدّها لتقدم الى المركز باعلان انسحابهم من الحزب وحله نهائيا في طرطوس، ولاية نفوذه المستقلة، فلاقت خطته هذه قبولا سهلا لدى معظم الاعضاء الذين قالوا له باعتزاز الطائع لمولاه: « مثل ما بتريد يا بيك » لانهم ما زالوا من ازام البيك ووالده ومن اتباعه المؤيدين لكل تدابير ومواقفه باعتبار انه « بيك ابن بيك ابا عن جد » بالوراثة العريقة التي لا تمس شرعيتها وحقوقها وتظل قدسيتهما فوق كل اعتبار واكبار، تتمتع ابدا بأوفر وقار.

وقع تلك « العريضة التاريخية » اربعون اسما طالبين اعفاءهم من الحزب وحله تخلصا من خطره على سلامة العروبة اياها التي اتخذت ذريعة فاضحة من اجل العودة الى جاهلية التحزبات المحلية الاقطاعية والعائلية لكن باسم العروبة والوطنية الحق، واحتكارا لها في وجه سائر الفئات الاخرى والتشكيلات الخصوصية الماثلة قلبا وقالبا. وما اكثر مثل هذه التمللات الغوغائية واشد فاعليتها في سوق المزايدات الرخيصة المضللة والادعاءات الباطلة الباهظة الثمن خاصة في مواسم الاستغلال والانتهاز الساخنة للطعن في كرامة الامة واصالتها. غير ان البقاء للحقيقة التي يفرضها المؤمنون المناضلون في النهاية حقا وخيرا.

لم يبق من اعضاء مديرية حل الحزب، انذاك، خارج حظيرة الانصياع والانسياق لمشئبة البيك رياض سوى قلة بعدد اصابع اليد الواحدة هم: الدكتور ابراهيم يازجي، عثمان درويش، احمد تركماني، عبد الكريم الشيخ والياس جرجي قنيزح الذين اتفقوا على موافقة البيك، بالظاهر، التخلي عن العمل الحزبي وعن الاتصال بالحزب مع

ابقائهم على الايمان بالعقيدة في حنايا الوجدان. واعتذروا عن توقيع العريضة اسوة
بالاربعة مرتدا الذين انتصروا للعروبة باتقائهم اذى القومية الاجتماعية المداهم.



عبدالكريم الشيخ

والآن ننتقل الى صافيتا التي غدت منفذية واصبح الرفيق اديب طيار منفذاً
عاماً لها وصارت تضم فروعاً حزبية في بعمره، بيت الشيخ يونس، اليازدية، كرم
مغيزل، رأس الخشوفة، المشق، الدريكيش، الكفرون، العيون والقرى المنتشرة على
طريق جسر الابرش، بدادا، الجرن، الجمشلية.

ومن صافيتا الى منطقة مرمريتا حيث انتمى انطون سلامة والمحامي الياس عبد الله
اليازجي اللذين كان لنشاطهما وبصورة خاصة الرفيق انطون سلامة، ثمرة العملي المنتج
فاصبحت مرمريتا مديرية وامتد الحزب منها الى القرى المجاورة اخص بالذكر عمار
الحصن التي كان فيها المحامي اللامع السياسي عزيز حديد وفي طرف الحصن المقابل
لمرمريتا في مقبرة كان منها الرفيق وهبه الجرجي الذي كان قد انتمى في كلية
الشويات. بدأ نشاط جديد الى ان كانت المحطة الاخيرة في هذه المنطقة مركز قضاء
الحصن اعني تلكلخ فاعطت للحزب خالد كنج الدندشي ومحمد الدندشي الطالب في
كلية التربية والتعليم في طرابلس.

في لبنان الشمالي

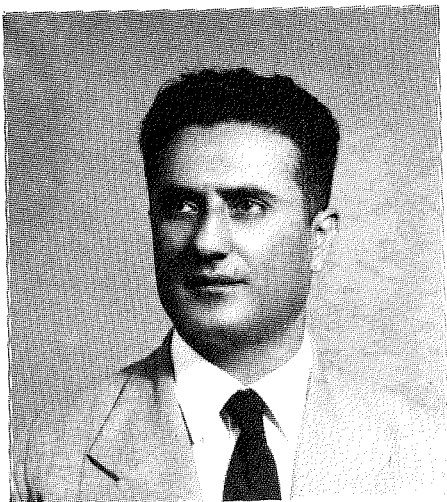
في عكار

بدأ في منطقة عكار التي كان نمو الحزب فيها بطيئاً الا في بلدة الحاكور التي انضم فيها عدد من المواطنين اذكر منهم ابراهيم الخوري، ميشال الدورة من سكان الحاكور. اما ساسين حنا ساسين فلانتائه قصة طريفة ارويها كما وردت في رسالته الي تاريخ 5 حزيران 1971 من لاس بالماس. « تعقيا على سؤالكم لي عن كيفية انتمائي الى الحزب فأني هنا اورد لكم ما زال عالقاً في ذهني حول ذلك. على ما اذكر انه اول ما سمعت بالحزب كان بعد ان اكتشف امره عندما كان سرياً. فاثار في نفسي ما تناقلته الصحف حول هذا الحدث العظيم الذي هز الركود في مستنقع امتنا الخامل المستكين ودفعها الى التحدي والرفض. وكان لمحكمة الزعيم الخالد وما تناقلته الصحف عن موقفه البطولي في مواجهة المحكمة المختلطة ما هزني هزاً وبات همي ان اتعرف على احد اعضاء هذه المنظمة السرية حتى يتسنى لي معرفة مراميها واهدافها وقد قدر لي بالتعرف عنقياً على عضو كان متخفياً عند ملاحقة السلطة يومها، فالتجأ الى بيتنا في قرية « الهد » حيث كانت لنا معرفة به وصداقة، واذكر بانه يدعى رامز كوسى من بلدة يزينا، عكار، وكان يملك مع اخيه جورج محلاً تجارياً في طرابلس. (الرفيق المذكور قد توفي في افريقيا). وخلال مكوثه ثلاثة ايام عندنا اطلعني على امره وسبب تخفيه فوجدت من نفسي دافعاً لحمايته فشرح لي الكثير عن الحزب ومراميه قدر ثقافته الحزبية مما جعلني اكثر شوقاً لمعرفة المبادئ على حقيقتها.

ثم جاءت زيارتي لبيروتين الكورة لدار المرحوم والد عزيز الحاج، حيث دارت



ميشال الدوره



ابراهيم الخوري

بيننا احاديث حول الموضوع الذي كان شغل اهتمام اكثر المواطنين، فعرض علي ان يجمعني بأحد اعضاء هذه المنظمة فكان لقاائي معكم فشرحتم باسهاب كلي المبادئ الاساسية والاصلاحية وقد دونتها في دفترتي، وزودتموني يومها ببطاقة تعريف الى المسؤول الحزبي في بيروت ولاعدت اذكر إن كان جورج حداد او صلاح لبكي حينذاك. وبما انه لم يتيسر لي مقابلة احد من المسؤولين سافرت وفي نفسي الم وتوق الى الانتظام بهذه الحركة التي اخذت تلهب وجداني.

وبينما انا في الباخرة جاء المرحوم والد عزيز الحاج وعرفني على شاب من بلدتكم يدعى جورج حريكه، طالب هندسة، في طريقه الى فرنسا وهمس في اذني « هذا من



ساسين حنا ساسين

الجماعة». ففرحت بهذا اللقاء غير المتوقع. وتتابعت اتصالاتنا على متن الباخرة وقدم لي المبادئ وشرحها لي شرحاً وافياً كما اعطاني عدداً خاصاً كانت قد اصدرته مجلة «المعرض» تضمن بمجملة مقالات وشرح في العقيدة. وعند وصول الباخرة الى مرفأ مرسيليا حيث كان عليه ان ينفصل عني هناك، انتحيت واياه بغرفتي وحدنا ورفعت يدي وأقسمت اليمين بينما كانت زوجتي تنظر الينا من ثقب الباب دون ان تفهم سبباً لذلك وهكذا كان انتائني رسمياً في ايار عام 1936 .

حال وصولي الى جزيرة فرندوبو بدأت اشرح للمواطنين ما تيسر لي معرفته عن الحركة مما ادى فيما بعد الى التحاق عدد من المواطنين ولا يزال بعضهم عاملاً نشيطاً حتى الآن».

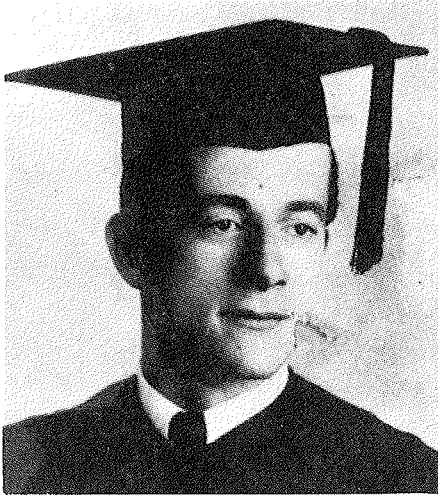
في زغرنا وسير الضنية

عرفت زغرنا الحزب عن طريق طرابلس وعلى يد الرفيق مصطفى المقدم والرفيق جبران جريج بالذات فكان ادخال عدد من المواطنين على رأسهم حميد كرم الذي اصبح اول مدير لمديرية زغرنا التابعة لمنفذية طرابلس. والذي انطلق يقوم بمهامه الحزبية بالرغم من الضغوطات الهائلة التي بدأ يمارسها عليه مقام البطيركية المارونية في الديمان.

في سير الضنية نشأ اول فرع للحزب وذلك بدخول محمد جود رعد وهو الطالب في كلية التربية والتعليم في طرابلس وكذلك قاسم رعد الفنان.

في الكورة

اما في الكورة فقد انتشر الحزب بشكل عجيب غريب، والاعجب من ذلك كيف استطاع المسؤولون للحاق بسرعة هذا الانتشار. كان قد تعين للمنفذية ناموس هو الرفيق حلیم عكر من كفر حزير وشفیق غنطوس للرياضة من اميون وهو الخبير بالشؤون الكشفية وله القدرح المعلى في هذا المضمار قبل دخوله الحزب فكم من فرقة كشفية انشأ في الكورة ومارستها بشكل منتظم رائع. اما للاذاعة فقد تشكلت لجنة اذاعية من الرفقاء ذوي الطاقات والمواهب الثقافية وان كان اكثرهم حديثي الانتاء امثال عبد الله سعاده من اميون، وهيب عودة الشاعر، عزيز جبور، من انفه، اصف اليها جبر جوهر صاحب جريدة الرائد التي كانت تصدر في طرابلس وبعدهم نبيل مكارى وابراهيم نخول ثم وجيه الايوي من النخلة الذي قصدني في قريتي لادخاله تنفيذاً لوعده ابيه لي كما رويت سابقاً.



عبدالله سعادة



شفيق غنطوس

وهذه المناسبة يجدر ان ننوه بكيفية انتماء عبد الله سعادة الى الحزب وهو الذي مر بنا سابقاً رفضه للموضوع ولذلك انقل ما صرح به في مقابلة صحفية لمجلة « صباح الخير » اجراها الرفيق يحيى جابر المنشورة في العدد 94 بتاريخ 30 - 5 - 77 جواباً على سؤال: « هل لك ان تقص علينا حكاية دخولك الحزب؟ » .

قال: « عندما كان الحزب سرياً حاول احد اعضاء الحزب في اميون وانا في رحلة صيد ان يجذبني، فعرض علي فكرة الدخول في الحزب واوضح لي اهدافه في استقلال البلد والتحرر من الاستعمار... وكان متحمساً ويتكلم بجرارة. وكنت انظر اليه مستمعاً

جير جوهر

وهيب عوده



برودة. وقلت له كأني رجل لم ينل الوعي القومي منه: « هذه عملية ليست سهلة الاطلاق... وفرنسا دولة عظمى وامكانياتك مع امثالك لا تستطيع التصدي لهذه المهمة الكبرى ».

احسست انني صدمت محدثي الذي راح يؤكد بان عبد الله سعاد غير صالح للانتماء الى الحزب وهكذا اهملت وانا الفتى ابن الستة عشر عاماً. وعندما انكشف امر الحزب عام 1935 لفتني موقف الزعيم في المحكمة المختلطة المتحدي، فسارعت الى الرفقاء الذين انكشف امرهم وطلبت منهم التعرف الى مبادئ الحزب راغباً في درس هذه المبادئ والانضمام الى صفوفهم. ولا اقول ان الموقف الوجداني هو الذي هزني وحده، بل اقتناعي بفكر الحزب وعقيدته كان الدافع العقلي. وهكذا لم يحل عام 1936 الا وكنت في عداد جنود النهضة أرفع يمينا مقسماً بحقيقتي وشرفي ومعتقدي. وبدأت مسيرة الآلام اللذيذة ».

قلت انتشر الحزب بسرعة فائقة فصارت له مديرية في كوسبا مديرتها جرجس هيكل ومن اعضائها الأول اسحق شلهوب، وشقيقه امادو ثم ولیم حبيب فعطية عبود وفي شكا صارت له مديرية مديرتها ميشال حلال ومن اعضائها الأول فؤاد سابا، عفيف شلفون وجيل الزامر، وفي برغون بديهون انتمى آل الأيوبي بأجمعهم تقريباً وفي كفر عقا وكفر صارون وبصرما. ما عدا قريتي عين عكرين ورشدبين. أما أميون فقد أصبحت مديرتين.

لم تبقى قرية في الكورة مهما كبرت أو صغرت الا وفيها وجود للحزب وكنت مع اللجنة الاذاعية نقوم بجولات لهذه الغاية لعدة قرى معاً وبالطبع مشياً على الاقدام. كان يضم - كل فرع للحزب ما لا يقل عن الخمسة والعشرين عضواً فأصبح عددنا يتوقف على الخمسة.

ومن اهم المكتسبات الحزبية كان كسب صداقة « الشيخ نايف امهز » جاني اموال الدولة في الكورة واني اعطي مثلاً على هذه الصداقة الحميمة التي امتدت فيما بعد الى منطقته في البقاع وفي قريته « نبعا » بالذات تصريجه التالي: « استاذ جبران، لا تتعب نفسك في محاولتك لانتمائي الى الحزب فاني احبذ الحزب فانا ضد الاستعمار في الاصل والآن صرت ادرك طريقة محاربتة اكثر من السابق لذلك عندما يحين الحين يمكن ان تبلغ زعيم الحزب ان بإمكانه الاعتماد على مئتي بندقية تكون تحت تصرفه بقيادةي للاشتراك بالنصر الاخير.

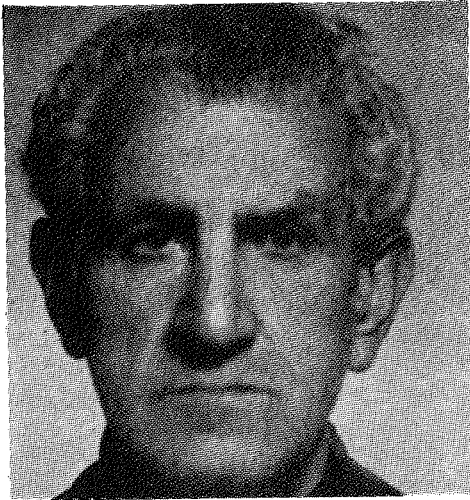
(ظل « الشيخ نايف » صديقاً صدوقاً للحزب حتى آخر رفق من حياته).

ومن الكورة انتقل الحزب الى بلاد البترون فدخل حنا مراد طباع من دوما وبدأ ينشط لانشاء فرع فيها وكذلك كان أول عضو في البترون نفسها اسطفان مبارك الذي بدأ ينشط أيضاً لانشاء فرع فيها كما ان البير خوري حرب من تنورين كان قد انتمى الى الحزب في احدى الفرق في بيروت وبدأ ينشط لانشاء فرع فيها.

في طرابلس والميناء

نشرت الصحف انكشاف امر الحزب وانباء محاكمة زعيمه ومعاونيه وبعض افراده فاجتاحت طرابلس والميناء موجة تأييد عارمة مشجعة للحزب وعلامات الاندهاش تغمر جميع أفراد الشعب.

كان نشاط مديرية الميناء بارزاً وكان لولبها الرفيق عبد الله أيوب فعند انكشاف أمر الحزب مرت هذه المديرية بمراحل شتى أهمها خطة للدفاع عن النفس، فيما اذا قررت السلطة اعتقال أعضائها، تتلخص بخطف مفتشين للأمن العام يسكنون ضمن نطاق المديرية ولكن انتهت المسألة بأن قام بعض أعضاء الحزب بالكتابة على جدران الشوارع بعض العبارات الحزبية: مثلاً، لتحي سورية، ليحي الزعيم، لتحي الوحدة السورية. وذلك في جميع أنحاء المدينة مما أحدث ضجة كبيرة واهاب برجال الأمن عند



عبدالله ايوب

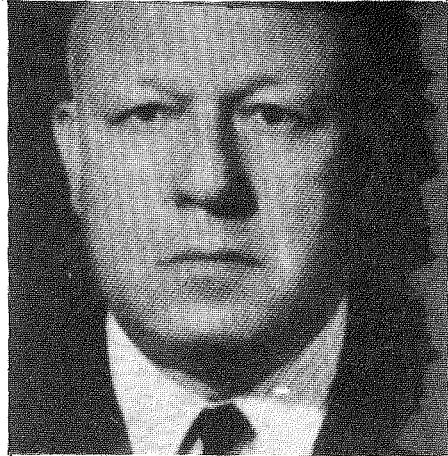
التنبه اليها في الصباح الى محوها بشتى الوسائل .

انتمى الى الحزب في هذه الفترة ما يزيد على العشرين عضواً موزعين في الاحياء كلها مما أدى الى بروز تيار جديد يقابله تيار مؤلف من اتباع الاقطاع السياسي . أما الشيوعيون فلم يرحبوا بهذا التغلغل الجديد في الاحياء الشعبية الذي كان يسير بسرعة مذهلة .

كان من ابرز الناشطين مع الرفيق عبد الله أيوب ، الرفيقان جورج عشي ويعقوب الحاج وكان من ثمره اتعابهم ادخال ميشال الترك الذي اصبح فيما بعد مديراً لمديرية الميناء .



محمد حسن الابيض



مصطفى الحكيم

أما في المدينة ذاتها فقد انتشر الحزب في جميع الأحياء في بوابة الحدادين أو باب الرمل، في التل والصاغة، في باب التبانة والزاهرية وكذلك في القبة. أذكر انها تشكلت عدة مديريات اهمها التي بقيت عالقة في ذهني المديريات التي كان مديرها الدكتور نجيب خلاط ورياض اديب، فاضل شرمند، نقولا منصور، نيازي نعنعي ومحمد السيد وكذلك مديرية القلمون التي انشئت حديثاً وكان مديرها محمد حسن الأبيض ومن اعضائها مصطفى الحكم. اما هيئة المنفذية فقد كانت مؤلفة من الرفيق سعد الله اديب ناموساً والمحامي الرفيق مصطفى الذوق ناظراً للاذاعة، الرفيق سعدي عدرة ناظراً للhalية وبشير احمد يوسف ناظراً للتدريب ومن الاعضاء البارزين حنا العاقوري، انطون شدياق، حسن الحلاب، سليم صافي حرب، عبد الرحمن الصفدي والصحفيين محمود الادهمي، رهيف الحاج وسليم المجذوب.



سليم صافي حرب

فِي صَيْدٍ وَحَيْفَا

في الجنوب اللبناني

والان من الشمال اللبناني الى جنوبه مروراً بالشوف الذي نما فيه الحزب كما في الكورة بسرعة عجيبة غريبة فلم تبق قرية الا ودخلها.

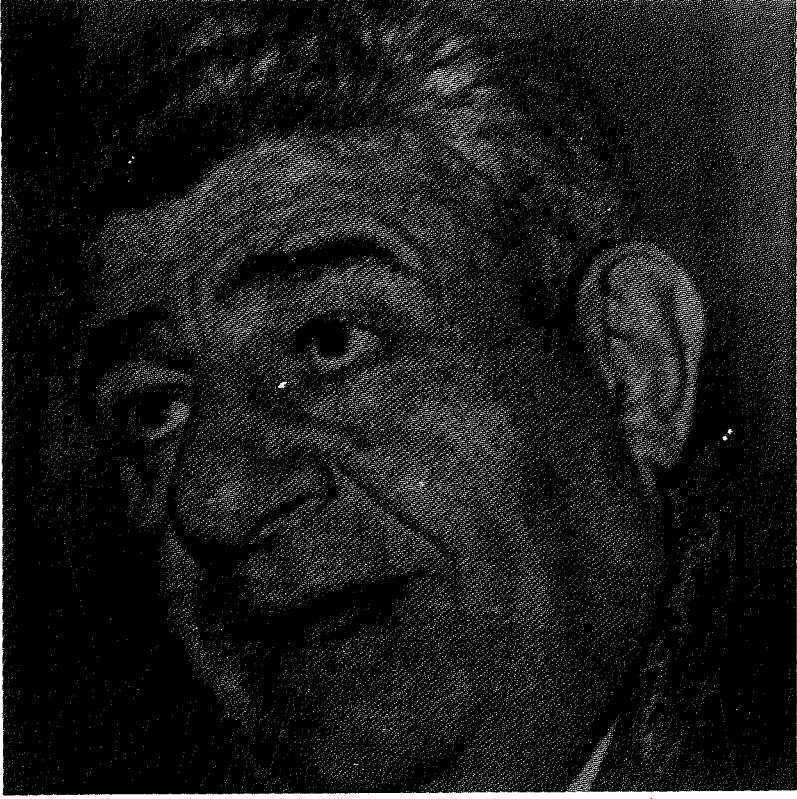
ففي الجنوب اللبناني لم يحظ الانتشار الحزبي بحظ يوازي ما لقيه في جزين مثلاً ففي مدينة صيدا دخل عنصر جديد ولكن تمت عملياته في الجامعة الوطنية في عاليه. هذا العنصر الجديد كان الطالب معروف سعد الذي ما ان عاد الى مسقط رأسه حتى اندفع في تأسيس فرع للحزب صار له شأن يذكر.

وفي مدينة صور كل ما حدث هو ان دخل في الحزب محمد سعيد البلاغي وقد تمت عملية ادخاله في احد فروع الحزب في بيروت. وفي وادي التيم انتمى الى الحزب سليمان غلميه وميشال نده من مرجعيون وقد بدأت موجة اعجاب تظهر في صفوف المواطنين في حاصبيا وميمس وراشيا الوادي وابل السقي.

في الجنوب السوري

في الجنوب السوري لا جديد سوى ان بعض الاعضاء من مديرية حيفا جاء خصيصاً لحضور محاكمة الزعيم فنقل ما شاهده من مستوى الدفاع الرفيع مما زاد في اندفاع الاعضاء وفي انما روحيتهم. كما انهم استقبلوا الرفيق المنفي فؤاد مفرج واهتموا بأمره ثم سفروه الى اميركانية.

ويقول الرفيق كميل الجدع في «صباح الخير» العدد 66 تاريخ 76/11/12. «المتهم الذي اصبح قاضياً».



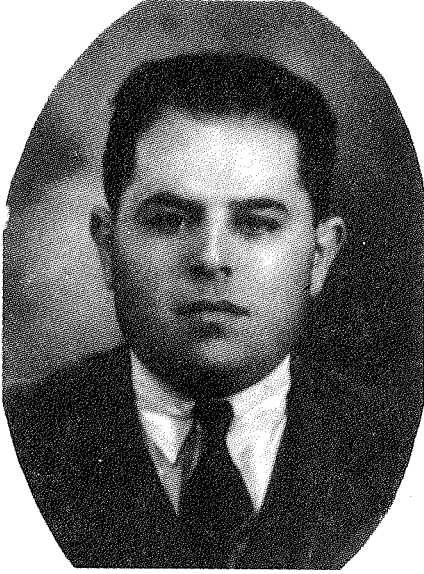
معروف سعد

« كانت السلطات الفرنسية المنتدبة قد اكتشفت في ذلك الحين عمل الحزب وبدأت محاكمة الزعيم فاوود فرع الحزب في حيفا رفيقا هو حسين قلعواوي لحضور المحاكمة وقد عاد الزميل بعد اسبوع يقص علينا مشاهداته واحاسيسه وهو في حالة اندفاع حماسي شديد. واذكر انه في صالون بيتي جعل يمثل نبذة عن المحاكمة عندما وقف الزعيم يلقي دفاعه وقال: « ان انتهاك حرمة البلاد الجغرافية قد تم بالفعل في سيفر وسان ريمو ولوزان. وكيف نهض محاموه وقالوا بصوت واحد: « الله الله يا انطون، شو تركت لنا. »

عَبْرَ الْحُدُودِ

اربعة فروع نشأت في عبر الحدود. الفرع الأول في جزيرة سانتا ايسابيل الذي انشأه الرفيق ساسين حنا ساسين كما مر بنا سابقاً. الفرع الثاني في المكسيك الذي انشأه الرفيق عساف ابو مراد الذي يقول في رسالته الي تاريخ 28 آب 1978 : « قبل تركي لبنان كان الزعيم قد اعطاني تفويضا للعمل في المكسيك، وبما اني كنت غربياً ولا اعرف أحداً وبما ان الحزب كان في السر لم ابادر فوراً للعمل الحزبي خوفاً من الوشاية ولكني كنت في ذات الوقت ادرس الاشخاص الذين تعرفت عليهم، فعندما انكشف امر الحزب وجرت الاعتقالات والمحاكمات، انطلقت للعمل الحزبي بكل قواي. فاتصلت بالذين كنت درستهم ودعوتهم الى الاجتماع في غرفة الرفيق المرحوم ابراهيم البيطار، فالذين حضروا كانوا: ابراهيم البيطار، فيليب ابو مراد، عبد الله مسلم، اندراوس ابو عديلي، الفرادو نعوم و خليل سلوم.

اطلعت الحاضرين على التفويض المعطى لي من قبل الزعيم ومن ثم على مبادئ الحزب الاساسية والاصلاحية فوافقوا عليها واطهروا استعدادهم للانتماء واداء القسم. وفي ذات الليلة اقساموا اليمين. وباشرنا العمل الحزبي بزخم قل نظيره كان ذلك في 5 فبراير 1936 واخي ورفيقي المرحوم فيليب ابو مراد، الذي كان مقبياً هنا من مدة اطول وكان يعرف افراد الجالية وميوهم. اخذني الى بيت توفيق الاشقر فتعرفت عليه وعلى عقيلته وبالطبع كان الحديث كله عن الحزب. كان في بيته عدة اشخاص، طلبوا الانتساب الى الصفوف القومية فأعطيناهم نسخاً من مبادئ الحزب حتى يطلعوا عليها.



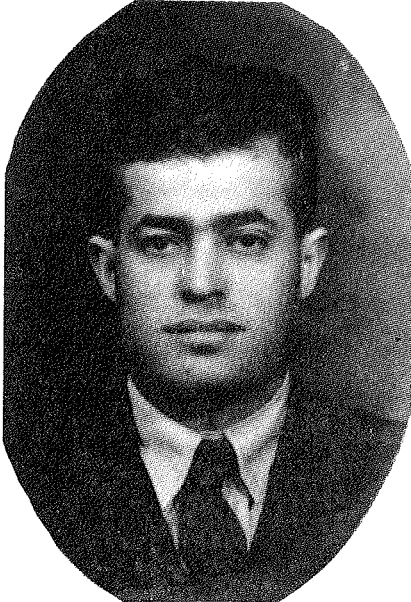
عبدالله مسلم



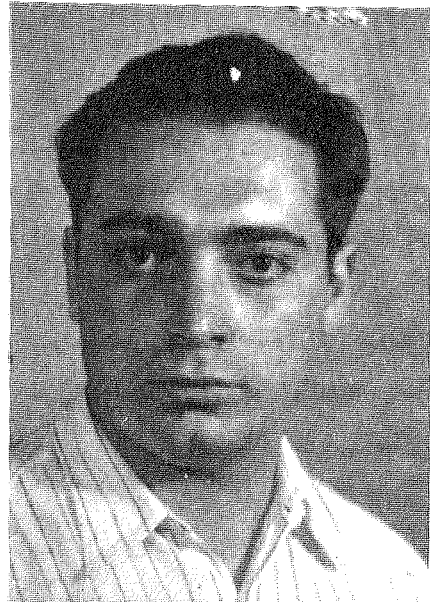
ابراهيم البيطار

وهم بدورهم اعطوا المبادئ، الى اصدقائهم ومن يتفقون بانهم اهل حمل هذه الرسالة،
وكان الاقبال منقطع النظير والطلبات كانت تفد بال عشرات.

خليل سلوم



الفريدو نعيم





توفيق الاشقر



نسيب عازار

الفرع الثالث ففي شاطيء الذهب. افريكا الغربية، قانا اليوم. انشأه الرفيق رفيق الخلي وكان اول المتتمين الرفيق امين الاشقر. شاهين شاهين. نسيب عازار واسد الاشقر الذي تعرف على وجود الحزب وهو يطالع احدى الجرائد على ظهر الباخرة التي كانت تقله من فرنسا الى اكرا، عاصمة شاطيء الذهب. كان الثلاثة الاول شلة متفقة اتفقاََ تاماً على السراء والضراء فتحولت الى شلة قومية اجتماعية صار لها شأن واي شأن.

اسد الاشقر



امين الاشقر



اما الفرع الرابع فقد انشئ في القاهرة على يد الطالب الرفيق فضل الله اديب الذي ادخل الشقيقين جبرائيل ورمزي مالك (شقيقا الدكتور شارل مالك) وشقيقتهما ميليا مالك.

إبعاد فؤاد مفرج

هو احد اعضاء الحزب السوري القومي وقد صدر امر السلطة بابعاده من البلاد الواقعة تحت الانتداب الفرنسي باعتباره غير مرغوب فيه وبما سهّل على السلطة هذا التدبير ان الاستاذ مفرج متجنس بالجنسية الاميركية.

وقد اسف اخوان الاستاذ مفرج لهذا الابعاد الذي يقصي شابا لبناني المولد والاسرة والروح عن وطن احب ان يعمل تحت سمائه وهو الى هذا شاب مثقف تخرج من الجامعة الاميركية بشهادتي (ب.ع.وب.ت.) واتخذ مهنة التدريس في الجامعة نفسها ثم هاجر الى الولايات المتحدة وبعد ان قضى فيها ثلاث سنوات عاد الى بلاده وملء نفسه العزم على ان يكون عضوا مفيدا في مجتمعها الراقي.

وها هو اليوم يبعد بأمر السلطة ويترك بلاده متلفتا اليها بحنين والم. رافقته السلامة. (نقلًا عن مجلة المعرض، العدد 1094 تاريخ 26 شباط 1936)

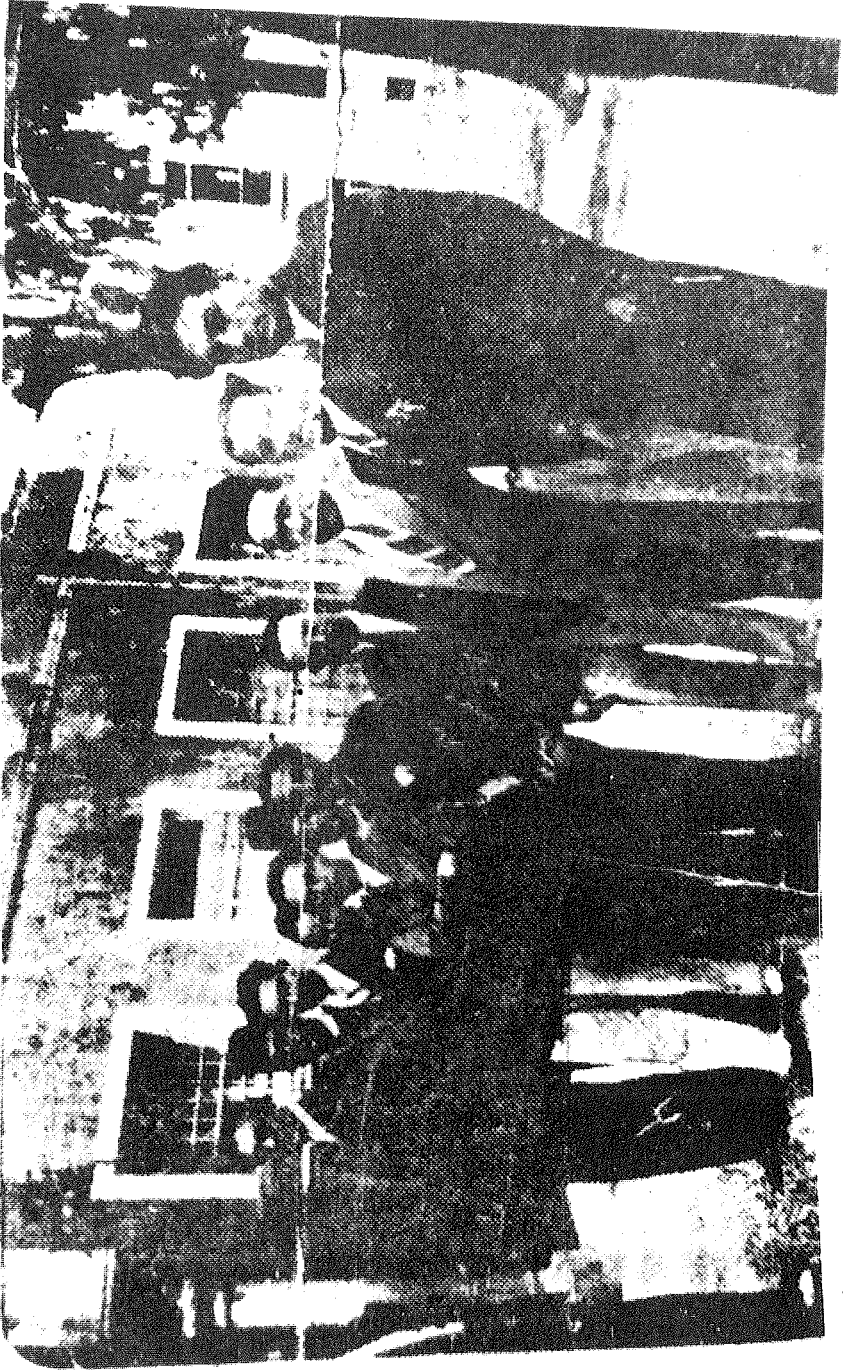


نائب الزعيم صلاح لبكي يودع الرفيق فؤاد مفرج على الحدود، عند الناقورة والرفقاء يؤدون التحية.

القسم الثاني

من 12 ايار 1936

الى 16 تشرين الثاني 1936



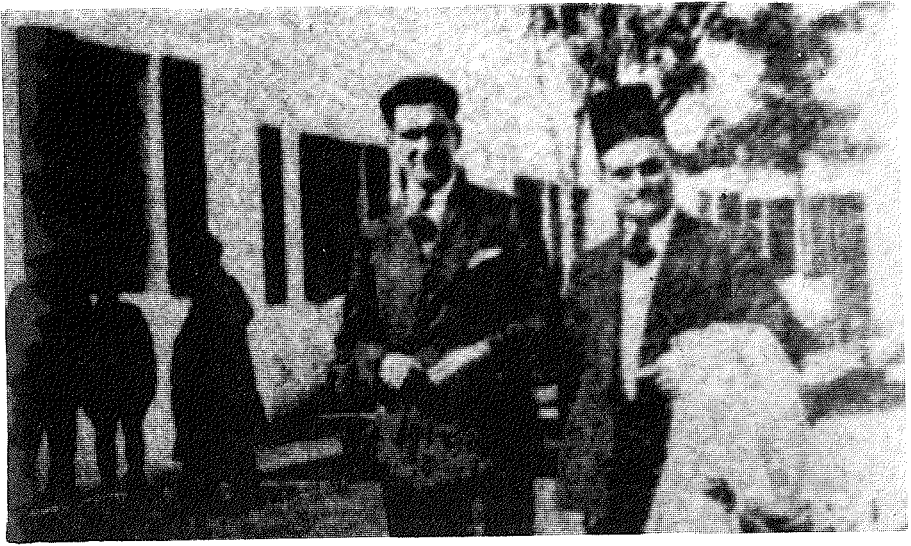
بانتظار خروج الرعيم من السجن

الخُرُوجُ مِنَ السُّجُنِ

قبل موعد خروج الزعيم بعدة ايام دعا نائب الزعيم صلاح لبكي المسؤولين الاداريين الى الاجتماع. كان الاجتماع هذه المرة في بيت وليس في مقهى، في الهواء الطلق. كان البيت بيت مدير مديرية شويت الرفيق صالح ابو سعيد التابعة لمنفذية الغرب اي قضاء عاليه. كانت قاعة الاجتماع رحبة يزين صدرها علم الزوبعة.

جلسنا نستمع الى نائب الزعيم الذي اتخذ له مقعدا خلف طاولة عادية. لم اعد اذكر تفاصيل برنامج الاجتماع. ان الذي ما يزال عالقاً في ذهني هو انه وزع علينا مواعيد استقبال الزعيم لكل منطقة على حدة وكيف يجب ان يتم اشعال النيران على قمم الجبال واطلاق الاسهم النارية.

في صباح يوم الخروج، في 12 ايار 1936، حضرت مع القيادة المركزية الى سجن الرمل حيث استقبلنا الزعيم، كان الاستقبال رسمياً - رسمياً جداً - اذا كان يصح التعبير. لست ادري ماذا كان تصوري للاستقبال حتى وجدته رسمياً جداً. انتابني لحظة ارتباك خاطفة لكنني عدت سريعاً الى وضعي الطبيعي. امتطينا السيارات التي كان عددها ثلاثة، ان لم تخني الذاكرة، نصطحبه الى المنزل الذي استأجره له الحزب في رأس بيروت مقابل الجامعة الاميركانية حيث تم لقاءه مع المسؤولين الاداريين كافة.



العميدان ثابت والنقاش عند خروجهما من السجن



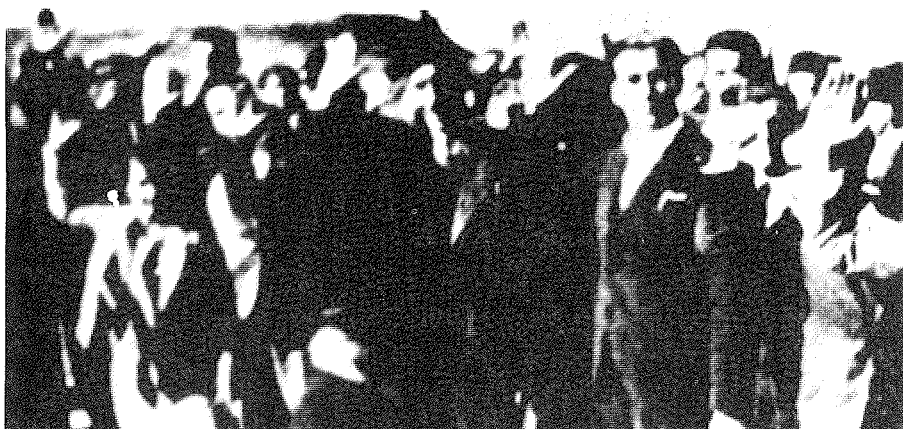
بانتظار الخروج من السجن. في الصف الامامي: مأمون اياس، فؤاد مفرج، اسعد الايوي، عبدالله قبرصي، صلاح لبكي والمحامي حبيب ابو شهلا.



مظاهرة منظمة من بعض اعضاء الحزب عند الخروج من السجن



بانتظار الخروج



يؤدون التحية اثناء الخروج من السجن



يؤدون التحية اثناء الخروج من السجن

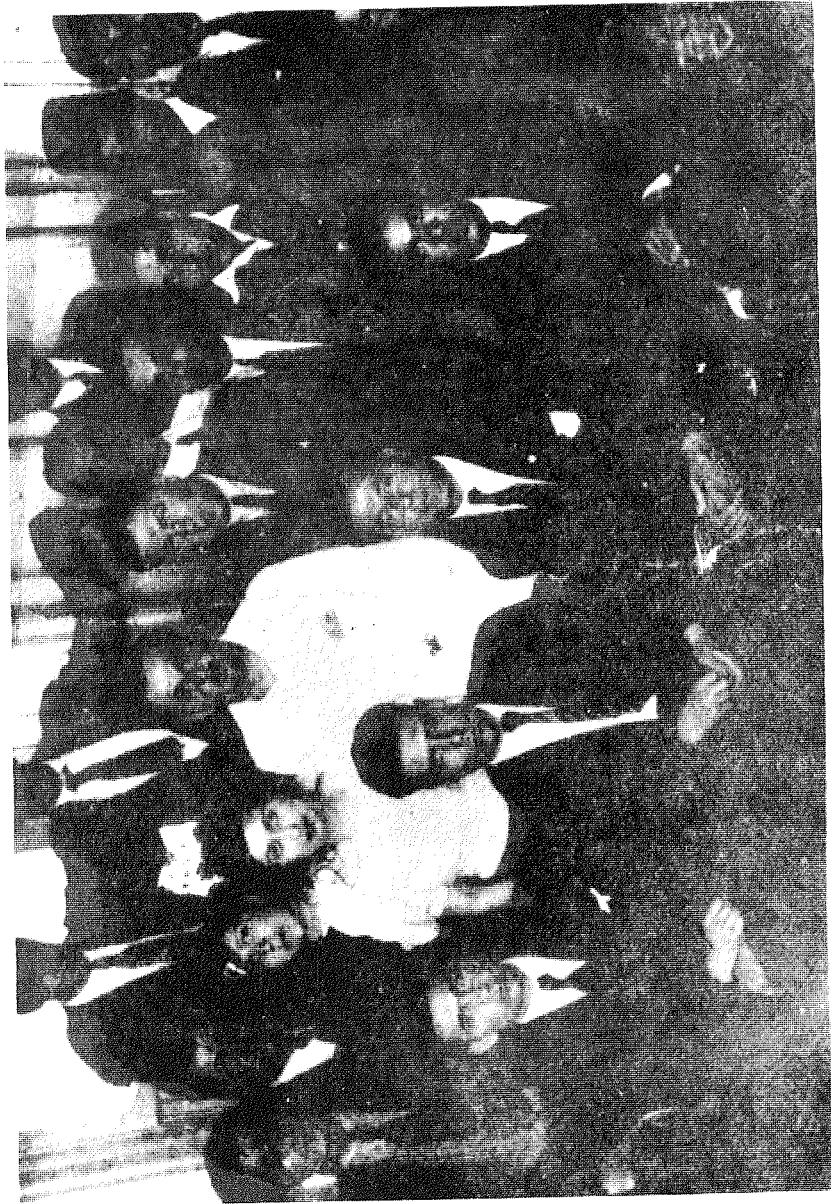
التقينا في المنزل. كنا وقوفاً متحلقين حوله نصف دائرة. ننتظر كلمته وان كان لم يعلن انه سيتكلم. تفرست فيه. الغيته مشدوداً نوعاً او بالاحرى قد تفولذ - اذا صح التعبير. تفرس فينا يريد ان يتعرف لينا او الى الذين ما كان يعرفهم سابقاً، تقدم نائب الزعيم وقدمنا اليه فرداً فرداً مع تسمية المنطقة. بعد ان انتهت عملية البروتوكول هذه تطلع لينا وبدأ يقول: « علمت وانا في السجن، ان الحكومة اللبنانية حلت « الجمعية المسماة بالحزب القومي السوري » اما انا فأقول ان الحكومة اللبنانية لا تستطيع حل الحزب السوري القومي لان الحزب السوري القومي اكبر من الحكومة اللبنانية ولان الحزب السوري القومي يمثل عقيدة تجري في العروق مع الدم فلا يحل بقرار. » سررنا بهذا الرد على قرار الحكومة اللبنانية وشعرنا ان هذا هو كل ما يريد ان يوجهه لينا فتقدمنا منه محيين ومصافحين ومودعين على امل اللقاء في يوم الاستقبال المعين حسب البرنامج الموضوع.

تخلف عن الانصراف المسؤولون عن سورية الجنوبية على رأسهم الرفيق كميل جدد وطلبوا من الزعيم بان يسمع لهم اقتراحاً يقضي بارسال برقية الى الحاج امين الحسيني بصفته رئيساً للهيئة الفلسطينية العليا يظهر فيها تأييده للثورة.

اخذ يشرح لهم مأخذه على هذه الثورة، لكنه في الختام وافق على ارسال برقية نصها على احدهم « ان اول عمل اقوم به بعد خروجي من السجن هو ارسال تحيتي الى الشهداء الذين سقطوا في ساحة الصراع مع اليهود في سورية الجنوبية ». اخذوا النص لابراقة وانصرفنا.

احتفال رائع بخروج الزعيم من السجن

ويقول كميل جدد: « قاربت الشهور الستة لحبس الزعيم على الانتهاء فتوجهت مع رفيقين لنكون في استقباله عند خروجه وفعلاً كنا عند باب السجن حينما غادره الزعيم وتوجهنا بعده بصحبة الزعيم الى بيت لم اعد اذكر اسم صاحبه ودعينا بعدها لتناول الغداء في منزل رفيق اخر حيث القيت الخطب والقصائد في المناسبة. وفي المساء كان قوميو بيروت يحتفلون بخروج الزعيم من سجنه باطلاق صواريخ الابتهاج في مختلف انحاء بيروت. وصحبت الزعيم لسطح احد المنازل لمشاهدة الاحتفالات وكان الزعيم منشرح الصدر ولمست منه اغتباطه بان الحركة قد انتشرت



في الصف الاول: مأمون اباس، فؤاد ابي عجرم، الزعيم، صلاح ليبي نعمة ثابت.
خلفهم: محمد القاضي، رشيد ابو فاضل، قاسم حاطوم، طنوس نصر، جوزيف بحدوني، فريد شكري، عفيفة حداد، فؤاد سليمان وخلفهم يوسف الدبسي، جبران جويج.

في جنوب الوطن السوري وتعدت لبنان وسوريه. وكان ذلك قد حصل بمبادرة من
مأمون اياس عندما ذهب الى حيفا لزيارة قريبة له اعتقد انها شقيقته واثناء تلك الزيارة
تمكن من بث الدعوة للحركة فاقسم اليمين الحزبية، اثنان من اولاد شقيقته وبعض
اصحابها. لكن سرعان ما تخلى معظم هؤلاء عن الاستمرار في المعركة».

اما انا فقد عدت الى المنزل بعد الظهر. موعد استقبال مديرية السيدات ومنفذية
بيروت. سمعته يتكلم. كانت نبرته واضحة وكلامه صريحاً يدور حول العقيدة وفهمها
والثبات فيها رغم قرار الحل. كان يتكلم كزعيم انتصر في معركة ويستعد لخوض
معركة اخرى، لا كانسان خرج من الاسر.

وفد الكورة

وفي الموعد المحدد لمنفذية الكورة التي كنت صرت منفذا عاما لها، حضرنا الى
بيروت وكان عددنا بالمئات. صرنا في الكورة عدة مئات بعد ان كنا عدة عشرات.
استقبلنا بكل محبة. هذه المحبة التي كانت تشع من عينيه اللامعتين. والبشاشة
مرتسمة على محياه يعبر بواسطتها عن رضاه.

لم أعد أذكر ان كنت تكلمت او تكلم احدنا. الارجح اني قدمت الوفد بكلمة
وجيزة ثم تكلم موجهها حديثه عن العقيدة ومرتكزاتها واثنى على نمونا وامتدح ثباتنا
وطلب منا ان نسير قدما الى الامام في سبيل خدمة الامة وخلاصها. تكلم فينا كمن له
سلطان. وبالفعل صرنا نشعر ان له علينا سلطانا.

وبعد بضعة ايام اخذت موعدا لوفد مختلط من الكورة والزاوية - زغرنا -
مؤلف من جورج اسحق ويوسف الخوري ووهيب عوده وابراهيم جريح (أنفه).
استقبلنا مرحبا. كان ينتظر منا أسئلة. بدأها جورج اسحق عن الادب ثم عن السياسة
اما الباقيون فقد بقينا ساكتين. كانت الاجوبة مرضية وخصوصا فيما يختص بالكيان
اللبناني. وانصرفنا شاكرين حامدين. ووافق الجميع انه ضليع في الموضوع الذي يتكلم
فيه ولا يقول كلمة الا في محلها. وحجته فيما يقول لا تدحض. خرجنا من لدنه
مسرورين لان هذا الحديث الشخصي أعطانا صورة مكملة للصورة التي كانت مرتسمة
في تخيلتنا بناء على ما كنا نسمع او نقرأ.



حفلة السيدات في بيروت ويرى من اليمين جميل عازار ، عفيفة حداد ، جمال ناصيف ، مأمون اياس ، الزعيم ، عبدالله المجتيل ، نعمة ثابت ولقيف من السيدات .



نظمي عزقول

وخطب الرفيق نظمي عزقول باسم وفد تنفيذية زحلة كما ان الرفيق محمد العريضي القى كلمة باسم وفد تنفيذية الغرب ضمنها هذه الابيات من الشعر ويقول بهذا الصدد :
« في لنصف الثاني من شهر ايار عام 1936 ، وبعد خروج الزعيم من الاسر ، للمرة الاولى ، بدأت الوحدات الحزبية تتوافد على مقره في بيروت ، فيستقبلها بالبشر والايناس . وعندما جاءت تنفيذية عالية وعلى رأسها المنفذ العام الدكتور محمد امين تلحوق ، وقف أعضاء التنفيذة في الباحة الواسعة وادّوا التحية للزعيم ، واخذوا مكانهم في ناحية منها . وكان بين اعضاء مدير مديرية بيبصور الرفيق محمد العريضي ، يومئذ - فاندفع بفورة من الحماسة العفوية ، دون اي استئذان من المنفذ او غيره ، والقى ابيات من الشعر كانت في ذاكرته وراها مناسبة للمقام ، فقال مخاطبا الزعيم :

قالوا سُجنتَ فقلتُ ليسَ بضائري سجنى وَأَيُّ مَهْتَدٍ لَأَ يُعْمَدُ
والبدرُ يُدركُهُ السَّرارُ فتنجلي أنوارُهُ فَكأنَّهُ مُتَجَدِّدُ

وبعد فراغه من القائنها ، عاد الى الورا لياخذ مكانه بين الرفقاء ، دون انتباه ، ولكنه فوجيء بالمنفذ يتقدم منه ويأخذ بيده ، قائلا : الى اين انت عائد ... الا ترى الزعيم نهض عن مقعده ومشى في القاعة نحوك لكي يصافحك !! عندها بادر الرفيق العريضي برفقة المنفذ العام الى ملاقاتة الزعيم في وسط القاعة ، حيث استقبلها بوجهه المشرق وابتسامته الرائعة ، ومدّ يده مصافحا مشجعا وقائلا : شكراً لك يا رفيقي ! » .

حول برنامج الاستقبالات

ويظهر الزعيم عدم رضاه عن برنامج الاستقبالات في خطاب اول اذار 1938 اذ يقول : « ولا بد لي من التصريح ايضا ان الحزب قد قصر كثيراً اثناء وجودي في

السجن في الاستفادة من القوة الروحية العظيمة التي ولدها في الشعب، ولم يفعل شيئاً في سبيل اظهار قوته. فبالرغم من تعلياتي الصادرة من السجن بأني اريد ان ارى الحزب في جمهوره وقوته المعنوية يوم خروجي من السجن فان الادارة المركزية قررت منع السوريين القوميون من استقبال الزعيم في مجموعهم يوم خروجه من السجن وقسمت الاستقبال الى فرق ومواعيد استغرقت نحو شهر كامل فقسمت بذلك معنويات الحزب وأضعفت اندفاع اعضائه وكانت تلك الفرصة مناسبة جدا لزيادة معنويات الحزب واطهار قوته».

وجاء في رسالته الى الامين معروف صعب عام 1946: «ان موعد وصولي الى الوطن ستعرفونه واني سأكتب الى رئاسة المجلس الاعلى في ذلك ويجب ان لا ترتكب هذه المرة الاغلاط الماضية التي حرمت الحزب، في عدة مناسبات، من الشعور بقوته واطهارها، بناء على بعض اعتبارات سقيمة تمسكت بها نفوس بعيدة عن البطولة وقرية من الاعراض الشخصية الدنيئة وكان اخيرا نصيبها الفشل والخيبة والطرود. عندما حان موعد خروجي من السجن الاول في مايو سنة 1936 كتبت من السجن الى الادارة الحزبية اقول اني اريد ان ارى الحزب وقوته في يوم خروجي، وكان على رأس الادارة صلاح لبكي، الذي كان يريد التوفيق بين العمل القومي الاجتماعي والغايات الشخصية، فقرر منع احتشاد الحزب من جميع المناطق لاستقبال الزعيم وان يأتي القوميون الاجتماعيون فرقا صغيرة للسلام على الزعيم ويكون لكل فرقة دور وساعة معينة في يوم معين فتوزعت قوات الحزب وظهرت كأنها شرادم قليلة صغيرة ليست ذا خطر في الشعب. يجب نبذ تلك الحكمة الجبانة وكل تدابيرها ويجب حشد جميع القوات الممكنة، من جميع مناطق سورية القومية لتشارك في اظهار حقيقة الامة وقوة نهضتها الجبارة».

ويذكر جورج عبد المسيح في يومياته الجزء الاول فقرة تتعلق بهذا الموضوع لعل فيها جوابا على تساؤل قد يحظر ببال احدنا وهو لماذا قررت الادارة المركزية هذا البرنامج المطول للاستقبال؟ يقول عبد المسيح: «اتصلوا بالزعيم. هل نقوم باستقبال جامع؟ ربما يكون فيه تحد للسلطة! ان الاستقبال الجامع - جاءهم الجواب - فيه مظهر اشمل لقوانا... اما انا فافضل ان لا تسقط شعرة واحدة من اجل استقبالي! هذه الشعرة الواحدة التي خشي البعض ان تسقط اسقطت كمية كبرى من حساب قوتنا آنذاك».

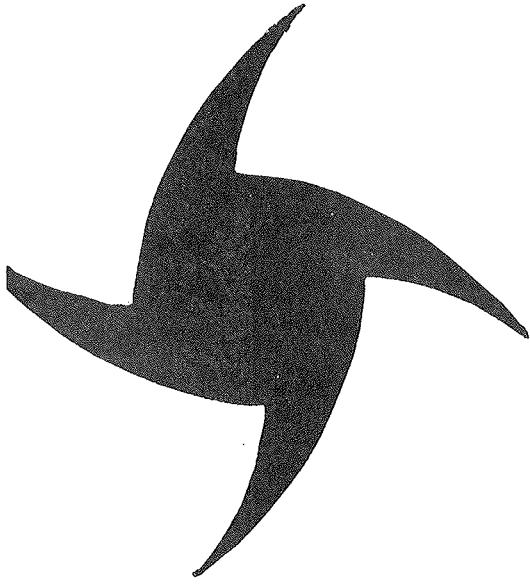
معلومات عامة

في هذه الاثناء التحق الرفيق جورج شماعة التابع لمنفذية دمشق بالزعيم فغدا مرافقه الخاص كما ان جورج عبد المسيح كان قد انهى سنته التعليمية في رام الله فالتحق ايضاً بدار الزعيم وتطوع لممارسة وظيفة حارس دائم فيها، فما كان يرى الا عند الباب يستقبل ويودع.

ومن يوميات عبد المسيح، الجزء الثاني، الصفحة 20، انقل هذا المقطع الذي يتضمن خلاصة مشاهداته في سورية الجنوبية في اثناء وجوده مدرساً في رام الله:

« ففي عام 1936 خرجت المسألة الفلسطينية نهائياً عن محورها الطبيعي، ولم يعد عدم الوعي القومي والفوضى والانانيات الخصوصية، فردية، عائلية - عشائرية - رجعية - من جميع الانواع - لم يعد كل هذا يشكل سبب التدهور ففي عام 1936 اصبحت بقدرة السحر الاستعماري في ايدي امراء ورؤساء وملوك العرب، الذين طلبوا وقف القتال في فلسطين دون ان يعرف واحدهم او كلهم او احد او كل مستشاريهم لماذا قامت الثورة، وكيف، ولماذا تتوقف، ومنذ ذلك الحين لم يبق الا القليل من الامل.

لقد قاوم الواعون وقف القتال عام 1936. وتعرضوا للاغتيال، ولكن قائد الثورة في ذلك الحين، وفي كل حين بعده، كان من هواة القتال. « ولم يكن لطلب الملوك والرؤساء والامراء بوقف القتال الا نتيجة واحدة من اجلها اشعلت الثورة اعتباراً ودون تخطيط او هدف من جهتنا، هي ايفاد بعثة اللورد بيل التي اوصت بتقسيم فلسطين. »



الزوبعة الحمراء

الفجر انشق ونفجفجوا سدود المضيق
وساروا المواقب، فبق ياغضان فبق
ونشكوا ريلح العواصف (زوبعة)
بادبع زوايا، نشع ونشق الطربق

مرفوعة

الى منت زويا باءش زوع العترة العترة في قلوب بيتنا العزيم سيه انلون سكاره
الطرب قبلك كان تجديف وريا
وما في نطاي رد روج على رفاة
وذاك رب العرش قائم انيا
وسالتك في الشترق قلت منجزات
وكنيت الحكيم وكنيت اللطيف
وجعت هلاله الدفين لليلة
وتحقق علمك فوق كل الكائنات
تجيا وتجيا في سعادته سوزيا

بجع المتار

في 7 ابريل 1936

وزعت علينا في تلك الاثناء

النهضة القومية

يا طالب الاستقلال غداً الاطفال الاشبال	ان ردتوا ثوب الحرية بروح النهضة القومية	غداً الاطفال المدفع غير المدفع ما يصدع وغير الاية ما يصدع وحاجت العزة نرفع	غداً الاطفال الاشبال وشرحهم درب الاطفال حتى يكونوا الامثال وعلاهم ال انصارا ورجال
غداً الاطفال التنظيم والقوة في التظيم والافتخار في التظيم غداً هم حب الاقليم	والحرية والواجب بالواجب والواجب الظفر في الجحش السوري وروح النهضة	غداً الاطفال القوة حمدنا من القوة صمصم القوة ملوكي وفي ايلي الاظم منقوي	غداً الاطفال الاخلاق وكلوا من الاغنق وثاق لو ما الغزبين رفاق ما في غزني لعمر وفاق
غداً الاطفال الوجود ومن بحر السوري الجدي لا تحسدوا قريه وحده الا ان كانت محده	من سينا لجال طوره لله حيله عاصه و الرهن بجهدن تنكسر فيها الرهن فارجع بالث وميته	غداً الاطفال الاعدال وتختفت به اعدال والعمال لغت قبال واراح المال ولس الل	غداً الاطفال الهمم في القطر السوري امره غداً العلم والاي حتى تضعه عالتهم
غداً الاطفال البرود عينا عيون الدهر شهود ضهور في كون جنود اسود حتى نبت السن وجود	والا بتره سفار السنج ولطون سفار السنج بجهدن تنكسر في السنج بسط الكره الارضية	غداً الاطفال تفادي والطفل ينادي بظاهي حتى نبت السن سعاد ضروبي تحف وتناوي	غداً الاطفال الهمم في القطر السوري امره غداً العلم والاي حتى تضعه عالتهم
عجاج الحمار	يحيى ابجد الفادي ويحيى الوحدة السورية	غداً الاطفال موابج لا تغدو وهم موابج الاشجيبين الراهب وتيسر شط قلبه الراهب	غداً الاطفال الهمم في القطر السوري امره غداً العلم والاي حتى تضعه عالتهم

في 13 مايو 1936

(1) هذه القطعة نموذج من كتاب « السعادة الحقيقية » في الوحدة السورية » الذي سيظهر قريباً

قبل ان انتقل الى سرد ما قام به الزعيم من اعمال او مواقف في هذه الفترة المتبقية من الزمن قبل اعتقاله الثاني اود ان ادون ذكر بعض النشاطات التي مارسها بعض المسؤولين او بعض الاعضاء ابدأها بالرفيق عجاج المهتار الذي قدم بعض انتاجه الشعري الى الزعيم الذي شجعه عندما سمعه للمرة الأولى بقوله « انت مقلعجي وبضاعتك ادوات فتح، كثر من هبالبضاعة ».

ويقول عجاج المهتار: « وبعد انكشاف امر الحزب السوري القومي، ومع حرارة الاعتقال وهمروجة المحاكمات، فجرّ - المقلعجي - لغمه الاول من وحي النهضة - لوحة فنية كرتون رفيع ابيض ولماع، وعلى اجنحتها صورة الزعيم ورسم الزوبعة الحمراء، وقصيدة النهضة القومية، ثم « الطبّ بقلبك » و « الفجر انبثق وتفجفجو سدود المضيق ». وسارو المواكب فيق يا غفلان فيق ».

طارت هذه اللوحة وحلقت على اجنحت الزوبعة وبساط الريح وكان لها فعل السحر يجذب المؤمنين من الصبايا والشباب الى الصفوف بمدرسة النهضة القومية المباركة، خاصة لانها كانت اول منشورات الحزب العلنية، حتى المبادئ كان يصعب الحصول عليها بسهولة لان الزعيم كان يوزعها بطريقة سرية بخطّ الايد، او مطبوعة « دكتلو » على ورق شفاف لسهولة بلعها بـ الحشرات، ولم تكن مشروحة، والشرح صدر من السجن عام 1936 مخطوطة نقلها المهتار. في حلب همس رفيق باذن المأمون على الخزنة قوال: « هويتك بالقامشلي عندك زمره من الشباب، ومعهم هبتوصه مصاري » وزحف الحيسوب واكتشف بالفعل مجموعة من الرفقاء ومعهم ستفه ليرات، لم يكن معهم المبادئ ولا كتب ولا نشرات، معهم فقط لوحة « النهضة القومية » المذكورة، ومرشد واحد من الرفقاء، يجتمعون بمغارة في الوادي وهناك يمارسون العمل والدفاع وينشدون الابيات التي اصبحت من صماصيم زوبعة المهتار ».

ومن نشاطات الرفيق عجاج المتهار ادخال مواطنين في الحزب كانت لها ميول شيوعية او شيوعيين والحري بالتسجيل انها كانا متفاوتين ثقافة وعلما فالاول سليمان ابو ابراهيم من بشامون وهو من مثقفها الممتازين والثاني حسين البنا من شارون وهو شاب قروي متطلع الى الآفاق البعيدة بالرغم من انه شبه امي. قاده طموحه الى المدينة - بيروت - حيث عمل بائع كاز على طنبر ومارس الشيوعية بكل انتظام في ساقية الجنزير حيث تعرف على المبادئ السورية القومية الاجتماعية فجذبتة اليها على يد الرفيق المهتار اسوة بزميله سليمان ابو ابراهيم.

وبمناسبة الحديث عن الانتقاءات يجدر بي ان اسجل ايضاً انتهاء عدد من المواطنين في عهد منفذ عام بيروت الرفيق عبد الله الجميل منهم فريد مبارك، الصحافي، المعروف برئاسة تحرير جريدة الراصد وبعض شباب فرقة فنية كان على رأسها محمد علي فتوح ومن اعضائها من كان قد اصبح عضواً في الحزب كالرفيق عبد الغني انجا وناجي تميم ومنها من انتمى حديثاً كالرفيق خضر عيتاني. كذلك تم انتهاء خضر سلام الذي كان يسكن حي عائشة بكار ومعه محمد الطرابلسي الذي اصبح اول مدير لمديرية الحي المذكور. كما ان الرفيق ناصيف اللحام كان يد المنفذ العام اليميني.



محمد علي فتوح

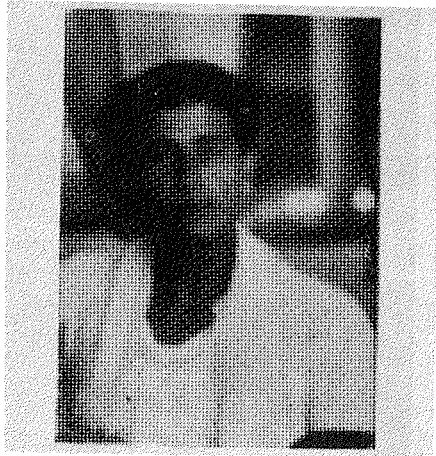


فريد مبارك

خضر سلام

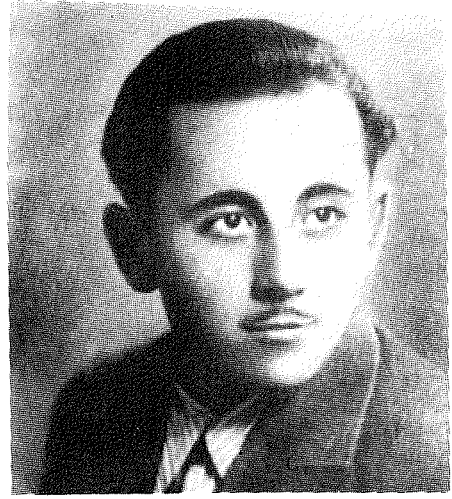


خضر عيتاني





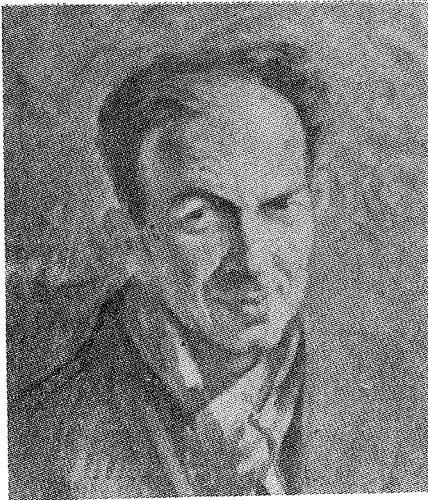
منير الحسيني



محمد طرابلسي

ومن نشاطات المدير الحقوقي عادل العيتاني ادخال صديقه منير الحسيني الذي يقول: « كنت وعادل عيتاني من المدمنين على زيارة الفنان مصطفى فروخ في محترفه القريب من سكننا في رأس بيروت وكنا نتبادل الاحاديث والابحاث والمناقشات عن الازواض التي تجتازها بلادنا فكانت النتيجة انه وجدني قابلا للانضمام الى صفوف النهضة السورية القومية الاجتماعية فكان ان انتميت الى الحزب السوري القومي الاجتماعي على يده وكان شاهد القسم طالب الطب الرفيق جورج صليبي.

وجوابا على سؤال عن موقف الفنان مصطفى فروخ قال الرفيق منير الحسيني انه



مصطفى فروخ بريشته

ايضا اصبح من ابناء الحياة وبقيت ممارساته في طي الكتمان، الى ان اشتهر عندما رسم
عرزال الزعيم .

محاولة يائسة

مثالاً على ذلك ماجرى بين الزعيم وبين المغفور له السيد. احمد اياس حين جاول
الاخير ان يشتري ابنه من الحركة .

ذلك ان السيد احمد اياس ابدى رغبته في مقابلة الزعيم في لقاء خاص فكانت
المقابلة وكان الغرض ان يفسح الزعيم في المجال لمأمون ان يترك العمل الكامل في
الحركة القومية ولقاء ذلك يؤمن الوالد لابنه مستقبلاً مالياً حسناً ويدفع سنوياً مبلغاً
من المال للحزب في مقابل ذلك فكان جواب الزعيم هو التالي: ليس عندي مانع من
تحقيق رغبتك، ولكنني اؤكد لك انه ليس بمقدوري قطعاً اقناع مأمون بوقف نشاطه
الحزبي والانصراف للامور الشخصية الحياتية . ان ذلك يفوق مقدرتي .

اعتقالات زحلة

بعد خروج الزعيم بعدة ايام تمّ اعتقال 15 شاباً من زحلة ينتمون الى الحزب القومي
بينهم اربعة محامين كانوا مجتمعين حول مائدة راح في منزل السيد ميخائيل ريا في حي
مارتقلا بتهمة انتابهم الى الحزب السوري واجتماعهم في المنزل المذكور للتداول في تسيير
شؤون الحزب ولكن لم تطل مدرة التوقيف .



دامت استقبالات الوفود الحزبية من المناطق مايقرب من الشهر، اعطى في اثنائها
ثلاثة تصاريخ لثلاث جرائد . الاول لجريدة « الايام الدمشقية » في 20 ايار 1936
تناول فيه معنويات الحزب من جهة وكيفية معالجة المسائل السياسية المطروحة في سورية
الطبيعية وبصورة خاصة مسألة العروبة . الثاني لمجلة « المعرض » في 21 ايار 1936
تناول فيه ما عدا ما ذكرته في التصريح الاول مسألة المهجرات ومسألة الاقليات
وحوادث سورية الجنوبية وفي 10 حزيران يبعث برسالة مقتضبة الى الرفيق فؤاد
مفرج يحدد له فيها حدود عمله الاذاعي لا غير . والثالث لجريدة « الرائد » الطرابلسية في
11 حزيران 1936 عن معنويات الحزب والعروبة . « هذه التصاريح الثلاثة منشورة في
الجزء الثاني من الآثار الكاملة » . وكذلك رسالة الى نائب رئيس الكتلة الوطنية في 15

حزيران 1936 هذا نصها :

« يظهر لنا من الاخبار العلنية الواردة من باريس بشأن سير المفاوضات بين الوفد السوري والجانب الفرنسي ان القضية قد بلغت حدا يدعو الى القلق. ولما كانت خطورة الموقف تستدعي اهتمامنا الشديد بشأن المصير الاخير للمفاوضات رأينا ان نوجه اليكم هذا الخطاب سائلينكم امدادنا بالعلومات التي لديكم عن المشاكل التي هي الآن موضوع محاورات بين الوفد والجانب الفرنسي وعن النقاط الاقتصادية وخصوصا ما يتعلق منها بالمصالح المشتركة التي سبق لنا ان زدونا الوفد بتقرير عنها. اذا كانت لديكم معلومات اخرى عن المسائل العامة فاننا نرجوكم ان لا تبخلوا علينا بها من اجل التعاون لمصلحة امتنا وبلادنا جميعا ».

في حضرة الزعيم :

وفي العدد 189 من جريدة « البناء » تاريخ 18 تشرين الثاني 1974 انقل عن مقال

الibas جرجي ما يلي :

« اسدل الستار على منبر العمل القومي الاجتماعي في طرطوس الى حين، وبارك من بارك نفوذ البيك الذي لا يغلب، ولو سلم من يقاومه، واشيد بانتصاره المبين على الحزب. اما نحن، الخمسة، فقد تنادينا الى اتخاذ تدبير آخر وهو ان نوفد احدنا الى مركز الحزب في بيروت لاطلاعه على حقيقة الامر وطلب تفويض رسمي من اجل استئناف العمل الحزبي في طرطوس وقضاياها على مسؤوليتنا، وعلى عواتقنا ما سيؤول اليه الوضع وملابساته الدقيقة من جراء هذه الخطوة الجريئة بل الاقدام الشجاع ازاء الاوضاع السياسية والاجتماعية التي كانت تغمر طرطوس بأسرها وتفرض عليها العداة الشديد للحزب بشقي الاساليب الغوغائية الناشئة.

وكان قد افرج، اثناء ذلك، عن حضرة الزعيم من سجن الرمل ببيروت بعد ان امضى فيه مدة حكمه ستة اشهر من قبل القضاء الفرنسي - المحكمة المختلطة - لمحاولته العبث بوحدة البلاد وسيادتها للسذين كرسستها جمعية الامم في معاهدة سايكس - بيكو الشهيرة بجرصها على سيادة الشعوب الضعيفة المغلوبة على امرها، وسهرها على استقلالها وحريتها. بوركت سيادة شعب تقوم على قوة المعاهدات وضمأن الموائيق الدولية، بمثل هذه التحف التاريخية تدوم النعم وتضان الحريات المعرضة للخطر والضياع. كأن سيادة الامم نوع من شركات ضمان يتضافر على تمويلها وتأمينها جماعة المساهمين فيها والمنتفعين من المضاربات والمناقصات الجارية حولها وبواسطتها.

فاتفق الخمسة على تكليف الرفيق الياس قنيزح بالذهاب الى بيروت لرفع التقرير بالوقائع الى المركز والتقدم بطلب التفويض للعمل الحزبي. وكان الرفيق المكلف ما يزال مدرسا في معهد اللايك الفرنسي بطرطوس. فلبى وتوجه الى بيروت، بعد ان اتصل كتابة بعمدة الداخلية واخذ منها موعدا لمقابلة العميد في الثاني والعشرين من ايار 1936، يوم عطلة مدرسية بمناسبة عيد خيس الصعود لدى المسيحيين، ولم يكن قد مضى على الافراج عن الزعيم، آنذاك، سوى بضعة ايام.

حضر الرفيق الياس للمركز بالموعود. وكان لا يعرف بيروت جيدا ولا يحسن، بالتالي، التنقل فيها. وقد استهدى بعد جهدة الى مكان المركز في رأس بيروت، في ظروف المراقبة الشديدة للحزب وتحركاته، اثر الافراج عن الزعيم، خاصة ترصد اتصالاته بالفروع والمواطنين.

دخلت المركز وسط حركة ناشطة من شباب وشابات، كانوا يروحون ويأتون للمراجعات الحزبية الدائمة، بحوية بارزة التصميم والعزيمة الصادقة، وبتطلع طموح متفائل لملافاة غد مزدهر بجليل الاعمال والانتصارات. قدمت نفسي والرسالة التي كنت احمل الى الحارس المناوب في مدخل البناء فقادني احدهم الى داخل قاعة الجلوس. وبعد ان قدم لي مقعدا استمهلي قليلا ريثما يذهب ليعلم حضرة عميد الداخلية بوجودي. مضت برهة وجيزة بانتظار ما سيكون، حسبها مرحلة مليئة بالاحداث والتربات، ثم اتاني شاب وسم الوجه، معتدل القامة، دقيق العناية الواضحة بهندامه وتصرفاته معلنا اسمه ومسؤوليته الحزبية، وقادني فورا الى مقعد منفرد في زاوية منفردة من الغرفة واخذ يوجه الي بكل هدوء وجدية عددا من الاسئلة عن الحالة الحزبية في طرطوس، منذ بداية الازمة هناك، وكيف وصلت الى ما آلت اليه من وضع مؤسف، وخاصة ما استجد فيها بعد عملية العريضة المعلومة التي تسلمها المركز. تميزت اسئلة العميد الداخلية باقتضائها واقتصارها تقريبا على استجلاء الاسباب الحقيقية لما حدث والتسائج الحاصلة لدى الرأي العام في طرطوس، والتوقعات المرتقبة لمستقبل العمل الحزبي. وقد ركز اهتمامه ايضا على معرفة الكثير عن امكانيات الخمسة الباقين في ساحة العمل، والتعرف الى مستوى مؤهلاتهم لتحمل التبعات المترتبة على عوانتهم، خلال المرحلة المقبلة المحفوفة بالمصاعب الشعبية والحكومية. في تلك اللحظة من سياق الحديث مع حضرة العميد، خرج فجأة شاب في مقتبل العمر من الغرفة المواجهة و اشار الى العميد بالاقتراب منه، فسارع للملاقاته، معتذرا مني، بينما كان الشاب يغلق الغرفة التي غادرها توا بتؤدة وعناية دقيقة. وبعد

ان تهامسا ببضعة كلمات سريعة دعاني حضرة العميد مأمون اياس ليقدمني الى حضرة رئيس مجلس العمدة نعمة ثابت الذي صافحني بترحيب ولياقة جذابة مريحة والابتسامة تسبق كلماته الموجزة الواضحة، ثم وضع يده على كتفي لاتقدمه الى داخل تلك الغرفة عينها، وانصرف على الفور مودعا ليغلق الباب دوني.

وجدت نفسي وحيدا في الغرفة، امام رجل تلتقي في ملامحه وسامة الشباب وعزيمته مع رصانة الرجولة وصلابتها. ما كدت ألقي اليه التحية القومية، وانا على حال من الحيرة والغموض، حتى بادرنى بردها بمنتهى البشاشة والوداعة تشعان من عينيه بالمحبة والثقة والارتياح، كأنه يعرفني جيدا منذ زمن غير يسير، وهو يشير الي بالجلوس على مقعد قريب متواضع ومرتب جدا يسعنا نحن الاثنين براحبة قائلا: « تفضل الى هنا رفيق الياس ». كم غمرني هذا الترحاب الجميل، المقتضب العبارات، بالفرح العميق، واشاع في نفسي ارتياحا كبيرا لمباشرة الحديث مجيبا على كل سؤال وجه الي عن مشكلة طرطوس والعروبة فيها. ولم تكن غبطتي العامرة لتخلو من ارتباك عسير لوجودي، للمرة الاولى، امام الزعيم، وبذلك الصورة المباغته. وقد كنت اتخيله سابقا من خلال الصور التي نشرت له في الصحف، خاصة بلباسه الحزبي الرسمي، ابان الاعتقالات والمحاكمات، اشد قسوة في قسامته وملامحه واطول قامه مما رأيت ساعة عزفته.

جلسنا متقابلين في ذلك المقعد وبدا الحديث فورا عن طرطوس، وما حدث للحزب فيها، وعن عريضة المنسحبين والاسباب التي اذت اليها والملابسات الحاصلة بشأنها. وكان الزعيم، حال جلوسنا، قد توجه الي بسؤال مقتضب وحيد « ماذا في طرطوس يا رفيقي » تاركا لي المجال المتسع للافاضة بعرض كل التفاصيل التي حضرني عن الموضوع. وكان صامتا مصغيا لحديثي وهو يرافقتني بنظراته الثاقبة وابتسامته المشجعة للاسترسال ما طاب لي ذلك، دون ان يقاطعني بكلمة واحدة او يشعرني بسابق اطلاعه على ما كنت ادلي به اليه من معلومات، كان الموضوع برمته جديدا عليه، يستزيدني بنظراته من الاسهاب في الشرح والتعليق. واذكر انني كنت منطلقا بالتحدث اليه ومدفعا في السرد وابداء الرأي الشخصي والموقف الخاص بالنسبة للحادث. وقد خامرني الشعور الذاتي بأنني كنت موفقا الى حد الاعجاب بنفسي في اعطاء الزعيم صورة كاملة عن كل شيء، دون ان افوت عليه الاطلاع على اية شاردة او واردة حول الموضوع المطروح.

وكم اطلت في ابداء شديد الاسف والتألم لما جرى، والذي لم يكن متوقعا، وركزت كثيرا على صعوبات استئناف العمل الحزبي ووعورة ولوجه انداك، مع تأكيدي استعداد الخمسة لتحمل مسؤولياتهم مهما كلف الامر من مشاق ومزالق او مهالك، مفندا انواع الصعوبات التي ترصد سيلنا وتعيق مسيرتنا المقبلة، كما كنت اتصورها من خلال بدائية اختباراتي في تلك المرحلة الاولى من بدء العمل الحزبي. لقد كان ذلك الحادث، بالنسبة الي، صدمة كبرى وصعوبة قصوى، لوقوعه في مطلع تكويننا الحزبي وممارستنا للمسؤوليات. حتى بلغ تشديدي على خطورة الصعوبات المترتبة حدا من المبالغة حمل حضرة الزعيم على ايقافي عن الكلام، ليقول لي مؤنبا، لكن بابتسامة غالبية، « لا تكن يا رفيقي صعوبة فوق الصعوبات ».

فارتج علي وصرت اتعثر في ايجاد العبارات المناسبة لتأدية الفكرة، واحترار في كيفية التقاط الافكار التي غامت في ذهني وتبعثرت حتى عجزت عن متابعة الحديث، كمن مُني فجأة بفقدان القدرة على التذكر والقدرة على التعبير عن مداركه ومشاعره التي تضطرب في مخيلته ويدور في حلقة مفرغة من الغموض والفراغ دون نتيجة ممكنة. لاحظت الزعيم ما كنت فيه من تلغم وارتباك، فاستدرك الامر مستدعيا اليه نعمة تابت ليطلب منه اعطاء الرفقاء الخمسة العاملين في طرطوس تفويضا رسميا بمهمات العمل الحزبي، على ان يتابع بوعي وسرية من اجل سلامة الاستمرار بالانطلاقة الجديدة، وعدم تعريضه لما يعرقل نموه ويعيق تركيزه في تلك الآونة الانتقالية. وبعد تناول التفويض وتبادل بعض الملاحظات عن مجالات النشاط الحزبي في طرطوس وامكان الانتشار في الشعب اثر اجتياز المرحلة الصعبة في البدء، سمح لي بالانصراف بينما كان الزعيم يردد على مسمعي عبارته بمرح بارع:

« اياك وتغلب الصعوبات... الى حين يا رفيقي وسلامي للرفقاء ».

ودعت عائدا، وملء جوارحي يقين المؤمنين بالنصر، وعزيمة المناضلين الثائقين الى تحطيم الصعوبات ببسالة تليق بالقومي الاجتماعي الذي قرر هذه المرة ان يكون صعوبة لكن بوجه الصعوبات، يذلها دون هوادة ولا مهادنة او مهابة بايمان وارادة، هما تجسيد اصالة الامة السورية رائدة الامم ومشيدة الحضارات الفذة المتفرقة.

هكذا، خلال سنوات معدودات، غدت منطقة طرطوس، التي كانت بالامس معتقل العاملين الاحرار للبناء الصحيح، من امنع معاقل الحزب ومشاعل الحرية

والواجب والنظام والقوة، وصارت من قلاع النضال الصامدة المظفرة بانعتاقها الايي من عقلية الرجعة وتبعية الرجعيين لاعتناقها قيادة سعادته وقدوة بطولاته.

لتحي سورية ايماننا
وليحي سعادته رائد المؤمنين».

★ ★ ★

واختم المعلومات العامة عن المركز بجاذبة طريفة جرت للرفيق الياس جرجي ارويهنا نقلا عن مقاله في جريدة «البناء» العدد 377 تاريخ 22 تموز 1978 هذه الحادثة وقعت على اثر انفراط عقد مديرية طرطوس وتوجهه الى مركز الحزب لمعالجة هذا الوضع السيء. قال «توجهت الى بيروت في الثاني والعشرين من ايار سنة 1936 لملاقة عميد الداخلية مأمون اياس بناء على موعد سابق حصلت عليه بموجب رسالة رسمية وكان قد مضى تسعة ايام فقط على الافراج عن الزعيم بعد قضائه ستة اشهر في سجن الرمل مدة الحكم الاول عليه. وصلت الى بناية مركز الحزب في بيروت بعد مشقة وجهد كبيرين لانني لم اكن اعرف احدا من الحزب هناك وليس لدي ما يعرف عني سوى رسالة عمدة الداخلية التي تحدد لي موعداً مع العميد.

دخلت المركز بعد ان تقدمت برسالة العمدة الى الحارس التي توضح الغرض من زيارتي للمركز. جلست في مقعد تأمل بمن اراهم امامي في حركة دائمة ونشاط فعال دون ان اعرف احدا منهم ودون ان اعرف شيئاً عما يشغلهم وما يجعلهم في انهماك متوقد متواصل. كنت مرتاحا رغم غربتي بين هؤلاء الرفقاء وانا اتوقع دعوة عميد الداخلية بفارغ الصبر بخصوص الموعد.

مضت دقائق معدودات ثم يأتيني احدهم ليدعوني باسمي فألبيه حالاً. وبعد خطوات نقف امام غرفة مغلقة. يقرع مرافقي الباب برفق وتهيب مستحب ويطلب الي ان اتقدمه الى الداخل، يعلن اسمي الكامل ومسؤوليتي الحزبية لمن كان بانتظارنا، ثم يؤدي التحية القومية باحتشام ودقة نظامية بارزة وينسحب من الغرفة ليتركني وجها لوجه امام شاب بهي الطلعة، حاد النظرات، حازم الملامح، حنطي اللون اقرب الى السمرة، مربع القامة، مليء الجسم. ما عتمت ان ادركت انني أمام الزعيم لأول مرة في حياتي وقد كنت اتصوره اكثر طولاً قبل المثول امامه، من خلال احدي صورته بالباس

الرسمي التي نشرت عنه اثناء اعتقاله والتحقيقات الاولى معه.

دعاني للجلوس الى جانبه مواجهة في مقعد مستطيل يتسع لثلاثة اشخاص على الاقل وبادرتني في الحال: - « ما الخبر عن طرطوس؟ » قصصت له كل ما حدث منذ اطلاع المدير رياض عبد الرزاق على مقال الدكتور علم الدين المتضمن انسحابه من الحزب بسبب عدم اخذه بالعروبة كما يراها هو الى ان وضعت العريضة بانسحاب اربعين عضوا من قومي طرطوس لترسل الى المركز معلنة حل الحزب في طرطوس وقد توقفت مليا لدى موقف الاعضاء الخمسة من هذه العملية وما تفردوا به من صمود وحنكة بالنسبة لمجموع الاعضاء .

- اذن ، المسألة هي مفاجأة الدكتور علم الدين ورياض عبد الرزاق بخروج الحزب عن مفهومها للعروبة . فكيف ترون مجال العمل من جديد في طرطوس واسلوب شقنا الطريق امام هذه العقبات المعلنة في وجه الحزب بطرطوس؟

- اخذت اروي له ما كان ينتظره الحزب لولا ذلك الحادث من انتشار وانتصار في المحيط سواء بمدينة طرطوس او قراها العديدة القابلة للاخذ بالفكرة السورية القومية الاجتماعية وما صارت تشكله هذه الحادثة في سبيل عمل الحزب من صعوبات وصعوبات شديدة الوعورة كأداء . ورحت اسهب بالشرح والتنفيذ حول ما ينتظرنا من شديد الصعوبات للمراحل القادمة وما يقتضينا من الاعداد والتعب لمواجهة تلك الصعوبات الفريدة بقسوتها وصلابتها .

كل هذا التفصيل والتطويل قابله الزعيم باصغاء هادى عميق كان يتخلله بين الحين والآخر ابتسامة عابرة لكنها جد معبرة وعبوس لم يكن ليخفي تلك الابتسامة المتأملة حتى وصلت بجديشي المطول عن جلال الصعوبات وخطورتها بحماسة واندفاع جامع جعل الزعيم يستوقفني بكلمة حاسمة: « ولكن ، يارفيقي ، لاتكن انت صعوبة فوق الصعوبات » . ثم عاد الى صمته المتأني كمن ينتظر مني المزيد من الاسهاب في وصف الصعوبات التي كنت اتصورها بل اتوقعها في مسيرتنا الحزبية المقبلة بالرغم مما كنت ابدية خلال الحديث من استعدادنا نحن الخمسة الباقين في الحزب في طرطوس لتحمل المسؤوليات وتحمل تلك الصعوبات الناجمة عنها .

بعد كلمة الزعيم لي بالا اكون انا نفسي صعوبة جديدة تستلزم هي ذاتها المعالجة ارتج علي ولم يكن بامكاني متابعة الحديث عن اي امر بل صرت احار فيما اقول وكيف اقول ما ارى ضرورة قوله والافصاح عنه . حينذاك استدرك الزعيم تعثري بالكلام

وتعذر افصاحي عن اية فكرة او ابداء اي رأي. فاستدعى بنفسه عميد الداخلية وطلب منه اعطاء الاعضاء الخمسة الموجودين في طرطوس تفويض بمسؤولية الدعاية والادخال بين صفوف المواطنين في قضاء طرطوس على ان يكونوا مسؤولين مباشرة عن اعمالهم الحزبية امام عمدة الداخلية.

هكذا بدأت مرحلة جديدة مهمة من تاريخ العمل الحزبي في طرطوس والقرى التابعة لها. والحزب وحده يعرف كم كنا نحن الخمسة، او كنت انا شخصيا صعوبة فوق الصعوبات التي يواجهها طبيعياً العمل السوري القومي الاجتماعي في معركة انتشار الحزب في صفوف الامة السورية وميادين انتصاره المحتم على كل صعوبة في طريق الحياة الطويلة الشاقة».

وفي الكورة: الغاء الاقطاع

وكان صراع بين المقبلين على الدعوة القومية الاجتماعية وذوي النفوذ الاقطاعي في هذه القرية، بتوروتيج، الكورة. ونتيجة لهذا الصراع وقع اصطدام بين احد جنود هذه النهضة القومية الاجتماعية واحد هؤلاء المتنفذين.

التقيا عند بيادر القرية. المتنفذ بشاربيه الكبيرين المعقوفين، وجزمته الملمعة والكرباج المعلق من رسغه وابن الشعب بلباسه العادي الشكل، البسيط. جرى حوار عن المبادئ الجديدة والغاء الاقطاع كان فيه ابن الشعب طلق اللسان، فصيحاً فلم تقع اقواله في نفس المتنفذ الموقع المستحب فأخذ يهز كرباجه بما أثار الخشية من قبل الجانب الاخر.

نبهه ان هزة الكرباج لا تجوز فالموقف موقف فكر وآراء فما كان منه الا ان زاد الهز ورفع قليلا وقال « ما هذه الايام التي وصلنا اليها يخاطبني شخص مثلك بمثل هذا الكلام » فأجابه الطرف الاخر بأن مد يده الى جنبه وسحب مسدسا يشهره عليه ويقول له « كلمة اخرى منك وتذهب الى استقبال ربك الديان ».

انتهى الحادث عند هذا الحد. لاول مرة يحصل تهديد لاحد المتنفذين من هذا النوع من قبَل احد « عامة الشعب ».

وصلني الخبر الى الضيعة فحضرت حالا الى بتوروتيج واستوضحت جلية الامر. هنأت رفيقي الشجاع لموقفه الجريء وطلبت منه ان يتحسب لما يمكن ان يجره هذا الحادث من ذبول وغادرت القرية الى طرابلس وأنا اضرب اخماسي بأسداسي. انها

لجراً هائلة ان يهدد عبد المجيد « الباشا » أما تقريع « الباشا » لعبد المجيد لخروجه على طاعته فشان عادي، كان يحدث أي حين. انه كان من عادات الامور اليومية.

خشيت من الذبول فقررت الاتصال بالزعيم واطلاعه على هذه المسألة واخذ تعليماته بهذا الخصوص ولكن كيف السبيل الى ذلك؟ وليس في جيبي شروى نقير. توفقت بسيارة ذاهبة الى بيروت يقودها سائق من معارفي. وصلت الى بيروت. قلت للسائق اني عائد اليه بعد قليل من الوقت فليحفظ لي مقعدا معه للرجعة.

امتطيت الحافلة الكهربائية وعندما جاءني قاطع التذاكر أعلنت له اني معي « بطاقة » Pass. كان من سوء حظي ان طلبها مني فمددت يدي الى جيوبي افتش عنها فلا اجدها (بالطبع كيف اجدها وهي غير موجودة اصلا)، فاعتذرت له عن نسيانها في سترة اخرى في البيت فقطع لي تذكرة، ولكن من أين لي ان ادفع 1؟

اخبرته اني على عجلتي لم احمل معي نقودا ولذلك لا اقدر على الدفع وقدمت له قلم رصاص فضة، كان قد وصلني هدية، فاعتذر وقدر موقفي وقال لي « لو اخبرتني منذ البدء لما قطعت لك تذكرة » قلت له « لا بأس، عند وصلي الى رأس بيروت مقابل الجامعة الاميركانية اتناول نقودا فادفع لك ». قبل عرضي وانفجرت الازمة موقنا. (كانت قيمة التذكرة قرشا سوريا واحدا ونصف القرش).

وصلنا الى مقابل مطعم حداد فرجوت قاطع التذاكر ان يأمر بوقف الحافلة بينما انزل واستحضر القيمة ففعل. وصلت الى المطعم ولفرحتي وجدت الرفيق انيس فاخوري يتناول الطعام فأخذت منه قطعة خسة غروش سورية قبل السلام والكلام وهولت الى الحافلة اسدد ديني وعدت الى المعطعم أروي لانيس قصة هذه المغامرة ثم استأذنته لاني ذاهب لمقابلة الزعيم وان على غير موعد.

استقبلني الزعيم واسمعه حكايتي بكل تفاصيلها. المقدمات والاسباب وحاصل الاصطدام وخشيتي من تطور الذبول. سر كثيرا من موقف عبد المجيد وكلفني ان اهنته باسمه واعطاني توجيهاته بهذا الخصوص. بعد ان انتهيت من موضوعي، هذا، الرئيسي، رويت له كيف اني جئت من طرابلس وانا صفر اليدين وعمما حصل معي في الحافلة وكيف ان الله اوجد انيس فاخوري في المطعم فحل المشكلة. كان تعليقه على قصة « الترام » ان ذكرني « رأيت، يارفيق جبران، ان الروحية تخلق العجائب كما قلت لك مرة في المكتب في شارع فوش: ان روحيتك قادتك الي بالرغم من عدم وجود خسة غروش في جيبك، لم يقف عدم وجود المال في طريقك. الى الامام،

يارفيقي، الى الامام». هتأني وودعته وقفلت راجعا الى طرابلس مع السائق نفسه وبالطبع دفعت له اجرتة كاملة فيما بعد.

قعدت في بيتي استعرض حادثة بتوروتيج وذيولها واذا تنتصب امامي آية « ان الروحية تخلق العجائب». صحيح والف صحيح فلولا هذه الروحية العظيمة لما كنت قمت بهذه المغامرة الفذة. انما الاعجب الذي طرأ على فكري هو قوله « كما قلت لك مرة في المكتب» فما هذه الذاكرة الحافظة! انعم بها من ذاكرة عجيبة.

اذن مشروط

ويروي اديب قدورة عن فترة انتائه وممارسته الحزبية في الجامعة الاميركانية انه طلب مقابلة الزعيم ليعرض عليه مسألة خطيرة تحتاج الى حل. كانت المسألة انه كان محصلا في احدى مديريات الطلبة في الجامعة ولكنه خشي ان تعرضه هذه الممارسة الى غضب ادارة الجامعة عليه اذا اكتشفتة خصوصا بعد حصول بعض الاشكالات مع بعض الطلبة الذي له آراء مخالفة لعقيده القومية الاجتماعية لانها كانت تطرد كل طالب تثبت علاقته بالحزب.

تحت المقابلة واخبره بالمشكلة التي يتوجب عليه حلها فجاءه الحل المرتجى وهو « توقف عن ممارسة اي نشاط حزبي الى ان تنهي دراستك وعندما تتخرج تنصرف الى العمل الحزبي». وهكذا كان.

مشكلة الشوف

ويقول كامل ابو كامل في مخطوطته:

« خرج الزعيم بعد ان قضى محكوميته الستة اشهر مكلالا باكاليل الغار فالمواقف الجريئة والصريحة التي وقفها في محاكمته اعطت رفاقه زخما خارج السجن لا تعطيه الف نشرة اعلامية يصدرها تأمين اياس او عبد الله قبرصي. اذ كان العضو في الحزب يمشي بسوق البلدة متبخترا، معتزاً بنفسه وزعيمه وحزبه وكان الحق ان يكون هكذا فنوعية الاعضاء كانت نوعية مختارة فضلا عن توجيههم الممتاز، ايضا، فجانبا توجيه الاعضاء على عقيدتهم ونظامهم كان يقف المسؤول ليقول لهم، انتم، يا ابناء الحياة، يجب ان تكونوا القدوة لمن سيأتي بعدكم فاحرصوا ان تكونوا مثال الشجاعة في مواقفكم القومية ومثال في النزاهة في معاملاتكم التجارية وغير التجارية مع الناس. الكذب معيب ومضر بكم وبقيضيتكم، والمقامر غير موثوق وغير محترم.

يجب ان تبتعدوا عن كل ما يبعد الناس ويقلل من احترامكم فانتم طليعة الاجيال القادمة فان فعلتم خيرا خيرا تقطفون وان فعلتم شرا فشرأ تقطفون. اعتنقتم مبادئ شريفة فاعملوا خيرا لتكونوا اهلا لحمل رسالة الهداية. بهذا كان المسؤولون يتوجهون الى الاعضاء. لهذا كان للرسالة جنود خيرون في بداية عهدها، محبون لبعضهم البعض، يساعدون من تأخر منهم ولا يجتالون على من تقدم.

لم تشارك منفذية الشوف في استقبال الزعيم عند خروجه من السجن لاسباب عديدة، اهمها انه لم يطلب من المنفذية رسميا ان تشارك. ثانيا - لم يكن في الشوف هيئة منفذية شرعية معينة بمرسوم. ثالثا - لاننا خرجنا من عهد الى عهد النظام وكان لم يطلب منا الحضور لذلك لم نحضر. واقتصرت الافراح على اشغال النيران على الجبال

والقمة ونظمت بعض حفلات انس تخللها غناء ورقص وذلك تمويها على رجال السلطة
الذين كانوا كلهم عيون على القوميين وتحركاتهم.

وبعد مضي شهر على خروج الزعيم من السجن وبينما كنت مارا في سوق بعقلين،
التقي بي احد شباب البلدة وقال « ما بالك » ألم تُدع للاجتماع؟ « قلت: « لا. واي
اجتماع؟ » قال: « ان القوميين يجتمعون في كفر حصير وسمعت بان زعيم الحزب موجود
هناك. فكيف انهم لا يدعونك وانت المسؤول عنهم؟ » اذ كنت بنظر البلد الذين خارج
الحزب اني المسؤول الاول عنهم، قلت: « لعلها كانت زيارة مفاجئة للزعيم لم يتمكنوا
من اعلامي ».

يمنت وجهي صوب كفر حصير التي وصلتها بعد عشر دقائق. كان الاجتماع في بيت
رفيق اليوسف احد الرفقاء الجدد. باغت وصولي بعض الذين ارادوه ان يكون سريا عني
كما افرح الذين كانوا يرضيهم العمل الذي قمت به والنتائج الايجابية التي حققتها عندما
بدأ الانهيار يدب في صفوف الاعضاء تحت ضغط السلطة ورجال الأقطاع، مستفيدين
من غياب السلطات الحزبية الدستورية.

ملكيت اعصابي ودخلت بصورة طبيعية الى حيث الزعيم وكان قد انهى اتصالاته
وجلس يتحدث الى بعضهم كنصوح حمادة وحسن الطويل وسليم محمد ضاهر ورفيق
اليوسف حمادة، ورياض حمادة وعزت وهاب وتوفيق ابو شقرا. اخذت التحية
واقتربت من الزعيم مصافحا ومهنئا بسلامة خروجه من السجن فقال: « انها نتيجة

رفيق يوسف حمادة



توفيق ابو شقرا



طبيعية ان لا يبقى الحزب مخفيا عن عيون السلطات فكنت اترقب انكشافه في كل تكة. والآن علينا ان نثبت باننا اهل لما نحمله للعالم من رسالة وما نحمله لامتنا من مبادئ، لقد اجتاز حزبنا معركة التأسيس الى معركة البناء واننا لجديرون بها».

اعلن انتهاء وقت الزيارة فركبت معه بسيارته الذي كان يرافقه فيها زكريا لبابيدي ومأمون أياس حتى وصلنا لدار السراي فودعته وعدت الى السوق بينا اتجه بسيارته نحو بيروت.

في الليل جاءني جماعة من الشباب الذين حضروا الاجتماع لقضاء السهرة في بيتي وهذه من العادات الجبلية الجميلة حيث لا نوادي ولا قهاوي لتمضية اوقات الفراغ والتسلية فالاصدقاء يجتمعون في البيوت ويقضون سهراتهم في احاديث مختلفة، لكن احدا من الرفقاء اللذين جاؤوني لم يفه بكلمة حول ماذا دار في الاجتماع وذلك عملا بالحفاظ على السرية التي كانت مفروضة علينا جميعاً، (وان لا ابوح باسرايه وان لا اقول الا ما انا مخول بقوله فقط) ولا انا سألت احدهم عما دار في الاجتماع. بت ليلى قلنا احسب الف حساب لهذه الزيارة واقول لنفسي ان ما فعلته كان من الضروري ان افعله فهذا اعدّه كان واجبا علي وليحاسبني الزعيم ما شاء.

امضيت يومين وانا قلق على مصيري فهناك النظام الصارم الذي لا يرحم وهناك الحزب الذي يجب ان نحمله فاذا كان هنالك من خطيئة نظامية الام عليها فيكفي بان ضميري مرتاح لاني اوقفت الانسحابات من الحزب التي كان يمكن ان تشكل شللا في صفوفه.

في اليوم التالي جاءني من سلمني رسالة ما ان فتحتها وقرأت ما فيها حتى انفجرت اساريري واتسع قلبي من الفرح. وضعت الرسالة في جيبى ووجهت دعوة الى عدد من اعضاء بعقلين لاجتماع يعقد في بيتي في نفسي الليلة. ولما اكتمل حضور المدعوين سلمت الرسالة الى صديقي ورفيقي توفيق ابو شقرا وامرته في قراءتها. ما ان انتهى الرفيق من القراءة حتى ابتسم بعضهم وعبس الآخرون فقام احدهم، نصح حادة، وقال: «انا الذي قمت بدعوة الزعيم اذ كنت اعدك بانك قد قمت بعمل لا دستوري وتستحق ان تنال العقاب. واعتذر ان كنت اخطأت في تقديري اما وقد كانت النتيجة بأنك اصبحت منفذا عاما فاني اضع نفسي تحت تصرفك واني حاضر لتنفيذ اي امر تكلفني به».

عندها وقفت وقلت: «اني اشكر الرفيق نصح على جراته وصراحته وبالْحَقِيقَة

اني كنت اشعر بالذنب عندما اخذت على عاتقي بان افرض نفسي مسؤولا قبل ان يأتي تعييني دستوريا ولكن كلكم تعرفون الظرف القاسي الذي مر بنا فكان لا بد من اتخاذ اجراء ما للوقوف بوجه الضغوط التي حصلت بعد اعتقال الزعيم واركانه وبالتشاور مع بعض الرفقاء قررنا ان نأخذ المبادرة حتى ولو تعرضنا للملامة والعقاب.

وحضرة الزعيم الذي وضع مصلحة سورية فوق كل مصلحة قد رأى ببصيرته بأن ما قمنا به وان كان من حيث النظام يشكل خرقا دستوريا لكنه من حيث النتيجة قد صان الحزب من الانهيار في منطقة الشوف. لان النظام قد وضع لخدمة المبادئ وليس المبادئ لخدمة النظام. ولذلك تجاوز العقاب وعد عملنا دستورياً.»

هذا السابقة اردت ان اوردها لايين كيف كان الزعيم ينظر الى الاعمال الحزبية التي يتخطى فيها المسؤول القومي حرفية النظام في ظروف استثنائية كالتى كانت حاصلة اثناء سجنه ووجود فراغ في السلطة لتأمين مصلحة حزبية معينة.»

«انتشر الحزب بعد خروج الزعيم من سجنه الاول انتشارا هائلا في المناطق اللبنانية فبالاضافة الى الشوف الذي كان سابقا لتشكيل منفذية بعد بيروت، صار له منفذية في الكورة ومنفذية في المتن الشمالي ومنفذية في مشغرة ومنفذية في طرابلس ومنفذية المتن الجنوبي واعضاء كثيرون في منطقة جبيل والبترون وصور والنبطية، ومرجعيون وزحلة وتشكلت منفذية في دمشق، فبرزت اسماء الكثيرين من الاعضاء المركزيين كنعمة ثابت، ومأمون اياس، زكي نقاش، صلاح لبكي، جورج حداد وجورج عبد المسيح.

الاعمال الحزبية بين منفذية الشوف والمركز كانت نظامية في هذه المرحلة. وقد برز في المنفذية اشخاص عديدون استحقوا التقدير والاحترام لما قاموا به من اعمال تثقيفية وادارية جعلت من منفذية الشوف قلعة حزبية منيعة ومن هؤلاء الرفقاء حسن الطويل، سليم محمد ضاهر، توفيق ابو شقرا، مسعود عبد الصمد، فهد حسن، حسن سلمان بريش، عارف الدويك، امين ابو عكر، علي ملحم ضو وفريد ابو شقرا.

حسن الطويل الذي اقترحه ناموسا للمنفذية كان دقيقا في تنظيم الامور المكتبية فانتظمت العلاقة بين المنفذية والمديريات التابعة لها وبين المنفذية والمركز. وحسن الطويل كان يشغل بالاضافة الى كونه ناموسا لمنفذية الشوف مديرا لاحدى مديريات بعقلين الثلاثة. كانت المديرية التي تولى ادارتها من افضل المديريات تثقيفا قوميا

اجتماعيا مع العلم بان الاتصال بالمركز والمركزيين كان صعبا ولم يكن يتم الا بواسطة المراسلات. فقليل جدا من اعضاء المنفذية كان يعرف المسؤولين شخصياً.

المشكلة الادارية وحلها

بعد خروج الزعيم من السجن انهالت عليه التقارير وكلها تحمل طعنا بما قمت به وتتهمني باغتصاب السلطة ومنع هيئة المنفذية من ممارسة حقها الدستوري والاعتداء على اعضاء بالتهديد والوعيد الى آخر المعزوفة. والزعيم الحريص على دفع كل ما يسيء الى الحزب وسمعته دعا لاجتماع مستعجل يعقد في بعقلين على ان يتم بمعزل عني وعن الذين تعاونوا معي يحضره هو وعميد الداخلية.

وفي احد الايام بينما كنت في طريقي الى سوق بعقلين التقيت بشاب من سكان كفر حصير حيث كان الاجتماع معقودا. فبادرني بالسلام واردف قائلاً، « ما بالك خارج الاجتماع؟ » قلت، « واي اجتماع؟ » قال، « اجتماع للحزب القومي، كل الشباب هونيك ما عداك انت ». ادرت وجهي صوب كفر حصير واسرعت الخطى والافكار تتسارع في رأسي والمسافة لا تقل عن الثلاثة كيلومترات وفكرت، لماذا في كفر حصير ومن دعا لهذا الاجتماع. لعل احدى المديرات الثلاث قد قررت ان تعقد اجتماعاً؟ لماذا تعقده في النهار؟ والعادة ان تعقد الاجتماعات في الليل. أله ان تكون حفلة؟ حفلة لمن؟ ولماذا لا اعلم بها. فبعقلين قرية كبيرة ليست مدينة. اذن هنالك امر خطير يجب ان اسرع. بدأت اقلق ولكن اعصابي قوية تتحمل الصدمات. كنت اتحدث مع نفسي وانا اسير لاكتشاف المجهول.

وسرعان ما وجدت نفسي امام بيت رفيقنا رفيق اليوسف حمادة مكان الاجتماع والرفقاء يخرجون منه فسألت احدهم عن دعاهم للاجتماع قالوا « الزعيم يا حضرة الرفيق ». قلت « الزعيم هنا؟ » وتبادر الى ذهني القصد من اهمال دعوتي لهذا الاجتماع. اني ارتكبت خطأ وخرقت القواعد الدستورية. ان ضميري مرتاح لان النتيجة كانت ايجابية. فقد صنت منفذية الشوف من الفوضى والبلبلة بفضل المديرين والمفوضين الذين وعوا ان ما قدمت عليه من انتحال صفة المنفذ العام كان تدبيراً وقائياً لاستمرار المنفذية باجهزتها الكاملة والتستر على المركز بين الذين بلبلهم اعتقال الزعيم وشل حركتهم فاهملوا الاتصال بالفروع وتركوها تقلع شوكتها بيديها.

دخلت القاعة واخذت التحية للزعيم فرحب بي ترحيباً ازال بعض القلق من نفسي

وجلست استمع الى حديث بعض الاعضاء يطرحون سؤالات عليه وهو يجيبهم وكلها تتعلق بالعقيدة والنظام. وانتظرت ان يوجه سؤالاً لي عن سبب عدم حضوري هذا الاجتماع او ان اسمع اي كلمة تشير الى زيارة الزعيم المفاجئة لبعقلين ولكن شيئاً من هذا لم يحدث. واخيراً نهض الزعيم مودعاً وكانت الساعة تشير الى الثانية عشر ظهراً. استأذنته للركوب معه بالسيارة التي كانت ثقله وبرفقته مأمون اياس لمرافقته الى اخر البلدة علي اسمع منه كلمة تشير الى موضوع المخالفة ولكن شيئاً من هذا لم يحدث وعند وصولنا الى سراي بعقلين نزلت من السيارة وتابع الزعيم سيره الى بيروت.

ثلاثة ايام تنقضي والوساوس تنهشني، كنت اجتمع فيها الى حسن الطويل وتوفيق ابو شقرا ونهاد الغصيني وعزت وهاب الذين ايدوني ولم يدعوا الى هذا الاجتماع، نتداول في الموضوع. فمنهم من يقول « نحن قمنا بالواجب الذي قررناه بعقولنا بانه العمل الافضل في مثل هذه الظروف والآن وقد خرج الزعيم من سجنه وعاد المركز يمارس عمله فنكون قد سلمنا الامانة كاملة». ومنهم من يقول « الله يساعدك، يا حضرة المنفذ، المعتصب للسلطات، قرار الطرد سيكون بطولك».

جاء اليوم الرابع يحمل لي الرفيق خليل يوسف بهاء الدين حمادة، الذي يملك سيارة تكسي، رسالة من بيروت. وما ان فضضتها وتلوتها حتى زال عني كابوس التهم الذي ركبني اربعة ايام متتالية. فالرسالة تحمل تقديراً لي ولجميع الذين عاونوني وللمديرين الذين تجاوبوا معي وفيها مرسوم بتعيين الرفيق كامل ابو كامل منفذاً عاماً للشوف.

وقد تبين، بان حضرة الزعيم بعد اطلاعه على ما جرى وما كان حاصلًا في المنطقة من ضغوط وانسحابات من الحزب ومنها ما كان تهرباً من الضغط ومنها ما كان بفعل الدعايات المغرضة وانزواء ناموس المنفذية بعد استقالة المنفذ العام وتركه الامور تسير على هواها، واهمال المركز للاتصال بالفروع والاشراف على سير الامور فيها، قد نظر الى المبادرة التي قام بها ثلاثة اعضاء من مديرية بعقلين، راعهم هذا الميعان الحاصل بين الاعضاء فشكّلوا من انفسهم درعاً واقياً للمنفذية وهم يدركون ان عملهم هذا قد يعرضهم للقصاص. نظر الى الموضوع نظرة واقعية فاهتم بالنتائج ولم يهتم بالاشكال. فالجوهر عنده ان يسلم الحزب. وها ان الحزب في المنطقة قد سلم وتغلب على هذه الهزة العنيفة فما كان منه الا ان اولاهم التقدير بدلا من ان يوليهم الطرد والتكدير.

وهكذا اصبح كامل ابي كامل منفذاً عاماً للشوف بدل شقيقه رفيق الذي اضطرب

الى نقل مكان اقامته من بعقلين الى عاليه .

كان الحزب كما اشرت قد امتد بشكل هائل في كل قرى الشوف، الاعلى، العرقوب والمناصف واقليم الخروب فمن بعقلين الى دير القمر، عين بال، عين وزين، المختارة، عين قني، عماطور، حارة جندل، باتر، نيحا، بعدران، جباع، مرستي، عين زحلنا، الباروك، الفريديس، كفرنبرخ، كفرحيم، بشتفين، دركوشي، كفر فقود، دير بابا، بيدر الرمل، غريفة، الخ... فلا غرو، اذن، ان كان الزعيم وجد الفرصة مناسبة لتثبيت قوة الحزب من جهة وابرازه بشكله القوي. هذا في اجتماع يعقد ويختار له مكاناً «عماطور» بالذات .

ويقول كامل ابو كامل في مذكراته المخطوطة :

«كانت في بعقلين مفرزة كبيرة للدرك، على رأسها جاويش يدعى فريد او ملهب وفريد هذا، ثعلب، ماكر، رخيص الاخلاق وكلما اكرمته ازداد لؤماً فلم يترك فرصة الا واستغلها للايقاع بالاعضاء، عدا محاضر الضبط التي كانت تنظم يوميا، كيفيا، بالاعضاء المتحركين .

دهم يوما بيت المنفذ العام وقت كان يعقد خطبته على عروسه واعتقله وساقه مخفورا الى صيدا بينما مخافر اخرى اعتقلت قوميين وساقتهم الى بيت الدين تغطية لاعتقال المنفذ العام بهذا الشكل التعمسي المقصر فجاءتهما من نيحا الشوف بالمختار اديب عساف ومن عماطور بمسعود عبد الصمد ومن بعقلين بكامل ابو كامل، لا لسبب من الاسباب الا لتطبيقهم على الانسحاب من الحزب. وقد دار الحوار بين كامل ابو كامل والقائمقام ناظم عكاري على الوجه الآتي، بعد ان مضى على اعتقالنا اربعة وعشرين ساعة دون اكل وشرب سوى بلقمة صغيرة من عروس بلبنه كان اديب عساف قد استقدمها معه ساعة اعتقاله لاعتقاده بانه سيعود الى بلده بعد وصوله الى بيت الدين اما الآخرون فلم يدر بخلداهم ان السجين يمنع عنه حتى طلب الاكل من الدكان .

عندما مثلت امام حضرة القائمقام الذي كنت اعرفه بوصفي موظفا في بلدية بعقلين، كان اول ما طلبته قبل ان اتكلم هو فنجان من القهوة فقلت له « قبل ان تسألني اي سؤال ارجو ان تتكرم عليّ بفنجان من القهوة لاني قضيت اربعة وعشرين ساعة دون اكل». قال، « سأطلب لك طعاما». قلت: « لا، اكتفي بالقهوة» .

بعدها قال: « انت موظف وهذا يمنعك من الانتاء الى احزاب سياسية». قلت:



ناظم عكاري

« ارجوك ، اني انتمي الى حزب عقائدي وهذا لا يمنعه القانون فكما اني انتمي الى عقيدة دينية مخالفة لعقائد الآخرين فكذلك انتمي الى عقيدة وطنية لا ينتمي اليها الآخرون » .
قال : « ان ما تعتقده عقيدة وطنية يتعارض مع مفهوم الوطنيين للوطنية الصحيحة ولذلك الافضل ان تنسحب من هذا الحزب » .

قلت : « يا حضرة القائم مقام ، انت من طرابلس فاذا تعارض من مبادئ هذا الحزب ؟ اتعارض فصل الدين عن الدولة ؟ » قال : « لا » . قلت : « فاذا ، اتعارض تخريب الفوارق بين مختلف الطوائف والمذاهب وانت الرجل المدني المتعلم ؟ قال : « هيثك ، انك جئت لتطبيقي فانا اريد ان انصحك . - وكان حاضرا هذا الحوار الضابط نسيب دحروج ، رئيس الدرك في المنطقة - اني احذرك من الاستمرار في هذا الحزب لاني سأكون مضطرا لاقالتك وما علي الا ان ابلغك ذلك » . قلت : « شكرا ، كان ممكنا ان تبلغني هذا دون ان تأمر بسوقي مكبلا وبسجني دون اكل » .

ولم تمض ساعة على عودتي الى رفاقي في السجن حتى جاء نسيب دحروج الضابط ومعه دركي يحمل لنا اكلا يكفي لعشرة اشخاص وقال : « ساعدو بعد قليل » . شكرنا الضابط على لياقته وانسانيته . واكلنا حتى شبعنا وبعد ان استرحنا قليلا جاءنا من يقول استعدوا للذهاب الى بيوتكم .

عدنا الى بيوتنا بعد مضي ثلاثين ساعة من اعتقالنا انما المنفذ العام لم يطلق سراحه قائم مقام صيد الا بعد ثلاثة ايام من اعتقاله وقد حاول اقناعه بشتى الطرق ليرغمه على الانسحاب من الحزب فلم يفلح . وتكررت المضايقات وكانت تأخذ اشكالا مختلفة حتى

ادت النتيجة بعدها الى اعتكاف المنفذ العام وهيئة تنفيذية من القيام بجولات على المديرية التابعة واخيرا استقالة المنفذ العام من مسؤوليته. الامر الذي افسح المجال امام البعض من تقديم انسحابهم من الحزب حرصا على مصالحهم وخوفا على اسباب معيشتهم ومعيشة عيالهم.

وكان قد دخل الحزب السيد حسن الطويل الذي بقي طلبه ستة اشهر تحت الدرس لان حسن كان يعيش منعزلا عن شباب البلدة. وكانت المعلومات عنه لاتنسجم مع الطباع المطلوبة للمرشح للعضوية فحسن الطويل كان وحيدا لاهله مدللا دلالا زائدا فنشأ شرسا في معاملاته البيتية وكانت تنقل عن تصرفاته اخبار واخبار، لذلك بقي مرفوضا الى ان جاء شفيق خليل صلاح الدين، العضو في الحزب ورجا المسؤولين ان يوافقوا على دخول حسن وهو الكفيل لجميع تصرفاته. وبعد ان اصبح حسن الطويل عضوا في الحزب اظهر براعة فائقة في نظامية وتغيير سلوكه الاجتماعي اذ طلق الانزواء والانفراد واندمج مع الشباب اندماجا كليًا.

* * *

ولم يكتف الشاويش فريد ابو ملهب، رئيس المخفر بهذه المضايقات بل هاجمه يوم عقد خطبته في 28 حزيران (اي قبل اعتقال الزعيم بيومين) وارسله الى صيدا مخفورا ومعه بعض الرفقاء: أديب عساف، سامي عساف ومسعود عبد الصمد اما المذكورون الباقون وهم نهاد الغصيني، اسعد الغصيني، توفيق ابو شقرا، خليل ابو حرفوش، حسن الطويل، امين فارس خضر وسليم سليمان حماده فقد كانوا تجمعوا عند عملية



رفيق ابو كامل

الاعتقال وهاجوا السراي محاولين انتزاعه من ايدي الدرك بالقوة فما كان من المنفذ العام رفيق ابو كامل الا ان اعطاهم امرا مشددا بالكف عن ذلك فانصاعوا للامر كما ان شقيقه الرفيق كامل ابو كامل حاول ان يفك اسره وذلك بتقديم نفسه بديلا عنه فكان نصيبه الاعتقال وارسل مخفورا الى بيت الدين ويسجل رفيق ابو كامل بهذه المناسبة موقفا طيبا لاحد الدركيين، اسمه فريد داغر، الذي كان في موقع يسمح له بالاطلاع على كل ما كان يجري في منزل العريس من جهة تهريب الاوراق والسجلات، الخ.. فلم يحرك ساكنا.

وكلف عادل حمدان، القاضي في صيدا، بالتحقيق مع المنفذ العام رفيق ابو كامل ورفقائه. كان اهم ماورد في التحقيق الاقناع بالدعاية التلنانية وتقديم النصائح الكريمة لهم بترك الحزب. وادرك المنفذ العام بان الضغوط العنيفة مصدرها الاقطاع، اذ ما علاقة ان يعتقل ابن بعقلين ولا يحقق معه قائمقام بيت الدين بل يرسل مخفورا الى صيدا، ادرك ان وضعه سيكون صعباً جداً. ولكن موقف القاضي كان وجدانيا اذ اتخذ من القانون وسيلة لاعطاء تبرير للموقوفين بعدم صلاحيته بالتوقيف مما افسح في المجال للافراج عنهم.

ويقول رفيق ابو كامل ان كاتب المستنطق كان يساعده، وانما الذي احبط ضغط الاقطاع هو تدخل شخصية بعقلينية، نديم حماد، الذي لم يقبل بهذه الممارسة الاقطاعية فقام بضغط بدوره ادى الى مساومات دعمها رفيق بمحاولة للخروج من هذا المأزق وذلك بمحاولة الفرار ولو كانت عن طريق القفز فوق التصونية لجهة البحر مما خشي معه القاضي حمدان بمحصول عواقب وخيمة. فكانت نتيجة المساومة اخلاء سبيل رفيق ورفقائه ما عدا مسعود عبد الصمد من عماطور الشائخة بوجه الاقطاع، والجدير بالذكر ان رفيق التقى في صيدا بهذه المناسبة بمعروف سعد الذي كان ينادي بالوحدة السورية وزج به في السجن على اثر معركة وقعت بينه وبين قوى الدرك بقيادة الياس المدور.

ويكمل كامل ابو كامل شرحه ويقول: «تجاه هذا الوضع المستجد قرر المنفذ العام تقديم استقالته من المسؤولية كي يتمكن من المحافظة على مورد عيشه الوحيد. وما ان شاع خبر الاستقالة حتى سرت في بعقلين موجة من اللغط واعلن اثنان من القوميين انسحابها من الحزب ويبدأ يعملان لتطبيق الآخريين بالانسحاب. والعضوان هما نجيب حسين سليمان وكامل علم الدين. وكنت آنذاك احمل مسؤولية محصل مديرية بعقلين وكان ناموس المديرية نصوح حمادة قبع في بيته لا يحرك ساكنا.

الرد على الحملة

« كان خوفي كبيرا ان ينعكس ما حصل في بعقلين على المديرية الاخرى وتبدأ الانسحابات فتشكل كارثة تطيح بالمنفذية فتنصر السلطة وينتعش الاقطاع الذي كان قد بدأ يشعر بحسارة نفوذه وتفتتت سلطانه .

اسرعت للاتصال بحسن الطويل ونهاد الغصيني وافضيت لها بمخاوفي فاتفقنا نحن الثلاثة بان نؤدب هؤلاء الشباب الذين يضعف ايمانهم وثرثرتهم سيخلقون لنا المشاكل . وقمنا بجملة تأديبية بحيث اخرسنا الالسن الثرثرة في بعقلين وبعدها خططنا للقيام بجولة سريعة على جميع مديريات المنفذية حيث اعلنت نفسي مسؤولا برتبة منفذ عام للشوف الى ان تنقضي هذه الفترة الصعبة ويصبح الاتصال بالمركز متيسرا . رحب جميع المديرين في المنفذية بالفكرة وقبلوا الامر الواقع مانعين عن الاعضاء حقيقة الامر . وسارت الأمور سير اطيب - بحيث لم يحصل اي انسحاب من الحزب طوال المدة التي انتحلت فيها مسؤولية المنفذ العام . والذي حصل تحملت وزره وحدي اذ كنت موظفا في البلدية فخسرت وظيفتي واعتقلت في مدة اربعين يوما ثلاث مرات . تحملت المسؤولية كلها وحصرتها بنفسي .»

وعندما بدأت موجة الانسحابات وبناء للضغوط التي كانت تتصعد يوما بعد يوم على الاعضاء ثار ثائري واجتمعت بالرفقاء حسن الطويل، توفيق ابو شقرا ونهاد الفصيني واتفقنا، نحن الاربعة، ان نسعى لوقف ابواق الدعاية الانهزامية على حدها وبالتالي العناية بالضعفاء من الاعضاء لشد عزيمتهم وتفويت الفرصة على اخصام الحزب وابواقهم، فشكلنا فريقا، منا نحن الاربعة وقصدنا كلاً من نجيب حسن سليمان وجميل ابو حاطوم وكامل علم الدين اذ كانت تردنا اخبار ان هؤلاء الثلاثة يمسكون الاعضاء، بعد ان انسحبوا هم من الحزب، ويطبقونهم لاعلان انسحابهم . كان لنا جولة مع كلّ منهم اقتنعوا بعدها ان يغلقوا افواههم ويقعدوا في بيوتهم ساكتين . ولم نكتفِ بان نعمل في بعقلين بل تعدى عملنا الى المنطقة كلها حيث نصبنا انفسنا مسؤولين عن المنفذية كلها . ونجحت الخطة من الجولة الاولى فتحمل الاعضاء جميع الضغوط دون ان ينسحب عضو واحد منهم، غير القلة التي سقطت قبل ان نتخذ هذا الاجراء ولما كان الزعيم في السجن والقيادة الحزبية غير موجودة في المناطق اصبح علينا - وهذا ما تصورته - ان نأخذ المبادرة وننصب من انفسنا مسؤولين سيما انه لم يبدر من الاعضاء في المنطقة اي اعتراض على ذلك . وكان ان مارست مسؤولية منفذ عام طيلة المدة التي

كان الزعيم فيها داخل السجن فاستقامت امور المديرية وكثر عدد المقبلين على الدعوة مما زاد في عدد المديرية واتساع رقعة نفوذ التنفيذية فصار للحزب مديريات في كفرحيم، دميم، ديركوشي، ديربابا، بشتفين، عين وزين، كفر نبرخ، الباروك، وعين زحلنا بالاضافة الى مديريات الشوف الاعلى اي الجديدة، المزرعة، عينبال - عترين، غريفه، المختارة، بطمه، عين قنيه، عماطور، حارة جندل، باتر، نيحا، جباع، مرستي، بعدران، السريره، دير القمر مفوضية، وثلاث مديريات في بعقلين» .

رَسَائِل

الى عبر الحدود

وبالرغم من الجوّ الضاغظ بسبب الاستقبالات والحركات الحكومية اللبنانية ودوائر الانتداب فقد ارسل رسالتين عبر الحدود وثلاث رسائل في الوطن، الى دمشق وحلب وحيفا. وكانت الرسالة الاولى الى عبر الحدود، القاهرة، الى الرفيق فضل اديب عبد الواحد من طرابلس يقول فيها: « تحية وبعد فقد تسلمت كتابكم رقم 10 يونيو 1936، واطلعت على كل ما جاء فيه. لم يكن بالأمر الجديد علينا ما تخبرنا به المجهودات الطيبة التي تقومون بها بين السوريين في مصر فان ذلك ما نعلمه وننتظره منكم. أما تأخرنا عليكم بالكتابة وانقطاع علاقاتكم مع المركز طوال هذه المدة فهو أمر يبرره ما مر على الحزب خلال هذه المدة من ظروف غير اعتيادية أدت الى كثير من التشويش والقصور الموقت. ولم يكن بإمكاننا اصلاح كل شيء حال خروجي من السجن فقد مضت مدة في بادئ الامر لم أتمكن فيها من القيام بأي عمل سوى استقبال وفود الاعضاء والمهنيين وبعد ذلك عمدت الى احداث تطورات هامة في الادارة حتى يتماشى نظامنا الداخلي مع نمو الحزب السريع.

وسنرسل لكم النظام الداخلي حالما ننتهي من تعديله واعداده. وكذلك انصرفنا أيضا الى تشكيل مجلس العمدة وشكلنا للآن الهيئة المالية والاذاعة فيه أما المالية فهي تتألف من السادة الرفاق.

عميد

الحاجي العام

السيد عفيف فاخوري

السيد جورج عبد المسيح

ماسك دفاتر

الشيخ جميل عازار

وأما الهيئة الاذاعية فهي تتألف من السادة:

عميد

الاستاذ صلاح لبكي

وكيل عميد

السيد مأمون أياس

سكرتيرا

السيد يوسف صائع

واني اليوم جاد في تشكيل الدوائر الاخرى.

قد تطنون اننا نعمل اليوم في جو صاف هادىء ولكن الحقيقة غير ذلك لاننا في معركة عنيفة وان تكن صامتة فقد تضافرت علينا عدا السلطات الحكومية كل القوى الرجعية في البلاد من اكليريكية واقطاعية وماشاكل وكل هذه الفئات تعمل ما بوسعها للدس على الحزب واضطهاد اعضائه غير ان كل هذا الضغط يعود بنتيجة معكوسة على القائمين به فالحزب في نمو سريع ويوم النجاح على ما يبدو لم يعد بعيداً برغم كل الصعوبات .

ما يختص بقضية السيد فؤاد مفرج فقد اضطررنا لاعلام الصحف بحقيقة علاقته بالحزب نسبة لما نشر في بعض الجرائد ولم نجد طريقة أسرع وأوفى من الطريقة التي اتبعناها خصوصاً واني شخصياً لم أكن مطلعاً على هيئة ادارة الحزب في القطر المصري . على كل يمكنكم الان أن تصرحوا باستلامكم علماً رسمياً منا ان السيد فؤاد مفرج عضو الحزب محال للاستيداع وليس له الان أية صفة رسمية عدا صفة العضوية . ان اتصال جميع الفروع بالمركز هو أمر نحرص عليه كثيراً ونأمل ان لاتنقطع الصلات بيننا فيما بعد .

ومن الان سنبدأ بارسال كل الاوراق والبيانات الصادرة عن المركز والتي لها علاقة بكم .

كلمتي الى جميع الرفقاء ان تثقوا بانفسكم وبامتكم ولا تشكّوا مطلقاً بالنجاح ولتحى سورية ودمتم للجهاد .»

اما رسالة عبر الحدود الثانية فالى الرفيق السيد عساف ابو مراد وهذا نصّها بتاريخ

15 حزيران 1936 .

« تحية وبعد فقد طالعنا في بعض صحف المهجر اخبار الاعمال الطيبة التي تقوم بها لبث الدعوة للحزب السوري القومي في عاصمة المكسيك . اننا نهنئك على هذه

المجهودات ونرغب اليك ان تواصلنا باخبار مايجد عنكم.

لاشك انكم ترغبون في الوقوف على حالة الحزب وما جد عليه منذ ترككم الوطن الى اليوم اما مايتعلق بانكشاف امر الحزب وماتلى ذلك من اخبار المحاكمة فان متابع الجرائد يمكنه ان يكون فكرة صادقة عنه واما بعد ذلك فقد حظرت الحكومة على الجرائد نشر اي شيء مما يمكن ان يفسر دعاية للحزب كما انها اوعزت الى اذناها بنشر الاكاذيب واختلاق التهم قصد تشويه سمعة الحزب والعاملين فيه لذلك سألخص فيما يلي موقف الحزب اليوم وحالته.

بعد خروجي من السجن في 12 مايو استمرينا على سياستنا الصامته لنتمكن من متابعة العمل التعميري وهكذا فقد حظرتنا على الاعضاء التظاهر ووضعنا لهم منهاجاً للزيارات حدد فيه لكل منطقة موعد معين يمكنها ان ترسل فيه وفداً نظامياً لزيارتنا وتمهنتنا. وقد دام هذا البرنامج مدة اسبوعين لم اتمكن خلالها من القيام باي عمل سوى استقبال الوفود.

ان اخصامنا كما كنا ننتظر، هم السلطات الحكومية والاكليكية وزعماء الاقطاع وهؤلاء يستعملون جميع الوسائل لمحاربتنا فنحن في معركة شديدة ولكنها صامته، على ان رغم هذا الضغط والاضطهاد يسير الحزب بقدوم ثابتة وسريعة للنجاح.

يسرنا كثيراً ان نشعر بالعطف على عملنا في اوساط المهجر وليس ذلك بغريب فالمهاجرون السوريون يمثلون عنصراً من اهم عناصر القوة والحياة في الامة السورية فهم يجمعون الى النشاط والاقدام، اختبارات عملية في كثير من الاعمال الاصلاحية التي نعتزم القيام بها بينما السوريون المقيمون على الغالب لا يشعرون باهمية هذه الاصلاحات.

ان حركتنا بالنسبة الى المهاجرين تختلف كثيراً عن كل ما سبقها من الاعمال القومية في سورية فبينما كانت الحركات القومية في الماضي تكتفي من المهاجرين بالعطف والاهتمام السطحي ترانا اليوم ندعوهم الى الاشتراك معنا فعلياً في السير والعمل ونفسح لهم المجال وتعد لهم الانظمة التي تؤهلهم من ذلك. وبينما راينا من سبقنا يلوذ بالمهاجرين لمد يد المعونة والاسعاف المعجل بعد ان يكون قد دفع بالامة في ثورات اعتباطية لاخطة لها ولاهدف معين ترانا اليوم ندعو المهاجرين للاشتراك معنا في اعداد العدة ووضع منهاج العمل ونحن نأمل ان هذه العدة وذاك المنهاج سيقودانا الى

النصر بطبيعة الحال فلن يهرق الدم السوري بعد اليوم رخيصةً ولا تذهب تضحياتنا سدى .

ان اشتراك المهاجرين بالعمل لم يعد اليوم امراً مرغوباً فيه وحسب ولكنه اصبح امراً ضرورياً لمتابعة العمل ، ان الحالة الاقتصادية والنفسية في البلاد تجعل من الشعب استعداداً لقبول الاصلاح واتباع النظام ولكنها في نفس الوقت قد تركت الشعب بحالة من العجز والوهن والافلاس وما يتبع ذلك من يأس وتشاؤم تجعل استمرار العمل من تلقاء ذاته امراً شاقاً ان لم نقل محالاً .

فاذا عرف المهاجرون السوريون هذه الحقيقة ادركوا مقدار المسؤولية الملقاة على عواتقهم واهمية الامر الذي يمكن لهم احداثه في نهضة امتهم الناشئة .

المراسلات التي ترسلونها اليّ او الى اي مرجع آخر مركزي ، وكذلك الاموال المرسلة من اشتراكات الاعضاء ترسل على العنوان الآتي .

بيروت ، الجامعة الاميركية السيد يوسف صانع ، والسيد يوسف صانع يتولى ايصال كل شيء الى مرجعه .

سلامي لك وللرفاق الجنود الذين نعلق عليهم أملاً حقيقياً في نجاح العمل القومي .

تقوا بانفسكم وبقضيتكم دائماً ولتحية سورية

توقيع حضرة الزعيم

في الوطن

والرسائل الثلاثة في الوطن فالاولى الى حضرة الوطني المجاهد السيد خير الدين اللبايبي المحترم .

« تحية وبعد . فقد تلقينا تحريركم رقم 11 يونيو 1936 ، وأعجبنا للروح التي طالعنا بها وللرجولة الحققة وصحة النظر في الامور التي تنتظر من أمثالكم من خبروا الجهاد ومارسوا الامور عملياً لا بالمنظار .

ان رسالتكم هذه لم تجربنا شيئاً جديداً عن أمتنا التي لولا ثقتنا بما لا يزال فيها من معاني الرجولة والاخلاص ومن استعداد للعمل المجدي لما كنا أقدمنا على بث هذه النهضة ونحن لانشك مطلقاً بأننا الى هدفنا واصلون . ولكن رسالتكم كانت دليلاً لنا جديداً على ان ثقتنا بهذه الامة لن تخيب ؟

ان الاجتماع بكم امر نرغب فيه كثيرا فاذا شرفتم الى بيروت يمكنكم ان تصلوا الى مطعم فؤاد حداد في رأس بيروت وصاحب هذا المطعم يتولى المخابرة بيننا وبينكم حتى نتفق على محل الاجتماع الموافق.

سلام طيب اليك والى اخوانك المجاهدين الحقيقيين ولتحية سورية. ودمتم للجهاد».

والثانية الى حضرة الرفيق السيد عبد الحكيم مراد.

« تحية، وبعد يصلكم مع هذا التحرير نسخة من الدستور لجمعية شباب الوحدة العربية وهي كما ترون لا تتعارض مع مبادئ الحزب السوري القومي بشيء من الناحية القومية كما انها من الناحية السياسية يمكن ان تعتبر اقتراحاً أولياً قد يدرس الحزب في المستقبل امكانياته ويراجع على أساسه الاقطار الاخرى المختصة في الوقت الملائم. حضر الينا اليوم السيد سهيل السيد يحمل رسالة منكم وتباحث معنا مليا في شأن بعض الامكانيات العملية في دمشق وقد ارتحنا الى تفكيره العملي ونأمل ان يستفيد الحزب من خدماته في المستقبل.

قررنا احداث لجنة في دمشق تتولى مسألة الادخال وما يتبعها من درس الطالب للانضمام وتحقيق تفهمه لمبادئ الحزب وكذلك ايجاد حركة نشيطة لنشر دعوة الحزب. وقد أوكلنا اليكم ان تقترحوا الاشخاص اللائقين بهذا العمل حتى نصدر مرسومنا بذلك ونبلغه لحضرة المدير السيد روجي. ونرغب اليكم أن يكون بين الاسماء المقترحة اسم سهيل السيد ومصون عابدين بك.

دمتم للجهاد ولتحية سورية».

الزعيم

والثالثة الى الرفيق عبد الله النعواص انشرها لما فيها من توجيهات دقيقة في تلك الفترة من الزمن.

« تحية وبعد، تلقينا تحريركم رقم 17 ايار واطلعنا على ما جاء فيه، وقد احلنا الاقتراحات التي قدمتموها الى اللجان المختصة. لقد سررنا بروح الاخلاص والاستعداد للتضحية البادية في رسالتكم وبتفكيركم العملي وصحة نظركم في الاسور ونحن نأمل ان تستفيد حركتنا الناشئة من هذه المواهب.

يمكنني ان اقدم اليك بعض الملاحظات حول ما تقترحه من العمل الآن في سورية الجنوبية. ان مركز الحزب اليوم في حالة لا يتمكن البعيد من تقديرها فنحن في معركة شديدة وان تكن صامتة، مع قرى الحكومة والقوى الرجعية التي ترى في حركة الحزب السوري القومي خطراً على كيائها. وهذا الضغط في مركز العمل يجعل اشتراك المركز في حوادث سورية غير ممكن من الوجة العملية، لذلك اعتمدنا على مجهودات اعضائنا في تلك المناطق للقيام بواجبهم في هذه الظروف:

وكذلك فنحن نرى في هذه الثورة التي تدل على يقظة الشعب وعلى تألمه من الحالة الحاضرة لولكنها لا تدل مطلقاً على تنظيم للقوى ومقدرة رشيدة في القيادة، اقول نحن لا نرى في هذه الثورة معركة فاصلة بيننا وبين اعدائنا ولكننا نثق انه مهما كانت النتيجة المباشرة الآن فان الحركة السورية القومية ستؤدي بطبيعة الحال الى افشال خطة الصهيونية المجرمة والتغلب على كل الصعوبات الخارجية الاخرى.

ان وصيتي اليوم اليكم والى جميع السوريين القوميين في الجنوب هي ان يقوم كل فرد بما يدعوه اليه الواجب القومي في الظروف العصيبة الحاضرة وان لا يسمح احدكم باليأس يتسرب الى قلبه عند مشاهدة الفوضى في العمل وما تؤدي اليه من نتائج بل ان يظل كلكم مؤمناً بامته التي لن تموت وبجزبه الذي يسير دائماً الى الامام».

دمتم للجهاد
ولتحية سورية
الزعيم

في 25 حزيران 1936

من 15 الى 30 حزيران

الفترة الحرة الحقيقية التي تبقت للزعيم منذ خروجه من السجن ودخوله السجن للمرة الثانية بعد الاستقبالات التي دامت شهراً كانت تنحصر بين الخامس عشر من شهر حزيران الى الثلاثين منه وسأسردها كما تلاحقت على الرغم من كثافتها بالنسبة للفترة الزمنية القصيرة الاجل.

البلاغ الازرق

في الخامس عشر اصدر الزعيم بلاغا يعالج فيه الوضع السياسي الشامل لسورية الطبيعية كلها، عرف فيما بعد «بالبلاغ الازرق». (وهو منشور في الاثار الكاملة، الجزء الثاني) حاولت السلطة مصادرته من المطبعة (كانت هذه المطبعة تخص الرفيق رفيق عبد الملك) وبالتالي حاولت منعه من التداول ولكن وصلت مداهمة قوى الامن للمطبعة بعد فوات الاوان اذ كانت الادارة المركزية على علم بما تنويه فاتخذت التدابير اللازمة فسلم البلاغ وتم توزيعه كما يجب.

تأديب الصحافيين

في هذه الاثناء كان احد الصحافيين المأجورين يتناول الزعيم والحزب باقذع انواع الهجاء يجمع الشتيمة الى البذاءة بشكل قدر تعفى منه النفس. كان هذا المدعو صحفياً، عارف الغريب، صاحب جريدة «المساء» فنال نصيبه من التأديب على يد فريق من القوميين الاجتماعيين كان يشكل جزءاً من مجموعة كان منفذ عام منفذية بيروت الرفيق عبد الله جميل نظمها جهاز صيانة للحزب. وقعت حادثة التأديب في السابع عشر من



الصحفي البديء عارف الغريب

شهر حزيران. قصد هذا الفريق منزله في الاشرافية وطرق الباب واذا امتنع عن فتحه خلعه ودخل. كل ما فعله ان دغدغ رأسه بقبضة مسدس فانشج.

والشيء بالشيء يذكر فبسبب تهجم جريدة « الرابطة » الشنيع لصاحبها ابراهيم حداد على الحزب السوري القومي سرت شائعات ان الحريق الذي شب في المطابع حيث تطبع الجريدة وان محاولة صدمه بسيارة اثناء اجتيازه الطريق في ساحة الشهداء هما من اعمال السوريين القوميين ولكن بقيت الشائعات عند حدود الشائعات.

في العشرين من هذا الشهر بالذات تجاه الحالة التي كانت تزداد استفحالا خطط الزعيم لمحاولة القيام بمقاومة منظمة للتدابير التعسفية التي كانت تنتوي سلطة الانتداب تطبيقها على نشاط الحزب فاصدر مرسوماً بهذا الشأن سماه « مرسوم الطوارئ » يطبق في حال اعتقال الزعيم وسلمه للفريق جورج حداد بصفتة مولجا باعمال الدفاع. (يجب اعتماد هذا التاريخ للمرسوم فهو الصحيح النهائي).

مرسوم الطوارئ

نحن انطون سعادة، زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي وقائد قواته الاعلى
بناء على المواد الثامنة والتاسعة والحادية والعشرين من الدستور
ولما كان الظروف الحاضرة تهدد كيان الحزب

نرسم ما يلي:

مادة اولى: في حالة اعتقال الزعيم وهيئة الادارة العليا، يعلن الاضراب العام

والعصيان المدني في جميع انحاء الجمهورية اللبنانية.

مادة ثانية: ينعقد مجلس مندوبين عن جميع مناطق الحزب (عن المنفذيات والمديريات المستقلة) لبحث التدابير والاجراءات الضرورية بصورة ايجابية فقط وانتخاب هيئة ادارية جديدة وتعيين لجان لدرس الوسائل اللازمة من مالية وغيرها.
مادة ثالثة: كلما اعتقلت هيئة ادارية ينعقد مجلس المندوبين لاختيار هيئة ادارية تحل محلها.

مادة رابعة: في حالة اضطرابات يظل مجلس المندوبين منعقداً بصفة مجلس عرفي يعين من الرجال العسكريين هياهم اركان حرب لادارة اعمال العصيان والاشراف على حركات تأمين فاعلية العصيان.

مادة خامسة: تجتمع هيئة اركان الحزب حالما تنتخب وتتخذ جميع التدابير لتشكيل الفرق وتنظيمها وتوزيعها على الاماكن اللازمة لتأمين العصيان ومساعدته النقاط المهددة.

مادة سادسة: يطلب مجلس المديرين لقاء فك الاضراب ووقف العصيان المدني:

ا - اطلاق سراح المعتقلين دون قيد او شرط.

ب - اطلاق حرية الاجتماعات والقول والكتابة وانشاء الاحزاب.

مادة سابعة: يعين العضو معروف صعب ناموسا للمجلس فوق العادة ويكون عليه دعوة المجلس الى الانعقاد في الحال في المكان الذي يمكن تأمين الاجتماع فيه.

مادة ثامنة: يؤخذ من هذا المرسوم نسختان ، تحفظ الواحدة مع ناموس الزعيم الثاني والثانية مع رئيس دائرة التحري في الحزب.

مادة تاسعة: يعين المجلس لجانا احتياطية اذا رأى ان وجوده مهدد بخطر الاعتقال او غيره.
الزعيم

في 20 حزيران 1936

مكتب التحريات

في الواحد والعشرين صدر مرسوم بانشاء مصلحة خاصة في نيابة المحكمة البدائية في بيروت تدعى «مكتب التحريات» وفيما يلي نص المرسوم:

«يشأ في نيابة المحكمة البدائية في بيروت مصلحة خاصة تدعى «مكتب

التحريرات « تكون مهمتها: (1) حصر جميع التعليقات وعناصر التحريات التي تختص بتنظيم الجمعيات السرية والممنوعة وعقد جلساتها وبالتظاهرات العامة والتجمعات، وبالجملة كل الاعمال الجرمية التي تنشأ عن تصرفات هذه الجمعيات او الجماعات. (2) تقديم جميع خطط العمل للنيابات المختلطة لاناارة افكارها فيما يختص بالتعقيبات المفيدة التي تقضي الحالة اجراءها.

وقد عين الاستاذ وجيه الخوري، المدعي العام لدى محكمة بيروت البدائية رئيساً لمكتب التحريات ويحق له (1) ان يرسل مباشرة جميع السلطات ويطلب استلام جميع المحاضر والمستندات والبيانات والاحصاءات التي تتعلق بالمهمة الموكولة اليه. (2) ان يجري جميع التحريات بنفسه او بواسطة ضابط ينتدبه من الضباط القضائيين، وان يعطي جميع نيابات البداءة كل التعليقات وخطط العمل المتعلقة بالتعقيبات الجارية او باجراء اية تعقيبات اخرى يراها مفيدة.

فعل المدعين العموميين وضباط الدرك والشرطة وسائر الضابطة القضائية ان يرسلوا الى رئيس مكتب التحريات نسخا عن جميع المحاضر التي ينظمونها، مما يتعلق بالمواد المتقدم بيانها كذلك جميع المعلومات التي تتصل بهم سواء كانت خطية ام شفوية. عليهم ايضا ان يكونوا قيد تصرف الرئيس المشار اليه لاجابة كل دعوة توجه اليهم، ولاجراء جميع التحريات والمهمات والتحقيقات التي يرى من الواجب ان يعهد اليهم فيها».

والجدير بالذكر انه الحق بهذا المكتب ثلاثة مفتشين عامين في سلك التحري: هم حسين نصر الله، اميل خير الله وفيليب جرمانوس، وقد اطلق عليهم القوميون الاجتماعيون لقب «الفرسان الثلاثة» للمداعبة، ليس الا.

معلومات عامة

في الثالث والعشرين تم اكتشاف الرفقاء الذين قاموا بعملية تأديب المدعو صحفياً، عارف الغريب، البذيء. وهم عبد الله الجميل، ناصيف اللحام، ارستيد ابو سمرا وشقيقه اميل ابو سمرا، السائق عارف الجردي، خليل ابو مجاهد.

في الخامس والعشرين وفي خضم هذه الاجواء العاصفة وجد الزعيم الوقت الكافي للاجابة على رسالة الرفيق عبد الله النعواس من رفقاء الجنوب السوري يستوضح فيها عن موقف الحزب من الثورة فيه ويقدم بعض الاقتراحات. (الرسالة منشورة في الجزء

الثاني من الاثار الكاملة).

في السادس والعشرين تجري محاكمة الرفيق يوسف تاج مع خمسة رفقاء آخرين ويصدر الحكم عليهم بالسجن اربعة اشهر مع تضييمهم المصاريف وذلك بسبب حادث محلي في برمانا اعتدى فيه شاهين الاشقر على الرفيق يوسف تاج وقد تغلب يوسف تاج على محليته الصغيرة ليرتفع الى مستوى النهضة السورية القومية الاجتماعية العظيمة وذلك بعد جلسة عارمة مع الزعيم دار فيها النقاش بعقلية الضيعة حيناً وبالعنجهية المحلية حيناً آخر والزعيم يتحمل حدة هذا النقاش بطول الاناة الى ان تبدل الرفيق يوسف التاج فاصبح غير ما كان عليه.

في 27 حزيران يصدر بلاغ من الشرطة خلاصته عن عدم استعمال العنف مع الموقوفين بسبب حادث تأديب الصحفي، ويذكر ان عددهم ثلاثة عشر وليس اربعين كما ورد في بعض الصحف، وفي الوقت نفسه تسري اشاعة مفادها ان مذكرة توقيف صدرت بحق الزعيم ولم يكن ذلك مستغرباً، اذ ان صدفة وقوع مرسوم الطوارئ بيد السلطة تبينت منه النوايا التي يضمرها الزعيم.

في 28 حزيران اصيبت مديرية دمشق المستقلة بنكسة شبيهة بالنكسة التي اصابت مديرية طرطوس المستقلة فقد استهوى تيار الكتلة الوطنية الدكتورين روجي الخياط ورياض حادة فانخرقا معه جارين معها بضعة رفقاء.

★ ★ ★

جلسة دستورية

وبالرغم من هذه الاجواء المار ذكرها عقد الزعيم في 29 حزيران جلسة مع منفذ عام تنفيذية الكورة الرفيق جبران جريج يرافقه ناموس تنفيذية طرابلس المحامي عبد الله حريكة لدرس بعض مواد الدستور. ويقول الرفيق جبران جريج:

« كان الزعيم قد طلب مني احضار الرفيق المحامي عبد الله حريكة اليه لآخذ رأيه في مواد كان يضعها لتنظيم كيفية اجراء انتخابات في الحزب، تبدأ من المديرية الى التنفيذية ومنها الى المجلس الاعلى.

حضرنا معا الى منزله في الموعد المتفق عليه وعقدنا جلسة اطلعنا فيها على ما كان دونه بهذا الخصوص. طلبت الانسحاب لياقة. اذ ان المطلوب هو المحامي، لا انا لمعرفة بالقوانين، وصياغتها فرفض طلبي، بل تمنى علي ان اشترك ولو مستمعاً.

بعد ان انتهى من القراءة الاولى اخذ يبحث كل مادة منها على حدة فكانت كلها مبنوبة في قالب سلس يصح فيه قول « السهل الممتنع » ولكنه وقف عند عقدة بسيطة وهي تتعلق في عدد الاعضاء الواجب انتخابه للجنة المديرية لعددها فهل يبقى العدد نفسه لمديرية قليلة العدد ولمديرية كثيرة العدد؟

دار البحث حول هذه النقطة بالذات فاستأذنته للتدخل. فقد خطرت على بالي فكرة يمكنها ان تحل هذه العقدة. وبعد ان سمح لي قلت « ان كانت المديرية عددها قليل يكون عدد اللجنة ثلاثة وان كانت المديرية عددها كبير فيكون عدد اللجنة خمسة ». رمقني بعينيه وقال لي: « اصبت، سأخذ بهذه الفكرة ».

غني عن البيان كم كان سروري كبيراً بهذه النتيجة التي حصلت عليها دون سابق تصور او تصميم في عمل قانوني دستوري من هذا العيار الثقيل، افترقنا على امل اللقاء بي في اليوم التالي.

جئته في الموعد المحدد. راح يخبرني عن الاوضاع الحزبية. ابدي تدمره من صلاح لبكي، نائب الزعيم، لجهة برنامج الاستقبال الطويل المدى. هذه الاستقبالات التي جبهته في داره لمدة شهر تقريباً مما حال دون قيامه بأي عمل حزبي مجد من جهة وقد ارهقه جسدياً من جهة اخرى. كان يكفي، بنظره، استقبال واحد ضخم لكل المناطق دفعة واحدة يعطي فكرة واقعية لمن يهمله الامر عن قوة النهضة الحقيقية بينا الآن برزت ولكن بروزها جاء مجزأاً».

حدثني عما ينتظره من صعوبات فالمشاكل بدأت تتكاثر، والاشاعات عن العلاقة الايتالية تملأ الصحف والمنتديات، تغذيها المفوضية الفرنسية بواسطة عميل لها كبير، عزيز الهاشم. كان عزيز الهاشم رئيس حزب. كان صاحب مشروع استخدام حزبه كواجهة علنية وابقاء الحزب السوري القومي الاجتماعي حزباً سرياً، اي حزب الاستقلال الجمهوري في العلن والحزب السوري القومي الاجتماعي في السر. (وقد ذكرت ذلك في حلقة سابقة) فلما انكشف امر الحزب لم يعد لمشروعه قيمة فعاد يخدم اسياده عن طريق الاشاعات واخصبها الاشاعة التلنانية. وقد اثر على عدد من الاعضاء البارزين المحامين امثال فوزي بردويل، جوزيف بجمدوني وديع نصر الله والاديب الناشئ سعيد عقل فطلبوا من الزعيم ان يتواجهوا فقبل، وفي الموعد المعين تهرب عزيز الهاشم فكسب الزعيم الجولة. كان يحدثني عن هذه المسألة وهو متأثر من روحية عدم الثقة التي اضطرتته ان ينزل الى مستوى عزيز الهاشم لاقتناع هؤلاء الرفقاء.



الامير فريد شهاب

قال لي ان الدولة المنتدبة انزعجت من تصريحه الى مجلة «المعرض» جواباً على سؤال حول استمراره في الحزب بالرغم من قرار الحل «ان المبادئ ليست قميصاً نبدلها ساعة نشاء» وخصوصاً بعد ان وقع في يدها مرسوم الطوارئ. واذ نحن في هذا الحديث طرق جورج شماعه الباب (الرفيق جورج شماعه الذي حضر من دمشق ووضع نفسه تحت تصرف الزعيم) وقال ان رجال الامن العام يطوقون المنزل وان قسماً منهم دخل البيت بعد عراك بينهم وبين بعض رفقائنا على رأسهم نهاد ملحم حنا وما يزال هذا العراك في الدار.

وثب كالاسد وفتح الباب وانتهر الحاضرين فانسحبوا ولم يبق في الدار، باذن منه الا رئيسهم الامير فريد شهاب الذي بلغه انه يحمل مذكرة تستدعي حضوره الى دائرة التحقيق. عاد الى الغرفة واغلق الباب خلفه، ووضع مسدسه امامه على الطاولة ومسك القلم بيده وراح يفكر. تناول الرفيق جورج شماعه المسدس واحتفظ به تحسباً لما يمكن ان يجد.

كل هذا وانا اتفرج على ما يجري، مأخوذاً، لا ادري ماذا يتوجب علي فعله الرفيق شماعه واقف بيني وبين مكتب الزعيم متأهباً لتلقي الاوامر. خارج الغرفة اسمع وقع اقدام الرفقاء تدرع الدار جيئةً وذهاباً، متململة، مستعدة، تنتظر ايضاً التعليقات او بالاحرى الاوامر. لم يخطر ببالي اني قد اعتقل معه. كل ما خطر على فكري ماذا سيكون موقفه وعما سيقرره بعد هذا الوقت من التفكير الذي خلته طويلاً لا ينتهي. ما فكرت بنفسي بل فكرت بالموقف الذي سيستقر عليه.

واخيراً تناول ورقة وكتب عليها. والتفت الي يناولني اياها ويقول « سيصدر امر بتوقيفي. قد قررت ان اذهب معها تكن النتائج. خذ هذا المرسوم وسلمه الى صلاح لبكي » وخرج من الغرفة مبتسماً، مرتاحاً الى القرار الذي اتخذته، وطلب من الامير فريد شهاب مرافقته. ذهب وذهب خلفه الرفقاء الذين كانوا في المنزل والتفت حواليها فوجدت سوى حافظ منذر الذي كان قد وصل متأخراً فاخذنا نتطلع ببعضنا البعض والدار فارغة وابواب الغرف مشرعة والمرسوم في حوزتي. كنت قد خبأته في احدى طيات بنطلون « الغولف » الذي كنت ارتديه.

خفت ان اخرج من الباب وان يكون احد رجال التحري موجودا فيخطر في باله تفتيشي وبالتالي يقع المرسوم في يده فاكون كمن سلمه الوثيقة. قررت ان اطلع حافظا على السر. وحافظ كان صديقا لي عدا رفقته الحزبية. كان رأيه ان المجازفة غير جائزة فالموضوع خطير. تداولنا بالموقف وقد رأينا، اخيراً، ان نجيب المرسوم في مكان ما في البيت وان انقل محتوياته الى صلاح لبكي مع ابداء عذري عن عدم حمل المرسوم بنفسني. خبأت المرسوم وغادرنا المنزل. ولشد ما كانت دهشتنا عندما لم نجد احداً، لا عند المدخل ولا في الشارع مما اضطرنا ان نعود فنغلق الباب. قررنا اللحاق به الى قصر العدل نتسم اخباره، ولكن مجئنا الى العدلية، ما افادنا لاننا، كل ما استطعنا معرفته هو انه صدرت مذكرة توقيف بحق.

افترقنا وذهبت الى بيت صلاح لبكي ابغله المرسوم. استقبلني باهتمام زائد وقدر لي موقفي وكلفني بتبليغ الباقيين باسمه فقمت بالمهمة خلال اربع وعشرين ساعة. قمت بهذه المهمة وقفلت راجعاً الى الكورة اتدبر امري فيها. ما ان وصلت حتى اضطرت ان اختم السنة المدرسية دون حفلة سنوية كما فعلت السنة السابقة لأن مذكرة توقيف كانت تنتظري باعتباري منفذاً عاماً لمنفذية الكورة.

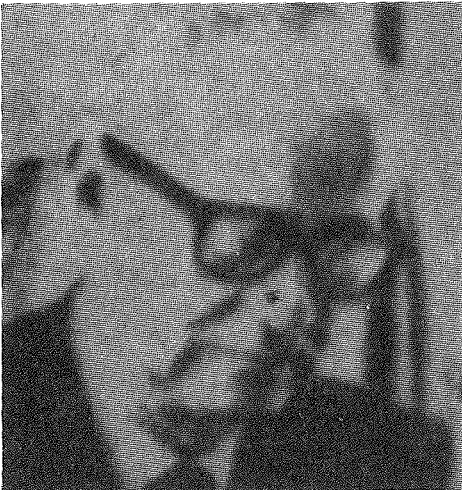
فترة الأعمق والنابى



الاعتقال

اما الزعيم فيقول عن هذا الاعتقال الثاني في خطاب اول اذار 1938 : « ولم اكد افرغ، بعد خروجي من السجن من برنامج الاستقبالات الطويل حتى حدثت حوادث تأديب الصحفيين الذين اخذوا يفترقون على الحزب وتلا ذلك اعتقال عدد من الاعضاء ثم اعتقال الزعيم. ولما كنت رأيت من الاعتبار السابق ان تدبير نيابة الزعامة الذي لجأت اليه المرة الاولى ليس مستوفيا شروط العمل به تركت مرسوماً بتشكيل مجلس اعلى مؤقت وتعيين الاعضاء صلاح لبكي، نعمة ثابت، مأمون اياس، فوزي بردويل، يوسف بجمدوني اعضاء في هذا المجلس برئاسة صلاح لبكي ». تاريخ المرسوم 30 حزيران.

اما اتهام الامن العام في توقيف الزعيم فقد تجلّى بتدبير اتخذه المدعي العام رئيس



فوزي البردويل

مكتب التحريات الاستاذ وجيه خوري يقضي بتكليف المفوض خرسو نفاع بالمحافظة على الامن العام وعدم السماح لاعضاء الحزب بالتجمع في اي مكان من السري، ثم حضر مدير الامن العام الفرنسي الموسيو بوشيد وبقي فترة من الزمن والقي القبض على نعمة ثابت، نهاد ملح حنا، مأمون اياس، خالد اديب وفريد الداية من زغرنا.

قبل البدء في سرد الحوادث التي وقعت في فترة الاعتقال الثاني اود ان اقف لحظة لتصحيح ماورد على لسان فوزي بردويل في مقابلة له مع ملحق النهار تاريخ 31 كانون الاول 1972 « انه رفض تنفيذ امر للزعيم سنة 1936 يقضي بتنفيذ انقلاب عام في لبنان والاستيلاء على سراي الحكومة في زحلة » والصحيح هو اني كلفت من قبل رئيس المجلس الاعلى المعين بالمرسوم الذي بلغته اياه، ان ابليق الواردة اسماؤهم بنص المرسوم ومنهم فوزي بردويل فاتفقت مع جورج عبد المسيح لمعرفة به ان نذهب معاً للقيام بمهمة التبليغ.

ولعدم وجود السيولة ركبنا القطار من بيروت الى المعلقة ومنها الى دار البردويل العامرة التي وصلناها باكراً، صعدنا درج السلم وطرقنا الباب وبعد لأي من الزمن تطل علينا سيدة، علمت فيما بعد انها كانت زوجته، تسألنا عما نريد وعندما علمت ببغيتنا تمنعت عن فتح الباب وصرفتنا بالتالي هي ازعج!!!

بعد هذه الزيارة غير المستحبة انتهت حياة البردويل الحزبية لا اكثر ولا اقل فلا امر هناك من الزعيم ولا رفض لتنفيذه...

رأي الزعيم

والان نتابع فيما يلي رأي الزعيم في هذا المجلس الذي كان من عداد اعضائه فوزي بردويل، كما ورد في خطاب الاول من اذار 1938 : « ولكن هذا المجلس اجتمع، بعد الجهد الجهد في جلسة غير رسمية وغير نظامية على شاطئ البحر واجمعت آراء ثلاثة اخماسه على عدم امكانية العمل وعلى عدم مقاومة الضغط وعلى التخلي عن مسؤوليات المجلس وقرر الجميع تفويض العضو مأمون اياس بالادارة العامة.

كان ذلك روحية سيئة جداً من الذين وضع الزعيم ثقته فيهم انعكست على روحية الاعضاء عموماً واوجدت في الحزب ميلا الى الخضوع للضغط والتراخي وزعزعت مبدأ

التضامن في المسؤوليات والعمل النظامي، وهدمت كثيراً من الثقة العامة التي اكتسبها الحزب من مظاهر القوة والعزم في السجن الاول. فدعا ذلك الى اسفي الشديد ولكني ظلت واثقا بايمان الاعضاء ورسوخ عقيدتهم. وبعد مدة من الفوضى في شؤون الحزب بسبب اضطرار المدير العام ورئيس مجلس العمدة السابق الى التواري عن الانظار، تطلب التحقيق سجن صلاح لبكي فجيء به الينا، فاطهر لي اعداره واستعداده الى العمل بعد خروجه من السجن، فقبلت ان اعطيه فرصة اخرى، فشكلت مجلساً اعلى ثانياً واعده رئيساً عليه، ولكن عمل هذا المجلس لم يكن منتظماً وحصلت مشادة بين الرئيس والاعضاء على الخطة السياسية واهمل امر الفروع حت اشترك فرع طرابلس في حوادث الاضطرابات من تلقاء نفسه، وظهرت في اعمال هذا المجلس بعض البوادر الشخصية غير الواضحة».

والان نترك الزعيم في السجن الذي زج فيه بحجة اقتضاء التحقيق ذلك، في حادث تأديب الصحفي بينا الحقيقة التي ما عادت لتخفي على احد هي ان سياسة المندوبية الفرنسية قد تغيرت تغيراً جذرياً فبدلت تساهلها بالقسوة والاضطهاد امام ما شاهدته من قوة الحزب وتأثيره في الشعب الممثل بشبابه المليء بروح التحدي والصمود.

ونترك الزعيم في السجن لنتتبع مسلسل الحوادث الجارية بدءاً من انتظار مثول المنفذ العام عبد الله الجميل امام المحقق بعد ان تواري عن الانظار. سمعنا ان الزعيم طلب منه ان يحضر وان يتحمل مسؤولياته فهل يليي؟ لقد خلف وراءه فراغاً في قيادة التنفيذية وان ملأه جورج عبد المسيح بصورة مؤقتة.

التحقيق

تعدى التحقيق مسألة تأديب الصحفي كما قلنا سابقا وتم اعتقال البعض الذي ذكرت في الحلقة السابقة. لم يبق قيد التوقيف الا فريد الداية، خالد اديب وصلاح الشيشكلي الذين كانوا آتين لمقابلة الزعيم بناء على موعد سابق وكذلك بقي في الاعتقال نهاد ملحح حنا، جورج شماعة وحنا ابو جودة من الزلقة ولكن اطلق سراحهم مع مأمون اياس ونعمة ثابت. اما التهمة المباشرة التي وجهت الى الزعيم والى القوميين الاجتماعيين فهي اعادة تشكيل الحزب السياسي الذي صدر مرسوم جمهوري بحله وعملهم هذا ينطبق على نص المادة 13 من قانون الجمعيات العثمانية التي نشرت نصوصه في حلقة سابقة. « هذه المعلومات منقولة عن جريدة النهار ».

اما بصدد مسألة تأديب الصحفي فقد اوقف على ذمة التحقيق الرفيق ويكتور اسعد والرفيق المهندس جورج حداد، وقد اخلي سبيلهما فيما بعد، ولكن الطريف في هذا الموضوع ما نشرته الجرائد عن نص قرار صدر عن منفذ عام بيروت عبد الله الجميل الذي يقول:

« بناء على المرسوم الصادر من الزعيم... (ويقصد المرسوم الصادر بتعيينه منفذاً عاماً لبيروت) ولما كانت جريدة «المساء» قد نشرت في اعدادها سلسلة مقالات من شأنها الحط من كرامة الحزب وزعيمه لذلك تقرر تأديب صاحب الجريدة المذكورة بالضرب على رأسه... ان السيدين اميل وارستيد ابوسمرة مكلفان بتنفيذ هذا القرار. التوقيع: عبد الله الجميل، منفذ عام بيروت». نشر هذا القرار في الصحف بتاريخ 2 تموز.

في 5 تموز توسعت حملة التفتيش فداهمت قوى الامن العام بيوت بعض القوميين الاجتماعيين في طرابلس والكورة اذكر منهم مصطفى المقدم، خالد اديب، الدكتور سميح علم الدين وجبران جريج اما في بيروت فقد تناول التفتيش منزل الرفيق صلاح لبكي ومكتبه بغيابه مما اثار ضجة في صفوف الرأي العام وبخاصة بين زملائه المحامين وذلك على اساس انه نائب الزعيم.

ثم اعتقل وجرى التحقيق معه فاوضح انه لم يعد نائباً للزعيم، وردا على سؤال عن سبب اجتماعه ولقائه بالقوميين الاجتماعيين اجاب ان السبب يكمن في انهم متفقون على العمل في سبيل مبادئ واحدة. كما ان الرفيق لبكي سئل عن اقتراح كان قدمه الى الزعيم وهو موجود في ملف التحقيق عن مسألة العمل في لبنان او ضمن حدود الجمهورية اللبنانية فاجاب ان هذا الموضوع كان تحت المناقشة اما مهمته كنائب للزعيم فقد انتهت عند خروج الزعيم من السجن.

عثر في هذا الوقت بالذات في جريدة «المساء» على كتاب مرسل من سعيد عقل اليها للنشر يشرح فيه ملابس قصة عزيز الهاشم عن علاقة الحزب او الزعيم بايتاليا. وفي هذا التاريخ ايضا تم اعتقال عجاج المهتار وبهيح حافظ سمعان.

فِئْرَة اَلْحَقِيق

الى فلسطين

والتحق الرفيق حسين البنا بالزمر التي كانت تقاآل اليهود في سورية الجنوبية. ليست لدينا معلومات تفيدنا عن كيفية اآمام هذا الالتحاق وعلى يد من كان هذا التطوع. كل ما نعرفه هو انه عندما بدأت ملاحظات السلطة للحزب قرر ان يترك هذا الميدان وينتقل الى الميدان الآخر، الميدان الذي كان يقوده قطاعه « الشيخ محمد القشمر » من دمشق، هذا القطاع الذي كان يتبع جيش الانقاذ الذي كان يقوده الضابط فوزي القاوقجي، من طرابلس. لم يذهب وحده الى فلسطين بل اصطحب معه صديقه المواطن محمد حمادة من بعقلين. الم يقل الزعيم في كتاب التعاليم: « ان في امتنا هجرات كثيرة يمكن ان يمر عليها الزمن الكافي فتذوب في الامة وتزول عصبياآها الخاصة ولكن آمة هجرة كبيرة لا يمكن بوجه من الوجوه ان تتفق مع مبدأ القومية السورية هي الهجرة اليهودية وعلى السوريين القوميين الاجتماعيين ان يدفعوا هذه الهجرة بكل قوتهم ». انه ذهب ليدفع هذه الهجرة اليهودية بكل قوته. وان لنا عودة الى هذا الموضوع.

في 7 تموز تم اعتقال بعض الرفقاء في جزين على رأسهم مدير المديرية مارون عون، والجدير بالذكر ان السجن كان سوريا قوميا اجتماعيا من الخيام اسمه علي العبد الله. لم يطل التحقيق معهم وقد تولاه القاضي عادل حمدان. اجتمع فريق من النواب اللبنانيين بالزعيم لاقناعه بالعمل اللبناني. عقد المدعي العام وجيه الخوري، رئيس مكتب التحريات اجتماعاً للمدعين العامين في المناطق. ألقى الامن العام حفلة غنائية كان ينوي القوميون الاجتماعيون اقامتها في مقهى عجرم.

في 8 تموز قام رئيس مكتب التحريات المدعي العام وجيه الخوري بزيارة الى طرابلس

فكانت حصيلتها عدة اعتقالات فيها وفي الكورة وفي الضنية وفي عكار، ابرزها في طرابلس شملت الرفقاء مصطفى المقدم، طيب الاسنان وليم خلاط، حنا العاقوري، جورج عشي، جورج سعادة، جورج حصي، ابراهيم رواس، لطف الله نصر، نجيب موسى، المحامي رشيد معصراني، محمود ادهمي، يوسف الخال، انيس فاخوري، ناصر المصري و ابراهيم الدوماني وعبد الله ايوب والبير مسعد وسواهم. في بيروت تم اعتقال الرفيقين جميل عازار ورشيد ابو شقرا، كما انه تم استجواب الرفيق معروف صعب الذي كان قد اصبح منفذا عاما لمنفذية دمشق.

ومن الطرائف التي ذكرتها الصحف اليومية بهذه المناسبة ان التحقيق اكتشف «شيفرة» الحزب. وما ادراك ماهي هذه الشيفرة؟ هي الشارات الحزبية التي كان متفقا عليها عندما كان الحزب سراً، من طرقات متقطعة او من اشارات حول العين او وراء الاذن كما مر معنا. كذلك اكتشف التحقيق ان الحزب يستعمل الارقام «الفرنجية» كما ظهر ذلك في عريضة قدمت الى رئاسة الجمهورية واردة من الكورة في 5 تموز 1936.

★ ★ ★

قدم رئيس مكتب التحريات تقريراً ضافياً الى رئيس الجمهورية عن نتائج زيارته الى شمالي لبنان وعما شاهده هناك. وهذه المناسبة اذكر ايضا هذه الطرفة للرفيق ابراهيم الخوري من الحاكور عكار. استدعي الى التحقيق وهو في اوج موسم البطيخ في السهل واي توقيف لاية مدة مها تكن قصيرة قد يعرضه لخسارة لا يمكن له ان يعوضها، فقرر ان ينتهج نهجاً معيناً بشرنا به قبل مثوله امام المحقق دون ان يفصح عنه، وقال لنا انه مؤمن بنجاحه فلا يتوقف. وهكذا كان وعند سؤالنا له عن هذا النهج الناجح الذي افرج عنه بهذه السرعة الصاروخية اجاب «سألني ان كنت انتمي الى الحزب وما هي وظيفتي فيه؟ فاجبته ان همي كله محصور بسهولة البطيخ وانه لاوقت لدي اضيعة على امور من هذا النوع.

وان كانت لديه اسئلة غير هذه فارجو طرحها بسرعة لان السهلة تنتظرني. كلمته بلهجة عكارية فيها الكثير من البساطة والسذاجة مما كَوّن لدى المحقق فكرة اني فلاح غشيم لا موجب للتعاطي معي فاطلق سراحي وهو يضحك ويستعجل امر انصرافي. رأيت اني نجحت؟».

النظَاهرات الحزبية

شهد هذا التاريخ 8 تموز 1936 اول تنفيذ للتظاهرات الحزبية التي قررت القيادة المركزية القيام بها لدعم موقف الزعيم. كانت الاوامر تقضي بالتظاهر امام السرايات المحلية او مخافر الدرك او الشرطة، وتبليغ السلطة ان السبب الذي من اجله اصدرت اوامرها باعتقال الزعيم هو السبب نفسه الذي حدا بهم الى المجيء اليهم للتظاهر. هذا السبب ينحصر بالايان بالقضية السورية القومية الاجتماعية التي يعمل لها الزعيم والتي يعملون هم ايضا لها، وطالما السبب واحد فاما ان يعتقلوا جميعاً او يفرج عن الزعيم. حدثت التظاهرات الاولى في ضهور الشوير. رافق هذه التظاهرات اضراب عن الطعام من قبل السجناء وعلى رأسهم الزعيم. اما مطالب المتظاهرين في الضهور فقد سجلت في عريضة رفعت الى المراجع المختصة بواسطة مخفر الدرك تنص على: (1) الافراج عن الزعيم بلا قيد ولا شرط. (2) الافراج عن الاعضاء الذين لم تثبت عليهم اية تهمة (3) محاكمة جميع الموقوفين.

في 9 تموز: وقعت حادثة كفرمشكي، البقاع الشرقي وخلصتها ان قوى الامن داهمت عدة منازل وحاولت اعتقال اصحابها فحصلت معركة بين الطرفين بالسلاح كانت الغلبة في النهاية لقوى الامن وتم اعتقال الرفقاء الآتية اسماؤهم: كامل فضل البوشي، توفيق سمعان الصيقل، الياس عيسى نصر الله وميخائيل عيسى نصر الله. كذلك اهتمت النيابة العامة بالاضراب عن الطعام وعالجته بالتي هي احسن.

في 13 تموز: قامت تظاهرة في الاشرفية قوامها 40 عضواً وقدموا عريضة الى مفوض المخفر فيليب فارس هذا نصها: «لما كنتم قد اعتقلتم زعيم السوريين القوميين من اجل عقيدته ولما كنا نحن ايضا ندين بنفس العقيدة لذلك جئنا طالبين اعتقلنا الى ان يفرج



ميشال خوري

عن الزعيم من السجن والى ان يجلي المحقق سبيل الذين لم يثبت بحقهم شيء كما اننا نطلب احالة قضية الآخرين الى المحاكمة.

وفي الكورة كانت خطة التظاهرات تقضي بأن تذهب وفود من القوميين الاجتماعيين الى السراي على اربع دفعات خلال الايام الاربعة على التوالي ويطلبون القائ مقام بالافراج عن الزعيم او بتوقيفهم اسوة به لان الذنب واحد وهكذا كان. فذهب الوفد الاول بقيادة الرفيق حبيب ملكي وعاد دون حدوث اي شيء يذكر.

وذهب الوفد الثاني بقيادة الرفيق ميشال خوري من كفرحاتا وعاد ايضا دون حصول ما يكره اما الوفد الثالث وكان بقيادة الرفيق شفيق غنطوس فقد اصطدم بالدرك، ويبدو انه كان قد ضاق صدرهم بهذه الوفود المتوالية يومياً عليهم فحاولوا ردهم بالقوة فكانت الاستجابة الرائعة للتحدي وجاء الرد الفوري قذفا بالحجارة عليهم وعلى السراي. ودامت المعركة وقتاً غير يسير ولم تتوقف الا بعد ان ارسل اليهم المنفذ العام الرفيق جبران جريج امراً بالانسحاب وبالتالي بالتواري. وقع في الاسر ثلاثة رفقاء هم: بهزاد نصار، فضل الله عازار والبير موسى فيصل اما سامي الخوري غنطوس فقد اخلي سبيله بعد توقيفه.

كانت هذه هي المرة الاولى التي يجري فيها اصطدام مباشرة من هذا النوع او من سواه، بين قوة قومية اجتماعية وقوة السلطة، وكانت هذه هي المرة الاولى ايضا التي يجري فيها اصطدام بين اهالي الكورة المشهورين بمسالمتهم منذ قرون عديدة فسجلت هذه المعركة بداية عهد جديد تضع المسألة جانباً وتنهج نهج الصراع.

ويقول عبدالله سعادہ :

« وكانت مواجهتي الاولى مع السلطة في 1936 اثناء سجن طالزيم للمرة الثانية..
جاءنا منفذ عام الكورة وقتذاك الرفيق جبران جريج وطلب ان تتوجه مديريات
الحزب في الكورة الى سراي اميون للاحتجاج على اعتقال الزعيم وتطالب بالافراج عنه
او باعتقالنا معه ، لاننا نحن معه في نضاله .

وبالفعل ، توجهت مديريات الحزب الى السراي وهي المنتشرة في كل انحاء الكورة
وعادت بسلام الى ان جاء دور مديريتي بتعبورة وكفرحانا حدث بينهما وبين الضابط
شجار وصل الى التهديد العنيف وعلى الفور قام شباب المديريتين بتطويق الضابط الذي
وجد نفسه اسيرا بينهم . فترجع عن تهديده واستقبل احتجاجهم وعريضتهم
وانصرفوا ..

وكان دور مديرية اميون يأتي في الاخير . وفي طريقهم علينا اخبرونا بما حصل
بينهم وبين الضابط في جو حماسي الهب الشباب ، فانطلقنا من اميون الغربية صفا منظما
الى السراي الواقعة في اميون الشرقية .. وفوجئنا باستعدادات قوية من قبل الدرك
لمواجهتنا والتصدي لنا بعد ان وجهوا انذارا باطلاق النار علينا اذا تقدمنا .. لكن
حماسة الشباب ازدادت فلم تأبه بالتهديد وامرنا قائد المسيرة بالتقدم ، وكنت انا الثاني
في الصف يتقدمني رفيق قومي اجتماعي صغير الحجم ، لبي الامر دون خوف او تردد ،
ودخلنا السراي واشتبكنا مع الدرك بالايدي وكانت النتيجة ان جردناهم من سلاحهم
واذ بالرقيب الاول يأتي بمفرزة من درك السيار تفاجئنا من المدخل الخلفي وتنهال
علينا ضربا وردي اولاد اميون واشبالها برشق السراي بالحجارة من الخارج . اصاب حجر
احد رجال الدرك وكان قويا اجتماعيا فجرحه ، عندئذ بدأ اطلاق النار علينا ودخلت
رصاصة في سروال احدنا فترجعنا هاربين ولجأنا الى البراري مدة ثلاثة ايام والدرك
يتعقبنا الى ان جاء امر المنفذية بوجوب تسليم انفسنا في السراي ، فرجعنا في صف
منتظم الى السراي وانتقى الرقيب اول منا واحدا وعشرين رفيقا وترك الباقين وكنت
من بين الواحد والعشرين ومن اميون انزلونا الى سجن طرابلس حيث اضربنا عن
الطعام حتى اخلي سبيلنا فوجا اثر فوج وحكم علينا في المحاكمة بالجنس ثلاثة اشهر .»

كان وفد رابع يتھيا للذهاب الى السراي في اليوم التالي بقيادة الرفيق هاشم حديد

فتدارس المنفذ العام معه الوضع الجديد الناشئ عن هذا الصدام، فقررنا المضي قدماً بتنفيذ الخطة القاضية بذهاب الوفد، ولكن اتخذنا الحيلة لما يمكن ان يحدث في السراي بعد ان تكهرب الجو وجرح احد الدركيين او اثنين منهم. فتقت لنا الحيلة بان نقطع خط الهاتف الموصل اميون بطرابلس قبل وصول الوفد صباحاً، وهكذا لايتسنى للقاءمقام او لضابط الدرك امكانية الاتصال وتلقي الاوامر.

ذهب الوفد وانقطع خط الهاتف وارتبك المسؤولون فصرفوا الوفد بالتالي هي احسن وعاد الى قواعده سالماً غانماً ولكن حدث عند وصوله الى عين بلدة « بطرام » انه التقى بعدد من الدركيين بقيادة الضابط اسد جمال آتين لتفقد المنطقة بعد ان جرى فيها ماجرى من اعمال القوميين الاجتماعيين، كان آخرها انقطاع الاتصال الهاتفي.

طوق الدرك القوميين الاجتماعيين وتولى الكومندان اسد جمال التحقيق فبدأ فيه مع الرفيق هاشم حديد الذي كان يعرفه حق المعرفة فهما يتعاونان في امور امنية كثيرة وحسنا فعل فقد افهمه الرفيق حديد واقع الحال وان كل شيء قد انتهى وانه يرى انه من الافضل ان يفك الطوق وان ينصرف كل في طريقه وكان الله يجب المؤمنين. انتهت المفاوضات عند هذا الحد وانصرف الجميع.

وبهذه المناسبة قال لي الرفيق هاشم ان الكومندان اسد جمال اسر له انه يتمنى نجاح كل عمل وطني وقد علمت فيما بعد من الرفيق انيس فاخوري انه كان ينوي تأسيس حزب سياسي اجتماعي سري بالاتفاق مع اسد جمال. اذن - لم يكن من المستغرب هذا الموقف منه وهو الوطني الغيور المناهض للاستعمار وان كان يلبس بزة قوة الامن وله يعود الفضل في عدم التحقيق بمسألة قطع خطوط الهاتف.

ولنعد الان الى الرفقاء الفارين. كان اول تشريد هم. يقضون نهارهم في الحقول والبراري ويبيتون في غير منازلهم. نرسل لهم الزوادة الى حيث يتوارون. دوريات تنتقل من مكان الى مكان. انقضت عدة ايام على هذه الحال قرر المنفذ العام بعدها وبعد القيام ببعض الاتصالات مع الدرك لاعطاء افادات مخففة وبخاصة الدركي المصاب بجروح وقد تبين انه من عائلة صديقة من منطقة الشوف يدعى عساف لطيف الذي ظل على صداقته بالرغم من الحادث.

بعد انتهاء هذه الترتيبات سلم الرفيقان شفيق غنطوس، عبد الله سعاده، نفسيهما الى مخفر الدرك في اميون ثم احيلوا الى المحاكمة في طرابلس. في اثناء وجودهم في حبس سراي اميون شكل المنفذ العام وفداً نسائياً قام بزيارة تفقدية لهم. كان الوفد مؤلفاً

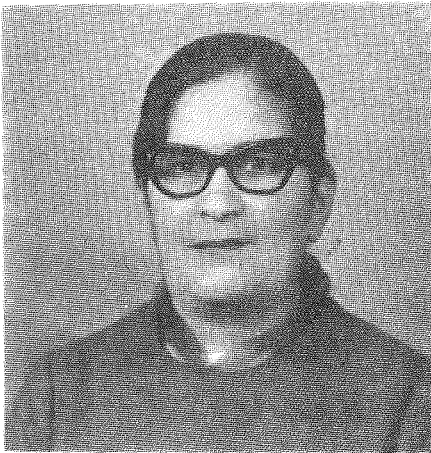


بلقيس الايوي

من ممي سعاد، جنيفاف سعاد، بدرا سلوم، حنة سابا ملكي وبلقيس الايوي. زارهم وشجعهم وحياهم بصورة خاصة الرفيقة بلقيس الايوي التي كانت المسؤولة عن الوفد الذي قام بزيارة للقائهم احتجاجاً وطلباً للافراج.

قد تبدو هذه الواقعة، اليوم، بعد مضي ثماني واربعين سنة عليها، من الامور العادية ولكن يجب ان لا يغرب عن البال، الزمن الذي جرت فيه والذي شاهد لأول مرة في كورتنا تحركا اجتماعياً عز نظيره، وفدا نسائياً لا يمت بصلة القربى الى الموقوفين وقد ترأسه فتاة من طائفة غير طائفهم تزورهم تحييمهم وتحتج مطالبة بالافراج

حنة سابا ملكي



مي سعاد



عتهم. انه مشهد غير قابل للنسيان مها طال عليه الزمن. يا لفخر النهضة بامثالك ايها
الرفيقة بلقيس الايوي!!

تناقلت الجرائد تظاهرات الكورة وعلقت بصورة خاصة على قطع خط الهاتف
وطالبت بالكشف عن الجناة. والجدير بالذكر ايضا ان الرفيق نسيب حمدان رافق
المنفذ العام جبران جريج في اشرافه على عمليات ارسال الوفود الحزبية واستقبالها.
كانت القيادة المركزية قد الحقته بالكورة بصفة مفتش لابعاده عن منطقتة وذلك
بسبب مذكرة توقيف كانت قد صدرت بحقه تتهمه بعلاقة له بجائحة تأديب الصحفيين
كما وردت خطأ على لسان احد الموقوفين.

في طرابلس استعيد التظاهر امام المخافر بعريضة وقعها الذين كانوا ينوون التظاهر.
وفي بيروت اجتمع حول ساحة الشهداء جمهور كبير من رجال الحزب القومي بغية
القيام بمظاهرة احتجاج على توقيف زعيمهم السيد انطون سعاده وبعض اخوانهم، ولكن
عقلاؤهم خافوا ان يندفع المتظاهرون الى التطرف والعنف فتؤذي تظاهرتهم الى مالا
تحمد عقباه ففرقوا وفي نيتهم وضع الاحتجاجات الخطبة وتقديمها الى المراجع العليا.

تَكْمِلَةُ التَّحْقِيقِ

في 13 تموز اطلق سراح 7 رفقاء في طرابلس بكفالة مالية مقدارها 80 ليرة لبنانية وهؤلاء هم: طبيب الاسنان وليم خلاط، فريد الدايه، خالد اديب، صلاح شيشلجي، البير مسعد، ابراهيم الرواس، انيس فاخوري، جورج حصي، أما الباقيون فقد رفض اخلاء سبيلهم وهم: جورج يزبك، مصطفى المقدم، يوسف الخال، لطف الله نصر، كما انه رفض اخلاء سبيل موقوفي بيروت فاضاف هؤلاء، الاضراب عن الكلام على اضرابهم عن الطعام مما احدث ضجة جديدة في الاوساط القضائية لطرافته.

الدعاية الايتالية

في 18 تموز استدعى المحقق سعيد عقل ليستجوبه عن الكتاب الذي ارسله الى جريدة «المساء» الذي يتضمن رداً تفصيلياً على ادعاءات عزيز الهاشم بصدد علاقة الزعيم بايتاليا اذ ان هذا الاخير تهرب من مواجهة الزعيم لثلاث مرات متوالية تم فيها مواعيد فكانت تؤجل دون سبب او عذر. عقد المحقق لقاء بين سعيد عقل وصلاح لبكي والزعيم للموضوع نفسه. صرح سعيد عقل انه يعتبر لبنان عربياً ما عدا علاقته الطبيعية القومية. وضح ان التحقيق سار في اتجاهين منفصلين. اتجاه يعالج مسألة التأديب الصحفي والاتجاه الثاني يعالج مسألة الحزب المنحل. وهذا الاتجاه الاخير هو بيت القصيد.



في 20 تموز: اعتقل يوسف شقير من المتن الاعلى بسبب التظاهرة الحزبية وكذلك تم اعتقال الشقيقتين رفيق ابو كامل وكامل ابو كامل للسبب نفسه اي للتظاهرة الحزبية في الشوف. اصدر عزيز الهاشم بياناً رد فيه على وثيقة سعيد عقل مدعياً انه كان هو

الذي اقترح اللقاء مع انطون سعادته وان طارئاً سريعاً منعه من الوفاء بالوعد وهو موعد مع صبحي بركات، السياسي الشامي المشهور. وانه ليس للوفد الزحلي المكون من عقل وبردويل ونصر الله علاقة بهذا الموضوع.

تأديب عارف الغريب

في 27 تموز: حدث تأديب ثان للصحفي البذيء عارف الغريب في ضهور الشوير، امام فندق السلوى. فقد التقاه عدد من القوميين الاجتماعيين الذين سألوه بكل تهذيب ممكن عن غرض وجوده في بلدتهم بهذا الشكل المتحدي السافر. كانت نتيجة التهذيب تأديباً ثانياً. اما الفاعلون فقد اسلموا انفسهم للمحقق في اليوم التالي وهم: رشيد مطر الذي كان قد اصبح مسؤولاً في المنطقة، فؤاد فرح مفرح، أميل همام وسليم قيامة.

في 30 تموز: اضرب عن الطعام، منذ اربعة ايام، موقوفو الحزب القومي في طرابلس والكورة، في سجن طرابلس وعددهم ثمانية انضم اليهم تاسع سجن لتأخره عن تأدية بعض الرسوم القضائية، وذلك لانهم تقدموا بطلب اخلاء سبيل فرفض طلبهم. ولا يزال قاضي التحقيق هناك يتابع النظر في القضية.

في 31 تموز: جرى التحقيق مع الزعيم بصدد تقرير وجد مع الاوراق التي صادرتها قوى الامن العام. يتناول هذا التقرير عدة امور اهمها اقتراح بايجاد سلك دبلوماسي، وان تكون فرق الصيانة تابعة للمنفذ العام اذ لا مجال لانشاء فرق الميليشيا في الوقت الراهن، وجوب اصدار جريدة وانشاء لجان اذاعية للعمل الحزبي قصد نشر الدعوة القومية الاجتماعية بخاصة في الشام وبلاد العلويين، وملاحظة في السياسة الخارجية تتناول اقدام ألمانيا على تمزيق معاهدة فرساي وما يمكن ان تستفيد بلادنا من هذا الموقف واخيراً موقف بعض الاعضاء الذين انجذبوا بموقف بكركي من مسألة المونوبول.

في 6 آب: اعتقل كل من نهاد ملحم حنا، جورج حنكش ونقولا برياري وفي سجن الرمل انفك اضراب عن الطعام دام خمسة ايام قام به كل من عبد الله الجميل، ناجي تميم وناصر اللحام كما انه تمت مصادرة صور للزعيم ومسودة لكتاب «نشوء الامم والقومية السورية» كانت مودعة عند جورج حداد وكذلك عثرت قوى الامن العام على كمبيالة كان الزعيم قد حررها للسيد حداد صاحب المنزل الذي كان يسكنه في رأس بيروت وذلك بقيمة الايجار الذي لم يستطع تسديده.

دعي المهندس جورج حداد للتحقيق في لغز لم يجدوا له حلا. يتلخص في تسمية

سورية لم يفهمها هذا المحقق الذكي فشرح له الرفيق حداد الملابس التي اشكل على التحقيق تفسيرها وهي ان له ابنة اخت يفتش لها والداها عن اسم فاقترح عليها تسميتها «سورية» تيمنا. انتهى اللغز.

• في 11 آب: تقدمت امهات الموقوفين بعريضة احتجاج الى رئيس الجمهورية عن الموقوفين ناجي تميم، عجاج المهتار، اديب الزهيري، شاوول نجيم، وويكتور اسعد.

★ ★ ★

في 12 آب 1936 قدم نعمة ثابت مذكرة الى العصبة الاممية (النهضة العدد 136 تاريخ 7 نيسان 1938) يشرح فيها المظالم التي يتعرض لها الحزب مما يتنافى مع القوانين والحقوق الدولية مع شرح لمبادئ الحزب واهدافه.

★ ★ ★

في 19 آب: اعيد توقيف صلاح لبكي. جرت مقابلة للقاضي وجيه الخوري المدعي العام رئيس مكتب التحريات مع رئيس الجمهورية وشارك فيه اسعد البستاني رئيس البوليس العدلي. خلاصة التقرير الذي قدماه هو ان اعضاء الحزب يعملون للقومية السورية التي بها يؤمنون وكل ما يقال او يشاع حول تحويلهم الى عقيدة لبنانية هو مجرد تضليل ليس الا.

في 20 آب: عاد المحقق يستجوب سعيد عقل عن الرسالة التي بعث بها الى جريدة «المساء» لاستجلاء بعض الامور التي اعترض عليها عزيز الهاشم فكانت النتيجة واحدة في المقابلتين. ادلى الاستاذ وجيه الخوري بتصريح حول سبب توقيف الرفيق صلاح لبكي انشره للدلالة على تفاهة الاسس والمعلومات التي كان يتسلح بها التحقيق في ملاحقته الزعيم والمسؤولين في الحزب او الاعضاء وهذا هو نص التصريح: «ان الاستاذ صلاح لبكي يشغل وظيفة نائب الزعيم. وقانون الحزب؟ يقول في احدى مواد قانونه انه في حالة سجن الزعيم او تغيبه تنتخب العمدة نائباً للزعيم فاذا غاد الزعيم يجب ان تجتمع العمدة العليا، وتعيد انتخابه للزعيم والا ظل نائب الزعيم مكانه فلما خرج السيد سعاده في السجن لم تجتمع العمادات لاعادته الى الزعامة فظل الاستاذ لبكي في هذه الوظيفة الى ما بعد مرسوم الحل» ثم اضاف، «ان التحقيق قد انتهى وان التحقيق قد توصل الى معرفة موظفي الحزب والوظيفة التي شغلها كل منهم وان اوراق التحقيق سترسل الى المحاكم المختصة في القرب العاجل» وتعرض لقضية تطور السياسة الرئيسية في الحزب والباسها وجها لبنانياً فقال ان التحقيق عثر بين الاوراق المصادرة من اعضاء الحزب على رسالة موجهة الى الزعيم يقول فيها كاتبها انه سئل عن القومية السورية

واستبدالها بالقومية اللبنانية فأجاب جواباً مبهماً. ان هذه القضية هي للتضليل. لم يفكر احد بتعديل السياسة العليا».

دونا ماريا سرسق

سرت اشاعات تفسر علاقة الحزب بالسيدة ماريا سرسق الملقبة «دونا ماريا» بالعلاقة مع ايتاليا وذلك لميوها الفنية الايتالية واعجابها بها.

في 24 آب: عقد المحقق لقاء بين الفنان الرفيق يوسف الحويك وعزيز الهاشم ثم انضم اليهما الزعيم. دام اللقاء ثلاث ساعات. كان الموضوع الرئيسي مسألة المال المزعوم الوارد من ايتاليا.

في 25 آب: تم الافراج عن صلاح لبكي بناء على طلب اخلاء سبيل قدمه وكيله المحامي اميل لحدود.

في 26 آب: تطور التحقيق بالمسألة المالية فاعيد التحقيق مع يوسف الحويك وعزيز الهاشم والزعيم ودخل عنصران جديدان في الموضوع هما الدكتور رثيف ابي اللمع والمحامي حبيب ابو شهلا. شرح الرفيق يوسف الحويك للمستنطق كيف تعرف على الحزب. كان ذلك بدءاً من محاضرة القاها في مدرسة الاميركان للبنات ابدى فيها احلامه بأن يرى وطنه الكبير موحداً من طوروس الى سيناء ومن قوس الصحراء الى البحر. وابدى ان ايمانه بالعروبة لا يتنافى مع هذا التحديد الطبيعي للحدود. كانت هذه المحاضرة المدخل لتعرفه بالزعيم الذي التقاه عند صلاح لبكي والذي اقنعه فانتمى الى الحزب ثم سافر الى فرنسا. كانت مقابلاته مع عزيز الهاشم صاخبة، جافة وخشنة وكادت تتشابك الايدي لولا تدخل المحقق. كانت الامور المالية مدار الحوار الحامي. جيء بالزعيم فافاد ان الحويك عرض عليه مالا للمساعدة فرفض ولم يكن بحاجة لوساطة عزيز الهاشم من اجل هذا العرض وان المسائل المالية يعرفها وكيله الاستاذ حبيب ابو شهلا وان عرضاً من هذا النوع اتاه ايضاً من الدكتور ابو اللمع. وانهى المحقق اتهام الهاشم للحويك بانه يعمل لحساب ايتاليا بسؤال «تقول، يا استاذ هاشم، ان الاستاذ حويك عرض عليك مالا. ورفضت فلماذا يعيد الكرة وهو يعرف مسبقاً انك رافض؟» فاجاب الهاشم «قد يكون غير رأيه بي عندما عرف اني انتميت الى الحزب». فعلق المستنطق قائلاً «اذن، بعد انتمائك تنتفي الحاجة اليك لانه يتوجه عندئذ الى الزعيم» وكان من اهم اسباب اتهام الحويك بالدعاية لايتاليا تخرجه من معاهدها الفنية واعجابها بالفن الايتالي. وبهذا الاستجواب انتهت معزوفة العلاقة المالية بايتاليا.

خاين جاسوس

كان هذا آخر عهد عزيز الهاشم بالحزب. والآن انقل ما كتبه الزعيم بهذا الخصوص في جريدة « الزوبعة » العدد 45 تاريخ 15 / 10 / 1942 تحت عنوان « الشيخ عزيز الهاشم وفاة خائن جاسوس » .

« بين الاخبار الواردة من الوطن في الثلاثة الاشهر الاخيرة خبر وصل الى الارجنتين بواسطة بعض الصحف السورية في اميركانية ومحصله ان المدعو الشيخ عزيز الهاشم قد مات بسبب مرض أصابه. وقد وصفه مراسل جريدة الضلال التي تسمى « الهدى » كما يأتي:

« كان رجلاً دمث الاخلاق، لطيف المعشر، كريم المحتد، واسع الثقافة، عمل في القضاء مدة فكان القاضي النزيه ثم تعاطى المحاماة فكان فيها قديراً وادلى بدلوه في السياسة فجاهد في سبيل ما كان يعتقد حقا في مصلحة البلاد » .

ليس هذا الوصف الزخرفي متناولاً شيئاً من المسائل العمومية التي تدخل فيها الموصوف وأظهر تدخله فيها نوع أخلاقه ونياته وشخصيته والرجل يستحق اكثر من هذه الكلمات الاخبارية القليلة واننا نفيه حقه. فهو قد مثل دوراً في شؤون سورية السياسية يجب ان لا يذهب بدون مغزى وعبرة.

درس عزيز الهاشم المحاماة في المدارس الفرنسية. ويترجح عندنا انه زار فرنسا غير مرة. وألف كتاباً في الفرنسية بحث فيه مسألة الانتداب على سورية وظهر فيه بمظهر الوطني المدافع عن حقوق البلاد. عين قاضياً في لبنان ثم عزل. ثم اخذ يظهر على مسرح السياسة بشكل « مجاهد » استقلالي وعدو للسيادة الاجنبية. فكان من مؤسسي

حزب نشأ في بيروت وسمي « حزب الاستقلال الجمهوري » وترأس هذا الحزب كل المدة التي عاشها. وظل هذا شأنه امام الناس حتى اتصل بالحزب السوري القومي الاجتماعي سنة 1935 فكان بذلك انفضاح امره. وقد لعب دوراً هاماً في بعض القضايا التي أثرت حول هذا الحزب القومي الدقيق النظام.

كان اتصال هذا الهاشم بالحزب السوري القومي بواسطة المدعو روفائيل ابو جودة والمدعو جان سرور اللذين كانا شريكين له في « حزب الاستقلال الجمهوري » وفي مسائل أخرى. وأمر هذا الاتصال ذو سلسلة روائية من المفيد سرد وقائمهها بالاختصار.

في اوائل سنة 1935 | كان الزعيم قد بدأ جهاز الاستخبارات في الحزب السوري القومي الاجتماعي فابتدأ عدد من القوميين الاجتماعيين يمارسون الاستخبارات بشكل أولي لفاعلية كبيرة له. ولكن بعض المراقبين اظهروا ذكاء شديداً ووصلوا الى معلومات هامة أوصلوها بكل أمانة الى المراجع المختصة التي ادركت اهميتها وأحلتها المحل اللائق من العناية. بين هذه المعلومات المفيدة وجدت ملاحظات ذات بال تتعلق بشخص يدعى عزيز الهاشم الملقب بالشيخ.

في هذه الاثناء اتصل بالحزب السوري القومي الاجتماعي رجل يدعى روفائيل ابو جودة. وكان اتصاله بواسطة المدعو جورج حداد الخائن المطرود فيما بعد من الحزب. المعلومات عن هذا الشخص كانت قليلة ولكنها تدعو الى التفكير. فقد بلغ الحزب عنه انه لعب ادواراً مشبوهة في سياسة « جمعية السواقين ». فهو ليس سائقاً بالأجرة ولكنه يشتغل في مسائل السيارات وله علاقة مع ملاكي السيارات الذين هم خصوم السواقين. واليه يعزي حبوط بعض مشاريع الأضراب او الاعتصاب وجاء في صده انه عضو عامل في « حزب الاستقلال الجمهوري » وان له أخا في دائرة التحري اسمه ادوار ابو جودة. فسمح الزعيم بأدخال روفائيل ابو جودة في الحزب وأمر بوضعه تحت المراقبة.

بعد حين رشح روفائيل ابو جودة المدعو جان سرور لدخول الحزب السوري القومي الاجتماعي وأبو جودة مدح جان سرور وأفاد عنه انه خازن « حزب الاستقلال الجمهوري » ورشح الأثنان المدعو عزيز الهاشم الملقب بالشيخ والمترئس الحزب المذكور لعضوية الحزب القومي الاجتماعي، فقبل، وبعد دخوله ألقى المحامي صلاح اللبكي كلمة ترحيب بالهاشم في اجتماع صغير جرى، على الأرجح، في منزل الرفيق الاستاذ زكي النقاش ناظر مدرسة « كلية المقاصد الخيرية الاسلامية » في بيروت.

بدخول المدعو عزيز الهاشم في الحزب السوري القومي الاجتماعي دخل في هذا الحزب احد عمال استخبارات المفوضية الفرنسية واستخبارات «المكتب الثاني» في اركان حرب «جيش اللونت» الفرنسي وهذا كاد يكون مؤكداً في مكتب استخبارات الحزب القومي الاجتماعي فلم يكن الهاشم مجهول الصفة حين دخوله في هذا الحزب.

ابتداً عزيز الهاشم يشتغل للجانوسية الفرنسية ضمن الحزب القومي الاجتماعي منذ بدء دخوله ولكنه كان يشتغل من وراء الستار بواسطة شريكه روفائيل ابو جودة وجان سرور. على ان حركات هؤلاء الثلاثة كانت تحت مراقبة دقيقة. وقد ظن كثيرون ان عزيز الهاشم هو الذي تمكن من اعطاء التفاصيل التي أدت الى القبض على الزعيم واركان ادارته في 16 نوفمبر 1935. ولكن دوائر الحزب العليا لم تؤيد هذه الاشاعة لأن الخائن الذي فعل ذلك كان قد صار معروفاً في الدوائر المشار اليها واسمه لا يزال مكتوماً.

بيد ان عزيز الهاشم الذي لم ينجح في مهمته الاولى لأن خائناً آخر سبقه اليها تحول بكليته الى المهمة الثانية التي فجح فيها في «حزب الاستقلال الجمهوري» الذي أنشئ لبليلة الازهان وقتل حيوية الشباب. هذه المهمة الثانية هي: افساد الصفوف القومية الاجتماعية وسحق معنويات الحزب القومي الاجتماعي بالدسائس والاشاعات. فحاول ان يدخل في ادارة هذا الحزب العليا بعد اعتقال الزعيم واعضاء مجلس العمدة، منتهزاً فرصة التضعضع الاداري الاول الذي عقب الاعتقالات. ولكنه أخفق. حينئذ رتب منهاج اشاعات لتسميم الرأي العام ضد الحزب فانظر خروج الزعيم من السجن لينشر في جريدة «المساء» لصاحبها المضروب عارف الغريب «تصريحات» عن «علاقة الحزب السوري القومي الاجتماعي بايتاليا وتسلم الزعيم اموالاً من هذه الدولة».

كاد عزيز الهاشم ينجح في هذا المشروع. فقد احدثت «تصريحاته» ضجة قوية في أوساط الشعب وأوجدت الشك في عدد من ضعفاء الأيمان المنضمين حديثاً الى الحزب القومي الاجتماعي. فاتحدر من زحلة نفر فيه سعيد عقل الشاعر والمدعو يوسف البحمودني وغيرهما، وجاؤوا دار الزعيم في رأس بيروت لسؤاله عن صحة ما يدعيه عزيز الهاشم. فأعطى الزعيم القادمين الأيضاحات التي وجدها لازمة فلم يكتف هذا «الوفد» وسأل اعضاؤه الزعيم اجراء مقابلة مع عزيز الهاشم.

كان ذلك صدمة مرة للزعيم وللأيمان القومي الاجتماعي ولبدأ الثقة الذي هو من

حزب نشأ في بيروت وسمي « حزب الاستقلال الجمهوري » وترأس هذا الحزب كل المدة التي عاشها. وظل هذا شأنه امام الناس حتى اتصل بالحزب السوري القومي الاجتماعي سنة 1935 فكان بذلك انفضاح امره. وقد لعب دوراً هاماً في بعض القضايا التي أثرت حول هذا الحزب القومي الدقيق النظام.

كان اتصال هذا الهاشم بالحزب السوري القومي بواسطة المدعو روفائيل ابو جودة والمدعو جان سرور اللذين كانا شريكين له فيه « حزب الاستقلال الجمهوري » وفي مسائل أخرى. وأمر هذا الاتصال ذو سلسلة روائية من المفيد سرد وقائعها بالاختصار.

في اوائل سنة 1935 | كان الزعيم قد بدأ جهاز الاستخبارات في الحزب السوري القومي الاجتماعي فابتدأ عدد من القوميين الاجتماعيين يمارسون الاستخبارات بشكل أولي لفاعلية كبيرة له. ولكن بعض المراقبين اظهروا ذكاء شديداً ووصلوا الى معلومات هامة أوصلوها بكل أمانة الى المراجع المختصة التي ادرت اهميتها وأحلتها المحل اللائق من العناية. بين هذه المعلومات المفيدة وجدت ملاحظات ذات بال تتعلق بشخص يدعى عزيز الهاشم الملقب بالشيخ.

في هذه الاثناء اتصل بالحزب السوري القومي الاجتماعي رجل يدعى روفائيل ابو جودة. وكان اتصاله بواسطة المدعو جورج حداد الخائن المطرود فيما بعد من الحزب. المعلومات عن هذا الشخص كانت قليلة ولكنها تدعو الى التفكير. فقد بلغ الحزب عنه انه لعب ادواراً مشبوهة في سياسة « جمعية السواقين ». فهو ليس سائقاً بالأجرة ولكنه يشتغل في مسائل السيارات وله علاقة مع ملاكي السيارات الذين هم خصوم السواقين. واليه يعزي حبوط بعض مشاريع الأضراب او الأعتصاب وجاء في صده انه عضو عامل في « حزب الاستقلال الجمهوري » وان له أخا في دائرة التحري اسمه ادوار ابو جودة. فسمح الزعيم بأدخال روفائيل ابو جودة في الحزب وأمر بوضعه تحت المراقبة.

بعد حين رشح روفائيل ابو جودة المدعو جان سرور لدخول الحزب السوري القومي الاجتماعي وأبو جودة مدح جان سرور وأفاد عنه انه خازن « حزب الاستقلال الجمهوري » وشرح الأثنان المدعو عزيز الهاشم الملقب بالشيخ والمترئس الحزب المذكور لعضوية الحزب القومي الاجتماعي، فقبل، وبعد دخوله ألقى المحامي صلاح اللبكي كلمة ترحيب بالهاشم في اجتماع صغير جرى، على الأرجح، في منزل الرفيق الاستاذ زكي النقاش ناظر مدرسة « كلية المقاصد الخيرية الاسلامية » في بيروت.

بدخول المدعو عزيز الهاشم في الحزب السوري القومي الاجتماعي دخل في هذا الحزب احد عمال استخبارات المفوضية الفرنسية واستخبارات «المكتب الثاني» في اركان حرب «جيش اللونت» الفرنسي وهذا كاد يكون مؤكداً في مكتب استخبارات الحزب القومي الاجتماعي فلم يكن الهاشم مجهول الصفة حين دخوله في هذا الحزب.

ابتدأ عزيز الهاشم يشتغل للجانوسية الفرنسية ضمن الحزب القومي الاجتماعي منذ بدء دخوله ولكنه كان يشتغل من وراء الستار بواسطة شريكه روفائيل ابو جودة وجان سرور. على ان حركات هؤلاء الثلاثة كانت تحت مراقبة دقيقة. وقد ظن كثيرون ان عزيز الهاشم هو الذي تمكن من اعطاء التفاصيل التي أدت الى القبض على الزعيم واركان ادارته في 16 نوفمبر 1935. ولكن دوائر الحزب العليا لم تؤيد هذه الاشاعة لأن الخائن الذي فعل ذلك كان قد صار معروفاً في الدوائر المشار اليها واسمه لا يزال مكتوماً.

بيد ان عزيز الهاشم الذي لم ينجح في مهمته الاولى لأن خائناً آخر سبقه اليها تحول بكليته الى المهمة الثانية التي نجح فيها في «حزب الاستقلال الجمهوري» الذي أنشئ لبلبلة الازدهان وقتل حيوية الشباب. هذه المهمة الثانية هي: افساد الصفوف القومية الاجتماعية وسحق معنويات الحزب القومي الاجتماعي بالدسائس والاشاعات. فحاول ان يدخل في ادارة هذا الحزب العليا بعد اعتقال الزعيم واعضاء مجلس العمدة، منتهزاً فرصة التضعف الاداري الاول الذي عقب الاعتقالات. ولكنه أخفق. حينئذ رتب منهاج اشاعات لتسميم الرأي العام ضد الحزب فانتظر خروج الزعيم من السجن لينشر في جريدة «المساء» لصاحبها المضروب عارف الغريب «تصريحات» عن «علاقة الحزب السوري القومي الاجتماعي بايتاليا وتسلم الزعيم اموالاً من هذه الدولة».

كاد عزيز الهاشم ينجح في هذا المشروع. فقد احدثت «تصريحاته» ضجة قوية في أوساط الشعب وأوجدت الشك في عدد من ضعفاء الأيمان المنضمين حديثاً الى الحزب القومي الاجتماعي. فانحدر من زحلة نفر فيه سعيد عقل الشاعر والمدعو يوسف البحمودوني وغيرهما، وجاؤوا دار الزعيم في رأس بيروت لسؤاله عن صحة ما يدعيه عزيز الهاشم. فأعطى الزعيم القادمين الأيضاحات التي وجدها لازمة فلم يكتف هذا «الوفد» وسأل اعضاؤه الزعيم اجراء مقابلة مع عزيز الهاشم.

كان ذلك صدمة مرة للزعيم وللأيمان القومي الاجتماعي وللبدا الثقة الذي هو من



سعيد عقل

أهم عوامل قوة الحزب. ولكن الزعيم قبل اقتراح هؤلاء الاشخاص مبدئياً وكلفهم الاجتماع بصلاح لبكي للتداول في الامر. وقد ظن الزعيم ان صلاح لبكي الذي ولاه نيابته اثناء سجنه يعرف كيف يصون حرمة الزعامة ويؤيد روح الثقة ويردع المشككين عن العمل المنحط عن مستوى المناقب القومية الاجتماعية وعاد الاشخاص في اليوم التالي، يخبرون الزعيم انهم قابلوا صلاح لبكي واتفقوا على اجراء المقابلة بين الزعيم وعزيز الهاشم. وكان الصواب ان يطلبوا محاكمة الهاشم لآثي بالبيئة على ما يدعي ونظرا لضعف الثقة الموروثة من تاريخ ماض مشوب رأى الزعيم كظم ما في نفسه وقبل بأجراء المقابلة في فندق على ساحة البرج. وتم الموعد مع الزعيم ومع عزيز الهاشم. وفي الموعد المعين توجه الزعيم يصحبه صلاح لبكي وسعيد عقل وواحد أو اثنان آخران من القوميين الاجتماعيين. ولكن عزيز الهاشم لم يطل. ومضى ربع ساعة عن الموعد المضروب وذلك الهاشم متوار عن الانظار. فطلب سعيد عقل السماح بالذهاب الى بيته لجلبه فسمح له. وبعد نحو عشرين دقيقة او اكثر عاد سعيد عقل يقول ان عزيز الهاشم ليس في بيته وانه ترك خيراً بأنه «انشغل» فلم يستطع القيام بالوعد!

بعد عودة الزعيم الى منزلة في رأس بيروت انصرف سعيد عقل ومن جاء معه وصلاح لبكي لوضع بيان بما حدث ليذاع في الصحف. وقد وضع البيان ووقعه سعيد عقل وصلاح لبكي ومن حضر وأثبت فيه تهرب عزيز الهاشم من الموقف. على ان الزعيم أوقف ارساله الى الصحف لأنه شهادة بضعف ايمان بعض القوميين الاجتماعيين ويدل على امكان زعزعة الصفوف القومية الاجتماعية بالأشاعات الملفقة والدسائس السياسية.

لم يقف أمر عزيز الهاشم عند هذا الحد. ففي الاعتقالات الثانية التي تعرض لها الحزب السوري القومي الاجتماعي، وكانت من قبل حكومة « جمهورية لبنان »، تقدم المدعو عزيز الهاشم للشهادة امام قاضي التحقيق الاول الاستاذ حسن قبلان عن علاقة الحزب بايطاليا وعمله لمصلحتها. فادعى امام القاضي المذكور ان الزعيم استدعاه فيمن استدعى من المحامين الذين تقدموا للدفاع ليطلب منه تبليغ النحات المعروف يوسف الخويك « سلامة الاوراق » السرية وأن ينقل ذلك الى قنصل ايطاليا. وادعى انه قابل يوسف الخويك قبل الذهاب الى السجن بدعوة من الزعيم وسأله هل له شيء يوحي به الى الزعيم. فكلفه حمل كتاب اليه وأن يسأله عما يحتاج اليه من مال. وقال انه بلغ الزعيم سؤال يوسف الخويك وان الزعيم طلب « عشرين ليرة سورية » فنقل الهاشم هذا الطلب الى يوسف الخويك. بناء على هذه الشهادة استدعى المستنطق الزعيم من السجن وأجرى مقابلة قضائية بينه وبين عزيز الهاشم. وبعد تلاوة شهادة عزيز الهاشم سأل القاضي الزعيم جوابه عليها. فأدلى الزعيم بمعلوماته، ومفادها ان عزيز الهاشم كان ينتظر مساعدة مالية من الحزب السوري القومي الاجتماعي لأسم « حزب الاستقلال الجمهوري » والمساعدة خسون ليرة سورية لدفع اجار مركز الحزب المذكور. ونظراً لقلق الزعيم على الحركة القومية الاجتماعية من دسائس عزيز الهاشم استقدمه الى السجن بصفة محام عنه ليعلم نيته ويبطل مساعيه بالتوجيهات التي يعطيه اياها والتعليقات التي يلقها اليه. فكان اول امر اتاه عزيز الهاشم عند مقابلة الزعيم في السجن انه طلب اليه اصدار امره بدفع المبلغ الموعود « لحزب الاستقلال الجمهوري » فأنكر الزعيم هذا الطلب الغريب في هذه الظروف العصبية التي يجتازها الحزب السوري القومي الاجتماعي وقال انه لا يرى



يوسف الخويك

ظروف الحزب تساعده على تقديم المبلغ لعزير الهاشم. وكان في نية الزعيم استبقاء «حزب الاستقلال الجمهوري» ومركزه وادخال عدد من القوميين الاجتماعيين فيه سراً لأغراض سياسية معينة. فما كان من عزيز الهاشم، تجاه رفض الزعيم النظر في مطالبه، الا ان اخذ ينتقد ادارة الحزب القومي الاجتماعي القائمة بالعمل في تلك الظروف ويوجه اليها اللوم، وأخذ يحسن للزعيم اسناد الادارة الى شريك الهاشم ومعاونه جان سرور. فأشار الزعيم الى «رضاه» عن جان سرور ولكنه اظهر حداثة عهده في الحزب وعدم خبرته الادارية ووعده بالنظر في تقدمه في المستقبل. حينئذ وضع الهاشم امام الزعيم مؤلفاً بالفرنسية وموضوعه الاستعمار في افريقية والنزاع الاوروبي عليه وقال ان يوسف الحويك كلفه ايصال هذا الكتاب الى الزعيم ليتسلى به في السجن. وزاد ان الحويك كلفه سؤال الزعيم اذا كان يقدر ان يخدمه بشيء واذا كان يحتاج لمساعدة مالية. فأجاب الزعيم انه يشكر للفنان حويك اهتمامه بأمره وذكر ان عليه ديناً قد يبلغ عشرين ليرة سورية ولكنه سيفيها بدون ازعاج اصدقائه. ونهض الزعيم على اثر هذا الجواب وودع الهاشم ودخل الى محبسه وانصرف الهاشم.

دون القاضي جواب الزعيم المتقدم على افادة الهاشم المنكرة وسأل عزيز الهاشم هل صحيح انه كان في نية الزعيم مساعدة «حزب الاستقلال الجمهوري» بمبلغ خمسين ليرة سورية فأجاب بالإيجاب ولم يحاول انكار انه طلب هذا المبلغ في السجن. فسأله القاضي هل بلغ يوسف الحويك ما ادعى ان الزعيم كلفه بطلبه اي عشرين ليرة سورية. فأجاب بالإيجاب. فسأله القاضي ماذا كان جواب الحويك فأجاب الهاشم ان الحويك قال له «سأرى اذا كان يمكن تدبير هذا المبلغ». هنا أسرع الزعيم ليقول هل هذا كان جواب الحويك ام مادعاها الهاشم قبل، ان الحويك اكد له ان المبلغ سيصل. فصحح الهاشم قائلاً ان الحويك اكد ايصال المبلغ. فسأله القاضي هل اوصل الحويك المبلغ الى الزعيم فقال انه لا يعلم.

بهذه الاستئلة وامثالها تبين للقاضي كذب الهاشم وقال للزعيم ان جواب الهاشم الاول عما قاله له الحويك كان اقوى شهادة ضد الهاشم لأن من يقول «سأرى اذا كان يمكن تدبير المبلغ» لا يكون على اتفاق لا يصل مبالغ مالية. ولكن تصحيح الهاشم لم يفده كثيراً اذ تبين كذبه بمراجعة كلامه وتبين اختلاقه اذ ان الزعيم الذي يكون مديوناً بعشرين ليرة سورية ليس بالرجل الذي يتسلم اموالاً من دولة اجنبية، وان العلاقة التي بلغ بسخافة الهاشم ان يحاول ايهام الناس انه يمكن ان تبني بين زعيم نهضة وحركة سياسية ودولة اجنبية على عشرين ليرة سورية هي علاقة وهمية.



د. رثيف ابو اللمع

وذكر الزعيم في ما ذكر لقاضي التحقيق ان غير واحد من اصدقائه عرض عليه مساعدة مالية وغيرها ومن جملتهم الدكتور رثيف ابي اللمع الذي اشرف مدة على حالة الزعيم الصحية وانه شكر الجميع ولم يقبل مساعدة أحد. فاستدعاه القاضي فشهد ان هذا الكلام صحيح.

بعد ذلك استدعى القاضي شريكى الهاشم روفائيل ابو جودة وجان سرور فزادت افادتها شهادة الهاشم تناقضا وظهر كذبهما ونفاقهما. فغضب القاضي عليهما غضباً شديداً وصاح بهما « كفاكما ورئيسكما كذباً وخداعاً وشهادة زور. قبح الله هذا اللؤم ». هذا كان آخر عهد الحزب السوري القومي الاجتماعي بعزير الهاشم وزمرته. وكان الحزب القومي الاجتماعي يعلم ان جميع الوقائع الهامة لجلسات ادارة « حزب الاستقلال الجمهوري » الذي كان الهاشم رئيسه، كانت تصل في اليوم التالي الى المفوضية الفرنسية بواسطة عزيز الهاشم نفسه وكل اعضاء ادارة ذلك الحزب يبحثون عن الخائن او الجاسوس ولا يدرون انه رئيسهم « الوطني الكبير الشيخ عزيز الهاشم » الذي عزله الفرنسيون من القضاء ذراً للرماد في العيون ليستخدموه في ما هو أفضل لهم من القضاء! ».

واني انقل هنا حديث الدكتور رثيف ابو اللمع الذي ورد في جريدة بيروت العدد 27 تاريخ 27 آب 1936 بهذا الصدد: « صباح امس استدعي الدكتور رثيف ابو اللمع الى دائرة الاستنطاق وسئل عما اذا كان عرض مساعدة مالية على الزعيم فاجاب « لما سجن الزعيم ومرض وذلك في التوقيف الاول، طلب يدعوني لعيادته. فلبيت

الطلب بعد ان سمح لي المستنطق بذلك وسألت الزعيم اذا كان بحاجة الى مساعدة مالية فلم يطلب غير الدواء فاشتريته وبعثت به اليه . وقد دامت معالجته للزعيم اكثر من شهر ونصف . واني اذكر بما اورده في حلقة سابقة ان للدكتور ابي للمع علاقة وثيقة بالزعيم منذ تعارفهما في الجامعة الاميركانية .

اما بصدد شهادة المحامي حبيب ابو شهلا فقد ادلى بها مؤيداً كلام الزعيم بعد مشادة بينه وبين المحقق عن صلاحيته بطرح اسئلة من هذا النوع على محام مباشرة دون استئذان نقابة المحامين بهذا الشأن ولكن انحلت المشكلة عندما أعلن له المحقق ان السؤال يرتدي الطابع الشخصي ، لاغير .

★ ★ ★

انهى المستنطق استجواب رفيق ابو كامل كما انه انهى استجواب شارل سعد وشقيقه ويكتور والمهندس بطرس ساحة وانطون حبيش وبصورة خاصة ركز هذا التحقيق على ادعاء عزيز الهاشم . لست ادري ماذا توخى المستنطق من التحقيق مع المطرودين . ان المهم في الامر ، مهما تكن الغاية من هذا التحقيق انه لم يزد اي شأن له اهميته سوى بعض المعلومات عن اسباب الطرد كانت صحيحة بالنسبة للواقع . اما عزيز الهاشم فقد خرج من هذا التحقيق وهو يشارك في الحملة المسعورة على الحزب متخذاً من جهة العلاقة المالية المزعومة مع ايطاليا الفاشية قميص عثمان مع انه عجز عن اثباتها ولو باشارة ضئيلة واحدة في التحقيق كما مر بنا . وثبت نهائياً ان مشروعه الذي قدمه للزعيم بصدد الحزبيين كما مر بنا في حلقة سابقة كان مشروعاً مشبوهاً .

في 27 آب طالب الزعيم بتحاويل مالية مرسله باسمه من مهاجرين على يد الرفيق جميل شكر الله . رفض الطلب بناء على ادعاء النيابة العامة ان هذه الاموال هي اموال حزبية يجب ان تصادر . وهكذا كان .

نشط مكتب التحريات باشاعة الاكاذيب والترهات حول العلاقات الاجنبية واضاف الى ايطاليا اكثر من دولة اجنبية اخرى .

محمد جميل بيهم

واتم هذا الموضوع بحديث محمد جميل بيهم لمجلة صباح الخير ، العدد 118 تاريخ 77/11/13 ادلى به الى الرفيق جان دايدة تحت عنوان « تكلم عن الوحدة فاتهموه بالحزب » « ماذا كانت ردة الفعل في اليوم التالي لصدور جريدة « بيروت » وهي تحمل



محمد جميل بيهم

نبأ استدعائكم من قبل النيابة العامة والتحقيق معكم بشأن علاقتكم بالحزب السوري القومي الاجتماعي الذي كان مطاردا من السلطة الاستعمارية وزعيمه معتقل في احد سجونها اللبنانية، وهل لسلسلة الحلقات عن سورية علاقة بذلك؟».

اجاب وهو يجلس في سريره: «اجل فانا كتبت في العقيدة السورية منذ 1922 العديد من الدراسات في جريدة «الرأي العام» لصاحبها طه المدور. ولذلك اعتقدوا ان ما كتبت في نطاق الوحدة السورية لابد ان يكون له خلفية حزبية او علاقة بالحزب الذي يقول بالعقيدة السورية ويناضل من اجلها».

س: - هل كانت لك معرفة بانطون سعادة؟

ج: - اجل لقد زارني في منزلي حيث تحاورنا حول مجمل القضايا.

س: - وهل اتفقتما؟

ج: - نعم، ولكن باستثناء موقف سعادة من العروبة.

س: - ولكن سعادة يقول بالعروبة الواقعية وحزبنا يناضل من اجلها.

ج: - انا اتخطى في مفهومي للعروبة الاطار الذي رسمه سعادة لها».

تمة التحقيق

في 27 آب استدعى المستنطق الرفيق معروف صعب من دمشق بصفته منفذاً عاماً لهذه المدينة التي اصبح للحزب فيها منفذية ولم يطل التحقيق معه ولم تصدر بحقه اية مذكرة توقيف وهذه المناسبة اروي قصة تعرف الرفيق معروف صعب على الزعيم.

« في دمشق، سنة 1931 ، في « الجامعة العلمية » لصاحبها سليمان سعد، من رأس المتن، جبل لبنان، وقع حادث هام، وهام جدا. امتنع طلاب مادة اللغة الانكليزية عن تلقي الدروس. كانت الغاية من هذا الامتناع اعادة استاذهم اليهم، استاذهم الملتحي، انطون سعادة، فهم لا يرضون عنه بديلا.

نزل استاذهم الجديد، معروف صعب، من الشويفات، جبل لبنان، عند رغبتهم واتصل بادارة الكلية يريجوها بدوره اعادة « استاذهم » اليهم فانباته ان هذا الاستاذ، هو الذي قرر مغادرة المعهد. ان المعهد ما استغنى عن خدماته.

عالج معروف الموقف على نور هذه المعلومات واستؤنفت الدروس بانتظام ومما قاله لهم « ان محافظتكم على محبتكم لاستاذكم الذي لا اعرفه يشجعني على الاقتداء به فاعمل للحصول على محبتكم - كما توصل هو اليها.

اعجب معروف بهذا التعلق بيديه تلامذة مادة عادية كمادة اللغة الانكليزية ، هذا التعلق الذي ان دل على شيء فعلى شخصية هذا « المدرس » الفذة الذي غرس محبته في قلوبهم الى هذا الحد.

ود معروف لو يتم تعارف بينهما فكان له ما اراد انما ببادرة من « الاستاذ سعادة » نفسه، الذي كان قد وصله، بواسطة احد طلابه، خبر موقف الاستاذ معروف صعب.

اكبر سعادة الموقف واشتاق بدوره للتعرف اليه فحضر الى ادارة « الجامعة العلمية »



معروف صعب

حيث التقيا. ومنذ هذا اللقاء ظل معروف يلازم هذا الاستاذ الملتحي فلا يمضي نهار واحد دون لقاء وحديث او بحث او مناقشة.

وبالمناسبة يروي معروف صعب ان سعادته اعطاه، مرة كتابا تاريخيا للمطالعة لقيمتها الجليلة وعندما انتهى من قراءته سأله رآيه فيه فكان جواب معروف عادياً.

كرر عليه السؤال عما اذا كان وجد فيه ما يدل على ناحية معينة يههما امرها فجاء جواب معروف بالنفي ايضا مع انه كان قد اعاد قراءته لاكتشاف ما يرمي اليه سعادته.

أخذ سعادة الكتاب منه وبعد ان قلب عدة صفحات منه اشار بسبابته الى مقطع مؤلف من سطرين او ثلاثة وقال له « اقرأ ». فقرأ وكأن غشاوة قد سقطت عن عينيه.

ان هذا المقطع يلقي ضوءاً على جزء تاريخي هام من تاريخنا السوري في موضوع « الري » تبرز فيه الشخصية السورية بجلاء ووضوح واوليتها في هذا المضمار.

وقد علق سعادته على هذا الامر بقول « يجب ان نستخلص تاريخنا السوري الصحيح من بين السطور فما اكثر المؤلفين القاصدين منهم او الاغبياء، الذين يطمسون تاريخنا وشخصيتنا القومية بل وبعضهم يعمل على تشويهها او اخفائها ».

مع ميشال زكور

كان الاستاذ ميشال زكور قد طلب من النيابة العامة السماح له بمقابلة الزعيم فأجيب على طلبه وقبل الزعيم بمقابلته. جرت المقابلة في غرفة المدعي العام الاستاذ وجيه الخوري وكان مع الاستاذ زكور شخص آخر فعرض على الزعيم تعديل عقيدة الحزب وجعلها لبنانية فتجرى المساعي لرفع الضغط عنه وعن الحزب والاعتراف بالحزب رسمياً كحزب لبناني.

وابدى المرحوم زكور رأيه في ان عقيدة الحزب ليست الشيء الاهم فيه وان اهم ما جاء به الحزب هو فكرة النظام. فرد الزعيم على رأي الاستاذ زكور ووضح له فساد فكرة الدولة اللبنانية وصحة العقيدة السورية ورفض الزعيم التزحزح عن العقيدة قيد شعرة مهما يكن من امر ضغط السلطة الانتدابية ورببيتها الحكومة اللبنانية.

ولما خرج الزعيم من السجن الثاني وكانت محادثة الاستاذ زكور لاتزال باقية في ذهنه، كتب هذا المقال في «النظام» ونشره في مجلة «الجمهورية» في عددها الممتاز المختص بعيد الميلاد ورأس سنة 1936. (وهو منشور في الآثار الكاملة، الجزء الثاني)

وقد جاء في هذا المقال: « علمت والحزب السوري القومي في محنته الثانية، ان احد اراخنة السياسة في لبنان خطأني في تعيين قومية الحزب وفي مرمى الحزب الاخير الذي جمع الامة السورية في دولة واحدة. وقال انه لولا فكرة الحزب القومية والسياسية لكان ينجح في لبنان نجاحا كبيرا لانه الحزب الذي اوجد التنظيم. والتنظيم في عرف صاحبي الارخون، هو كل الابداع الذي جاء به الحزب السوري القومي.

وكنت قد اجلت نظري في الحركات السياسية التي اتنها الفئات العاملة في السياسة في الوطن فوجدت انها هي ايضا لم تدرك من حيوية الحزب السوري القومي ونهضته القومية سوى فكرة التنظيم - التنظيم الظاهري في الصفوف والقمصان والرتب. وعلى فكرة «التنظيم» الذي هو بدعة الحزب السوري القومي في الشرق الادنى، نشأت حديثا كل الاحزاب والمنظمات اللبنانية، فالنظام هدفها والنظام قوتها. وبواسطة فكرة التنظيم عملت الفئات السياسية غير المنظمة، في كل سورية، على انقاذ موقفها وسدّ عجزها».

« ان النظام بلا قضية يخدمها لا يفيد شيئا ذا قيمة في الحياة عموما وفي الحياة القومية خصوصا».

« وما لا شك عندي فيه ان عظمة الحزب السوري القومي التي لا عظمة بعدها هي في ايجاد الوجدان القومي واطهار شخصية امة عظيمة كانت مهملة و ايجاد اسس نهضة تحقق وصول الامة الى مرتبة الحياة المثلى اللائقة».

« ان تغلب الحزب السوري القومي على الصعوبات التي وضعت في طريقه يعود الى سرّ المحافظة على النظام والتقيّد به. وهذا السر ليس في النظام نفسه بل في العقيدة التي وراءه وفي الهدف الذي امامه.

ليست فكرة التنظيم هي التي تقود الحزب السوري القومي، بل فكرة الحزب هي التي بعثت النظام وهي التي تقود النظام وتفعّل التنظيم».

« ان سرّ النجاح ليس في النظام بل في القوة التي تحرك النظام».

المعاهدة بين الشام وفرنسا

في 9 ايلول تم التوقيع على المعاهدة بين الشام وفرنسا. كان الوفد الشامي مؤلفاً من الرئيس هاشم الاتاسي، فارس الخوري، سعد الله الجابري، جميل مردم بك، مصطفى الشهابي، الامون حصي ونعيم انطاكي كمستشار حقوقي واحمد اللحام كخبير عسكري. وفي هذه الاثناء ايضاً بدأت المفاوضات لعقد معاهدة ماثلة بين لبنان وفرنسا. يتألف الوفد اللبناني من رئيس الجمهورية اللبنانية الاستاذ اميل اده ووفد رسمي يرأسه النائب بشارة الخوري.

ويقول الزعيم عن هذه المعاهدة في خطاب اول آذار 1938 ما يلي « الحقيقة ان عقد المعاهدة لم يكن الا استئثاراً للتنبه الذي احده ظهور الحزب السوري القومي. ولذلك جاءت معاهدة خالية من الشروط القومية الاساسية واقتصرت على بعض المطالب التي لاتعبر عن ارادة الامة بل عن وجهة نظر رجال « الكتلة الوطنية » غير المنظمين وغير واضحي الاهداف القومية، المنشئين سياستهم على الاعتباط والمناسبات.

وليس اظهر لسياسة « الكتوليين » الاعتبارية من حلة رجالهم على الحزب السوري القومي قبل درس مبادئه واهدافه وسياسته ومن ابائهم الاتصال به والاعتراف به وبجدارته لمعالجة القضية القومية والمسائل السياسية والتضامن معهم فهم غاروا غير شديدة على كبريائهم من ان يمسه تفوق الحزب السوري القومي بنظرته القومية الجليلة ونظامه البديع ونهضته الرائعة. ولم يريدوا ان يكتفوا بالمقدار الذي تمكنوا من اعطائه، اذ ليس ذلك من صفات الشركات السياسية بل ارادوا ان يدعوا كل شيء لانفسهم وان ينكروا على غيرهم مؤهلاتهم وابتكارهم. فبدلاً من ان يفتحوا الباب للتقارب بينهم وبيننا والتفاهم على خوض المعركة معا، والمعركة تلك كانت تحتاج لوجودنا



جميل مردم بك

والاستعانة بنظرياتنا ونظامنا، تجاهلونا وتجاهلوا الحدث العظيم الذي قمنا به والثورة التي ولدناها واهملوا الامكانيات التي اوجدتها نهضتنا واقتصرنا في مفاوضات سنة 1936 على المطالب عينها التي قدموها سنة 1928 ، بل على اقل منها» .

ثم يقول: « ايها السوريون القوميون ! ان حزبكم هو الذي قام بالنهضة القومية التي حلت وزارة فرنسا على انتهاج خطة جديدة تجاه سورية ولكن المتزعمين لم يحسنوا الاستفادة من الظروف الملائمة التي خلقناها ، بل استفادوا منها لعقد معاهدة لم يحتاطوا لجعلها مستوفية شروطاً اساسية واتخذوها هي احتياطاً لسياستهم . وعندما سألنا عن اسباب تراجعهم في المفاوضات سمعنا انهم قالوا: « ان الفرنسيين كانوا يرفضون البحث خارج النطاق الذي حددوه!!!» .

فَضِيحَةُ التَّهْدِيدِ

في 11 ايلول اخلي سبيل سليم البريدي ويوسف شقير بكفالة مالية مقدارها 150 ليرة لبنانية. اما في سياق التحقيق فنستطيع ان نقول انه كان يجري بنفسية انتقامية ومثال هذه النفسية حادثة التهديد الآتية:

« اني قادر ان اسممك في سجنك وادعي انك انتحرت » قالها له مدعي عام الاستئناف الاستاذ الفرد ثابت. فأجابه بكل هدوء: « ان الالوف من القوميين الاجتماعيين المنتشرين في انحاء الوطن قد سمعوا تهديدك هذا، يا حضرة المدعي العام ». وهكذا كان.

كنت حضرت الى بيروت لاتزود من آخر اخبار الحملة الاستنطاقية التي كانت تشنها الدولة وقد صادف في ذلك النهار ان كان الزعيم في قصر العدل في جلسة تحقيق. كنا عدداً من القوميين نحيط مدخل دائرة التحقيق وعلى رأسنا نهاد ملحم حنا واذ بصوت يهتف « الزعيم » فهرعنا صوب الصوت واذ بالزعيم وهو يمشي وسط دركيين يحرك يده ويشير باصابعه اشارات وجدتها غريبة. يرفع اصبعاً ويخفض أخرى او يرفع اثنتين بشكل من الاشكال، الخ... ونهاد يسجل على ورقة بعض الكلمات.

رافقناه الى سيارة السجن، الشاحنة الصفراء، المكمدة اللون وما برحنا اماكننا حتى انطلقت السيارة به الى سجن الرمل. التفتت الى نهاد استفسر منه عن معنى ما شاهدت فشرح لي لغة جديدة للتخاطب هي لغة البنان. فاصبع مرفوعة وحدها تعني حرف كذا، الخ... وان الزعيم نقل خبراً مفاده ان المدعي العام هدده بالقتل زاعماً انه سيقال وجد منتحراً.

هزني الخبر هزة لفتني من شعر رأسي حتى اخمص قدمي. ماذا تقول؟ هدده؟ الى

هذا الحد من الانحدار الخلقى تصل الامور؟ هل فكر حضرتته ان انطون سعادته متروك؟ ما العمل الان؟ يا نهاد!

كانت الخطوة التالية ان ذهبنا معا نقابل صلاح لبكي، المسؤول الاول ونقل نهاد اليه رسالة الزعيم الاصعبية وما على الرسول سوى البلاغ المبين.

في اليوم التالي كان وفد من انساب الزعيم الاقربين على رأسهم وديع الياس مجاعص يطلب مقابلة المدعي العام ويقدم له مذكرة يسجلون فيها عليه مسؤوليته في اي حادث يعرض حياة الزعيم للخطر اي خطر حتى الموت.

طبعاً، نفى المدعي العام وجود اية نية من هذا النوع. وتسابعت التسجيلات الاستنكارية لهذا التهديد من الجهات الحزبية كلها، القريبة والبعيدة، مما اوقع السلطة في ارتباك مشين. حققت كثيراً من كيفية تسرب التهديد الى الاهل والى القوميين الاجتماعيين ولكن دون جدوى في ذلك الحين. لغة البنان فضحت التهديد فسمعه بواسطتها الآلاف الآلاف من القوميين الاجتماعيين والمواطنين في طول البلاد وعرضها وفي ديار الاغتراب .

وقد نشرت الصحف بياناً حزبياً اصدرته لجنة الاذاعة هذا نصه: « اتصل بنا ان المفوض الصحي في مستشفى سجن الرمل ارتأى بعد فحص الاستاذ سعادته زعيم الحزب السوري القومي ان معاملة ادارة السجن احدثت له ضرراً فاحشاً في صحته فاضطر قائد السجن ان يرسل له فراشا. ولا يخفي على احد ان الاستاذ سعادته كان مضطراً للنوم على الارض دون فراش ولا غطاء في غرفته الصغيرة الرطبة. وقد اكد لنا محامو الدفاع هذا الخبر بعد مقابلتهم لموكلهم وشكر للصحافة اللبنانية حملاتها النزيهة على المعاملات السيئة الموجهة الى افراد الحزب وخصوصاً الزعيم وأكد لنا ايضاً انه لولا هذه الحملات لكان الاستاذ سعادته بقي لغاية هذا الوقت متوسداً الارض رغباً عن الحمى التي انتابته في غرفته الرطبة والتي اجتازت مساء امس التاسعة والثلاثين. شكراً لجميع الجرائد التي دافعت عن الحقوق الانسانية دون النظر الى الحزبيات ». كان الزعيم في هذا الوقت مضرباً عن الطعام.

اما عن هذا التهديد فيقول الزعيم في مقاله عن « ايام مي الاخيرة »: « ومع اني لم اكن احسن الظن بالنائب العام الاستثنائي الاستاذ الفرد ثابت، نظراً لموقفه الشاذ معي وانا قيد التحقيق ومحاولته استغلال وجودي في السجن ليلجأ الى الوعيد ».

في فترة الاعتقال

صدر في هذه الفترة التي نحن بصددھا مؤلفان ضد الحزب، كل منهما من منطلق معاكس للآخر وان متفقان من حيث الخصومة. الاول من منطلق شيوعي تحت عنوان «الحزب السوري» لمؤلفه فايز يارد والثاني من منطلق كنائسي ديني تحت عنوان «الحزب السوري مؤامرة على الدين والوطن» بقلم الخور اسقف لويس خليل. (منشور في باب الوثائق).

اما المؤلف المؤيد فهو بقلم الدكتور في الحقوق ميشال بولس وعنوانه «في سبيل سورية» او «تاريخ سورية هو تاريخ العالم المتمدن». واني اکتفي بشأنهم ان انقل ما ورد عنهم في مجلة «المكشوف» الادبية عن صدورهم. (منشور في باب الوثائق).

قالت «المكشوف» تحت باب «الكتب والكتاب» ما يلي:

الحزب السوري لمؤلفه فايز يارد

عادت الصحف تبحث من جديد في الحزب السوري القومي بمناسبة القاء القبض على زعيمه مرة ثانية وعلى بعض المنضمين اليه. وعاد الناس يتساءلون عن منشأ هذا الحزب، وعن السر في سرعة انتشاره، وفي هذا الاستسلام الاعمى للنظام عند المنضمين اليه.

ولكن السيد فايز يارد - وقد يكون من اعضاء الحزب المنشقين - قد كشف في كتابه «اصابع الاستعمار والفاشيستية في بلادنا - الحزب القومي السوري» عن سر نمو الحزب فقال ما حرفيته: «ان اعضاء الحزب السوري القومي يدخلون بين كل طبقات الشعب، بين الفقراء والاغنياء، بين العمال واصحاب العمل، بين الفلاحين

والاقطاعيين، حتى بين رجال الدين الذين يقولون بمحاربتهم، ويستميلون كلا من هذه الطبقات لاعلى اساس ما يؤمن به افراد الحزب، بل على اساس ما يؤمن به من يريدون ادخاله.

فاذا كنت ممن يؤمنون بالوحدة اللبنانية برهنوا لك ان الحزب انما هو لبناني محض، بمعنى ان لبنان سيكون بفضل ذكاء ابائه وتفوقهم سيد سورية. واذا كنت ممن يجذبون الوحدة العربية قالوا لك انما هدفهم عربي صرف، ولكن من يريد ان يبني بيتاً لا يبدأ بالسطح قبل الاساس. واذا كنت تعتقد بالوحدة السورية قالوا لك: «وهكذا نحن». ثم اذا عرفوا انك ممن يكرهون الديكتاتوريات قالوا لك انما حزبهم «مركزي» لاديكتاتوري، او انه ذو دكتاتورية «خفيفة» لان العمدة تراقب اعمال «الزعيم». واذا كنت اشتراكياً قالوا لك ان في برنامجهم مادة اشتراكية وهي ان «يكون الانتاج على اساس الاقتصاد»، واذا كنت شيوعياً قالوا لك ان حزبهم لا يختلف عن الحزب الشيوعي بشيء. واذا عرفوا انك ممن يكرهون كل هذه الاسماء الغربية وانك ممن تهزم الارجحية العربية وممن يريدون بناء غير مصبوغ بصبغة اخرى قالوا لك ان روح الحزب وبنائه مأخوذان من «المواهب السورية» الكامنة في «الامة السورية».

اما منشأ الحزب فلا يحدثنا عنه السيد يارد شيئاً. وكأننا به يجهل ذلك. ولكنه لا يلبث في مناقشته مبادئ الحزب السوري القومي ان يؤكد لنا علاقته بايطاليا، بل لا يلبث ان يخرج بنا من هذه المناقشة الى مقارنة بين الفاشيستية والنازية، ثم الى محاولة اقتناعنا بانها شكلان من اشكال الحكم خاضعان للرأسمالية البورجوازية، وان الشيوعية الماركسية هي الشكل الوحيد الذي يصل بصاحبه الى الديمقراطية الحقيقية فيشعر كل فرد من المجموع انه يحكم نفسه بنفسه.

وانت لا تكاد تقلب بضع صفحات من الكتاب حتى تحسن ان المبادئ الشيوعية وتغلغلها في نفس الكاتب قد سيطرت على روح الكتاب.

الحزب السوري مؤامرة على الدين والوطن

هذا كتاب آخر عن الحزب القومي السوري بقلم الخور اسقف لويس خليل (المرسل البطريكى الماروني) ولكنه كتاب يختلف موضوعه ونتيجته عن كتاب السيد فايز يارد الذي اشرنا اليه في عدد مضى في هذا الباب.

فان السيد يارد وصل في بحثه عن الحزب القومي السوري الى نتيجة تناقض النتيجة التي وصل اليها الخور اسقف خليل. مع انها في الواقع خصمان متحمسان لمبادئ الحزب وتعاليمه. فالاول يخاصم هذا الحزب لانه ذو نزعة فاشيستي بورجوازية، والثاني يخاصمه لانه يريد ان يفصل الدين عن الدولة، فتأمل كيف تلاقي اشتراكي شيوعي وكاهن رجعي في جبهة واحدة ضد عدو مشترك هو الحزب القومي السوري!

ومن اطرف ما ختم به الخور اسقف خليل ببحثه عن الحزب القومي السوري محاولته اثبات ان اعضاء هذا الحزب يقعون تحت الحرم، لان شروط الحرم - كما يقول بالاستناد الى نظريات علماء اللاهوت - هي اربعة:

1 - ان تكون الجمعية جمعية حقيقية منظمة مؤلفة من جملة اعضاء يعتمدون فيما بينهم على التعاون للحصول على غاية معلومة.

2 - ان يخضعوا لرأس واحد يستمدون منه الاوامر ويرتبطون به بقوة القسم او الوعد.

3 - ان تكون اعمال الجمعية سرية نوعاً.

4 - ان تكون مناهضة للكنيسة او للسلطة المدنية المشروعة.

والحزب القومي السوري قد تمت فيه هذه الشروط. فاعضاؤه اذن محرومون. ولكن الخور اسقف لم يقل لنا أيكون محروماً من ينتمي الى جمعية او حزب توفر فيه شرط واحد او شرطان من شروط الحرم الاربعة.

فاذا كان الشرط الواحد كافياً فاننا نتساءل عن الحكمة في تردد قداسة البابا عن انزال الحرم بالسنور موسولينى مثلاً وهو الدوتشي (الزعيم) الذي لا تخضع ايتاليا لرجل غيره. ؟

وجاء في جريدة البشير في العدد | 5054 تاريخ | 28 تموز 1936 عن هذا الكتاب مايلي: « وضع الخور اسقف لويس خليل هذه النشرة، وضمنها درساً عارض فيه مبادئ الحزب القومي السوري وانظّمته بتعاليم البيعة المقدسة، مبيّناً ان هذه الانظمة والمبادئ مناقضة تماماً للمبادئ المسيحية، وان الحزب بجملته جمعية سرية تعمل على مناهضة الدين وتقويض الوطن، متذرعة بوسائل تنافي الاداب المسيحية، بحيث يقع هذا الحزب واعضاؤه تحت طائلة الحرم النافذ كما هو محدد في قرار مجمع التفيتش المقدس الصادر في العام 1884 وقد حظي الاب المذكور بالمثل امام صاحب الغبطة

مار انطون بطرس عريضة البطريك الماروني الانطاكي السامي الاحترام واطلعه على نتيجة هذا الدرس مدوناً في نشرة تذاع على جمهور الشبيبة اللبنانية تنويراً للاذهان، فتنازل الخبر الجليل وبارك هذه النشرة وصدرها بمصادقته السامية.

في سبيل سورية

حاول الدكتور ميشال بولس في كتابه هذا ان يذكر سورية بانها معلمة العالم رقياً وتمدناً، وان ابناءها كان لهم في الحضارات الماضية اثر عظيم بارز. قال:

«غيرنا يحفر القبور»، وينبش الاثار، ويقرأ سطور الاولين، وينشر حولها الدعايات الهائلة لاحترام الحدود ومآثرهم ومفاخرهم، ونحن عن كل ذلك لاهون، ندرس تاريخ الناس، ونفخر باجماد الغير كأنه لا يوجد في هذه البلاد تحت كل حجر اثر طيب، وفي كل تربة ذكرى حميدة رائعة، وكأن اورشليم وبيروت وتدمر ودمشق وانطاكية وحمص وحماه وصور وصيدا وغيرها، وما حفظت لنا في بطنها من المفاخر، وما انحبت من الرجال لاقيمة لها ولا وزن، وكأنها غريبة عنا لا يعنيننا منها شيء».

• ولذلك تولى الدكتور بولس في كتابه «في سبيل سورية» - والعنوان قد سبقه اليه زميله الاستاذ السودا بكتابه «في سبيل لبنان» - تولى درس تاريخ سورية في العصور القديمة سنة 3500 ق. م. الى الفتح الروماني، ثم في العصر الروماني، ثم في العصر العربي على عهد الخلفاء الراشدين، والامويين، والعباسيين.

وقد خرج المؤلف من هذا الدرس بفكرة لا تبعد عن فكرة الحزب القومي السوري، او قل هي فكرة الحزب نفسها، وما الكراس الذي يبحث هذه الفكرة الا بمثابة دعاية لبثها ونشرها.

مَعْلُومَاتُ عَامَّة

جاء في جريدة البشير في العدد 5058 تاريخ 5 آب: بعد ظهر الأثنين في 3 آب كان أحد باعة جريدتنا البشير ماراً في ساحة الشهداء عند مدخل طريق الشام وهو متأبط عدداً من اجزاء الجريدة وبعض نسخ من النشرة المعنونة « الحزب السوري القومي - مؤامرة على الدين والوطن » وإذا بأربعة من الشبان هم ولا ريب من أتباع الحزب السوري القومي يعترضون طريقة ويتقدم أحدهم فيكيل له ولمؤلف الكراس السباب والشتائم مهدداً أياه بالضرب أن عاد الى بيع الكراس مرة أخرى والغريب في ذلك أن بائع الجرائد استنجد بواحد من رجال الشرطة كان على مقربة منه الى جانب الشرطي المشرف على تنظيم الحركة في تلك النقطة فأبي نجده واكتفى بأن أوعز اليه بالذهاب الى دائرة الأمن العام وتقديم شكواه مما أفسح مجال الهرب أمام المعتدين دون أن تعرف شخصياتهم الكريمة ومما جرى أيضاً أن أحد باعة الصحف كان أخذ قسماً من نسخ النشرة المار ذكرها بغية بيعها في شوارع المدينة وما أن عرضها للبيع حتى تصدى له فريق من شبان الحزب المذكور يهولون عليه ويتهددون مما أوقع في قلبه الرعب فعاد الينا بالنسخ شاكياً مذعوراً فنحن نلقت الى هذا الحادث نظر أولياء الأمر وحاة الأمن والحرية الشخصية في البلاد تاركين الى حكمتهم امر البحث عن المعتدين وقصاصهم بما يستحقون، ونسأل رجال الحزب القومي ومريديه والمعجبين بمبادئه أمثل هذه الطريقة تترقى البلاد وتنال أمانها من الحرية والأستقلال؟

وفي عددها 5060 بتاريخ 11 آب: في 11 آب ففتشت دائرة التحري في زحلة منازل بعض المنتمين الى الحزب القومي فعثرت فيها على عدة رسوم

للزعيم ضببطت جميعاً وبينها رسم مكبر كان معلقاً في جوار احد المنازل المفتشة ومكتوب عليه كلمة الزعيم وعثر أيضاً في منزل من تلك المنازل على فضلات كتاب كان السيد انطون سعادة قد بدأ بتأليفه وأسمه (نشوء الأمم) فضببطت اوراق هذا الكتاب وفهم أيضاً من بعض الأسانيد المضبوطة أن السيد سعادة كان يفكر بطلب الرخصة لحزبه بعد أن يكون انتهى من وضع برنامجه ولكن الحكومة هاجمت الحزب قبل أن يتقدم الزعيم بطلب الرخصة والمقول أن بعض موقوفي الحزب في سجن بيروت اضربوا عن الطعام ثلاثة ايام بسبب أن المستنطق رفض اطلاق سراحهم.

واتصل بمخبر الف باء في دمشق انه قد الف فريق الشباب المثقف من الدمشقيين حزباً جديداً غايته مناهضة الحزب القومي السوري في البلاد السورية الداخلية (لا الساحلية) ويريدون بهذه الأخيرة لبنان وذلك لما ثبت من أن هذا الحزب يعمل لحساب احدى الدول الأجنبية.

وفي جريدة النهار العدد 899 تاريخ 28 آب جاء ما يلي: تم اطلاق سراح بعض الموقوفين من اعضاء الحزب القومي من السويدا في 26 آب، واخيراً بعد ان قضى السيد فارس حمزة نحو شهرين في السجن لاتهامه بالانضمام الى الحزب السوري القومي أخلت الحكومة سبيله بالكفالة، كما اخلت سبيل السيد فهد العبد الله على اثر مظاهرة وينتظر الناس هنا الافراج عن الشباب الآخرين المعتقلين والموجودين في دمشق.

في السّجن

المحقق الوطني

كان المحقق الذي تولى عملية التحقيق القاضي حسن قبلان وهو اول محقق وطني يكلف بمهمة من هذا النوع. ان اول تأثير عملي لسعادة على الدوائر الرسمية في الدولة المنتدبة ان حولت مسألة ملاحقة او مقاضاة الحزب الى الدوائر القضائية الوطنية بدلا من المحقق الفرنسي او المحكمة المختلطة كما جرى في المرة الاولى عند انكشاف امر الحزب.

انا في هذه الايام، بعد مضي اربعين عاما، لا نرى لهذا التدبير اية اهمية ولكن في ذلك العهد، عهد الانتداب، أسما والاستعمار فعلا، كان لهذا التدبير مغزاه البعيد. كأن السلطة الفرنسية تريد ان تقول « لا دخل لي بهذا الموضوع. انه محلي فتدبروا اموركم كما يحلو لكم ».

وقع اختيار السلطة على القاضي حسن قبلان وكان نعم الاختيار او بالاحرى كان نعم المحقق لنعم متهم موقوف.

تحولت جلسات التحقيق الى مناظرات فكرية وما كان ليأخذ التحقيق الا قسطاً يسيراً من الوقت. كان من اهم نتائج هذه الابحاث ان خرج سعاد من الاسر بكفالة مالية من الوجهة القضائية اما من الوجهة الشخصية خرج من هذا التحقيق وهو يعتز بانه حول القاضي حسن قبلان الى صديق ظل وفيا الى آخر رمق من حياته.

اتصال بالمفوضية الفرنسية

وعن هذا التحقيق يقول الزعيم في رسالته الى القوميين الاجتاهيين من الارجنتين في



القاضي حسن سليم قبلان

آب 1939 فيما يختص بالعلاقة مع الدولة المنتدبة مايلي: « من جهة اخرى رأيت ان اسلك بكم طريق التأيي والهوادة تجاه سياسة الدولة المنتدبة، لكي لا يقال عني اني لجأت منذ البدء الى العنف واغلقت باب التفاهم، ولكي اعطي الدولة المنتدبة فرصة لظهار حسن نيتها، وسلوك سياسة التفاهم التي ادعت، تحت ضغط الحركة السورية القومية الاجتماعية، انها قدرت على انتهاجها.

فتحملت، ورافقتموني في تحملي، ضغط الملاحقات الثانية والسجن للمرة الثانية وفي اثناء هذا التوقيف الذي طال مدة اربعة اشهر ونصف وجرى بامر الحكومة اللبنانية، ابتداء الاتصال المباشر الاول بين الحزب السوري القومي الاجتماعي والمفوضية فاستقبل رئيس الغرفة السياسية وفد قبرصي - مراد واطهر رغبته في الاجتماع بي بعد انتهاء التوقيف وكانت الحكومة اللبنانية قد عجزت عن ضعضة صفوفكم على الرغم من محاولاتنا التي استمرت كل مدة التوقيف فاتصل بي الوفد وانا لا ازال في السجن وابلغي رغبة رئيس الغرفة السياسية فقبلت الاجتماع به.» .

النشيد الحزبي

في السجن، في هذه الفترة بالذات، وضع الزعيم النشيد السوري القومي الاجتماعي « سوريا لك السلام». ولهذا النشيد روايتان اسردهما على ذمة صاحبيهما. الاولى لرفيق سجين والثانية لويكتور اسعد. جاء في جريدة « النهضة»، عدد اول اذار الخاص، بتوقيع رفيق سجين ما يلي: « كان الزعيم في « الانفراد» المحاذي لغرفة الحلاق في السجن وكنت قد اتيت للحلاقة واذا بي اسمع صوتا اعرفه جيدا ينشد على لحن « ستنكارازن» نشيداً باللغة العربية لم افهم منها الا كلمة « سورية» التي كانت تتردد كثيراً فعجبت، اي نشيد ينشد الزعيم؟

النشيد الرسمي

سورياً! لك السلام
سورياً! انت الهدى
سورياً! لك السلام
سورياً! نحن الفدا.

★ ★ ★

نحن قوم لا نلینُ
للغمرات الطامعین
ارضنا فإمعینُ
للرجال الناهضین

★ ★ ★

كل ما فيها جیلُ
كل من فيها كريم
جوها صافي علیلُ
شعبها حرييم

★ ★ ★

يا جبلاً قد تعاليت
وتجلت كالحصون
يا نفوساً قد تسامت
فوق آسود المنون

★ ★ ★

نهضة هزت قروننا
وجلست عنا الخمول
امة نحن يقيننا
وحيوة لسن تزول

سجن الرمل، في فترة الاعتقال الثاني، 1936.

وفي عودتي رأيت ورقة صغيرة تطل علي من نافذة الزعيم الصغيرة فالتقطتها بحفة واستطعتها في جيبي ورحت اتلوها وحيدا في « القاوش » لاستطلع خبراً من الزعيم انا بأشد الشوق اليه .

فَصَصْتُ الورقة وقرأت، فاذا فيها النشيد مذيلا بامضاء الزعيم . اسعد : « في هذه الحقبة اعتقل الزعيم الاعتقال الثاني ووضع كل مدة سجنه في الانفراد وفي احد الايام كان مارا في رواق السجن فرمى الى قاوشنا بورقة صغيرة ملفوفة، تعلقناها واذا بها شعر جميل نظمه الزعيم في الانفراد، وفي اسفله يعلمنا انه نشيد يمكن انشاده على نغم الفولغا المشهور . « نحن قوم لا نلن للبغاة الطامعين - ارضنا فيها معين للرجال الناهضين، كل ما فيها جميل - كل من فيها كريم - » اجل كل من فيها كريم؟ ياويح جلابدك يا زعمي ! . كنا ستة قوميين في ذلك القاوش المزدحم، وعلمنا من الحارس موعد خروجه من الباحة في اليوم التالي فدرسنا لحن النشيد جيداً وانشدناه تحية له لدى مروره ولم نسكت رغم تهديد الحراس، فحكم علينا كلنا بالانفراد عدة ايام ومنعنا من مواجهة اهلنا في يوم المواجهة التالي . (جريدة البناء اول آذار سنة 1978) .

شرح المبادئ

وكما تمكن الزعيم من انجاز كتابه « نشوء الامم » في السجن الاول كذلك تمكن في سجنه الثاني من وضع « شرح المبادئ » الذي بلور العقيدة وصفها من التأويل غير المسؤولة ومن المخالطات الغربية، كما ورد في رسالته الرابعة الى غسان تويني في 26 ايار 1946 وكما جاء في رسالته الى سلمى الصايغ التالي نصها :

« ايها العزيزة سلمى !

يظهر ان السجن، مع كل ما يورثه من أذى ومتاعب، ليس عديم الجدوى، فقد تمكنت في الاسبوعين الاخيرين من اكمال العمل الاساسي الذي بدأته . وكانت حياتي، في هذه المدة القصيرة كثيرة الانتاج، مع كل الظروف الصعبة المحيطة بي . واني اعتبر انجازي شرح مبادئ الحزب في مدة لا تتجاوز اربع وعشرين ساعة اعظم عمل قمت به في حياتي في اقصر وقت . ان هذا الشرح الوجيز يحتوي تعاليم الحزب وايضاح قضيته . وقد انجزت، مع الشرح المذكور، اهم شغل في بناء الحزب منذ انشائه اي تكوين جذعه الذي هو عدة هيأت ومجالس دنيا وعليا . فقبل هذا الانشاء الجديد كنت اتصور الحزب رأساً وأعضاء دون صدر واكتاف، اما الآن فهو هيكل حي تام قابل النمو . اني اتعزى بذلك عن السجن . ولست اقول شيئاً غير صحيح اذا قلت ان

عملي كان الى حد كبير نتيجة الشعور بالعواطف المتبقية المرافقة لي واني مديون ببعض الاشياء المتفرقة التي كانت تردني بين حين وآخر من سلمى بقسم غير قليل من الدوافع النفسية .

ارجو ان تكوني بخير . انك ثمينة جدا لنا وللقضية وان عملك ضروري . واقبلي سلامي ولتحية سورية .
التوقيع

لولم اكن نفسي

ومن منجزات السجن مقاله « لولم اكن انا نفسي » جوابا على استفتاء وجهته مجلة « الجمهور » الى الابداء والمفكرين نشر في 22 تشرين الاول 1936 . (وهو منشور الآن في الآثار الكاملة الجزء الثاني).

زيارة

في 26 ايلول قام امين سر الدولة الدكتور ايوب . ثابت بزيارة تفقدية الى سجن الرمل لكثرة ماثير حول المعاملات السيئة التي تعرض لها الزعيم واعضاء حزبه ومع انه كان قد تلقى تقريراً تفصيلياً عن الوضع الجيد في السجن فمع ذلك احب ان يتأكد من ذلك بنفسه فكان له ما اراد وحصل على المشاهدات الطيبة التي يتمتع بها السجناء الذين نفوا له كل ما يقال او يشاع . جدير بالذكر ان الزيارة تمت في اثناء غياب الزعيم الذي كان في جلسة تحقيق عند المستنطق قبلان . على اثر عودته من الزيارة سأله مندوب جريدة « النهار » متى ينتهي التحقيق الذي طال ؟ فلم يجز جوابا .



الدكتور ايوب ثابت

عن الزعيم في السجن

وجاء في «عبدالله قبرصي يتذكر» الجزء الاول، الصفحة 147 تحت عنوان «عود على بدء».

ما كان مضي وقت طويل على لقائنا بالسيد كيوفر - الذي قرأت خبر وفاته منذ ثلاث سنوات لذلك لم يستغرب اني هتفت به في منزله في زقاق البلاط . استقبلني لتوه، وخرجنا نتمشى على الطريق، وهو يطمئنني بقوله: «لا، لا يوجد خطر كبير». ووعدي بالتدخل لاطلاق سراح سعادة، ولكنه لم يفعل، كان المحقق في ذلك الحين الاستاذ حسن قبلان الذي صار فيما بعد مديرا للعدلية، كان بين القضاة من اوسعهم اطلاعا واعلاهم كعبا وكان الى ذلك مقربا من الفرنسيين، يشقون بقوله ويحترمون رأيه. لقد ادرك منذ اللحظات الاولى انه ليس امام رجل عادي. فكان يستدعي المتهم الجديد. فيقدم له القهوة، ويمجالسه ويمزحه ويمجوره، لقد اكتشف فيه القائد والعلامة والعقائدي المؤمن الصلب وسعادة وثق به واحبه وظل يذكره بالخير الى آخر لحظة من حياته، تماما كما فعل مع معاون كمال الزاهد الذي مده في سجن الرمل، في الاعتقال الاول والثاني بالمراجع الضرورية لاكمال تأليف كتابه «نشوء الامم». ولكتابه «شرح المبادئ القومية الاجتماعية».

كان التحقيق يدور - اكثر ما يدور - حول العلاقات الخارجية ومزاعم عزيز الهاشم وما نسج حول هذه العلاقات من روايات وقصص بعد ذلك بعام او عامين. اتصل بي ابراهيم مخلوف واخوه مؤسسا وصاحبها مجلة «مجلة لبنان والشرق الاوسط» Revue du Liban التي كانت تصدر صغيرة الحجم باللغة الفرنسية. وطرحا علي اسئلة بخصوص الحزب وعلاقاته الاجنبية وزوبعته ونظامه شبه العسكري. اجبت عليها بالتفصيل. وكنت قد ترسملت بقرار القاضي حسن قبلان الذي برأ ساحة الحزب تبرئة كاملة من اية علاقات بالطلبان او بالامان.

ان توقيف سعادة كان بقرار سياسي. وخروجه من السجن كان يجب ان يتم بقرار سياسي، حسن قبلان ووجيه الخوري او ديمتري الحايك وحدهم لا يستطيعون اتخاذ القرار، القضاء السلطة الثالثة، المستقلة نظريا، المفصولة عن باقي السلطات نظريا، لم تكن لا ايام الانتداب ولا بعده مفصولة عن السياسة. يوجد قضاة في لبنان، الرئيس اميل ابوخير، الرئيس يوسف جبران، لا يوقعون الا حسب ما يمي عليهم القانون لا

السياسة. ومبدأ فصل السلطات كما تصوره مونتسكيو موجود في كتب الفكر السياسي والدساتير ولكنه حبر على ورق ولعل بالامكان القول، انه وان بقي فكرا محترما وموضع اخذ ورد، سلبا او ايجابيا الا انه في التطبيق العملي، سقط سقوطا مريعا ولذلك اقترحت يوما ان تعين محاكم « دولية » لمحاكمة المجرمين السياسيين، لا ان يحاكموا من قبل قضاة متحيزين حكما مع السلطة التي انتفض المجرمون السياسيون عليها!

لنعد الى الاستاذ حسن قبلان، بقي سعادة في « ضيافته » حتى اواسط الخريف، اي في مطلع تشرين الثاني 1936 .

كنت انا المحامي الذي يزوره باستمرار، ومنه اخذت مشروع قصة اسمها « دمية » ضاعت مع الاسف في ملفات التحقيق كما ضاعت الاوراق والمراجع التي ضبطت من منزله وفيها كل مواد كتابه نشوء الامم (الجزء الثاني) الذي لم يستطع إنجازها بسبب فقدان هذه المراجع وبسبب السجون المتلاحقة والدسائس والمؤامرات.

كان يشكو في السجن هذه المرة من آلام في كتفيه. ويحدثني عن اعصابه وكيف انها تعب، منهكة، ولاني خبرت السجن معه بضعة ايام، كنت اقدر مبلغ الاذى الذي يسببه الاسر. للاسير والسجن للسجين!!

لم يكن يخفي عليه شيء مما يدور في الخارج فالتقارير كانت تصل بانتظام والتعليقات تصدر بانتظام. الوسائل ليس وقت افتضاحها الان. فقد نحتاج اليها في مقبلات الايام او تحتاج اليها اجيال الجهاد الآتي.

لو كان بالامكان العثور على ملفات التحقيق. الذي قام به قبلان (توفي قبل ثلاث سنوات اثر مرض عضال)، لأمكننا ان نقرأ بخط سعادة اجوبته على الكثير من الاسئلة التي كان يطرحها عليه المحقق ويطلب اليه ان يكتب اجوبتها بخط يده...

بهذه المناسبة يتراءى لي ان القطعة الادبية الرائعة التي نشرتها مجلة « الجمهور » في 2 اذار 1936 تحت عنوان « لو لم اكن انا نفسي لاردت ان اكون انا نفسي »، كتبت في السجن وارسلها الزعيم معي الى المجلة (راجع المقالة في الاثار الكاملة الجزء الثاني صفحة 229) كم انا آسف ايضا ان القصة الادبية « دمية » التي سلمتها بعد استلامها من السجن الى المركز الحزبي العامل آنذاك فقدت مع ما فقد من اوراق سعادة الادبية والعلمية.

والآن وقد اقترب التحقيق من نهايته وبانتظار الافراج اورد بعض القصص
السجنية ابدأها بذكر المرحوم صالح العسل شريك فؤاد علامة الذي حكم عليه
بالاعدام واعدم. كان هذا السجن اوثق رسول يأتمنه الزعيم على المراسلات السجنية
بينه وبين الرفقاء الموزعين على غرف السجن. يتلوها ان الرفيق عجاج المهتار حل معه
الى خارج السجن « شرح المبادئ » الذي انجزه الزعيم كما مر معنا.

مع عجاج المهتار

دخل عجاج المهتار سجن الرمل في هذه الفترة من الاعتقال الثاني. وما اكتفى
بالتعرف عليه بل اكتملت معرفته به في زجه في الزندان وقد سجل في ديوان
« الزوبعة » هاتين المناسبتين في قصيدتين « الزندان » و « النظارة » - انقلهما لما فيها من
وصف رائع للروحية القومية من جهة ومن تصوير واقعي للوضع السجني والعدي من
جهة اخرى.

الزندان

[نظمت في « زندان » سجن الرمل، حيث قضى الناظم اثنتي وخسين ساعة مكبلاً بالحديد،
ومضرباً عن الطعام، وكان ذلك في 25 اغسطس 1936]

شـو هـمـيـنـي، الزـنـدان، وقـيـود السـجـون
وظلم، وظلام، وعـربـدة، ورهـبة وسـكـون
عمـحـبـتـك، يا سـورـيـة، حـالـف يـمـيـن
ما بـجـنـثـو. لو شـرـبـت كـاسـات المـنـون

★ ★ ★

عمـحـبـتـك يا سـورـيـة، حـالـف يـمـيـن
وشـاهـد، ضـمـيرـي، قـبـل كـل العـالـمـين
مـهـما يشـبـدوا الضـغـط عـالـمـبـدا امـين
بـفـدي حـيـاتي، وزهـر عمـري، ومـا بـجـون
بـفـدي لعـيـنـك، نـور عـيـني والضـيـا
ومـا بـجـون عـهـد مـحـبـتـك، يا سـورـيـة
ولـي بـيرضـى الحـب: تـجـديـف وريـا
فـي مـذـهـبـي سـتـيـن عمـرو لا يـكـون

في مذهبي ستين عميرو لا يعهود
آلي بيحنت باليمين وبالعهود

لما بنور الحق وجداني اشتعل
خلقه، جديده، خلقت. واعى عالوجود
طابت جروحي وصحّ جسمي من العلل
روحى شفت من كل ادران الجحود
عهد الكسل وآسى، وخلق روح العمل
عن جو عمري تكشحووا غيوم الجمود
وراح - الهنوى - والقول، وليالي الغزال
والمرمغة عنهود، سلمى، وعالخدود...

يا سجن، فيك العمر، بالفخر اكتمل
اهلا بجنك، والسلاسل، والقيود...
يا محجّ الظلم، تظلمك بطلل
تصير - عتمك - نور - جينالك وفود
جيناتا نحمل مثلما - الفادي - حمل،
اصفاد، تكبس بالملازم عالزناد
بالضغط، اهلا ومرحبا، ومهما حصل،
- شي منتظر - لى عن بلادو يذود
بس العقيدة الصادقة، ما بتفصل،
- عن معتقها - بعبس وتوزوق وعود
والقيود، والزندان، اركان الدول
والسجن سلم للمفاخر والخلود...

شلحنا - بوادي الموت - سكرات الكسل،
رحنا، بموكب حى عالقمه نرود

ان ما انفصل عن روحنا روح الحمل،
منظّل «علكة ذلّ» عنيب الاسود
ان ما ضحكنا للشقا ضحكة جذل،
عاذرة الاحرار ما إلنا صمود
ان ما عقصنا النحل، ما منجي عسل،
ان ما خشنا الشوك، ما منقطف ورود،
ان ما زرنا بذار، ما منحصد سبّل،
وان ما قلمنا العود، ما بيخضر عود...

حلّنا نظبط مقاييس العمل
ببلادنا، وعفوسنا واجب نسود
وقلوبنا، خفقاتها، تصبّ «الكل»
ورواحننا، تشق الفضاء بروق ورعود
و- سود - كتله - والمقطّع ينوصل
وتعود إلنا ارضنا - بهاك الحدود -
حاجي علينا يزحفو، جيوش وكتل
يوم برص، ويوم بيض، ويوم سود

مشينا: من «الوادي» العميقه... والجبل
عنا بعيد، والدرب وعمره بالجروود:
وادي، مريضه، غايصه بوحل «الجدل»
خيّم عليها النوم بكفان اللحود
بسكانها، ما بتحصي جيوش «الملل»
والطوايف، سابقه بلاد «الهنود»!!
وفيهما «الافاعي» مغلغلة بين الحلل
و «الضواري» الجايعه، ملوا الصرود
و «الثعالب»، ناصبه شرك الحيل
تصلي على الغزلان، وفروخ الفهود

و «الضفادع» جيشها التّم وحمل
 تا يصيدّ عصفات «الزوابع» بالسدود
 طلعتنا وسحقنا الكلّ، ما عرفنا الوجل،
 والقفل، ماشي، لا جدال، ولا ردود
 وصرنا ندّلي حبال، حتى المارحل
 معنا نشيلو من البلايا والركود
 ونعالج المروض، ونشل الشّكل،
 ونقيم حسن يصدّ - تيار اليهود
 صاروا يقصّوا حبالنا، ولّي اتصل
 فينا، يشدد فيه ويصيحوا: رقدود
 وعدنا ندّلي حبالنا، من غير ملّ،
 ويقصّصوها، ويشخروا «بنج» - العهد -
 ويراشقونا بالحجار، و «بالكلل»
 ويحاربونا - بالشوايعة - والصدود
 ويعركجوننا ويتهموننا: بالفشل
 ويقدّسوا «الاصنام»، بركوع وسجود

مشينا: ودم قلوبنا بجزم الجبل
 وثبة اسود منظّمه بموكب جنود
 بقيّة زوابع حمر، بقية اعادة بطّل
 فيّق ضمير المجدد، ورواح الجدود.
 من قلب عثم الدهر بالنور انرسل،
 مصلح، وهادي، وعبقري، بيعرف يقود
 بالتضحية، والصبر، علّمنا مثل
 والسجن، والزندان، والمنفى... شهود
 ولو درب طالت، عاجل بدننا نصل،
 ونشكّ عالقمه «الزوابع» بالبنود
 حتى، السعاده، تسود، ويصحّ الامل،
 والحقّ يفتقر «حصرمه» بعين الحسود

حبّ الامانة، فخر اثمار الجهود،
وفعل الخيانة، مثل زهر «الزيفون»
فعل الخيانة عار، والخفر الثبات،
عالصدق، وعهود الكرامه، للممات

★ ★ ★

يا سوريه، حقك مقدّس بالحياة
وتبقي بيدي الاجنبي، عار، وحنون
وتبقي ولادك نيامه، ذلّ وخنوع
ميّت، مكفن، بالدموع وبالشموع
أهون عليّ موت - بالزندان - جوع
ولا يموت حقّي الحّي والعادل المصون
ولا يموت حقّي والعدالة، وصير عيّي،
ولي صوت صارخ، بالسوعي، عاكل حّي
وان نخّ عظمي وذاب، روحي بصوت حّي
بتفجّ اركان المعازل والحصون....

النظاره

... وكنا في سجن الرمل، وعددنا يربو على المئة، وقد وضع كل منا في غرفة، منفردا عن
رفقائه - لسلامة التحقيق - وبعد توقيف طويل، واحتجاجات صارخة، واضراب عن الطعام،
استمر بعنف واجماع، خمسة ايام بلياليها، وقد اهتزت له دوائر المستعمرين واذانهم آنذاك دعينا
للاستجواب، قافلة واحدة، يشدّ ايدينا «الكلجات» وتربط بعضنا ببعض جنازير حديدية
طويلة، اثنين، اثنين، فوضعنا في «كميون» السجن معاً ووضعنا في «النظارة» معاً وقبل
الاستجواب!!!

.. وتكررت عملية استحضارنا الى العدلية على الطريقة المذكورة خمسة ايام، قبل الظهر
وبعده، وارجاعنا للسجن، وبدون استجواب!!!

ولما عيل صبرنا على تلك الشواذات، نظمت هذه الزجلية «النظاره» وارسلتها لحضرة المحقق
فكانت بمثابة «رقوة» شافيه، وفي اليوم التالي دعينا للاستجواب واخلي سبيل القسم الكبير منا
ولكن - بتحفظ.... - وكان ذلك في اواخر اغسطس 1936 .

يا محقق ضلّك لا يبق
بين عموم الخلايق
سهّل درب الاستنطاق
بتأخذ منا الحقايق
سهّل درب الاستنطاق
بتوجدنا للحق رفاق
صرنا بحاله ما بتنطاق
ومعنا شهود ووثايق

«بتفردنا» - بزندان - الرمل،
و «بالنظاره» بتجمعنا؟؟
ولما متلاقى بالجمال
منحكي كل شي في معنا
وعالكذاب منحمل حمل
وقبول الصديق برفعنا
بدنا يخف عليك الحمل
وتسهل كل الطرايق

عبطلبنا، صبحيه
وعصريه، صوب الديوان
حتى تزرينا، سويه
«بالمخفق» مثل القطعان؟؟
بين «هالاوبه» المجويه
سراق، وزاني، وسكران
مخمن - رجه عطريه -
فيها «بالمسطل» الرايق؟؟

بتحشرنا، تاتحرقنا
«بالحظاره» الجباره

... وعالوصله، بتعانقنا
جيشوش - البوق - الجراره
بيظهرناوي تخفنا
في « غازات » - النظاره -
وان كان ما بتصدقنا
جريلك خمس دقائيق

جهدك ما تحبس شبان
ومنزلنا تتحررى...
بكبرا، هدوا الحق يبان،
وبالاجمال منتبرا
وكل قيودك والزندان.
منقطعها، ومنصير بررا
ووجدانك وحدو تعبان،
بيبقى زمر - ياسايق

وبكرا بتشوف الايمان
مخالي الكاسات المرة
ومنعود بنفس الميـدان
نجاهد، للفكره، الحرة
ما بيعوقنا انسان،
لو لجيشو تنعشر كره
وبتقشع روح الوجدان
القومي، بديرتنا فايق

وعلى اثر وصول قصيدة « النظارة » الى المحقق قبلان استدعاه، بحضور الزعيم،
ودار بينها حديث ذو شجون والتفت الى الزعيم شاكيا له تصرف الرفيق عجاج واطلعه
على القصيدة. كانت النتيجة ان تبته الى ان لا يعود الى هذه « الشيطانات » وانه سيخلي
سبيله ورفاقه قريبا. وهكذا كان.

قصص سجنية

كاد الرفيق عبد الله الجميل ان يقع لقمة سائغة لوشاية وصلت الى مدير السجن محمد جواد الذي فاجأه في غرفته وهو يقرأ الرسالة التي وصلته منذ حين. فاجأه وطلب منه ان يسلمه الورقة حالا فامتثل للامر وتقدم نحوه حاملا الورقة الرقيقة النحيفة في يده وما كاد مدير السجن محمد جواد يمد يده ليتناولها حتى اصيب بصدمة غير متوقعة، طبعاً، وهي ان الورقة بدلا من ان تستقر في يده استقرت في فم الرفيق عبد الله الجميل الذي اطبق عليها وقامت بدورها بسياحة عبر زلعمه الى حيث... ليس من الضرورة ان نصف ردة الفعل عند مدير السجن او عند السجناء انفسهم فهي غنية عن البيان ولكن الذي اريد ان اسجله هو ان هذه الواقعة التي حدثت بهذا الشكل المسرحي لم تمنع المدير المذكور ان يستفيد من مواهب الرفيق الجميل في فن كتابة الخط فكلفه بكتابة عناوين غرف السجن وارقامها فوق ابوابها لتبقى اثرا يذكر يتناقله السجناء من عام الى عام ومن فوج الى فوج وقد ظلت هذه الكتابة الى ان زال سجن الرمل في الاحداث الدامية الاخيرة.



ومن هذه النوادر السجنية القصة التالية التي حدثت للزعيم. « جاءه الى السجن وهو في غرفة الانفراد، طعامه اليومي المعتاد ومع هذا الطعام رأس من البطيخ. والبطيخ حسب قوانين السجن المعمول به في الجمهورية اللبنانية (وقد يكون عند سواها ايضا) لا يدخل السجن الا مذبوحا. وصلت البطيخة الى باب الانفراد قطعتين. حاول الخادم في ممشى البناية ان يدخلها من « الشراقة » (الكوة المفتوحة في اعلى باب الانفراد) فلم تتمكن القطعة من العبور. طلب الزعيم من الدركي الحارس ان يفتح الباب ليصير ادخالها بطريقة سليمة فرفض بل امر الخادم بان يحاول ادخالها ثانية من « الشراقة » نفسها ففعل ولكن على حساب القطعة فقد تمعست وتشرشر منها الزوم.

كان رد الفعل عند الزعيم سريعا وحاسما فدفع بها الى خارج « الشراقة » تنطح الارض وراح يتمتم كلاما يدل على تدمره لهذه المعاملة الرديئة. ثارت حية الدركي لهذا الامر واعتبر تصرف هذا السجن اهانة له ولكرامته ولسلكه فراح يتهدد ويتوعد.

كل من عرف الزعيم في السجن تملكه العجب لهذا الضيق فمن عاداته ان يتحمل اكثر من هذا بكثير، ان من حيث حشره مع سفلة المجرمين او المصابين بامراض في « قاووش » ضيق، او من حيث الجوع فلا يأكل من طعام السجن الى ان يسمح له

بالطعام من الخارج.

لم تقف المسألة عند هذا الحد بل قدم الدركي « المهان » تقريراً عن الحادث الى أمر السجن حشاه بما وسعه خياله من وقائع مما ادى بأمر السجن ان يحضر بنفسه ليقوم بالتحقيقات اللازمة التي كانت حصيلتها - على غير عادة الأمر - الى اعطاء « السجن » الزعيم الحق فيما يختص بقبول طلبه فتح الباب وادخال البطيخة منه واكتفى بالاشارة الى قذف البطيخة الى المشى مما لا يليق بشخص مثله. استمع اليه الزعيم ولم يجر جواباً .

لغة البنان

واني اختم الآن هذه النوادر السجنية بالجواب على سؤال قد يكون خطر على الببال وهو كيف كان بالامكان ان يحدث اضراب عن الطعام في وقت واحد يشمل جميع الموقوفين القوميين الاجتماعيين وهم موزعون في عدة غرف في البناية الواحدة ثم في البنائيات الاخرى؟ كان الاتصال ميسوراً ما بين الغرف في البناية الواحدة وذلك بواسطة السجناء المسخرين للخدمة في ممشي البناية، من توزيع الخبز او توزيع الطعام او توزيع الصابون الخ... اما الاتصال من بناية الى بناية فهو من الصعوبة بمكان ان لم يكن مستحيلاً. ولكن ليس على القوميين الاجتماعيين متسحيلات او صعوبات فالعقل القومي الاجتماعي يستنبط الوسائل والطرق والاساليب ولذلك لم يعدموا وسيلة. فكيف كان ذلك؟

كان ذلك بواسطة لغة البنان، ايضاً، في طرف كل بناية من بنايات السجن فسحة للنزهة مسورة بقضبان حديدية، مسقوفة بالباطون المسلح فكان المتكلم بلغة البنان يستغل وجوده في فسحة النزهة لينقل الى المتكلم الآخر باللغة نفسها الرسالة المطلوبة من اخبار او استفهام عن الحالة او تعليقات، مثلاً، باعلان الاضراب في الموعد المتفق عليه وهكذا دواليك مما كان يجير ادارة السجن ويربكها ولم تكتشف هذه الادارة الطريقة التي كانت تستعمل مما دعاها الى توجيه اهتمامها الى افراد سلك الدرك ممن كانوا يجرسون السجن داخلياً فكانت تعتمد في كل مرة الى استبدالهم ولكن دون جدوى، بكل تأكيد.





مجلة العرفان

وكتب الشيخ احمد عارف الزين في مجلته « العرفان » في عددها شهر حزيران 1937 تحت عنوان: « الزعيم انطون سعاده»، « وكنا اجتمعنا به في سجنه الثاني 24 ساعة لقينا منه ذكاء نادراً ويجسن عدة لغات ويلم باثنتين.....».

الشيخ عارف الزين
صاحب العرفان



وجاء في مخطوطة كامل ابي كامل:

« اما في الشوف، المنطقة التي انتمي اليها فقد اربك ظهور الحزب بهذا المظهر القومي رجال السلطة كما اذهل الست نظيرة، سيدة دار المختارة، التي كانت صاحبة الامر والنهي في مصر الشوف والشوفيين فكان لا بد لها من تجنيد المؤمنين بها وبقيادتها من الوقوف بوجه هذا التيار من الشباب الذي بات يهدد نفوذها الكبير، فجندت رجال الدين من الطائفتين المسيحية والدرزية لشن حملات على المبدأ القائل بفصل الدين عن الدولة ومنع رجال الدين من التدخل في السياسة وازالة الحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب، هذا فضلا عن استعمال نفوذها على مخافر الدرك التي كانت تتحرك بأمر منها فوقف القوميون وقفة صلبة بوجه الدعايات التي كانت تواجههم في البيت وفي الشارع وبوجه الضغط الذي كانوا يواجهونه من السلطة، خصوصا رجال الدرك وبعض النواطير.

ففي سنة 1936 دخلت السجن خمس مرات بتهمة القيام بجولات في المنطقة واذكر منها اني كنت مرة في نوحا الشوف اتناول الغداء على مائدة الشيخ اديب عساف واذا بالدرك يدخلون المنزل ويقودوني مكبلا الى بعبداء. وفي التحقيق قلت بأني اقوم بزيارة الى خالتي مدللة فكان نصيبي ان ابقي ثمانية ايام في السجن.».

« وفي اوائل صيف 1936 اوقف الزعيم مرة ثانية لمصادرة رجال التحري نسخة عن مرسوم الطوارئ الذي كان الزعيم قد اعدّه وقد اتهم جورج حداد بتسليمه عن قصد او عن اهمال.

وفي هذا الاثناء حصل تأديب الصحفي عارف الغريب لتهجمه الوقح على الحزب وزعيمه من قبل منفذ بيروت الرفيق عبد الله الجميل واثنين من الاعضاء. وجرّت هذه الحادثة لكثير من التحقيق مع الزعيم بقصد النيل منه لكن كلها باءت بالفشل وانحصر العقاب بشخص الفاعلين ومنفذ بيروت

★ ★ ★

في 28 تشرين الاول بدأت محكمة الجزاء بمحاكمة المتهمين بتأديب الصحفي عازف الغريب فطلبت النيابة العامة تأجيلها حتى يصل الملف اليها.

في 29 تشرين الاول اضراب في صيدا وبعلمك وفي طرابلس وقد وزع اعضاء الحزب على الجدران في بيت مري. مناشير وفيها احتجاج على المفاوضات.

محاكمة رفقاء اميون الكورة

كان الرفقاء عبد الله سعادة، شفيق غنطوس، بهزاد نصار، فضل الله عازار، والبير موسى فيصل الذين اوقفوا او سلموا انفسهم الى سراي اميون بعد المعركة التي تسببت بها المظاهرة الحزبية امامها قد نقلوا الى سجن طرابلس ثم احيلوا الى المحاكمة فكانت النتيجة صدور حكم بالسجن عشرين يوماً لكل منهم مع دفع الرسوم وكان هذا الحكم قابلاً للاستئناف فاستأنفوه بالرغم من معارضة بعض المحامين خشية من ان يأتي الاستئناف اقسى صرامة.

والآن نتركهم احراراً بموجب كفالات مالية ينتظرون تعيين موعد الاستئناف في بيروت ونعود الى سجن الرمل لنجد الزعيم ينتظر ختم التحقيق ولهذا الغاية كان يستدعيه المحقق حسن قبلان كل يوم الى دائرته في قصر العدل. ولكن يجب ان نسجل من اجل الحقيقة ان الاستدعاء كان حجة مستترة تخفي رغبة القاضي النزيه حسن قبلان بمنح فترة زمنية من الراحة للموقوف انطون سعادة يستعيد فيها انفاسه من كابوس الانفراد والمعاملة الرديئة في السجن وظل يمارس هذه الوسيلة حتى يوم الافراج في السادس من تشرين الثاني.

المُظَاهَرَةُ أَمَامَ سَجْنِ الرَّمْلِ

جرت هذه المظاهرة برغبة من الزعيم نفسه يقضي بالتظاهر امام سجن الرمل احتجاجا على اعتقاله. وقد تمت هذه المظاهرة على احسن ما يرام كما سيأتي. اما عن كيفية ايصال رغبة الزعيم فاني اورد ما جاء في رسالة الرفيقة عفيفة حداد في رسالتها الي في 22 تشرين الثاني 1977 : « عندما كان الزعيم في السجن وعندما كنت آخذ له الطعام وبعض الالبسة، كنت انا الوحيدة القادرة على مقابلة الزعيم ومدير السجن، لا اذكر اسمه انما لا ازال اذكر هيئته، قصير القامة ومتجسم (هو محمد جواد) كان يسمح لي وكنت آخذ من الزعيم الاوامر مكتوبة على ورقة بالحامض وعلى الصفحة الثانية ما يريده ومرة كتب « اريد كتاب Demonstration » فمرت الورقة بسلام وكم ضحكنا يوم المظاهرة عندما جرت حول السجن».



عفيفة حداد



حسين علي البنا

وتولت القيادة الحزبية المركزية دعوة القوميين الاجتماعيين الى التظاهر امام سجن الرمل خلال اربع وعشرين ساعة وقد وُقت موعده في الوقت الذي كان يجري احتفال شعبي باستشهاد رفيقنا حسين البنا في فلسطين على اثر غارة جوية على المقاتلين. كان ذلك في 23 ايلول 1936. دفن الشهيد في مقبرة «بلعة» التابعة لقضاء نابلس.

الشَّهِيدُ بِنَا

(كما ورد عنه في «سيرة شهداء الحركة السورية القومية الاجتماعية، الجزء الاول»)

ان ارقى النضالات، تلك التي تحقق انتصارا بعد ان تتوج بالاستشهاد المؤيد بصحة العقيدة. لذلك استشهد سعادته: وعلى خط النضال المشدود لاستراتيجية النهضة ومسيرة الصراعية، تسقط قوافل الشهداء، ممهدة الطريق للانتصار الذي لا مفر منه. ولنعرف لشهدائنا الابطال، هو تعرف لجزء هام من تاريخ حزبنا ونهضتنا.

حسين البنا اول شهيد للحزب... سقط في فلسطين

الرفيق الشهيد حسين البنا ابن عائلة فقيرة معدمة، حرمه الدهر والعوز من تلقي العلم، يوم كان العلم حكرا على ابناء العائلات الاقطاعية... لكن هذا الواقع المعيشي لم يجرمه من الالتحاق بمدرسة الحياة، مدرسة النهضة السورية القومية الاجتماعية التي في كنفها تألق الشهيد في نضاله وصولا الى اعلى مراحل العطاء، الشهادة، وفي اشرف المواقع مواقع الصراع ضد الهجرة اليهودية الاستيطانية على ارض فلسطين.



حسين البنا

حياة الشهيد مرت بعدة مراحل، اتسمت جميعها بالتمرد على الواقع القائم، فحالة الفقر والعوز التي كان يعيشها في قريته شارون دفعته الى ان ينتقل الى بيروت ليعمل بائع كاز على « طنبر».. وليلتحق في الوقت نفسه بالحزب الشيوعي.. الا ان وجوده في بيروت - منطقة ساقية الجنزير - اتاح له الفرصة لكي يلتقي بالامين عجاج المهتار الجزيل الاحترام ويتعرف بواسطته الى فكر النهضة، فكان ان التحق بالحزب السوري القومي الاجتماعي في ايار 1936 حيث كان مثال القومي الاجتماعي في نضاله.

وفي نفس العام... تعرض الحزب من جديد الى الملاحقة والاعتقالات من قبل سلطات الانتداب... وفي ظل هذه الحالة المستجدة في لبنان انتقل الرفيق الشهيد الى مواقع نضال اخرى... انتقل الى فلسطين ليواجه الهجرة اليهودية الاستيطانية تلبية لنداء الزعيم الذي دعا فيه القوميين الاجتماعيين الى دفع هذه الهجرة بكل قوته... والمواجهة في فلسطين مع العصابات اليهودية كان لها وجه آخر، وجه الكفاح والصراع المسلح ليس فقط ضد اليهود بل ضد دولة الانتداب ايضا... حيث كانت ثورة شعبنا في فلسطين عام 1936 تمر في اكثر الظروف حدة... فما كان من الرفيق الشهيد الا ان يلتحق باحدى المجموعات المقاتلة التي كان يقودها الشيخ محمد الاشمر من دمشق...

وخلال هذه المرحلة من النضال تعرضت منطقة نابلس، حيث كان الشهيد البنا، الى قصف من الطيران البريطاني... سقط على اثرها شهيدا في 23 ايلول 1936 فروى ارض فلسطين بدمه ودفن في قرية بلعة، قضاء نابلس.

ولاستشهاد الرفيق حسين البنا معانيها وقيمتها في تاريخ حزبنا... فهو « اول شهيد

من الحركة السورية القومية الاجتماعية يسقط في الصراع القومي المسلح المباشر ضد اليهود، هكذا وصفه سعادته في حفل التأبين الشعبي الذي اقيم له في مسقط رأسه شارون».

كانت التلبية ممتازة وتوافد القوميون الاجتماعيون من كل المناطق الحزبية والتقوا جمعاً ضخماً امام سجن الرمل وفيما يلي وصف هذا الاستعراض على لسان الرفيقين عبد الله ايوب التابع لمنفذية طرابلس وجورج عبد المسيح والدركي داوود ذيبان الذي كان مولجاً بجراصة مدخل السجن. قال الرفيق عبد الله ايوب: «دعت منفذية طرابلس جميع القوميين للتوجه الى بيروت دون معرفة اسباب هذا الذهاب فليينا الامر: كان اجتماعنا في محلة وطا المصيطبة وهناك علمنا بان الحزب قرر التظاهر امام سجن الرمل حيث كان الزعيم يقضي سجنه الثاني فمشينا من وطى المصيطبة مشياً على الاقدام بصفوف نظامية. كان قائد المظاهرة الرفيق ويكتور اسعد وعند وصولنا امام السجن رأينا الدرك بكامل سلاحهم امام باب السجن وعلى السطح ومن كل جهاته. فاعطانا القائد ايعازاً بالوقوف امام الباب ونحن بصفوفنا لم يداخلنا اي وجل من وجود رجال الدرك رغم اننا لم نعم ما هو دورنا هناك. هل لمجرد التظاهر ام لاقتحام السجن؟.

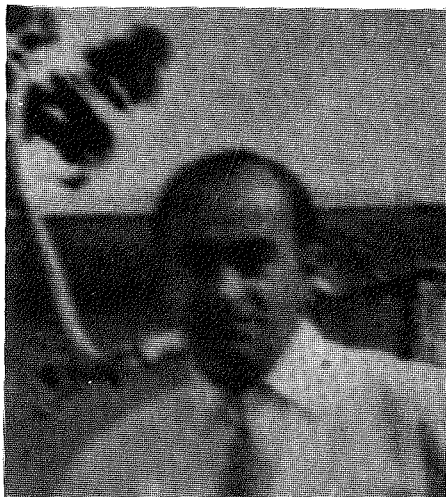
ونحن في هذه الحالة اذ بصوت الرفيق اسعد يهتف: «يا ابناء الحياة!! ان الزعيم في السجن فهل ترضون؟» كان جوابنا عالياً «كلا» وكان الهتاف ثلاثاً وبعدها هتاف بحياة سورية والزعيم وتفرقنا بعد اعطاء الايعاز» شارك في هذه العملية الرفيق عجاج المهتار.

قال جورج عبد المسيح في يومياته، الجزء الاول: «الزعيم في السجن... نحن نقيم على تل «قرب تربة الدروز» مأتماً لشهيدنا في ثورة فلسطين. هكذا ولهذا كانت دعوة الرفقاء... هناك اعلن لهم العزم على السير بتظاهرة نظامية تمر امام سجن الرمل حيث الزعيم في سجنه الثاني. كان ويكتور اسعد مكلفاً بقيادة «الفصيل» الامامي... وغيره لباقي الفصائل... كل امر مسؤول عن رجاله... نقف امام السجن مدة دقيقتين فقط... نهتف كلنا بحياة سورية وسعادة... نسير مئة متر فقط بعد السجن وعند نقطة المئة متر يصل كل فريق ويتفرق بسرعة...»

تفرق الكل... وبقينا لنشرف على سلامتهم. معنا الامين كامل ابو كامل. ما كادوا يبتعدون عن منطقة الخطر حتى اطبقت قوتا الشرطة من المدينة والدرك من

السيار... ما امسكوا احدا... سرنا نحن امامهم بسيارتنا. درنا وعدنا لنراقب...
امسكوا بضعة عشر حورانيا ما كانوا منا، ومنهم من لم يكن معنا... ما اعفوهم من
عدد من السياط بامر المحقق الاستعماري بداعي الهجوم لانتفاذ سجين موقوف بامر
السلطة الفرنسية... حوكمنا بعدها...».

وبهذه المناسبة اودّ ان اسجل ان السوريين القوميين الاجتماعيين في الكورة لبوا امر
الاشترك بهذه التظاهرة وكانوا بقيادة مدير مديرية عفصديق حبيب ملكي. كما ان
الرفيق فؤاد حداد كان على رأس المشتركين من بيروت.



فؤاد حداد



عجاج المهتار

ويقول الدركي ذبيان في مقابلة صحفية مع مندوب جريدة البناء في العدد 307
تاريخ 24 كانون الاول 1977 : « في يوم من الايام، وكان نهار احد، كنت منوياً
في حراسة الحبس، واذا بي اشاهد جمعا من البشر يتقدمون باتجاه ابواب السجن، وكان
عدد افراد هذه المجموعة لا يقل عن 500. اصطف هؤلاء حول السجن على طول
الخط. بعد ذلك بدأت المجموعة بالتقدم، وفجأة صرخ احد الاشخاص بصوت عال:
« هل الزعيم يجبس؟ » فاجاب الجميع بصوت واحد: « كلا ». وعندها عرفت انا ان
الجواب - كلا - ادركت ان الجماعة تريد مهاجمة الحبس.
ولم يكن عندي في ذلك الوقت سوى 5 أو 6 من الدرك واربعة خفراء ايضا.
فاستنفرت الدرك، وطلبت من كل واحد منهم ان يحمل بندقيته ووزعتهم على ابواب
السجن. وبالرغم من ذلك وجدت ان اللهجة القوية التي كانوا يصرخون بها مازالت
على حالها، بل ازداد صوتهم قوة، فاحترت في امري. لكنني سرعان ما قلت في نفسي

ان افضل حل ان اذهب لعند الزعيم واطلب مساعدته . في ذلك الوقت لم يكن الزعيم قد سمع اصواتهم بعد ، ولكن عندما تقدموا باتجاه الباب الرئيسي سمعهم ولما رأني قادمًا باتجاهه سألني : « ماذا هناك ؟ » فقلت له : « هل تقبل ان تكون هناك جماعة تريد مهاجمة الحبس ؟ وهل تريدنا ان نقاوم هذه الجماعة ؟ انا مسؤول ، فما تريدني ان افعل ؟ » وقلت له ايضا : « ليك ، يانطون ، كل محبتي لك لن تمنعني من القيام بواجبي اذا هاجوني » فقال لي الزعيم عندها « اخبر المجموعة عن لساني ان هذا العمل يؤخرنا ويؤخر مسيرة نهضتنا ويضر بنا في نفس الوقت ، وهذا مالا اریده » .

عندها خرجت الى البوابة لابلغهم مقولة الزعيم وجدت انهم ذهبوا بهدوء . وفي اليوم التالي جاء ضابط الحبس . فاخبروه بالحادثة فجاء يشكرني على الطريقة الذكية التي دافعت فيها عن السجن » .

وقد تعرض هذا الدركي لاستجواب من قبل المستنطق الفرنسي محاولا ان يتعرف عن طريقه ولو على واحد من هؤلاء المتظاهرين ولكن عبثا حاول لان الدركي ذبيان لم يكن بالفعل يعرف احدا منهم .



مظاهرات الوحدة السوريّة

كانت مدينتا طرابلس وصيدا مركزين اساسيين من مراكز المظاهرات المؤيدة للوحدة السورية وقد اشتركنا فيها في طرابلس كما ذكر الزعيم في خطاب اول اذار 1938 والذي نوهت عنه في حلقة سابقة وكذلك اشترك عادل عسيران والشيخ عارف الزين الزين في مظاهرة مماثلة في صيدا وافي انقل فيما يلي عن المظاهرتين من كتابي « حقائق عن الاستقلال ايام راشيا » و« مع انطون سعاده » الجزء الاول، ما كتبه عن مظاهرات صيدا واللقاء في السجن .

عن طرابلس تحت عنوان « اليوم الثامن » : « اخبرت انيس (انيس فاخوري) عن عفوية التقائي بعبد الحميد كرامة فانتقلنا الى طرابلس الفيحاء ، عروس الشمال ، العاصمة الثانية ، نجول فيها مشتركين في المظاهرات الشعبية سنة 1936 . كان يومها ، عبد الحميد افندي لا ينازع في قيادته للمدينة ، كلمته المسموعة لاشريك لها . كلمته هي القول الفصل . المدينة تخضع لاشارته خضوعاً كلياً . « هو الافندي » . « هو المفدي » (اي المفتي) . حاصر الفرنسيون المدينة . احتلوا مداخلها الداخلية ، ولكن المظاهرات كانت تجري في الاحياء الجوانية . كنا نأتي من الاسكلة الى التل . ما كانت المواصلات بينها منقطعة ثم نأتي من التل الى المقبرة الكبيرة عند باب الرمل سالكين شارع العجمي . ثم بناء متداعي المظهر ، كنا ندخله من جهة المقبرة لنخرج من الجهة الخلفية الى زقاق يؤدي الى زقاق آخر فالى بوابة الحدادين فالاحياء الجوانية .

عرفت ، الآن ، سر اكتشاف انيس لهذا البناء . ساكنه صديق انيس او صديق صديق انيس ، ما عدت اذكر . كان انيس يستأذن لانه مشغول يريد ان يشترك في عمل ما داخل البلد فعرض عليه خدماته وكان سر البناء . كم خدمنا هذا السر . كأنه

« سمس » سر باب مغارة علي بابا والاربعين حرامي . اتينا على ذكر نجلا ، نجلا معتوق حداد ، رفيقتنا الى هذه المظاهرات اكثر من مرة . اتينا على ذكر رفيقتنا ناصر المصري . عندما انقذنا في اثنائها ونحن آتيان من منزل انيس مشيا على الاقدام لنستقل سيارة من الاسكة الى التل واذا نحاصر بين متظاهرين هارين من نيران العسكر وبين العسكر انفسهم . فلا الهرب مع المتظاهرين يجدي ولا البقاء حيث نحن ، عرضة لنيران الرصاص القاتل ، يجدي . في هذا المأزق المميت ، المحقق بنا ، لفت سيارة الكوع وعندما وصلت الى جانبنا خفت سيرها ها هو ناصر ، راكبها الوحيد ، بلهجته المعهودة يدعونا الى امتطائها في المقعد الخلفي . فعلنا مبتهلين الى الباري تعالى الذي ارسله لنا . كان قد رأنا وادرك الموقف . بارك الله به وبسرعة بداهته .

ما كادت السيارة تسير عدة مئات من الامتار حتى اوقفتها دورية من الجنود العلويين ورؤوس حربات بنادقهم في صدورنا . وصل أمرها الفرنسي . خاطبته بالفرنسية . ما وجد ما يريبه . امر باستئناف سيرنا . كنا يومها على اتصال دائم بعبد الحميد كرامة وباركانه . كان شعار المظاهرات « بدننا الوحدة السورية ، اسلام ومسيحية » . كذلك كان الاتصال الحزبي في بيروت .

اما عن صيدا تحت عنوان « لقاء في السجن » فانقل ما يلي : « من مرويات الزعيم عن سجنه الثاني سنة 1936 لقاء مع عادل عسيران والشيخ عارف الزين وسواهما . جرى اعتقالهم جميعاً بسبب مظاهرة في صيدا تطالب « بالوحدة السورية ، اسلام ومسيحية » .

كان هذا اللقاء فرصة لتجديد الاحاديث والاجاث مع عادل عسيران الذي كان عضواً في الحزب منذ سريته وانحاز الى المظاهرات الشعبية يقارع الاستعمار عن طريقها ثم عن طريق السجن كما هي الحال الآن .

كان هذا اللقاء فرصة للعودة الى المبادئ وبعدها عن الغوغائية . وكان من نتيجة تلك الايام القليلة التي قضياها معا ان تعهد عادل للزعيم بالعودة الى الحياة الحزبية ولكن ...

بَعْدَ السَّجْدِ



الافراج

على اثر الافراج وجه الزعيم هذا النداء الى القوميين الاجتماعيين:

« احبيكم واهنتكم بموقفكم الشريف في سبيل القضية القومية التي نعمل لها . ان هذا الموقف هو دليل حي على روح النظام التي هي من فضائل نهضتنا .

اني اخرج من السجن بكفالة مالية قدرها خمسمائة ليرة لبنانية سورية عائدا الى وسطكم لتتابع معا عملنا القومي الصحيح وخططنا السياسية بدون اي تغيير او تبديل فيها . ولقد كان هذا اول تصريح اعطيته حال خروجي من السجن واني اثق من ان فهم روح نهضتنا القومية ونظرياتنا السياسية - كما هي واضحة في اعمالنا وتصريحاتنا سيساعد على ازالة جميع الصعوبات التي اعترضت سبيلنا في لبنان وخارجه .

ان موقفنا السياسي فيما يختص بالسياسة الجارية والاضواغ الحالية، لن يكون على غير ما اعلنه في « البلاغ الازرق » الصادر بتاريخ 15 حزيران سنة 1936 وعالجنا فيه القضايا السياسية الحالية، ولن يكون على غير ما هو واضح في شرح غاية الحركة السورية القومية وخطتها .

ان هنالك اخطاء سياسية فاضحة ارتكبت من جانب غير جانبنا ساعدته على اضعاف الضبط القومي للمسائل السياسية كنا اشرنا اليها في بلاغنا المذكور آنفا . ومما لا شك فيه ان تلك الاخطاء تؤيد اقتناعنا بصواب الطريقة التي اعلنها في البلاغ المذكور في معالجة المسائل المعروضة للبحث وبوجوب المحافظة على سياسة السوريين القوميين المستقلة . ان الخطة التي انتهجناها للسير نحو هدفنا الاخير هي الخطة التي لن نحيد عنها وهي الخطة التي تقول بعدم تجاهل الامر الواقع حين معالجة القضايا

السياسية وعدم الخروج على هدفنا ومبادئنا .

ان الامر الواقع يقسم سورية الى عدة مناطق اقرها الاعتراف الانترنسيوني ووجد منها معضلة في الحقوق القومية والانترنسيونية تحتاج الى كل ما في نهضتنا من مرونة سياسية وشكلية لحلها . وهو ما نشعر بوجود القيام به وهو هو ما تجب علينا معالجته على غير الاساليب العتيقة التي اضررت بحياة الشعب ولم تحقق شيئا في مصلحته .

ان مطالب العمل السياسي لفروع الحركة السورية القومية المنتشرة في لبنان والشام وفلسطين وشرقي الاردن والعراق وضرورة الاهتمام بالعمل السياسي العلني توجب علينا الاهتمام بالبرامج السياسية الخاصة التي يجب ان تقرر لكل فرع من فروع الحركة السورية القومية بطريقة يمكن معها العمل للغاية الكبرى بدون تعريض سلامة الحركة للخطر .

ان سلامة الحركة القومية الاجتماعية وتأمين مطالب العمل السياسي في لبنان تجعلان الاهتمام بوضع برنامج لفرع الحركة السورية القومية في هذه البقعة امرا ضروريا يوجب عقد مؤتمر لاركان الحزب في لبنان لدرس الموقف وتعيين خطة العمل وهو ما سنباشر به حالما نرتاح من عناء السجن ومن درس النقاط الهامة مع المعاونين . وبعد ان نفرغ من اعداد برنامجنا السياسي في لبنان نبدأ باعداد برنامجنا للشام ثم لفلسطين ثم لشرقي الاردن ثم للعراق . وانا واثقون من ان هذه الطريقة ستفسح لنا مجالا واسعا للعمل القومي وتفتح لفروع الحركة السورية القومية طريق التقدم ومعالجة القضية القومية بصورة عملية لا تهمل معها الاستفادة من القضايا المحلية وما تقدمه الظروف المحلية من امکانات .

ان خطة ايجاد برنامج خاص بكل فرع من فروع الحركة السورية القومية تسهل له العمل ضمن اوضاع الحال الراهنة وتنقذه من سوء فهم قضيته في الخطة التي يجب علينا ان نهتم بها لانها الخطة العملية التي مشينا عليها .

ان خصوم الحركة القومية لا يعدمون ان يجدوا في كل خطة سياسية فنية من خطط الحركة موزعا للتأويل فمنعنا لاي التباس ، نصرح بأن مبادئنا ستظل هي هي ، وبأن كل برنامج سياسي فرعي سيكون مؤسسا على هذه المبادئ ، ومستمد منها .

★ ★ ★

قصيدة معلوف

وبمناسبة الافراج انشر القصيدة التي القاها الرفيق رشدي معلوف عند خروج
الزعيم من السجن وكان قد عاد النشاط اليه .

« خلدتها، يا اساطير السجن!
خلدتها والمنى ساجدة حوله
وعلى اعطافها آلهة
والسماوات اعدت غارها
بسمة الامة في اليوم الحزين
تتلو اناشيد الظنون
تلهي بمنأغاة السنين
ورمت غصنا على كل جبين

* * *

خلدتها، ربما كانت لنا
يا اساطير! اراها املا
يا اساطير! اراها قبسا
عصفة في روحه فجّرها
لقت البحر على زوبعة
وسرت تملل للعصر فتى
البسمة الاولى على ثغر حزين
ايقظ النبضة في القلب الدفين
صادقا بشر بالشط الامين
خالق الشاطيء، ربان السفين
غرة الاجواء، حمراء اليمين
كون الآمال لما قال « كوني» .

* * *

هبت الامة من مضجعتها
هاكها تبسم، سلها ما بها
لا. فلا هـذا ولا ذا. انها
ومشت نوك سمحاء العيون
اي فتح؟ أي وحي؟ أي دين؟
غبطة الأم احست . بالجنين

* * *

يا اساطير! أمنها يدا
انها الايمان رواه الهدى
نحن اقسمننا على طاعتها
لا نبالي بسم الدهر لنا
حركتنا بعد آزال سكون
من معين النور، من اصفى معين
وعرفنا شرفا معنى اليمين
أو أسي، فالحق حق كل حين.

* * *

يا اساطير! لنا ايماننا
انها خالدة ما عشت
بالتعلات المنيعات الحصون
ربة النور باشباح القرون

فالليالي لم تزل جبارة تطرح الشك وتهفو لليقين

* * *

يا اساطير! اظلي من غد علمي الشامت اجماد السجون
رب تاج عز فيه ملك قدسوه تحت اقدام سجين».

الشهيد محمد سعيد العاص

(كما ورد عنه في «سيرة شهداء الحركة السورية القومية الاجتماعية» الجزء الاول).
لم يذكر فوزي القاوقجي سعيد العاص باسهاب في مذكراته عن فلسطين.

ومعرفة القاوقجي بالقائد سعيد العاص ترجع الى معارك الثورة السورية 1926
حيث اشتركا معا في القيادة، اما الثورة الفلسطينية فكان اشترك سعيد العاص فيها في
جبهات اخرى.

ولم يخف القاوقجي حزنه قائلاً: «ثم وصلني خبر استشهاد سعيد العاص فتأثرت
كثيراً»، رغم ما كان بينها من اختلاف في وجهات النظر حول استراتيجية المعركة.
فالقاوقجي يعتمد في خطته على الثورة المنظمة وحروب الميدان اما العاص فكان
يفضل حرب العصابات والشوارع (1).

وهكذا فان سعيد العاص وغيره من ابطال المواجهة والكفاح المسلح لم يجزئوا
المعركة وخاضوها على كل المستويات بالخروج الى يقين النهضة. فتغلبوا على مصاعب
التسلح كما تغلبوا على مصاعب عدم التكافؤ بين قواتهم الثورية وقوات العدو المنظمة
والمسلحة والممولة على احسن وجه لكن الايمان بان القوة للحق لا الحق للقوة رصّ
صفوفهم ووحد كلمتهم وجمعهم تحت راية الكفاح والثورة من اجل الاستقلال والحرية
والوحدة.

وكان صوت سعيد العاص يدوي من اعماق الخلود يلقي الاجيال عبرة النضال
والمواجهة.

القائد الشهيد سعيد العاص

اشتهر باسمه العسكري (سعيد العاص) وهو من اسرة شهاب الحموية ولد في

مدينة حماه، تلقى دروسه الابتدائية فيها، واكمل دراسته الرشدية والاعدادية العسكرية في دمشق، وتخرج برتبة ملازم من الكلية الحربية في الآستانة سنة 1907، وعيّن بدمشق، ثم تنقل في مراكز عسكرية شتى، وفي سنة 1908 دخل بالفحص مدرسة الاركان الحربية، وفيها تجلت مواهبه، وفي اوائل عام 1910 اخرج من المدرسة لاسباب سياسية عربية، وعين في كتبية الرماة، ودخل مكتب الرماة واتم الدورة التعليمية، ثم سافر مع فرقته الى البانيا واشتبك بحروب عصابات الالبان، وفي سنة 1911 خاض المعارك الحربية ضد جيش حكومة جبل الاسود.

وفي منتصف عام 1911 وقع اسيرا مع جيش سلانيك بقبضة اليونان، واستطاع الفرار من الاسر والوصول الى الآستانة واشترك في معارك البلقان في موقع سر كوبرى، وفي هذه الفترة كانت التنظيمات العربية قد بدأت فانتسب الى « حزب العهد العسكري » وبدأ بنشر مقالاته بتوقيع مستعار.

ولما زحف الجيش العثماني على ادرنة عين قائدا لمنطقة حدود طونجة وفي سنة 1913 عين مأمورا في المهات الحربية بدمشق، واشترك مع ياسين الهاشمي وغيره للقيام بالحركة السورية فعلا، ثم انتدب لمهمة ايصال الديناميت الى الآستانة فقذف به الى ميدان جناق قلعة.

في المجلس العربي

اتهم بانتسابه الى الجمعيات العربية فجيء به من ميدان القتال الى ديوان عربي عاليه وحكم عليه بالاعدام، ثم ابدل الحكم بحبس القلعة مدة سنة قضاها في حلب، ونصف سنة في سجن عاليه.

نفيه: نفي المجاهد الشهيد الى جوروم وعاد الى وطنه يوم دخول الامير فيصل لحلب، فتولى الشعبة الثالثة بدائرة الشورى الحربية، ثم نقل الى منطقة الزبداني ومنها لمفتشية التجنيد العامة، وفي اثنائها حدثت وقائع بعلبك المعروفة، فاشترك فعلا بها، ثم ذهب لمنطقة جسر الشغور وصهيون وجبل الاكراد، وبعد نزوح الملك فيصل عن سورية اشتبك مع قوى الفرنسيين فدحرهم حتى قرى الصهاونة في قضاء اللاذقية، وبعد نفاذ عتاده ذهب لمنطقة الشيخ صالح العلي، وحضر معاركه الاخيرة امام ابواب العمرانية.

سجنه: اقام في حماه متنكراً، وبثت السلطة الفرنسية عليه العيون والارصاد

وتمكنت من القبض عليه مدة شهرين بينما كان يحاول الالتحاق بثورة ابراهيم هنانو.
في الشرق العربي: وفي سنة 1921 وصل الى الاردن فارا فعين قائدا للسرية
الاحتياطية، ثم امينا للسر العام للأمن العام، فقائدا لمفرزة « كاف » ثم وكيلا لمدير
التعليم العام، فمديرا عاما لشرطة عمان، وفي هذه الآونة هاجم الوهابيون منطقة الشرق
العربي فصدمهم بالقسطل.

في الحجاز: ولما اندلعت نيران الحرب بين الهاشميين والوهابيين في الوطن سنة
1911 تطوع وبعض رفاقه من الضباط السوريين في الجيش الحجازي فعين قائدا للواء
النصر، وقائدا لخط دفاع جدة المشهور، وثبت فيه تسعة اشهر بقوة ضئيلة لا يتجاوز
عددها الالف امام 30 الف محارب دحرهم مرات امام خطوط الدفاع.

ثم عين برتبة زعيم للعقبة ومعان فتمنع عن الذهاب، فنقل الى ينبع ومنها الى عمان.

جهاده في الثورة السورية.

ولما وقعت الثورة السورية عام 1925، اشترك بمعركة رساس المشهورة في جبل
حوران، وتوفق بالمؤازرة مع فؤاد سليم وزكي الدروبي على تنفيذ فكرة توسيع الثورة
في المنطقة الشمالية، وبقائهم سلطان الاطرش بذلك.

واشترك بتاريخ 30 تشرين الاول سنة 1925 بمهاجمة دوما بالاشتراك مع محمد عز
الدين وخاض معارك المليحة المشهورة، وبلدا وبابيل وجوبر وحمورة.

واشتبك بصدام في 11 كانون الاول سنة 1925 مع المصفحات الفرنسية، وفي 14
كانون الثاني سنة 1936 زحف الى الشمال وقام مع مجاهدي البنك وحمص بتخريب
جسر الحارون، والتحم مدة اسبوع مع قوات الجنرال مارتي الفرنسي، ثم عاد الى
الغوطة واشترك بوقائع الميدان وجوبر، واشترك بحروب البنك المشهورة وعيون العلق
بالاشتراك مع القائد فوزي القاوقجي وابدى في هذه المعارك بطولة مشهودة وتجلت
مواهبه العسكرية بالانسحاب والنجاة من تطويق الحملات الفرنسية، وعاد الى الغوطة
واشترك بوقائع مدبرة وغيرها، واشترك بتنظيم خطة مهاجمة دمشق وتطبيقها فعليا.

في الجبهة الشمالية

اثر اختلاف الشهيد سعيد العاص مع زعماء الثورة في الغوطة انسحب منها وتوجه
الى الشمال، وقام بحروب وادي فيسان وقلعة « كنفيد » وكفرحبو والضنية واكروم



محمد سعيد العاص

واكوم والسير، وتدمير الخطوط الحديدية: وآلف فرقة ابن الوليد وجيش امير المؤمنين في الشمال الغربي، ثم ذهب الى الازرق، واجتمع بسطان الاطرش، ونزل الى الغوطة، واشترك في معاركها مع الامير الشهيد عز الدين الجزائري، وقد جرح في معركة «معربا» والتحم في داريا وطريق دوما مع القوات الفرنسية، ثم في معركة الزور الاخيرة، وفي آخر حملات التطويق في الغوطة افترق عن الامير الجزائري وعاد الشهيد العاص الى جبل حوران.

جرح الشهيد مرتين، وبذل قصارى جهده لتنظيم اعمال الغوطة، وتأليف حكومة وطنية فيها، ولكن الاختلافات الواقعة على القيادات والزعامات ادت الى انحلال الثورة.

جهاده في فلسطين

لم يخلق القائد الشهيد سعيد العاص الا للوثوب، وقضى حياته ولم يهنا يوما واحدا، وكان لا ينسحب من ميدان القتال الا ليصول ويجول في معارك جديدة في ساحات اخرى، ولما اندلعت نيران الثورة في فلسطين هب ليقتود المجاهدين الاحرار، ودخل فلسطين في الربع الاول من شهر ايلول سنة 1936، واختار لنفسه منطقة جنوب القدس، لان الثورة فيها كانت لا تزال في بدايتها، فبدأ الشهيد ببث الدعوة للثورة والجهاد، واتصل مع القرى لتقديم المتطوعين، وكان يؤازره في اعداد الثورة الشهيد عبد القادر الحسيني بعد اطلاق سراحه من معتقل صرند، فاستجاب لدعوته مئات من سكان منطقة القدس واقضية بيت لحم والخليل وتمكن من

جمع 250 مسلحا فقرر القيام بهجوم شامل على القوافل العسكرية الانكليزية التي تمر في تلك المنطقة، واختار جبال قرية حلحول القريبة من طريق بيت لحم مركزا لتهيئة الهجوم، ورأى ان يكون الهجوم في رابعة النهار ليتمكن من قتل اكبر عدد ممكن من الانكليز، وخطته كانت ترمي الى رفع المعنويات في نفوس المجاهدين وسكان المنطقة، وابتدأت عملية الهجوم بأن وزع الشهيد سعيد العاص اخوانه الشوار الى ثلاثة اقسام:

القسم الاول: وهو القسم الاكبر، رابط في جبال حلحول وقد سد الشارع العام بالحجارة الكبيرة.

القسم الثاني: وقد رابط الى الشمال بقيادة ابراهيم خليفة.

القسم الثالث: وقد رابط الى الجنوب بقيادة سالم الشيخ لمنع وصول النجندات العسكرية الى ميدان القتال هناك.

وفي الساعة الثالثة من بعد ظهر 24 ايلول سنة 1936، وصلت قافلة عسكرية من الخليل فوجدت الطريق مسدودا بالحجارة، ولما قام الجند بفتحها انهار المجاهدون المرابطون قرب الطريق عليهم بالرصاص، فصرعوا عددا كبيرا منهم، ودافع الجند عن انفسهم بالرشاشات والمدافع واسرع القائد الانكليزي بطلب النجدة، فاتي الف وخمسة جندي بريطاني، ولم تتمكن هذه النجدة من الوصول الى ساحة العركة، اذ تصدى لها المجاهدون المرابطون لمنع وصول النجندات ودامت المعركة اكثر من خمس عشرة ساعة، وقبل صباح يوم 25 ايلول سنة 1936 انسحب المجاهدون الى مواقعهم الحصينة في الجبال، وبلغت خسائر الحملة الانكليزية اكثر من اربعين جنديا، وغنم المجاهدون كمية من سلاح العدو وعتاده، واستشهد ثلاثة من المجاهدين.

معركة الحضر

اثر ما اصاب الانكليز من هزيمة منكرة في معركة حلحول ارادوا تغطية فشلهم بالانتقام، فجهزوا حملة مؤلفة من ثلاثة آلاف جندي، طوقت المنطقة التي كان يعمل فيها الشهيد، وهي واقعة بين القدس والخليل، واستمرت عملية التطويق على شدتها حتى 6 تشرين الاول سنة 1936 وكان القائد سعيد العاص في مكمنه الحصين في الجبال، والحملة تجري حركة التفاف وتضييق المجال على المجاهدين، فطلب الشهيد من اخوانه الانسحاب من المعركة الى قرَاهم وبقي معه 25 مجاهدا صنيديا كان بينهم

القائد البطل عبد القادر الحسيني .

وفي صباح 6 تشرين الاول سنة 1936 ، وقعت معركة ضارية في جبال الخضر بين عدد قليل من الثوار والحملة الانكليزية واستمر القتال بضع ساعات ، والتحم المجاهدون مع الجند بالاسلح الابيض اجسادا باجساد بعد ان نفذت ذخائرهم ، وقاتلوا ببأس وایمان خرّ اثرها سعيد العاص واخوانه شهداء في ساحة المجد والشرف ، واصيب مساعده عبد القادر الحسيني بجربة فأسر وهو جريح ، ولكنه استطاع الفرار من مستشفى السجن .

وقد اختلفت الروايات في امر استشهاده ، فرواية تقول بأنه التجأ الى كهف وقاوم بمسدسه ، وتكاثر عليه الجند ورموه بالقذائف اليدوية والرشاشات ، ورواية تقول ، ان استشهاده كان اغتialا وغدرا ، وان الجاسوس « رشدي البرمكي » هو الذي ابلف الجيش البريطاني عن محل الشهيد سعيد العاص ، وقد قبض على الجاسوس في منطقة الثوار واعترف باسماء بقية الجواسيس وانه تقاضى 35 جنيتها مقدما على ان يقبض 500 جنيتها بعد ذلك .

وقد احتفل بقرية الخضر بتشييع جثمان الفقيد الشهيد احتفالا مهيبا ، واحجمت صحف فلسطين بايعاز من السلطة البريطانية عن خبر استشهاده . لقد كابد في حروبه اشد الاهوال والاحداث ، وسجل فخرا عظيما في المعارك والوقائع التي خاض غمارها .

وقام المجاهد الشهيد عيسى البطاط واخوانه للثأر والانتقام للشهيد القائد سعيد العاص ، فقتل البطاط غدراً ، فقام المجاهد البطل عبد الحليم الجولاني ورجاله بالاعمال الثورية في منطقة الخليل بصورة واسعة .

اقرن الشهيد سعيد العاص بامرأة شركسية من عمان وانجب منها كريمة واحدة هي سعاد وقد تزوجت من وجيه شركسي في عمان ثم توفيت .

انتاء سعيد العاص واستشهاده

انتمى سعيد العاص الى الحزب اثناء فترة الاعتقال الثاني في حيفا علي يد الرفيق محمد شلبي وكان المسؤول الحزبي في حيفا الرفيق كميل الجدع ولكن لم تطل مدة انتائه فقد استشهد في السابع من تشرين الثاني 1936 اي بعد خروج الزعيم من السجن بيوم واحد وذلك في معركة الخضر قضاء بيت لحم وكانت من اكبر معارك الثورة . وهذه قصة الرفيق الشهيد سعيد العاص (الحزبية) ارويبها نقلا عن جريدة « الزوبعة » التي

كان يصدرها الزعيم في الارجنتين في عددها 68 الصادر في 15 تشرين الثاني 1943 .
« في السامع من نوفمبر سنة 1936 سقط شهيد النهضة السورية القومية الاجتماعية في
الدفاع عن جنوب سورية القائد السوري المعروف بحسن درايته في حرب العصابات .
هو محمد سعيد العاص الذي كان قائد الجبهة الشمالية في الثورة السورية الدرزية التي
نشبت سنة 1925 وكادت تتحول الى ثورة سورية عامة لولا التفسخ الروحي والبلبلية
العقائدية والسياسية بين السوريين . وقد ابلى رفيقنا المغفور له احسن البلاء في تلك
الثورة واطهر من ضروب الحنكة والبسالة في مواقع الغوطة وجهات النبك ماتوج رأسه
بالفخر وجعل لاسمه قوة معنوية ووقعا كبيرا في النفوس .

كتب الرفيق الفقيه كتاباً في ايام الثورة المذكورة دون فيه المعلومات المفيدة عن
الحركات الثورية العامة واعمال جهته . وكان ينظر الى تلك الثورة الجزئية نظرة عالية
ويعدّها جهاداً سورياً مقدساً . وكان توقعه هكذا : سعيد العاص قائد الجبهة الشمالية
في الجهاد السوري المقدس . فرغ من كتابه سنة 1929 ونشره سنة 1930 وهو سفر
كبير القيمة اسمه « صفحة من الايام الحمراء » ثلاثة اجزاء .

في سنة 1936 ، عندما نشبت نار الثورة الفلسطينية وبتحريك « المجلس الاسلامي
الاعلى » في فلسطين و« الهيئة العربية العليا » انضم محمد سعيد العاص الى هذه الثورة
ليجاهد في الجنوب كما جاهد في الشمال . هناك التقى بفرقة من المتطوعة للجهاد
افرادها من مناطق متعددة ومن طوائف دينية مختلفة . كان فيها ابن الشوف وابن المتن
وابن بيروت وابن صيدا من لبنان وابناء حيفا والناصرية ويافا وما جاورها من
فلسطين . وكان فيها المحمدي والمسيحي والدرزي . هي الفرقة الوحيدة التي اجتمع
افرادها ، على تعداد مناطقهم وتباعدها ، اجتماعا مقصودا ظهوروا فيه بوحدة روحية
وفكرية متينة ميّزتهم عن جميع المجاهدين الاخرين . وكان تصرفهم النظامي في غاية
الدقة والحماس .

استلقت هذه الفرقة نظر القائد النقاد فاعجب بروحيتها ونظامها اعجاباً كبيراً .
وحله اعجاباه على البحث عن سر روحيتها ونظامها فسأل افرادها فأخبروه بامرهم
وعرفوه حقيقة العقيدة السورية القومية الاجتماعية المقدسة التي يدينون بها . فارتاح لهذا
الامر ارتياحاً كبيراً ووقعت القضية القومية الاجتماعية المقدسة من قلبه موقعا عظيماً .
وجد فيها الفكرة التي كان يتمنى حصولها والغاية العظمى التي كان يرتقب ظهورها
ووضوحها . فاستكمل الشرح والتفصيل في اصولها وفروعها . فزاده ذلك تيقنا بصحتها

فامن انها النهضة المرجوة لانقاذ الامة السورية والوطن السوري للذين جاهد في سبيل حريتها من قبل جهادا لم يكن له امر منظم ولا منهاج صحيح فأعلن رغبته في الانضمام الى الحزب السوري القومي الاجتماعي فانتدبت تنفيذية الحزب في حيفا من قام بامر ضمه الى صفوف ابناء العقيدة السورية القومية الاجتماعية المقدسة فانشرح صدره وانطلق الى ميدان الحرب موقنا ان القضية القومية اصبحت قائمة على اساس لايتزعزع، فحارب حربا شديدة واستبسل استبسالاً عظيماً ورمى بنفسه ورفقائه في مخاطر شديدة كانوا ينجون منها كأنهم محروسون بعناية الالهية.

كانت هذه التطورات الخفية في ثورة جنوب سورية ذات الاثر الاعظم في تطورات الحرب الظاهرة، فسارت الثورة من نصر الى نصر واشتد امر المجاهدين حتى شعرت بريطانيا بتفاقم الامر واخذت تبذل المساعي لدى صنائعها من ملوك الاقطار العربية وامرائها الذين اجابوا رغباتها واخذوا يسعون ليحملوا قوات الثورة على القاء سلاحها الى ان نجحوا بقبول المجلس اسلامي الاعلى والهيئة العربية العليا هذا الامر. فشق شأن تلك المساعي على البطل محمد سعيد العاص وعلى رفقائه الابطال من الحركة القومية الاجتماعية وقاوموا تلك الدسائس بكل قواهم. ولكنهم لم يتمكنوا من ايقاف عجز الرأي وقوة المال الاجنبي فالقت الثورة سلاحها باشارة الرؤساء الذين دفعوا الامة اليها.

وكان روح بطلنا العظيم ابت ان تبقى لترى المجد الحربي يتحول الى خزي سياسي فاصابت محمد سعيد العاص رصاصة اردته قتيلا في السابع من نوفمبر 1936 في معركة الخضر فكان قتله خسارة عظيمة لايعوض عنها الا مايقاه الشهيد من بطولة خالدة وروح سامية فهو بهما حي بيننا مع فقدته من صفوفنا».

وفي 8 تشرين الثاني، جرت لشهيدنا سعيد العاص حفلة تأبينية في دمشق اقامها محمد علي ظبيان تكلم فيها بهجت البيطار، مأمون المهائبي، كامل التونسي، تيسير ظبيان وفخري البارودي.

واقم في حماه حفلة تأبينية كبرى بمناسبة مرور اربعين يوما على استشهاده، وتبارى الشعراء والخطباء بالاشادة ببطولة الشهيد، وقد اخترنا الخريدة العصماء التي جادت قريحة الاستاذ بدر الدين الحامد بالقائنها في هذه الحلقة التأبينية الكبرى، وقد اقتطفنا منها بعض ابياتها:

شرف لعمرك ان تموت شهيدا
 متفئسا ظل الخلود حيدا
 أولست منذ صباك في ساح الوغى
 تعلي لقومك في الحفاظ بنودا
 ان جزت معركة جررت لمثلها
 اترى خلقت من الرجال حديدا
 ولطالما خضت المعارك والعدى
 جمع غفير اذ تكون وحيدا
 تغشى ميادين المنية قائما
 فيها اذا كان الرجال قعودا
 اما الرصاص فقد الفت ازيزه
 حتى غدا في مسمييك نشيدا
 فرق العدو وان تفاقم خطبها
 هانت عليك معاقلا وجنودا
 ترمي بنفسك في مقدمة الوغى
 وتقود خلفك للفخار اسودا
 اين الشامى في ميادين اللقا
 يتمايلون معاطفا وقودا
 يا مرحبا بكم لقد فرجتم
 كربا عن الوطن المعبذب سودا
 أنتم بنو العاصي قطعتم للعلى
 والمكرمات موثقا وعهودا
 تتسابقون اذا دعا الداعي كما
 تقفون في وجه العدو سدودا
 لولا ميامين الحمى وعراكههم
 كدنا نكون مدى الحياة عبيدا
 لهفسي على تلك الاسود تخرفي
 مرمى البنادق ركعا وسجودا .

شهيد

وهي القصيدة الرائعة التي نظمها الشاعر عمر ابو ريشه في الشهيد محمد سعيد العاص
مسجلاً بطولاته، ليس فقط في سورية الجنوبية بل في جميع انحاء سورية .

نام في غيب الزمان الماحي
جبل المجد والندى والسماح
اسكرته الاجيال ختلاً، فاغفى
تحت هزج الاعراس والافراح
حين انفاسه، تموج على الكون
بعبق النبوة الفواح..
وترن الحياة فيه، على آثار
عيسى في غدوة ورواح
بسمه للنعيم جرت، وابقت
ما يبقّي السكير في الاقداح
فتمشت عليه دهم الليالي
وكسته من نسجها بوشاح
وطوت سفره العجيب الموشى
بأساطير عهده الوضّاح
فاذا الاعصر الخوالي
بخيالات شاعر صداح
واذا الطرف ليس يعتزّ إلا
بقيود مغموسة بجراح
ورقاب مخينة تشظى
مِزقاً، فوق منجل السفاح
ليس بدعاً إذا تعالى وضيع
واستباح الحمى الحرام إباحي
قد تحيك الاقدار من لبدة الليث
وشاحاً للغانيات الملاح

يا ظلام الاجيال، قُصَّ جناحَيْكَ
فهذي طلائع الاصباح
مرودّ، كَحَلَّ الجفون الكسالى
فأفاقت على السنا اللماح!
فصحا من عيائه الجبل الهاجع
واهتز مفعم الاتراح
وتعالى صياحه، يتوالى
فاشرأبت نسوره للصبح
تركت في الوكون اقراها الزغب
وهبت على ازيز الرياح
وتبارت عصائباً، فالفضا الرحب
بساط من مخلب وجناح

غضب البغي. فانبرى يحشد الهول
ويرنو الى الاذى بارتياح
شق فكى جهنم، فأسالت
في الروابي، لعابها، والبطاح
فاقشعرت من وهجه القلل الصم
وأجت شوامخ الادواح
وتدجى الدخان يحجب عين الشمس
عن مأم الثرى المستباح
فتهادت تلك النسور وأزرت
بالمنايا على اللظى المجتاح
تنشب المخلب المعقف في البغي
وتزجي المنقار في الحاح
ولسان اللهيب يلعب بالريش
ويطوي الجراح فوق الجراح

غضبة للنسور، لا النصر فيها
 بمتاح، ولا الونى بمباح
 لم تزحزح تلك المخالب إلا
 بعدما جُردت من الارواح
 فتلاشى الدخان عن وثبات البغي
 في بركة الدم النضاح
 وسرى الليل مائثا جبل النار
 سكوناً لولا نشيد الاضاحي
 يا دماء النسور تجري سخاء
 بغرام البطولة الفضاح
 أنبتني العز سرحة يتفيا
 باظاليلها شتيت النواح
 انت دمع السماء، ان هتّ الحقل،
 وجفت سنابل واقاحي
 أي بُردٍ، خَافِئِهِ احمر اللون
 على كاهل الجهاد والصرّاح
 فيه ايماءة الى نهبة العلياء
 من قبضة الزمان الوّاقح
 ليس يبلى على الزمان وللعاص
 خيوط في نسجة اللواح
 تحفظ اليد ذكريات لياليه
 وتهفو لعهدة النّزاح
 وتحن الغياض في الشام شوقاً
 مثقلاً بالسلاح
 يا شهيد الجهاد، يا صرخة الهول
 اذا الخيل ححمت في السّاح
 أي مهر لم تُدْم خاصرته
 من حفيف المهاز، يوم اكتساح
 اي عود، ما زغردت لك فيه

كل مياسة القوام رداح
كلما لاح للكفاح صريخ
صحت: لبيك يا صريخ الكفاح
تحمل الحملة القوية والايمان
اقوى في قلبك المفراح
فكان الحياة لم تلتق فيها
ما يُروّي تعطش الملتاح
هبة في يديك كانت ولما
رامها المجد عفتها بسماح
وكأني اراك في زحمة الهول
على سرج ضامر طواح
وأخوك الجسور في القمم السود
مطل على الروابي الفساح
لوحث كفه بمنديله الاحمر
شوقا الى اللقاء المتاح
فترنحت، واندفعت، وهيئات
يلين الجواد بعهد جاح
واقتمت اللظى، فكنت مع الصيد
فراشا على فم المصباح
جبل النار لن ننام كما نمت
جريح العلى كسيح الطماح
لك حب في قاسيون.. وصنين..
وسيناء.. ماله من براح!

عمر ابو ريشة



محمد سعيد العاص

شعور سيدة وطنية «السيدة وهيبة» «ام سعاد» تودع زوجها

يا ابن العم:

الآن وقد رأيتك في صحة جيدة وانت تعلم ان الافرنسيين جاسوا خلال الديار فقد احرقوا، الدساكر، القرى، وخرّبوا القصور الفخمة وأهلكوا الحرث والنسل وقتلوا الشيوخ والعجزة وهتكوا الاعراض وعاثوا في الارض فسادا وان الرجل الشريف هو من يذود عن حياض الوطن، وقد قال الشاعر العربي:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
وانت يا ابن العم منذ سنة ونصف تقارع العدو الفاشم مقارعة الابطال واكتسبت شهرة ذائعة وبطولة خالدة فعد الى نضالك وخذ بثأر اخوانك وسر على بركات الله لا تسأم مهمة جهادك فالله يعينك وحارسك وعينه ترعاك.

وان جهادي الآن طالما لم تسمح لي بالاشتراك بالحرب فعلا فاني سأعنتي بكل قواي لتربية طفلتنا سعاد وقرّة عينك لتكون في المستقبل اما روحية لوطنك الذي تدافع عنه بكل ما اوتيت من علم وشجاعة وما انا اودعك وقلبي معلق بك وطافح بالأمال الذهبية واترقب بفارغ صبر استنشاق اخبار انتصاراتك الباهرة وضمّ صحائف جديدة الى اعمالك الماضية فطب نفسا وقرّ عينا فاني مغتبطة بجهادك مفتخرة ببطولتك الخالدة وبزعامتك الحقيقية واتمنى لك بدلا من وسام الشرف جراحك ان يكمل مفرق هامتك باكليل غار لانقاذ وطنك والسلام (اليرموك. عدد 13206 مايو سنة 1927).



المجاهدون الابرار : عبد القادر سكر ، الامير عز الدين الجزائري ، سعيد العاص وفارس عقيل .



من اشهر ابطال الثورة وقادتها المجاهدين الاحرار . الواقفون من اليسار : ابو محيي الدين شعبان ، سعيد الاظن ، ابو عبده فارس ، الامير عز الدين الجزائري ، سعيد العاص ، توفيق القلجعي ، الجالسون من اليسار : ابو احمد محمد علي الكيال ، الدكتور محمد علي الشواف ، ابو سليمان العلي ، هزاع ايوب .

المحاكمات

جرت بين تشرين الاول وتشرين الثاني محاكمتان . الاولى : برئاسة القاضي وفيق القصار تناولت المتظاهرين امام سجن الرمل وصدرت الاحكام في 19 تشرين الاول 1936 . على الرفقاء : ويكتور اسعد ، ستة اشهر ، عجاج المهتار شهران غيايبا . فؤاد حداد ، شهر واحد . جورج عبد المسيح شهر واحد . محمد القاضي ثلاثة اسابيع وعلى اربعة حوارنة اسبوعاً واحداً . وبريء من تبقى . والثانية قضت بالحكم على المتهمين بتأديب الصحفي عارف الغريب ، في 10 تشرين الثاني 1936 كما يلي : عبد الله الجميل سنتين ، خليل ابو مجاهد خمسة أشهر ، ارستيد ابو سمرا اربعة اشهر ، اميل ابو سمرا خمسة اشهر . ناصيف اللحام ثلاثة اشهر ، ويكتور اسعد شهرين ، عارف الجردى شهرين ، محمد فكري الشريف ثلاثة اشهر ، اديب الزهيري شهرا واحدا ، محمد خليل الباشا شهرا ونصف الشهر ، عباس الحلبي شهرا واحدا ، ناجي تميم شهرا ونصف الشهر ، شاوول نجم ثلاثة اشهر ، ناصيف فواز عشرة ايام ، معروف عربيد ثلاثة اسابيع وعند انتهاء تلاوة الاحكام سمع صوت فؤاد حداد يهتف بحياة سورية فصدر عليه حكماً فورياً بالحبس ثلاثة اشهر و 15 ليرة جزاء .

وجاء عن هذه المحاكمات في الصفحة 186 ، من كتاب « عبدالله قبرصي يتذكر » ، الجزء الاول :

« بعد المحاكمة الاولى في كانون الثاني 1936 امام المحكمة المختلطة برئاسة الاستاذ جان روسية (لا يزال حيا يرزق في بلدة بارات Berat في الهوت غارون Haute Garonne في فرنسا وعمره 86 عاما) رفع القضاء المختلط يده عن الدعاوى التي كانت تساق ضد القوميين لتصبح من صلاحية القضاء اللبناني . كنت محامي الحزب وكان

معي من المحامين يومذاك الاستاذ موريس الجميل الخ.. الذي انتقل من صفوف الحزب الى صفوف الكتائب سنة 1937 ، والاستاذ عبد الحكيم مراد والاستاذ اديب الحسينية وكان يساعدنا من وراء الستار الاستاذ الشاعر الشيخ ابراهيم المنذر (النائب يومذاك والذي لم يتعاط المحاماة جديا).

الدعاوى التي اذكرها كانت محاكمة عبدالله الجميل وعارف الجردي وخليل ابو مجاهد ورفاقهم امام محكمة الجنايات برئاسة الرئيس الصلح. ومحاكمة عجاج المهتار ورفاقه امام محكمة بداية جراء بيروت برئاسة الرئيس وفيق القصار ومحاكمة غندور كرم امام نفس المحكمة ثم محاكمة وديع مجاعص وفؤاد فرح وسواهما امام محكمة بداية جزاء بعهدا برئاسة الرئيس مسعود حنين.

في اعتقادي ان ملفات هذه الدعاوى فقدت او اُتلفت او اُهترأت، فعلي ان اتكل على الذاكرة فقط في محاولتي لسرد بعض وقائعها.

كانت جريدة « الرابطة » وجريدة « المساء »، الاولى رئيس تحريرها ابراهيم الحداد والثانية عارف الغريب، تشنان حملات شعواء ضد الحزب وسعادة شخصيا، وتباريان في ايها تعنف حملتها عن الاخرى.. اني اذكر ان جريدة او مجلة انبرت تدافع عنا. « الصحافي التائه » كتبت بلسان صاحبها اسكندر الرياشي اخف الصحفيين دما واقربهم الى القلب مقالات تصف سعادة باول اشتراكي في الشرق على اثر انكشاف امر الحزب واعتقلنا. والصحيفة التي كانت لمجتها معتدلة كالنهار مثلا كنا نعتبرها موالية وصديقة. المجلة - كمجلة المعرض لصاحبها ميشال زكور - التي قبلت ان تنشر بعض مقالاتنا، بدت لنا وكأنها « مجلتنا » نتلقفها، نتناشها من ايدي الباعة. كان منتظرا ان تعصب لنا الصحف « الوطنية » التي كانت تنادي بالوحدة السورية، ولكن علي ناصر الدين وآل الصلح وكل الوطنيين ما فرحوا ان يتزعم حركة « الوحدة السورية » رجل مسيحي مغمور اسمه انطون سعاده. فيما كانت اسماء القادة المحمدين ترن في الخافقين.

الصحف اللبنانية المتزمتة - التي لا تزال على قيد الحياة حتى يومنا هذا - ناوأنا باسم اللبنانية او المارونية السياسية التي اوصلتنا بلبنان الى ما نحن فيه من بلايا ورزايا. والصحف الوطنية القائلة بالوحدة السورية رفضتنا رفضا عدائيا لاننا نقول بالقومية السورية لا بالقومية العربية. عكس الجريدتين اللتين اساءتا الى الصحافة اكثر مما اساءتا

الينا كانت الرابطة الشرقية والمساء . لقد بلغنا حدا من التهجم المقذع لم تتحمله اعصاب شبابنا المؤمن، الذي دخل الحزب على انه بطولات وفداء وتضحية بالذات . وعلى انه حزب الحياة الجديدة والقيم الجديدة والنظام الجديد القادم من امجاد الماضي لكي يبعث هذه الامجاد ويصلها بخط نفسي فكري عقلائي حضاري يضعها في منطلق العصر ومسيرة التاريخ الصاعد وخدمة الامة السورية والعالم العربي كله .

لم يطق بعض شبابنا المسبات والاتهامات والافتراءات والشتائم فتنادوا واجتمعوا وقرروا - دون علم القيادة - بان يؤدبوا عارف الغريب و ابراهيم حداد . فأدبوها كان ابطال هذه المهجمة عبدالله الجميل - منفذ بيروت آنذاك - و خليل ابو مجاهد وعارف الجردى وسواهم .

انكشف امرهم، اذ كان اثنان منهم في مطعم يتحدثان عن كيف اقتحما منزل عارف الغريب وتمرجلا، فاذا بالطاولة المجاورة، طاولة رجال التحري . لحظات وكان الاثنان في دائرة الشرطة .

وسيق الجميع بعد التحقيق الى محكمة جنايات بيروت برئاسة المغفور له الرئيس سامي الصلح، الذي كان لا يزال في القضاء تراوده السياسة مراودة ناعمة الى ان وقع في حبالها وهجر القضاء ليموت في احضانها .

بامكاني اعتقال زعيمكم :

في التحقيق استدعاني المدعي العام الاستاذ ديمتري الحايك، وقال لي : « ان نظام حزبكم مركزي تسلسلي . ان بامكاني ان اصل في هذه الجريمة الى رأس زعيمكم معتمدا النص الدستوري الصريح، الا انني لا افعل لاني اعتقد ان الزعيم لا يجيز مثل هذه « الصيبيانيات الشرسة » وبالفعل كان بامكانه - استنادا الى دستور حزبنا - ان يعتبر ان منفذ عام بيروت ما اعطى الامر بالتأديب الا بناء على امر سعادته .

اما في المحاكمة، فأذكر ان موقف المتهمين فيها كان جريئا، وهجوميا، بفضل عبدالله الجميل و ايمانهم بمشروعية ما ارتكبه انتقاما للحزب وكرامته وشرفه، فقد حدث ان الرئيس الصلح ظل هادئا مرحا من اول الجلسة الى آخرها، الامر الذي دفعني بعيدا في استغلال الهدوء والمرح لصالح الحزب وصالح المتهمين .

قلت يومذاك بعد ان لمت المتهمين على اعتدائهم وتفردهم وعلى تمسكنا بجرية الصحافة وحرمتها : « ان الحزب السوري القومي ليس حزبا للقوميين، مطويا على

اسمائهم. انه ملك الشعب كله، والقضاة من الشعب بل هم من ارقى المواطنين ثقافة واخلاقا .. وعندها صحت بالقضاة:

من منكم لا يؤمن بفصل الدين عن الدولة؟

من منكم لا يؤمن بالسيادة والاستقلال؟

من منكم لا يؤمن بنهوض هذا الشعب من تحت نير الاقطاع والرأسمال والطائفية؟ ..

لذلك فانتم ايها القضاة سوريون قوميون وان لم تدخلوا الحزب رسميا .. فكادت المحكمة ان تنقلب عن كراسيها لكثرة ما ضحكت واحتج رئيسها سامي بك قائلا:

لا يا استاذ .. لا يا استاذ .. نحن منا قوميين! لا تدخلنا بها المسألة، نحن قضاة، يا استاذ وبس!

والمهم ان سامي بك، واعضاء المحكمة يومذاك، كانوا يعرفون ما تعني نزوات الشباب ونزقهم، فلجأوا الى العدل مقرونا بالحلم والحكمة فادانوا الفاعلين، ولكن منحوهم الاسباب التخفيفية الى اقصى حد ممكن! ..

كانت هذه الحادثة الاولى والاخيرة في تاريخ العنف الحزبي لان مؤسستنا وقفت منها موقفا حازما دون ان تتخلى عن الذين قبلوا السجن واحتملوه معتقدين انهم يؤدون واجبا بتأديب من لا تريد السلطة تأديبهم باسم القانون والعدالة او من تدفع بهم السلطة لتهديد كرامة المناضلين والمفكرين تحت ستار حرية الفكر وحرية الرأي وحرية القلم، كأما الحرية الحقيقية هي ان تكون حرا في تأييد رأي السلطة ومعتقداتها، لا حرا في ان تعتقد ما تشاء ...

المحاكمة الثانية:

اما المحاكمة الثانية، ارجح انها جرت امام محكمة بداية الجزاء برئاسة الاستاذ وفيق القصار الذي اصبح فيما بعد رئيس مجلس شورى الدولة واحد كبار القانونيين الشرفاء (هو الان متقاعد).

كان بطلها الشاعر المناضل الرفيق عجاج المهتار، عرف بأن سعادة هدف مؤامرة في السجن تساء معاملته وتجرح كرامته فاشترك مع عدد من الرفقاء في مظاهرة منظمة امام سجن الرمل. ولو ان احدا منهم كان يحمل سلاحا لصدوا بالرصاص واعقاب

البنادق، لكن المظاهرة كانت سلمية.

القي القبض على بعض المتظاهرين دون كبير عناء لانهم لم يكونوا الوفا ولا مئات وتوارى الباقون ولم تعرف اسماؤهم الا اذا كانت راسخة في ذاكرة شاعرنا المهتار وقد سيقوا الى المحاكمة، فكان عجاج على مستوى المسؤولية. عجاج المهتار لم يكن يوما الا شجاعا وهجوميا. في تلك المحاكمة كان الموضوع ان المتظاهرين عدا انهم اقتحموا الساحة الخارجية لسجن الرمل. هتفوا تحيا سورية ويحيا سعادة، فكانت مرافعة عبد الحكيم مراد. ان تحيا سورية لا تعني ان يموت لبنان.. بل بالعكس، وان كلمة تحيا سورية ليست جريمة اذ من من اللبنانيين يريد ان تموت سورية لا ان تحيا؟...

★ ★ ★

انا رصاصه:

محاكمة طريفة ايضا كانت محاكمة غندور كرم:

غندور كرم هذا قتل في الاحداث الدامية سنة 1958، اجارنا الله من الاحداث الدامية في لبنان التي لا نزال نعانيها في هذه اللحظات مع الاسف.

وغندور كرم هذا، اذا لم يكن شاعرا، فقد كان بالفعل متقدما وطنية وشعورا.. كان في نطقه بيانا وفي سرده بلاغة، وكان في مظهره رجل عنفوان وتحد، اما اطواء نفسه فلا اعرفها وليس بين يدي كتب او مقالات او مواقف فاحلل واقارن واستنتج!..

وقف في المحاكمة واطلق امام المحكمة كلمته الشهيرة « انا رصاصه في مسدس الزعيم يطلقني حيث يشاء!.. وذهبت مثلا ».

لم يصدر الحكم عليه باكثر من ثلاثة اشهر سجن على ما ذكر، وكل ما نسب اليه انه كان يكتب على الحيطان ليلا بعض العبارات الخزبية، والتهكم على السلطات؟..

★ ★ ★

اعتقالات

وفي 12 تشرين الثاني وصل الى قائد درك طاقم الجديده ان فريقاً من اعضاء الحزب السوري القومي يعقدون اجتماعاً في منزل احدهم في جل الديب السيد فيليب قيامه.

وفي الساعة الخامسة مساء ذهب الدرك الى المنزل واشتبكوا مع المجتمعين اشتباكاً اسفر عن تخلص اعضاء الحزب من ايدي الدرك ولكنهم تمكنوا من اعتقال صاحب المنزل السيد قيامه وصباح امس احيل الى القضاء حسب القانون.

الموضع الحزبي

مقابلة سياسية

ويقول الزعيم في رسالته من الأرجنتين الى القوميين الاجتماعيين في آب مايلي: «وبعد خروجي من السجن جرت المقابلة الاولى بيني وبين رئيس الغرفة السياسية في المفوضية العليا السيد كيفر. وكانت المقابلة ودية اظهرت فيها كل التساهل الذي تسمح به قضيتنا القومية. وافهمت السيد كيفر ان مصالح سورية وفرنسا المتبادلة توجب على المفوضين الفرنسيين الاعتراف بحركتنا والتفاهم معنا. ولكن رئيس الغرفة السياسية كان يطمع - على ما يظهر - بالحصول على اكثر من هذه النتيجة مني فقال: «اننا ايضا نود حصول التفاهم فابواب المفوضية تكون دائماً مفتوحة لاستقبالكم». فظهر لي من هذه العبارة نوع المناورة السياسية التي قررت الغرفة السياسية في المفوضية الفرنسية القيام بها. وهذه المناورة تعني تسليط الحكومات المحلية علينا في لبنان والشام وفتح ابواب المفوضية لنا للالتجاء اليها. فقلت لرئيس الغرفة المذكورة: «ان الوصول الى تفاهم يقتضي وضع القواعد الاساسية التي يمكن ان ينشأ عليها التفاهم. واننا مستعدون من جهتنا للقيام بنصيبنا من العمل لتسهيل الوصول الى هذه القواعد الاساسية. فتركت باب الاتصال مفتوحاً من غير ان اقبل الالتجاء الى ابواب المفوضية الفرنسية المفتوحة لكل من يريد الازعان للسياسة الفرنسية».

وجاء في «عبدالله قبرصي يتذكر» الجزء الاول، الصفحة 143 تحت عنوان

«علاقاتنا بفرنسا»

حدد سعادة طبيعة وهدف اي علاقات اجنبية للحزب في خطابه التأسيسي في اول حزيران 1935. طبيعة العلاقات انها لقاء الند بالند، وهدفها اعتراف الدول الاجنبية

بسيادة الامة السورية على ارضها وشعبها وحققها في الحياة الحرة وبوحدة ترابها القومي اي بأزالة التجزئة التي فرضتها مصالح المنتصرين في مؤتمر الصلح في فرساي .
وهذه العلاقة بطبيعتها واهدافها تنبع من المبدأ الاساسي الثامن القائل بان مصلحة سوريا فوق كل مصلحة .

من هنا لم يكن سعادة ليرتبك او يتردد في اقامة علاقات اجنبية مع اية دولة من الدول ذات المصلحة في اقامة مثل هذه العلاقات مع الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي اعلنه سعادة دولة الامة السورية المصغرة .

تناولت الصحف والالسنه المغرضه . كما تناول جواسيس الانتداب موضوع علاقاتنا الاجنبية . بكثير من التجني وبكثير من الافتراء وحتى التلفيق والتزوير .

بعد انكشاف امر الحزب جاءني الاستاذ وفيق الحسامي الى مكنتي في الزيتونة ، وكان لا يزال طالب حقوق ، وقد اصبح فيما بعد رئيس غرفة في محكمة استئناف بيروت ، و اشار الي من طرف خفي على قلقة فيما بلغه عن علاقات الحزب بالطليلان .

فطلأنت الاستاذ وفيق الحسامي ، الرفيق يومذاك ، وعدت به الى خطاب اول حزيران ، واقنعته بأن الحزب لا يمكن ان يتخلى عن مبدئيه وعن عقيدته ، في تعامله مع اي كان . وان كل علاقة او اتفاق يجب ان تصب بالنتيجة في مصلحة الامة كما اشرت بان حزبنا ليس حزبا تبشيريا فحسب . انه حزب ثوري ، انه حزب يناضل في سبيل استقلال البلاد وتوحيدها وتحقيق نهضتها ومثلها العليا . فلنا ان نستعين باعداء اعدائنا للتخلص من اعدائنا ! لا اعرف اذا كان « الرفيق » وفيق اقتنع ام لا .

ولكني اعرف ان ثقتي بالمعلم كانت قد تكاملت فلم اسأله عن هذا الموضوع شيئا . ولكنني في بيت زكي النقاش وبحضور نعمة ثابت طرحته بمناسبة غزو ايطاليا للحبشة . ثم عدت الى طرحه بعد السجن الثاني عندما نشر عزيز الهاشم افتراءاته ضدنا وتلفيقه اخبارا عن علاقات مشبوهة بالطليلان .

اردت من هذا العرض ان اجد مدخلا للزيارة التي قمت بها مع المعلم الى رئيس المكتب السياسي في المفوضية العليا السيد كيفر في مطلع شهر حزيران 1936 اي بعد خروج سعادة من السجن ببضعة ايام فقط .

لم اكن اعرف السيد كيفر . اتصلت به هاتفيا وقدمت نفسي وطلبت موعدا لسعادة

ولي. ولما سئلت عن الغاية من الزيارة. قلت زيارة تعارف ومجاملة. فعين لي الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم التالي: (راجع بهذا الموضوع الصفحة 91 من كتاب جريج مع انطون سعاده) وذهبنا.

كان سعادة قد اعتاد تدخين الغليون. فكان يحمل غليونه وعدته.

ودخلنا على السيد كييفر.

سعادة يفهم اللغة الفرنسية ويتكلمها ولكن ليس بنفس السهولة التي كان يتكلم بها الانكليزية والبورتغالية والاسبانية والاطليانية والروسية والالمانية.. وطبعا العربية، نعم كان سعادة يتكلم ثماني لغات.

كنت اترجم اقوال سعادة الى الفرنسية بينما سعادة كان يفهم فرنسية كييفر بسهولة.

ما قابلت من قبل سياسيا اجنبيا لا وحدي ولا مع مسؤول آخر، الامثولة الاولى اذن في الدبلوماسية كانت تلك المقابلة. كان سعادة طبيعيا كأنما يقابل رجلا يعرفه من زمان. لا ارتباك لا انفعال، لا تواضع اكثر من اللزوم ولا مجاملة اكثر من اللزوم.

اما السيد كييفر فقامة فارعة. وجسم يراوح بين السمنة والنحافة. ووجه ابيض، وفم اميركي اكثر منه فرنسي، ولسان بين الوضوح والتأتأة، ذاك انطباعي عن السيد كييفر..

لاحظت وانا اترجم واعرب، ان سعادة - الذي لم يطلعني على المواضيع التي سيبحث - كان يريد ان يسيطر على الموقف بالمعرفة والاطلاع الشامل، وكان يريد ان يترك للسيد كييفر قناعة بأنه ليس سياسيا كباقي السياسيين بل رجل فكر وعقائدي، السياسة عنده وسيلة من وسائل تذليل العقبات امام النضال الحزبي.

من هنا كان البحث عن سورية التاريخية - مجدودها انذاك - واشتغالها فلسطين، انطاكية، بين الشرق والغرب، ثم الاعصر الحديثة ثم اخيرا السياسة اللبنانية والسورية والسياسيين في البلدين وخاصة رياض الصلح وعبد الحميد كرامي.

شرح سعادة الاسس العلمية التي بنى عليها عقيدته القومية، كما شرح النظام الحزبي مبررا عسكريا هيكلته واسبابها، ثم تطرق الى العلمنة وكيف انها تعالج جذريا قصة الطائفية والتحاقد الطائفي الذي يتآكل لبنان، ويفعل فعله في الشام ايضا بين مختلف الطوائف.

رسالة

وفي هذه الاثناء يكتب الزعيم رسالة الى المواطن عارف آغا القلعة، حلب، يرحب فيه « بالعمل معنا بصورة نظامية. كما اني امدح الطريقة التي اتبعها في شأن ما اغمض عليك من امر الحزب ».

الوضع الحزبي الداخلي

لم يطرأ في الحزب تغيير اداري يذكر في هذه الفترة التي تحتتم فيها السنة الحزبية الرابعة. كل ما يمكن ان يشار اليه هو اندماج تنفيذي طرابلس والكورة بمنفذية واحدة سميت بمنفذية الشمال. بقي الرفيق مصطفى المقدم منفذا عاما لها وعين الرفيق جبران جريج مديعا متجولا ثم صدر قرار مركزي بانتدابه لتنظيم فروع الحزب في منطقة العلويين بصفة مفتش في عمدة الداخلية فباشر عمله فورا منتقلا الى طرطوس فصافيتا ثم الى منطقة تلكلخ بما فيها الحصنان، الغربي والشرقي فبانياس واللاذقية. واهم انجاز له كان اجتماع عيون الغار العام (صافيتا - جسر الابرش).

وفي المتز الشمالي انشئت منفذية كان رشيد مطر منفذا عاما لها بالوكالة وذلك لفترة اختبار كما ان الرفيق الفريد بشارة حل محل الرفق رشيد ابو فاضل منفذا عاما لمنفذية المتز الادنى، اما في زحلة فقد انتهى دور المنفذ العام جوزيف البحمدوني بعد تعيينه عضوا في المجلس الاعلى مع رصيفه الرفيق فوزي بردويل الذي انتهى ايضا عند هذا الحد وجاء بعدهما رشيد ليون ثم نظمي عزقول منفذاً عاماً لهذه المنفذية وفي طرابلس عين الرفيق رياض اديب منفذاً عاماً بدلا من الرفيق مصطفى المقدم.

أما في طرطوس فقد انتهى الى الحزب احد اسماعيل بالرغم من الجو المكفهر الذي كان يسود المنطقة.



احمد اسماعيل

ولا بد، قبل ختام هذه الكلمة الموجزة عن الوضع الحزبي، من ذكر انتخابات بلدية اميون التي كانت شغل الاهالي الشاغل بل شغل المنطقة الشاغل وقد استطيع ان اقول شغل الدولة الشاغل. كانت وزارة الداخلية قد حلت البلدية لاعتبارات محلية بناء على اقتراح محافظ الشمال كسروان الخازن. كان لابد للحزب ان يتخذ موقفاً معيناً. جرت عدة لقاءات بين الرفيق جبران جريج والاطراف المعنية. اهمها جرى في منزل الرفيق جبران بركات ولكن دون جدوى واخيراً تم القرار ان نشارك في الانتخابات مع الجهة التي تكفل وجود ثلاثة رفاقا معها في لائحتها وهكذا كان فنجحت اللائحة واصبح الرفقاء شفيق غنطوس، حنا عبده ونجيب الحاج عبيد اعضاء في البلدية. خسرت المديرية بعض الاعضاء من عائلة الشماس الذين كانوا مايزالون على ولائهم العائلي، فانجازوا الى لائحة العائلة وخسروا. والبعض الآخر وهو الاكثرية قد التزم فخرجت المديرية من هذا الامتحان العسير ظافرة.

زيارة مفاجئة الى طرابلس

وقبل الانتقال الى سرد مراحل حملة الزعيم من اجل الاسكندرون قام بزيارة مفاجئة الى مدينة طرابلس التي شارك فيها القوميون الاجتماعيون في مظاهراتها المطالبة بالوحدة السورية كما ذكرت سابقا وكما ذكر ذلك الزعيم.

واضربت مدينة طرابلس مطالبة بالحقها بسورية الام او بعبارة اخرى، تطالب بالوحدة السورية (اسلام ومسيحية).

وكتب في تلك الاثناء صلاح لبكي، وكان يحمل مسؤولية نائب الزعيم، مقالا نشر في جريدة البيروق - ان لم تخني الذاكرة - تحت عنوان «لبنان اولاً» مما اثار تساؤلات كثيرة حول الغاية من مضمونه ومن نشره بذلك الشكل وبذلك الظرف بالذات. كان الزعيم في السجن وما ان خرج حتى فاجأ القوميون الاجتماعيين في طرابلس بزيارة. دخل طرابلس المضربة خلصة - ان جاز التعبير - واجتمع الى المسؤولين الحزبيين ثم الى الاعضاء الثائرين منهم او الشاكين.

دارت ابحاث كثيرة حول الوضع وحول اشراك فرع الحزب في طرابلس مع سائر الهيئات في الاضراب وحول صحة الهدف. كان يخيم جو الحماس على هذه الاحاديث من جهة الاعضاء اما من جهته هو فمع مسابته لهذا الحماس العاطفي كان يحمل الوضع السياسي الداخلي بالمنطق والعلم والواقع مما جعل الجميع يهدأ فيصبح في موقف الاصفاء

وتلقي الارشاد من المعلم.

لا ضرورة للتفصيل فيما جرى انما، المهم هو وضع قاعدة اساسية لمعالجة الامر المطروح على بساط البحث.

اولاً: ان انضمام ما كان يسمى «بالاقضية الاربعة» الى «سورية» يعني العودة الى الوطن المسيحي من جبل لبنان. وهذا لا يجوز.

ثانياً: ان هذا الانضمام - لو تحقق - لا يعني تحقيق الوحدة السورية بل يعني احراز نصر سياسي لمحتري السياسة الطائفية اذ ان اكثرية سكان هذه الاقضية من المحمديين.

ثالثاً: ان الوحدة السياسية ليست مطلباً قومياً. ان الوحدة التي نريدها مبنية على قواعد اجتماعية، اقتصادية تجعل الوحدة من الشعب، في الامة، في النفوس فتأتي الوحدة السياسية نتيجة لها.

رابعاً: يبقى الكيان اللبناني كيانا سياسيا، موحداً بمن فيه انما على اساس الاخاء القومي لا على تحالفات سياسية آنية او بناء على رغبة السلطة المنتدبة. ولذلك فلبنان كيان سياسي لا اكثر ولا اقل، لا أولاً ولا اخيراً.

وخلاصة الوضع لم يأمر بالتوقف عن الاشتراك في الاضراب بل امر بالاستمرار على ان يعمل المسؤولون الحزبيون على ايصال هذا المفهوم الى باقي الاطراف المعنية كوجهة نظر رسمية للحزب السوري القومي الاجتماعي ككل لا كفرع في طرابلس».

تأبين الشهيد حسين البنا

بعد زيارة الزعيم المفاجئة الى طرابلس ابن الشهيد حسين علي البنا في مأتم شعبي حافل اقيم له في قريته شارون مسجلاً كونه اول شهيد للحركة السورية القومية يقضي في الكفاح المسلح. (ليس لدينا نص الكلمة).

كل ما لدينا حول هذا الموضوع ما يرويّه محمد علي فتوح انه كان هناك مهرجان خطابي في بلدته تكلم فيه الزعيم وكان هو عريف الحفلة.

الاحزاب

ننتقل الآن الى مسرح السياسة في الساحة لنشهد ولادة او محاولة ولادة اربعة احزاب لبنانية.

قلنا ان سياسة المندوبية الفرنسية كانت قد تبدلت تبديلا، فمن جهة تقسو وتلاحق الحزب السوري القومي الاجتماعي ومن جهة اخرى تشجع انشاء احزاب بالرغم من قانون قمع الجرائم السيء الذكر فكان هذا التبدل اول تأثير سياسي للحزب السوري القومي الاجتماعي على مجرى السياسة الفرنسية الاستعمارية ومن هذا الحين بدأت مرحلة جديدة في تاريخ هذه الاحزاب وفي تاريخ الكيان اللبناني بالذات.

كان اول هذه الاحزاب حزب الوحدة اللبنانية برئاسة « الشيخ » توفيق عواد الذي لست ادري من منحه لقب « توتو عواد » للتحجب وتقلد الحزب السوري القومي الاجتماعي بالقمصان فجعلها بيضاء ولكن لم ينقض عليه شهر او شهران على تأسيسه حتى استقال ثلاثة من اركانه وهم انيس ياسين وابراهيم مخلوف وكمال التقي فكتبت الجرائد عن هذا الانهيار معلنة مصيره المحتوم في الزوال.

كان ثاني هذه الاحزاب حزب الجبهة القومية برئاسة المحامي يوسف السودا، صاحب الدعوة اللبنانية في مصر ثم في مسقط رأسه ولكن ظل نموه محدودا.

كان ثالث هذه الاحزاب حزب اشتراكي برئاسة الصحفي فؤاد الشمالي، صاحب جريدة « المريخ » وكان رابع هذه الاحزاب « الكتائب اللبنانية » التي جاء في « قانونها الاساسي » في المادة الاولى وهي الالهة « انها منظمة وطنية للشباب، غايتها السعي المتواصل الى انشاء امة لبنانية (اعتراف بعدم وجود امة لبنانية) تدرك واجباتها

وحقوقها وتعتني بها في دولة ناجزة الاستقلال، كاملة السيادة ضمن دائرة التعاهد والصداقة مع فرنسا». وزع بيانه الاول الى الرأي العام في 9 تشرين الثاني 1936 موقعا «عن اللجنة، بيار الجميل وشفيق ناصيف. ويدعو الذين يرغبون في الانضمام للحضور الى صيدلية الجميل الجديدة في ساحة الشهداء كل يوم في الساعة التاسعة صباحا الى الساعة الثامنة مساء».

وفي الوقت نفسه كانت الحكومة اللبنانية قد حلت حزب «الاستقلال الجمهوري» ولكن بعد مراجعات واحتجاجات كثيرة اهمها مراجعة الحزب الراديكالي الفرنسي تم الاتفاق على ان يعود الحزب الى الوجود ولكن باسم جديد. كان ذلك في 10 تشرين الثاني 1936.

وعلى الصعيد السياسي اللبناني كان توقيع المعاهدة اللبنانية الفرنسية في 13 تشرين الثاني 1936.

في الشام والعراق ومصر

يقول الزعيم في رسالته الرابعة الى غسان تويني تاريخ 26 ايار 1946 بصدد للتنظيمات في الشام والعراق مايلي: «وظهر اثر شأنه (أي شأن الحزب) في محاولة «الكتلة الوطنية» اقتباس شكل مبادئه في «ميثاقها» الذي وضعت بعد اربعين هنانو وبعد ظهور الحزب السوري القومي الاجتماعي ومحاكمته، وفي تقليده وتقليد قسمه بتشكيل «القمصان الحديدية»، وفي تنظيم «شباب الوفد» المصري سنة 1936، وفي اقبال عدد من طلبة الجامعة الاميركانية العراقيين على درس مبادئه واشكال تنظيمه وطلب وفد منهم مبادئه ونظام تشكيلاته ليحملوها معهم الى العراق ليسيروا هناك على غرارها».

هذا ما ورد في كلام الزعيم اما من جهة ثانية فقد برز بعض النشاط لعصبة العمل القومي في دمشق كما انه نشأ تنظيم شباب في بغداد تحت اسم «الفتوة» اشترك في تأسيسه الرفيق منير تقي الدين بعد استئذان الزعيم.

في هذه الفترة بين الانكشاف والخروج من السجن جرت على الساحة في الوطن وفي البلدان العربية بعض التيارات المقلدة للحزب السوري القومي الاجتماعي وها هو الزعيم يقول في مقاله «المنشور في الزوبعة»، العدد 17 تاريخ 1/4/41 تحت عنوان «لعبة المؤتمر العربي». وذلك عن الاحزاب الشامية، العراقية والمصرية.

« الحقيقة التي يقوم عليها كل يوم دليل جديد هي ان مبادئ الحركة السورية القومية قد اصبحت المبادئ الوحيدة المقبولة عند السوريين على الاطلاق، حتى عند الذين يجارون هذه الحركة ويتظاهرون كأنهم مخالفون لعقيدها، بينما يأخذون مبادئها ويعدلون فيها بعض الالفاظ التي لاتمس الجوهر ولا تغير شيئاً من حقيقتها.

واول هيئة حاربت الحزب السوري القومي فيما هي تأخذ مبادئه وتنظيماته كانت « الكتلة الوطنية » التي ما كادت تشعر ان انظار الشعب اخذت تتجه نحو الحزب السوري القومي حتى بادرت الى احداث تنظيمات للشباب شبيهة بتنظيمات الحزب السوري القومي وأسمت هذه التنظيمات « الشباب الوطني ».

ثم كان حزب الوفد المصري اول هيئة خارج سورية سارعت الى اقتباس حركة الحزب السوري القومي بأنشائها سنة 1936 تنظيمات « شباب الوفد ».

ولكي لا يكون كلامنا من باب التبجح او الادعاء ننشر فيما يلي « دستور الشباب الوطني » الذي نشر في ابريل سنة 1936 بعد تأليف لجنة بصورة مستعجلة قوامها الدكتور منير العجلاني الذي كان كتليا وانقلب على الكتلة اكثر من مرة والدكتور سيف الدين المأمون الذي عرف عنه فيما بعد انه بعد سجنه في اوائل الحرب الحاضرة دب الوجع الى قلبه وارسل من سجنه كتابا يعلن فيه تأييده لفرنسة والدكتور محمد السراج الذي كان قد وقف على مبادئ الحزب السوري القومي وخبر تنظيماته وهو بعد في فرنسا من الرفيق جورج حريكة الذي كان طالب هندسة في جامعة طولوز والدكتور احمد السمان. وهذا هو دستور « الشباب الوطني » التابع للكتلة الوطنية:

دستور الشباب الوطني:

المادة الاولى: « الشباب الوطني » هيئة قومية غايتها تحرير سورية الطبيعية وتوحيدها والعمل في سبيل تقارب البلاد العربية واتحادها .

المادة الثانية: « الشباب الوطني » هيئة تدرس الاوضاع والاحوال السياسية وتوجيهها شطر تحقيق المقاصد الوطنية .

المادة الثالثة: « الشباب الوطني » هيئة تهذيبية تعمل على نشر مبادئ الاخلاق - والانسانية والوطنية ورفع مستوى الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

المادة الرابعة: « الشباب الوطني » هيئة كفاحية تقوم على اساس الطاعة والنظام والتضحية وتدريب الشبيبة على اساليب مستمدة من التعاليم الرياضية والعسكرية .

المادة الخامسة: «الشباب الوطني» هيئة تعاونية تقوى روح الاخوة بين اعضائها وتنشط مواهبهم وتشد ازهم .

المادة السادسة: دمشق مركز «الشباب الوطني» العام .

المادة السابعة: يؤلف «الشباب الوطني» باسم «القمصان الحديدية» .

المادة الثامنة: شعار «الشباب الوطني» ساعد مفتول يقبض بشدة مشعلا ملتهدا اشارة الى ان رسالة الشباب هي الحركة والحق والقوة .

المادة التاسعة: تحية «الشباب الوطني» رفع الذراع اليمنى الى الاعلى مع بسط الكف .

المادة العاشرة: لباس «الشباب الوطني» الرسمي قيمص وبنطلون حديديان .

المادة الحادية عشرة: قسم «الشباب الوطني» هو:

اقسم بالله ان اخدم بلادي بشرف واخلص وتضحية .

اقسم بالله ان انفذ قانون «الشباب الوطني» (الذي لايزال في عالم الغيب).

اقسم بالله ان اتقيد بمقررات «المجلس السياسي الاعلى» (الذي لم يوجد) واطيع دون تردد اوامر اللجنة العليا .

كل من درس هذا «الدستور» وقابله على غاية الحزب السوري القومي وضحت له الامور الاتية:

1 - ان هذا الدستور وضع على عجلة على اثر لهج الالسن بقضية الحزب السوري القومي التي كانت قد اصبحت امام المحكمة المختلطة وملأت اخبارها اعمدة الجرائد .

2 - انه وضع بعد مضي بضعة اشهر على ظهور امر الحزب القومي وعلى نشر الصحف مبادئ الحزب - وبعد مرور نحو ثلاث سنوات ونصف على تأسيس الحزب السوري القومي .

3 - انه دستور مشوش، غير كامل، غير واضح القصد والفكرة، ولذلك سماه واضعوه «شذرات من الدستور» ولو كان الامر شذرات لما كانت جاءت في عدد متسلسل غير منقطع من المواد المبتدئة بمادة اولى ومنتهية بمادة حاوية عشرة .

4 - ان المادة الاولى منه ليست سوى مختصر غاية الحزب السوري القومي نفسه،

وان المادتين الثانية والثالثة هما مبنيتان على اجزاء من غاية الحزب السوري القومي ومن خطاب الزعيم في المحكمة المختلطة.

5 - ان المادة الرابعة ليست الا تعديلا لفظيا للمبدأ الاصلاحى الخامس من مبادئ الحزب السوري القومي ممزوجا بأفكار وردت في بعض خطب الزعيم.

6 - ان المادة الخامسة مستمدة من روح قسم العضوية للحزب السوري القومي.

7 - ان المادة السابعة ليست سوى محاولة تطبيق تشكيلات الحزب السوري القومي واتخاذ اسم « القمصان الحديدية » هو مأخوذ من لباس الحزب السوري القومي الرصاصى والحديد والرماد من الالوان اقربها الى الرصاص.

8 - ان المادة الثامنة مقتبسة عن بعض الرموز الفرنسية التي شاهدها العجلاني والسراج في فرنسة والحرية والقوة هما من رموز زوبعة الحزب السوري القومي، والحق من مثله العليا.

9 - المادة التاسعة ليست سوى تقليد تحية الحزب السوري القومي بدون ادنى تعديل.

10 - المادة العاشرة ليست سوى تقليد لقسم الحزب، والبلبلبة ظاهرة في هذا التقليد، لأنه ينص على تنفيذ « قانون الشباب الوطنى » الذي لم يكن قد وضع وعلى التقيد بمقررات « المجلس السياسى الاعلى » الذي لا يزال في عالم الغيب فلا يعرف من سيشكله ومن سيتشكل وكيف توضع الثقة به والى اين مرجعه، وعلى اطاعة اوامر اللجنة العليا التي لا يعرف هل هي خاضعة « للمجلس السياسى الاعلى » ام هذا المجلس خاضع لها.

وقد امتدت تشكيلات « الشباب الوطنى » فى الامكنة التي كان « للكتلة الوطنية » نفوذ قوى فيها. وقال كثير من الناس « لم تبق حاجة للحزب السوري القومي، وقد قضى على هذا الحزب ». استعراضات « للقمصان الحديدية » اخذت صورها بالسينا وشاهدها المهاجرون، ولكن بعد اشهر تفككت اوصالها وتفرقت شملها. هذه التشكيلات لم تعمر اكثر من سنة لأنها كانت قائمة على التقليد وفاقدة روح القيادة والانشاء، وبعد مدة عادت « الكتلة الوطنية » تحاول احياء هذه المؤسسة ولكن جهودها ذهبت ادراج الرياح.

وكذلك يقول الزعيم في رسالته الى الرفيق نجيب العسراوي في البرازيل، تاريخ 21 اذار 1942 :

« ولم تنشأ في مصر اية حركة تنظيمية واسعة الاسنة 1936 حين انشئ « شباب الوفد » كما انشئت في الشام القمصان الحديدية وكل ذلك تقليد سطحي لتشكيلات الحزب السوري القومي التي طبقت اخبارها الخافقين. وفي العراق ايضا لم تظهر حركة قومية، « سياسياً واجتماعياً » الا بعد وصول اخبار حركة الحزب السوري القومي اليه. فنشأ « حزب الشعب » و« الحزب العراقي القومي » وغير ذلك. اما كيفية استقلال العراق فذاك امر له وجه سياسي بحت. ونحن نعلم علم اليقين ان الطلبة العراقيين في الجامعة الاميركانية الفوا وفدا وتقدموا يطلبون الاطلاع على مبادئ الحزب السوري القومي وتنظيماته فاجبناهم الى طلبهم وشرحنا لهم ما امكن من وجوه نهضتنا وزودناهم بنسخ من المبادئ والمنشورات الاخرى فحملوها الى العراق ونشروها هناك. ثم كان لنا في العراق عدد من المعلمين السوريين القوميين الذين اخذوا ينشرون الافكار القومية هناك ».

عرض موجز للإحزاب

واني انقل عن جريدة « النهضة » الاعداد 42 ، 45 و 46 تاريخ 1 و 6 و 7 كانون الاول 1937 ، هذا العرض الموجز للاحزاب .

في لبنان

1

النجادة

وقف النائب محي الدين النصوي في جلسة المجلس النيابي اللبناني امس الاول يقترح انشاء مؤسسة كشفية على انقاض الفرق الطائفية المنحلة . وتكون هذه المؤسسة الكشفية اشراف الحكومة التي توجه الشباب توجيهها قوميا صحيحا ، وتنشؤهم نشأة تربوية وطنية صادقة .

ومحي الدين النصوي كان الى عهد قريب ركنا قويا من اركان « الكشاف المسلم » في لبنان . وعلى اكتاف هذا « الكشاف » قد بنى زعامة اوصلته الى المجلس النيابي اللبناني .

ولحياة محي الدين النصوي الكشفية نهاية جديرة بالذكر ، وهي ان محي الدين حلم في ليلة من الليالي بالمجد السياسي ، فقرر ان يكون سياسيا .

وفي يوم من الايام برزت جريدة « بيروت » الى عالم الصحافة في لبنان حاملة في رأسها اسم محي الدين النصوي الى قرب « العروبة فوق الجميع » . وللحال ادرك كل من تصفحها ان « بيروت » جريدة طائفية انشئت للدفاع عن مصالح الطائفة الاسلامية في حكومة لبنان « المسيحية » .

وانخرط النصوي في سلك السياسة عن طريق العمل الصحفي الطائفي . وكان

لانخراطه هذا احد العوامل في اذكاء نار العصبية الدينية والرجعية في قلوب المسلمين، وكانت حوادث 15 نوفمبر احدى ضحاياها القومية..

واستمر النصولي في سياسته الطائفية، وحدثته نفسه على اثر انبثاق الحزب السوري القومي، بتأليف حزب طائفي سياسي يستعمله وسيلة للوصول الى مطامحه في المجال السياسي. وكان النصولي آنذاك رئيسا للكشاف المسلم، وكان الكشاف حركة متسعة يزداد عدد اعضائها يوما بعد يوم، مما جعل المفوضية العليا توجس خيفة من اتساع هذه الحركة، فأصدرت قرارا يمنع فيه الكشاف المسلم من الاجتماع والاستعراض بدون اذن من الحكومة، ويقيد فيه الكشاف قيادا جعل نظام الكشاف المسلم يقتصر على عدم قبول الاعضاء الذين يتجاوز عمرهم العشرين سنة.

رأي محي الدين النصولي رئيس الكشاف ان الحركة الكشفية اصبحت ضعيفة، هزيلة بعد قرار المفوض السامي. فشق عليه ذلك، وقطع الامل من استعمال الكشاف الحاضر مدرجا من مدارج المجد.

وفجأة، انفجرت الازمة، وانقشع الضباب من سماء الامل. ها هو عبدالله دبوس القائد الكشفي يخترع فكرة صفق لها محي الدين تصفيقا نفخ صدره بالامل الباسم فقد فكر عبدالله دبوس بالاشتراك مع بعض رفاقه الكشفيين بانشاء « النجادة » والنجادة هذه في الاساس لحركة كشفية تضم الكشاف المدرج الى سن العشرين، وفوق سن العشرين يصبح نجادا اي كشافا كبيرا. وقد نص القانون الداخلي بانه لا يجوز الانخراط في سلك النجادة الا للكشاف المندوب في فرقة الكشاف الصغير.

قابلت هذه الفكرة ارتياحا تاما من قواد الكشاف المسلم جميعا، وشرعوا بتطبيقها فانتخبوا محي الدين النصولي رئيسا للنجادة.

تسلم النصولي رئاسة النجادة، فرأى فيها حركة يمكن استغلالها في برنامجها السياسي، فقرر بينه وبين نفسه تحويل النجادة من حركة كشفية رياضية بحتة الى حركة سياسية طائفية متلبسة بلباس كشفي رياضي.

ونجح النصولي في هذا التحويل، وصارت النجادة حزبا سياسيا طائفيا على غرار الوحدة اللبنانية والكتائب، وبانت هذه الاحزاب الطائفية الثلاثة خطرا على مصلحة البلاد ووحدتها، وسببا في تقوية العصبية الطائفية الهدامة مما حمل الحكومة اللبنانية الى اصدار مرسوم بحل هذه الاحزاب حلا نهائيا.

واما محي الدين النصولي فقد اصبح نائباً على اكتاف الطائفية وجريدة بيروت والنجادة والائتلاف واشياء اخر ..

واليوم يقف محي الدين يطالب في المجلس النيابي بتأليف مؤسسة كشفية تضم شباب لبنان وتوجهه توجيهها قومياً. كما طالب المطران مبارك بتأليف حزب جديد منذ حين، ولا نعلم كيف توجه المؤسسة الكشفية الرياضية الشباب توجيهها قومياً، الا اذا كان يطمح النائب محي الدين بان يترأسها ويمثل بها الدور الذي لعبه على مسرح النجادة، فيقلب المؤسسة الكشفية التي يطالب بها الى مؤسسة سياسية ليستثمرها في سبيل ما حلم به من المجد السياسي ..
... والظروف تلد العجائب ..

2

الوحدة اللبنانية

البارحة، في جلسة البرلمان، هفا النائب توفيق عواد رئيس الوحدة اللبنانية، هفوة كبيرة دلت على ان الرجل غير لبق في تصريحاته واقواله. فقد صرح على مسمع من الناس ومن نواب البلاد في معرض دفاعه عن الاحزاب التي حلتها الحكومة فقال:

« ان حزب الوحدة قام ليناوىء امتداد النهضة القومية في البلاد، التي بعثها ظهور الحزب السوري القومي، الذي كان ينظم عددا كبيرا من الشباب، حتى في المناطق اللبنانية الصرفة، ومنعا لهذا الاتجاه تأسس حزب الوحدة اللبنانية ثم تبعته الاحزاب الاخرى ».

نحن كنا نعلم قبل ان يصرح رئيس الوحدة اللبنانية، ان الوحدة اللبنانية قامت لتحارب النهضة الجديدة في البلاد، وان هدفها الاول والاخير هو محاربة الشباب في عمله التعميري والقومي.

ان السيد عواد لم يفضح سرا حين صرح بما صرح ولكنه كان سياسياً ضيقاً تنقصه اللباقة في التصريح فبدلاً من ان يستميل الرأي العام ليعطف على حزبه المحلول، جاء بهذا التصريح الذي يزيد في قرف الناس واشمئزازهم.

الوحدة المارونية

كان الاحرى بحزب الوحدة اللبنانية لو اطلق عليه خالفوه، اسم « حزب الوحدة المارونية » فهو ماروني بحت، نلمس مارونيته في تعصب شبابه وفي اشاراته الخاصة وفي

المصادر الاكليريكية التي كان يستمد منها نفوذه. ان هذه المصادر كانت كلها مارونية دينية، ولا قيمة لما يقال من ان الحكومة كانت تعطف عليه بشخص رئيسها المسلم، فالحكومة نفسها لم تكن مخيرة في كل الاوقات في عطفها عليه. ناهيك ان عناصره كانت مسيحية مارونية فيها قسم ضئيل جدا من الشباب المسيحي الارثوذكسي في قرية واحدة من قرى الكورة - فالكورة التي يبلغ عدد سكانها الاربعين الفا، كان يملك حزب الوحدة فيها بضعة من الاعضاء كلهم في قرية كوسبا.

ومتى علمت ان طرابلس المدينة اللبنانية الكبيرة التي تضم اكثر من 50 الف نسمة ليس فيها عضو واحد من حزب الوحدة اللبنانية، وانها كانت كلها ناقمة على هذا الحزب ومؤسسه والعاطفين عليه، وكذلك صيدا وجبل عامل. متى علمت ذلك، تكون لديك فكرة عن «انتشار» هذا الحزب.

اعضاؤه

ان الاوساط التي امتد فيها حزب الوحدة اللبنانية في بادىء الامر، كانت كما المعنا كمارونية، ضيقة سيقة في لبنانيتها، وهي تقول ان لبنان قام على هاجم الاحبار والبطاركة. وسيظل لبنان للاحبار والبطاركة. وقام عماله يروجون له الدعوة عن طريق الطائفية اولا وعن طريق «البهورة» ثانيا بالباس الشباب «القميص الابيض» وبمحملهم السلاح على مرأى من رجال الامن.

ومعظم شباب الوحدة اللبنانية كانوا اما جماعات لا ثقافة عندها، انضمت الى الحزب لتلبس القميص، وتحمل المسدس، وتتهور على الناس، واما جماعات عندها شيء من الثقافة ولكنها ضيقة محدودة تعيش في وسط طائفي بحت وتعمل للطائفية البحتة.

كان اعضاء الوحدة اللبنانية في المناطق، يتهورون على الناس بانهم يحملون المسدس على مرأى من الجند دون ان يتجرأ الجند على ملاحقتهم، لانهم فوق القانون. وفي كل المناطق التي كان يعيش فيها حزب الوحدة اللبنانية، كانت تكثر القلاقل والفتن وهذه حادثة شكا المشهورة، فمن يوم دخل حزب الوحدة اللبنانية الى شكا بدأت القلاقل تقع في هذه القرية المطمئنة.

وحزب اعضاؤه خليط من جميع الاجناس من ابن 10 الى ابن 80 سنة، من الكاهن الى الشيعي، ان حزبا هذه هي اعضاؤه، وهذه عقليتهم هو حزب كتب له الموت من يوم ولادته.

رئيس الوحدة اللبنانية

من عائلة اقطاعية في شمالي لبنان تتوارث المشيخة ابا عن جد، يدعمها نفوذ اكليركي ماروني تستمد من قصر الديمان في الصيف ومن بكركي في الشتاء. وهي على اتصال دائم بارباب هذين القصرين، فمن الضروري تقريبا وجود احد افراد العائلة في السلك الاكليركي ليدعم بوجوده نفوذ العائلة وعميد العائلة اليوم هو سيادة المطران بولس عواد عم السيد توفيق عواد.

في هذا الجو الاكليركي العابق بالبخور، وبين قصري الديمان وبكركي وتحت رعاية اصحاب السيادة واصحاب الغبطة نشأ السيد توفيق عواد، ومن نفوذ عائلته الاكليركي ومن وساطة صاحب الغبطة البطريرك، وصاحب السيادة المطران وتأييدهما ونفوذهما انشأ السيد توفيق عواد حزب الوحدة اللبنانية ليحارب امتداد النهضة القومية: وليدعم نفوذه الشخصي ونفوذ عائلته بحزب طويل عريض. وهمته من البلاد وصالح البلاد همّ ابليس من الجنة.

لا رأي له في علم السياسة او في علم الاقتصاد او في علم الاجتماع. فهو لا يبني نظرياته على اصول علمية كما يفعل عادة قادة الفكر في العالم.

ومن الفكرة الضيقة التي يعتنقها والتي لا يمكن ان تؤدي الى استقرار عملي في البلاد تظهر لك قيمة افكاره السياسية ومبادئه العملية.

وهو كأكثر الشباب المتعلم في هذه البلاد ينظر الى الامور نظرة سطحية، وما كانت الامم لتحيا على النظرات السطحية الضيقة.

ويكفيك ان تعرف انه صاحب حوادث 15 نوفمبر، وصاحب الخطاب الذي تقرأ عنه مقالات للكاتب السياسي « تحت رأي النهضة ».

الكتائب اللبنانية

نشأت « الكتائب اللبنانية » بايعاز، قيل انه من بعض المراجع الاكليركية المارونية، التي لم تنظر بعين العطف الى نشوء حزب « الوحدة اللبنانية »، التي كانت بدورها تستمد كما معنا في مقالنا السابق - نفوذها من مرجع كبير في دولة الاكليروس

الماروني، وقيل انه من بعض الشخصيات التي تعطف على فكرة لبنان الفينيقي.. ومهما قيل فجن نعرف والناس مثلنا يعرفون ان «الكتائب اللبنانية» نشأت بايعاز، كان يقصد منه حالة معينة لدعم مكانة بعض الافراد في الجمهورية اللبنانية ولمحاربة الحزب السوري القومي ثانيا، وهي من هذه الناحية تتفق مع زميلتها «الوحدة اللبنانية». واتخذت لنفسها الرياضة قناعا تخفي وراءه وجهها طائفا بحتا، وهو وجه ماروني لم تتمكن من اخفائه طويلا في حياتها القصيرة، وحتى بعد انتقالها الى رحمة تعالى، ففي الاضطرابات الاخيرة اطل هذا الوجه من شباك مدرسة الحكمة ومن شبايك مدرسة اليسوعية وادارة جريدة البشير. اما الفكرة الرياضية التي ادعتها «الكتائب» فلم تظهر في اي عمل من اعمالها، فهي لم تُعَنَ بالخفلات الرياضية ولم تقدم جوائز كما تفعل المؤسسات الرياضية عادة، وكل ما قامت به الكتائب انها كانت تقيم استعراضات في الشوارع كلها انتهازية بمناسبة خاصة وعند رأي بعض الناس.

الكتائب والوحدة

قامت «الكتاب» و «الوحدة» تحاربان جبهة واحدة مشتركة كان لها تفاعيل كبيرة في البلاد، ويقتبسان عن هذه الجبهة القومية القوية فكرة التنظيم، فيقلدانها بالمظاهر الخارجية، وقامتا تحاربان بعضهما البعض في الوقت نفسه، هما تتفقان في مارونيتها وفكرتها الضيقة، وفي محاربة النهضة القومية، وتختلفان من وجهة ثانية، فالكتائب صنيعة جهة والوحدة صنيعة جهة اخرى. ومن يوم تأسست الكتائب احمرت عليها عيون اعضاء الوحدة، فقاموا يطعنون ببعضهم البعض طعنا جارحا اليما. فكشفوا عن نواياهم الاستغلالية واظهروا للناس انهم يضللون الناس، ويفضحون انفسهم امام الناس.

وقامت مناقشات عديدة في جميع الجهات اللبنانية بين افراد الكتائب والوحدة. وهذا وحده كاف لان يجعلنا نؤكد للرأي العام ان الكتائب «الرياضية» ما قامت على فكرة الرياضة مطلقا، اذ اي دخل للرياضيين من الكتائب بمبادئ حزب سياسي بحت لو لم تكن الاغراض الشخصية هي التي تسيّر الكتائب اللبنانية.

الكتائب تنقسم على نفسها

ان الكتائب كجميع المنظمات التي تخفي وراءها غايات ومقاصد شخصية، لم تتمكن من ان توحد صفوفها في جبهة قوية، فقد ادى التنافس والتطاحن بين الاشخاص على الاشخاص الى انسحاب الاستاذ شفيق ناصيف النائب وقسم كبير من

الشباب، وكانت مناورة يقصد منها اسناد الرئاسة الى السيد بيار الجميل الرئيس الحالي دون منافس او مزاحم.

ونجحت المناورة نجاحا تاما، وتمكن المناورون من ان يامنوا جانب المنسحبين.

اعضاء الكتائب

لا شك ان بين اعضاء الكتائب وبين اعضاء الوحدة اللبنانية بونا شاسعا من جهة الثقافة، فالكثابيون في معظمهم مثقفون تثقيفا لا بأس له من الوجة النظرية، ولكن اتجاههم العملي محدود في افق ضيق، وتفكيرهم تخنقه الاوساط النظرية، ولكن اتجاههم العملي محدود في افق ضيق، وتفكيرهم تخنقه الاوساط التي لها في خنقه مآرب، والتي تأبى على الشباب انفلاته من جو الطائفية الضيقة ليعمل في سبيل المجموع كله.

ولم نعرف ان بين افراد الكتائب اللبنانية عضوا له وظيفة كاهن، كما رأينا في اعضاء الوحدة اللبنانية، ومديرو فروعها، وفي القرى كانوا من الكهنة..

رئيس الكتائب

وهذا ايضا من عائلة اقطاعية من المتن يتوارث المشيخة: كزميله عواد، ابا عن جد، تفكيره تفكير رياضي، وقد يكون دون مرتبة الكثير من اعضاء الكتائب ثقافة وعلما ونضوجا جنتلمن.

قيل انه يفكر بدماغ ابن عمه المحامي موريس الجميل ويضرب بعضا اليسوعيين.

عرف في الاوساط انه حكم دائم للمباريات الرياضية في لبنان، وهذه ميزته الوحيدة. افكاره تعيش في وسط ضيق ولا تحس بالتلمل من هذا الوسط، كنفوس قادة النهضات الكبرى في العالم.

قيل انه كان في المظاهرات الاخيرة على رأس رفاقه، وقيل انه كان موليا، فجاءته ضربة على رأسه اوقعته على الارض، وكان رفاقه يهربون من حوله. كثرت تصاريحه في الآونة الاخرى حول شراء الكتائب وبيعها، فقد حصر همه في نفي بيع الكتائب، ولعلها كانت من باب تأكيد النفي.

ولقد استغل الانتهازيون في الحوادث الاخيرة اسمه وكتائبه ليفجروا احقادهم، فجعلوا من الحبة قبة ومن النبا اسطورة ومن التلة جبلا.

الجهة القومية

استفاق الاستاذ يوسف السودا يوما من الايام، على جلبة صاحبة، فالاحزاب تتألف في لبنان على اثر ظهور الحزب السوري القومي وفي تأليفها تنميق وزخرفة، فرأى السودا نفسه في معزل من هذه الحركات، وجال في رأسه هذا الفكر: لماذا لا يكون رئيسا لحزب؟

استعرض يوسف السودا ذكريات تاريخه المجيد، يوم كان في مصر، يملاً جو محكمة الاستئناف بفيض من عبقريته الحقوقية ويوم عاد الى لبنان يحمل الى جانب اسمه الكرم لقب «استاذ» الطريف في ذلك الحين، وقد اسس عقيب عودته هذه حزبا دعاه «حزب المحافظين» يرمي الى المحافظة على كيان لبنان ويوصل السودا الى منصب ومجد مرغوبين ويوم انشأ جريدة باسم «الراية» بمساعدة بعض المهاجرين اللبنانيين الذين تبرعوا واهدوه مطبعة لهذه الغاية، ويوم صعد على اكتاف «الراية» و«المحافظين» بمعاونة الاوساط الاكليريكية الى كرسي النيابة في المجلس النيابي على عهد الجنرال سراي، حيث لم تتشرف به هذه الكرسي المنشودة سوى اربع وعشرين ساعة طار بعدها المجلس النيابي بقضه وقضيضه بأمر من الجنرال سراي، واخيرا يوم عاد المجلس النيابي على ايام العميد الصامت المسيو بونسو...

استعرض يوسف السودا كل هذه الذكريات الحافلة بالزهو والكفاح، والتفت الى رأسه بالمرآة فرأى الشيب يتخطى الى شعره المزروع في مؤخرة رأسه، كاشفا عن جبهة عريضة، خليقة باستيعاب كل ما في الكون من احلام وآمال فهاله الامر، وادرك ان الشيخوخة تستبقه دون مأثرة تسجل اسمه في التاريخ مقرونا بالمجد والخلود، فضرب كفا على كف، ومشى الى انصاره ورفاقه، يلقي عليهم ما اكتسبه من بلاغة في التطبيق والكلام، فكانت «الجهة القومية اللبنانية» وكان بيانها في الصحف، يملاً فسحة لا بأس بها، يذيله توقيع يوسف السودا مشفوعا برئيسها «الجهة القومية».

هدف الجهة

وكان هدف الجهة يتلخص في اعادة الدستور والحياة الدستورية الى لبنان، وعقد معاهدة مع فرنسا ونفي كل مصلحة انتخابية ومن هذا الهدف، ادرك المدركون ان الجهة حركة سياسية انتهائية موقته. وقد كان من المنتظر ان تتلاشى الجهة بعد ان تحقق هدفها بدون ادنى علاقة ولا تدخل منها، ولكن السودا ابى الا ان يحتفظ

بالجبهة، وبرئاسة الجبهة... والجبهة اصبحت كما هو معلوم، تقتصر على الرئيس وعلى افراد قلائل، منكمشين على انفسهم في زوايا مكاتبهم، على هامش الحياة السياسية.

السباق

رأى الاستاذ السودا، بالاتفاق مع زملائه في الجبهة، ان جبهتهم تقتصر على المتقدمين في السن، والذين تجري في عروقهم دماء باردة فلا مظاهر فضفاضة، ولا البسة تقليدية منمقة ولا استعراضات في الاسواق « كالوحدة اللبنانية » و « الكتائب » ولا تطويل وتزوير له ولزعمائه في المناسبات العامة، فالجمود يكتنف الجبهة من جميع نواحيها، والفراغ يحيط باهدافها.. فمن الضروري ان يكون لها مظاهر مزخرفة اخاذة تلقي على هذا الفراغ ستارا من الوهم والجلال المصطنع.

ومن هنا تولدت فكرة « السباق » والسباق هذه فرقة تابعة للجبهة، تشبه الكشافة في البستها وانظمتها، او على الاصح هي اقرب الى فرقة من صفوف تلامذة الايتام منها الى اي شيء آخر. ولعل ما يجعلها كذلك هو اقتناؤها آلات موسيقية تشبه بالآلات الجيش الموسيقية... والسبب في اقتناء هذه الآلات يعود الى رغبة الرئيس السودا واعوانه في التطويل والتذمير.

واما اعضاء السباق، فمعظمهم من الاولاد والبقية فمن الفتيان المأخوذون بالظواهر الغرارة.

مصير الجبهة

واليوم تتوارى الجبهة القومية اللبنانية مع قافلة الاحزاب اللبنانية الاخرى التي ولدتها الرجعية والاكليركية، كرد فعل للنهضة السورية القومية الخطيرة. ويصبح يوسف السودان خالي اليدين من وسيلة كان يظننها الوسيلة التي يرجو منها خيرا لا يصله الى مطعمه في منصب رفيع في الدولة.

الكتلة الوطنية

الكتلة الوطنية، هي كناية عن مجموعة من الرجال، تكتلت تحت تأثير عوامل المناسبات السياسية، لمناوئة الانتداب الفرنسي لا اكثر ولا اقل، وهذه المناسبات السياسية تعود الى الفتح الفيصلي لدمشق، وتمتد الى ثورة السوريين عام 1925. ففي هذه المدة من الزمن، ظهر على مسرح السياسة السورية رجال ذوو ثقافة تقليدية رجعية، وذوو تهذيب تركي قديم، وبالتالي ذوو المام سطحي بسيط بالسياسة الانترنسيونية، وقد كان هؤلاء الرجال نفوذ اقطاعي وعائلي، كان المسبب الاكبر في هذا الظهور. وكان ايضا بين هؤلاء الرجال من تثقفوا ثقافة حديثة ولكنهم لم يخلوا من مآرب شخصية واطماع ذاتية، كانت تفرجهم بين اشداق المطامع الاجنبية.

وعلى اثر انتهاء الثورة السورية، التي لم يكن لها نتيجة محسوسة لتخفيف وطأة الانتداب الفرنسي، لاسباب اهمها اعتباط رجال السياسة السورية في ذلك الحين وعدم معرفتهم استثمار الظروف استثمارا يكون حتما في مصالح البلاد. اصدر الفرنسيون قرارات نفي قواد الحركة الثورية في الشام، وابقوا السياسيين السوريين الضعفاء والموالين والعاملين سرا لمصلحة الفرنسيين. و اشاروا اليهم بتأليف جمعية لوضع دستور للحكومة الشامية فكانت «الجمعية التأسيسية» المعروفة. فوضعت دستورا لا يركز على اتجاه قومي صحيح، بل يستوحي اسسه من الروح الطائفية البحتة والاثرة الدينية البغيضة، وفوق ذلك ينم عن رغبة مستترة في طرح الفرنسيين بالبحر، ويشف عن بغض مخفي للدولة الفرنسية، مما حمل وزارة الجمهورية الفرنسية الى رفض هذا الدستور او وضع مادة اخيرة عرفت بالمادة «116»، تقيد الدستور بقيد خطير يجعل الدستور كله عديم القيمة والوزن. ولكن اعضاء «الجمعية التأسيسية» رفضوا قبول هذه المادة. واثاروا الشعب السوري لرفضها ايضا. فقامت الاضطرابات والاحتجاجات في طول البلاد وعرضها. غير ان الفرنسيين ابوا التنازل عن المادة المذكورة كما ان «الجمعية التأسيسية» ابت قبولها، مما نتج عن طرح الدستور من اساسه، وتمنع الافرنسيين عن المفاوضة مع اعضاء الجمعية التأسيسية، حيث وضعوا يدهم بيد الشيخ تاج الدين واضرابه من مرضى الوطنية.

تأليف الكتلة الوطنية

ولما رأى اعضاء « الجمعية التأسيسية » ما حل بهم، جمعوا بعضهم بعضا في جبهة سياسية واحدة دعوها « الكتلة الوطنية » وهي الكتلة الحاضرة التي نحن بصدددها .

سارت « الكتلة الوطنية » في ميدان العمل السياسي، متخذة محاربة الانتداب الفرنسي هدفا لها، وكانت ترقب الظروف لانتهازها في مصلحتها التي ظنتها مصلحة البلاد وكانت في جهادها العنيف تحبط بغير اتجاه وتعمل بغير منهج. وقد كان لها من جهادها هذا سببا في عطف الرأي العام عليها، وتأييد الشعب لها تأييدا اكسبها نفوذا طويلا عريضا فصار اعضاؤها زعماء في رأي الشعب. ووجد وقت لم يكن في اوساط الشعب في الشام سوى معارضين قلائل للكتلة الوطنية ورجالها .

مرت الايام تلو الايام، والكتلة الوطنية تتصدع تارة وتقوى تارة اخرى، فالمصلحة تجمع الجميع برباط عجيب. وهذه المصلحة كانت اساس قوة الكتلة الوطنية وامتداد نفوذها .

اعمال الكتلة

لم تعمل الكتلة الوطنية عملا سياسيا يصح تسجيله قبل عقد المعاهدة الشامية - الفرنسية. ولكن لا بد لنا من الاشارة الى ان الكتلة قد اذكت في صدور الشعب روح الوطنية، ولو ان هذه الزوح كانت مقترنة بالاحساس القومي الصحيح، لأدت بأعمال جبارة يعود الفضل فيها للكتلة الوطنية. غير ان فساد الاتجاه القومي في سياسة الكتلة جعل عملها ناقصا، وبالتالي ادى الى النتائج التي نراها في الجمهورية الشامية اليوم .

ومهما يكن من الامر، فقد استطاعت الكتلة ان تكسب تأييد الشعب الشامي باكثرية الساحقة، واستطاعت بفضل هذا التأييد، ان تقم نفسها وصية على الشعب فتعقد معاهدة مع الحكومة الفرنسية باسم هذا الشعب .

كيف عقدت المعاهدة

وفي شتاء سنة 1936، اشتد ضغط الفرنسيين بواسطة حكومة الشيخ تاج على الشعب في الشام، مما ادى الى تملل الشعب، ومن ورائه الكتلة الوطنية، تحت تأثير هذا الضغط. فقامت الاحتجاجات في طول البلاد وعرضها، وسرت النقمة في كل صدر، وتمشى التمرد في كل قلب. وصار الكتليويون يستثمرون نقمة الشعب وتمرده في اظهار البطولة والعنف بمهاجمة السياسة الفرنسية ومصالحها. فاضطر المفوض السامي الى نفي

بعض اعضاء الكتلة، مما زاد هياج الشعب ونقمته على الوضع من جميع وجوهه، فاضربت المدن للشامية جميعها اضرابا شاملا وتآلفت المظاهرات العدائية في الشوارع، وحدثت الاصطدامات العنيفة الدامية، بين افراد الشعب والجيش الفرنسي، واصبحت حالة البلاد في فوضى حراء، ارغمت الفرنسيين على الاعياز للكتلة الوطنية بصفتها حاصلة على تأييد الاكثرية الساحقة من الشعب، لاجل المفاوضة لوضع حد لهذه الفوضى المستحكمة.

وفي شهر شباط اي بعد شهرين ونيف من الاضطرابات، جرت المفاوضة التمهيدية بين وفد الكتلة والمفوض السامي الفرنسي اسفرت عن اتفاق عقدت على اساسه المعاهدة الحاضرة وبفضل هذه المعاهدة تسلمت الكتلة الوطنية زمام الحكم في الشام، وكانت هذه المعاهدة ايضا، نتيجة عمل الكتلة في الحقل السياسي!

تطورات الكتلة

قلنا ان الكتلة الوطنية، هي كناية عن مجموعة من الرجال تعمل في جبهة تظهر متحدة اما هي في الواقع فمتنافرة نوعا، لا تعمل براى واتجاه موحدين، بل لكل عضو من اعضائها رأي واتجاه خاصين كثيرا ما يستعصي ذوبها في تكوين رأي خاص يعبر عن رأي الكتلة بمجموعها، وهذا ما أدى الى نفور بعض الاعضاء وانفلاتهم من تحت لواء الكتلة. والثابت ان هذه الحقيقة اوشكت ان تؤدي الى تفكك عرى الكتلة، لولا الانقاذ الذي اوجدته الظروف بواسطة عقد المعاهدة وتسليم زمام الحكم.

وقد احست الكتلة بعد ظهور الحزب السوري القومي، ان وضعيتها لا تفيد شيئا ولا يمكن ان تثبت امام الحركة السورية القومية المنظمة. فقررت تعديل وضعيتها وقلب الكتلة الى حزب سياسي منظم فاشارت الى بعض الشباب العاملين تحت لواء الكتلة بتقليد تنظيم الحزب السوري القومي بحزب على غرار «فنشأت» القمصان الحديدية» وقررت ايضا انشاء فروع للكتلة في المدن الشامية، فاستت مكاتب رغبت ان تكون مربوطة في المركز بدمشق، غير ان النتيجة لم تحقق هذه الرغبة، فاعلنت هذه الفروع استقلالها عن المركز شيئا فشيئا، حتى اصبحت هذه الفروع تعمل منفصلة في الرأي عن مركز الكتلة بدمشق، وسارت وراء السياسات المحلية الضيقة.

القمصان الحديدية

اما «القمصان الحديدية» فقد كانت اشبه بزميلاتها المنظمات اللبنانية المقلدة

للحزب السوري القومي، « فالقمصان » قد اقتضت على المظهر الخارجي، وعلى الاستعراضات في الشوارع. اما التربية القومية، واما الروح التنظيمية الصحيحة، واما الاتجاه الحقيقي الثابت، فلم يكن لها اثر في شباب القمصان الحديدية المخترعة.

على ان فقدان هذه الضروريات في منظمة « القمصان الحديدية » ادى اخيرا الى تلاشيها واضمحلالها، وجعلت منها في النهاية جوفا موسيقيا مهمته العزف والتزمير في الحفلات التي تقيمها الكتلة الوطنية في المناسبات.

الامر الواقع

ان الكتلة الوطنية تعمل على رأس الحكم في الجمهورية الشامية، استنادا على المعاهدة التي عقدتها مع فرنسا. وقد وجهنا على منبر « النهضة » بعض الانتقادات المخلصة بما يختص بكيفية اتجاه الكتلة في ادارة شؤون البلاد، مما يجعلنا ان نعيدها هنا مرة ثانية.

والامر الواقع ان الكتلة الوطنية، اذا لم تأخذ بالمبادئ الصحيحة للنهضة القومية الحديثة التي تمثل نهضة عصر، واستفاقة شعب يريد الحياة، فانها ستتحدر حتما الى الهاوية وستفشل في سياستها وفي ادارتها فشلا لا تقوم له قائمة.

وكل ما نطلبه هو ان تدرك الكتلة الوطنية هذه الحقيقة، فتعمل مع الحركة القومية جنبا الى جنب في سبيل انقاذ سورية انقاذا صحيحا شاملا.

والذي يجعلنا نأمل ذلك، هو التغيير الذي نلمسه في اتجاه بعض رجال الكتلة الوطنية وتصرفاتهم، ولعل دولة الرئيس جميل مردم بك اكثر هؤلاء اقتناعا في تغيير موقفه تجاه الحركة السورية القومية والاخذ بمبادئها وتعاليمها.

عصبة العمل القومي

تختلف الاقوال في الدوافع التي ادت الى تأسيس الفئة السياسية المسماة « بعصبة العمل القومي »، فمنهم من يقول ان المغفور له الملك فيصل اوعز الى جماعة من انصاره بدمشق لتأسيسها وذلك لمقاومة نفوذ جماعة « المؤتمر التأسيسي » القديم و« الكتلة الوطنية » المنبثقة منه، على اثر محاربتهم له في سعيه لضم سورية والعراق تحت

لواء ملكه، ومنهم من يقول ان «عصبة العمل القومي» ليست سوى فرع لمركز سري مجهول في العالم العربي، وغاية هذا المركز هي تمديد الموجة الحاملة لفكرة «القومية العربية» ومن ورائها الوحدة العربية. ومنهم من يقول ان للرئيس السيد هاشم الاتاسي ضلع كبير في تأسيس العصبة وانماؤها بعد ما لمس النية السيئة التي يضمها له الدمشقيون.

ومها قيل حول تأسيس العصبة، فالذي يجب ان نعرفه ان «عصبة العمل القومي» حركة انتفاعية تأسست بايعاز، وان الملك فيصل كان له النصيب الاكبر في هذا اليعاز، بدليل ما كنا نشاهده من مناصرته لها مناصرة فعلية، وبدليل ما كنا نشاهده ايضا من حماس العسبويين للملك فيصل، ودعايتهم له، وسعيهم لضم سورية الى سيطرته.

مبادئ العصبة

ان مبادئ «عصبة العمل القومي» هي مبادئ فضفاضة اقرب للخيال منها الى الحقيقة، وبالتالي هي مبادئ عاطفية لا تتمشى مع العقل ولا تنطبق على اساس علمي عميق في حقيقة القومية وكيفية تكوين الامم وعناصرها.

والذي يطالع بيان العصبة على اثر المؤتمر المعروف بمؤتمر قرنايل سنة 1932، يدرك مدى الوهم في اهداف العصبة واتجاهاتها فان المطالع يتصور ان العصبة حركة واسعة النطاق تتناول العالم العربي كله وتؤثر على مجرى سياسته، مع انها بالحقيقة حركة محلية ضعيفة يملأها الغرور، ويسيطر عليها الوهم حتى لتحسب نفسها ممثلة لجماعات العالم العربي وهيئاته وافراده.

واذا تناولنا مبادئ العصبة التي اعلنتها عقيب «مؤتمر قرنايل» بالبحث، يطول بنا الحديث، ويصبح كلامنا درسا علميا بدلا من ان يكون عرضا سريعا ولكن الحاجة تقضي علينا بذكر لمحة وجيزة عن هذه المبادئ.

تقول العصبة ان وحدة التاريخ والتقاليد والعادات واللغة والغايات والوضع الجغرافي هي الاسس التي تركز عليها في نظريتها القائلة بالوحدة العربية والقومية العربية. على ان الواقع العلمي يثبت ان الامم العربية تختلف اختلافا بينا في وحدة التاريخ والتقاليد والعادات والوضع الجغرافي، ويبقى هنالك اللغة وحدها وهذه لا تكفي لتكون اساسا لوحدة الشعوب وتكوين قومياتها.

فلسورية تاريخ خاص يمتد منذ فجر التاريخ وليس من الصواب ان يقال بان في الفتح العربي الاسلامي لسورية اساسا لوحدة هذا التاريخ مع الامم العربية الاخرى. فالفتح العربي الاسلامي لسورية يقابله فتح روماني مسيحي لمعظم دول اوروبا والشرق، ولم نسمع ان واحدة من هذه الامم المفتوحة تطالب بوحدة رومانية مسيحية تربط تاريخها القومي بتاريخ ذلك الفتح. والحق ان الفتح العربي الاسلامي لسورية هو حادث طارئ في تاريخ سورية والحوادث المطارئة في تاريخ الامم، لا يصح ان يبنى عليها وحدة تاريخية مرتبطة بتاريخ هذا الحادث.

وكذلك ايضا ان للامة السورية تقاليد وعادات ليست كتقاليد وعادات اهالي الحجاز واليمن مثلا. وبالتالي، ان لسورية وضعا جغرافيا يميزها عن بقية الاقطار العربية، والحدود السورية هي حدود معروفة في علم التاريخ والجغرافية، وهذه الحدود هي حدود ثابتة اصلية لجعل سورية بلادا مستقلة تمام الاستقلال عن اية بلاد اخرى. فالجبال من الشمال، والصحراء من الشرق والبحر من الغرب، ونهر كبير من الجنوب، هي حدود طبيعية علمية تكفي لان تجعل من الوطن السوري وطنا مستقلا.

ومن هنا يتبين لنا ان الاسس التي تقم عليها «عصبة العمل القومي» ببيان الوحدة العربية هي اسس خاطئة مستمدة من الخيال والعاطفة فحسب.

تنظيم العصبة

الحقيقة، ان العصبة تختلف عن «الكتلة الوطنية» في الشام، من حيث انها فئة سياسية ذات اهداف، بقطع النظر عن ماهية هذه الاهداف ونصيبها من الحقيقة. فالعصبة تتألف من فئة متعلمة، تستند في عملها السياسي على تفكيرها وليس على النفوذ العائلي او الاقطاعي ثم ان العصبة كانت منذ تأسيسها حركة ناشئة وليست تكتلية كالكتلة الوطنية مثلا.

على ان العصبة، رغما عن انها حركة ناشئة، فهي قبل ظهور الحزب السوري القومي بتنظيمه الفريد، لم تكن ذات نظام داخلي يحفظها من الفوضى والتفكك، ولذلك يرى المطلع على تطورات العصبة وتاريخها، انها وقعت كثيرا من المرات في فوضى ونزاع داخلي، اديا الى تفكك وتضارب بين قوادها ومرتسبيها. ولولا المصلحة التي كانت تجتمعهم لمناواة الكتلة الوطنية وتأخير امتداد نفوذها، لقصى على العصبة منذ امد بعيد.

فروع العصبة

لم يكن لعصبة العمل القومي فروع بالمعنى المفروض في هذا التعبير، إنما بعد ظهور الحزب السوري القومي، تنبته العصبة كغيرها من بقية الفئات السياسية في الشام ولبنان، الى اقتباس ما يمكن اقتباسه من تنظيم المؤسسة السورية القومية. فامتد نظامها الداخلي ومن ثم فروعها بحيوية التنظيم المقتبس، غير انها لم تكن حيوية خالدة، ان الاقبال غير الابتداء، فسرعان ما انطفأت هذه الحيوية، وتحولت الى وسيلة استغلتها الفروع لتقوية نفوذها الخاص الذي اصبح ينادىء نفوذ مركز العصبة الرئيسي بدمشق، وادى الى استقلالها فعلياً في ادارة شؤونها الداخلية.

وللعصبة بضعة فروع في الجهات الشامية. اما في لبنان فتدعي ان لها فرعين، فرعاً في طرابلس وآخر في بيروت. مع ان الواقع المعروف ان هذين الفرعين هما شخصان لا ثالث حقيقي لهما: السيدان علي ناصر الدين في بيروت، وشوقي دندشي في طرابلس.

وان فروع العصبة في الجهات الشامية فضيفة جداً، ولعل اقواها فرع حصص في الدرجة الاولى وفرع لواء الاسكندرون في الدرجة الثانية.

نظرة اجمالية

ونظرة اجمالية على «عصبة العمل القومي» من بدء تأسيسها الى اليوم، تدلنا على ان العصبة كانت في مطلع ظهورها قوية نوعاً، فقد انضم اليها قسم وافر من الشباب والعناصر المتململة من اعمال الكتلة الوطنية واستثمارها وارستقراطيتها. كان لها من خيال مبادئها سحراً يجذب القلوب المتعطشة الى العمل القومي. حتى اذا ما ظهرت النهضة السورية القومية بمبادئها الثابتة المرتكزة على اساس علمية لا ترد، وبنظامها الفريد الذي يضمن استمرار الجهاد والابتعاد عن العنجهية الشخصية والاستثمار النفعي، وادرك المتعلقون بأذيال الخيال ان الخيال لا يؤدي الى نتيجة، وكانت النهضة السورية القومية اشبه بشعاع الشمس المنسكب على كومة من الثلج، فاذا بت جميع الاوهام والخيالات العالقة بالتفكير السوري، ووجهته توجيهها علمياً صحيحاً.

لقد انحدرت العصبة، مع الايام، في منحدر الاضمحلال. واليوم تتفكك عرى العصبة، ويختل مركزها الرئيسي بدمشق. ويبقى فرعاً العصبة في حصص وانطاكية

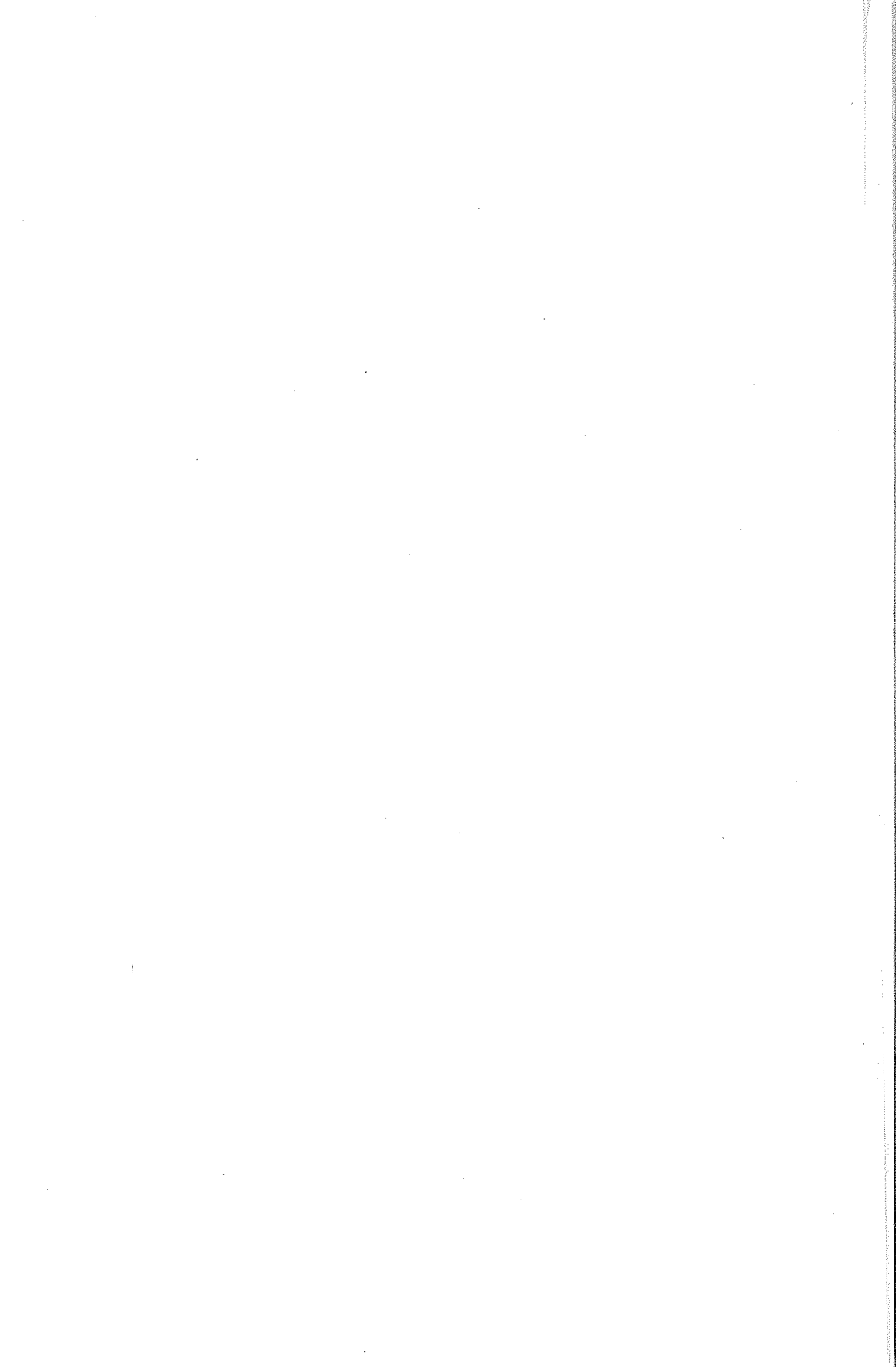
يعملان عملها المعروف في اصدار المناشير والبيانات والاحتجاجات على كل كارثة ومصيبة قوميتين تحلان بالبلاد .

حقيقة العصبة

وقبل ان نختتم هذا العرض السريع لعصبة العمل القومي، نرى من الضروري ان نثبت الحقيقة التي تنطوي عليها مبادئها واهدافها. وهذه الحقيقة هي، ان العصبة تصطبغ بالصبغة الدينية الصرفة التي ترمي الى تكوين امبراطورية اسلامية، او بكلمة اخرى، الى ارجاع عهد الخلافة الاسلامية القديمة. وما « الوحدة العربية » سوى لباس تتلبس به هذه الصبغة .



لاویٹ



القومية في الادب

بقلم:

صلاح عبد الرحمن الاسير

لا ندري انغتبط ام نسخط حين يعنى في بحث الادب المتأدبون الذين يحسبون الادب مادة الصحف السيارة يقرأه القراء جميعا كما يقرأون خبرا سياسيا ويمرون به ويتفلسفون في نقده.

ولقد ضاق الادب بهؤلاء الدخلاء وضاق بأرائهم العقيمة ونظرياتهم المتخلفة ومع ذلك نرى في كل صحيفة انهارا من هذا الادب العفن، ذلك لان الاختصاص مادة منعقدة في هذا الصعيد الذي لا لون له. والاعجب من ذلك انني قرأت بالامس مقالا في الادب القومي لتأدب زعم ان القومية في الادب ضرب من العبث الحلو وظهر لي فيما بعد ان حضرته اراد ان يقلد اديبا كبيرا ما برح يدعو الى العالمية في الادب، ولكنني لم افهم من مقاله شيئا فهو لا يوضح لك القومية واعزو ذلك لعجزه عن القدرة على فهمها ولا يوضح لك العالمية لانها اسمى من ان تتبدل ليبحثها متأدب يجهل ان القومية حجر الزاوية في الادب العالمي..!

والادب عندي، المرأة الصافية تنعكس عليها حياة الامة فهو قومي قبل كل شيء ومن واجبي ان اوضح فالقومية هي الكلمة التي اطلقت على تآلف جماعة من الناس في بيئة واحدة وفي سبيل تكوين وطن واحد، فالقومية اذت تربطنا ارتباطا وثيقا بالوطن، والواقع في الادب القومي ليس قوامه الموضوعات الاقليمية الضيقة المسرفة في ضيقها، ولكنه الادب الذي يلهمه الفنان الذي تمثلت فيه خصائص امته وطبيعة اقليمها وارضها في الشعور والفكر، والذي يسمو بفته الى اسمى درجات الفن العالمي لانه اعتمد على



صلاح الاسير

ذاتيته وثقافته الخاصة وشعوره الخالص فاخرج للناس الصور الرائعة في دنيا الادب كما يراها هو فاصبحت هذه الصور عالمية بجنة على انها قومية والفكرة العالمية لا تتناقض مع الفكرة القومية هذا التناقض الذي يتوهمه البعض . والعالمية عندي هي القومية على صورة واسعة الافق فسيحة المدى !..

وارى اننا في ادبنا - اذا جاز لنا ان نزعّم ان لدينا ادبا - عالة على الاساتذة الموتى الذين سبقونا الى هذه الدنيا نأخذ منهم ونرسم خطاهم واطفال على الادب الغربي ليس لنا لون ادبي فتمتاز به ولا عليّة ادبية قومية وانه لضعف ان لا يؤمن الفرد الكائن الحي بوجود شيء في اعماق نفسه يقال له الشعور القومي، فالادب السوري منشطر الى شطرين، شطر يطل على الصحراء يستلهم الاطلال الدوارس ويعود الى عصر الرصيف القديم « بين الدخول فحومل » وشطر في حضن فرنسا ينتقل بين بودلير وفاليري وسامان وفولين او بعبارة ادق اننا لا نشعر بشيء يقال له الحنين والحذب على هذه القطعة من الارض الواقعة بين الصحراء والبحر المتوسط !..

لنأخذ الادب المختلفة، فالادب الروسي الحديث التهمته القصة وهي عماد الادب الغربي اليوم والادب الفرنسي يمتاز باناقته واتزان تفكيره والادب العربي الحديث « الهزيل » يمتاز بانعدام روح العنصرية فيه ولذلك كان لزاما علينا ان ندعو الى قومية في الادب، فندعو الى انشاء الادب السوري والسبيل الى ذلك سهل وذلك بدراسة الادب العربي على نمط جديد ونأخذ بعد ذلك في الاعتماد على ثقافة خاصة على كونها عربية لها لون سوري صريح ولا اغالي اذا قلت ان بوسعنا ان نقول بعد امد غير بعيد ان الحياة الادبية في سورية آن لها ان تعلن استقلالها !..

تتنازع هذه البلاد ثقافات متعددة افضت الى هذا الاضطراب في الجو الادبي، وافضت الى خلق صيحة الابداع والخلق وافسحت مجال الحياة الرحيب للذين اعتمدوا على الادعاء والترجمة والنقل وقد انتهى دور التقليد ولم ينته دور الترجمة ولتكن غاية هذا الادب الذي ندعو اليه انشاء النهضة السورية عن طريق وصف البيئة السورية على ما هي عليه تصويرا صادقا بارعا بكسب الادب السوري روعة الحقيقة وعندي ان هذا لا يتوفر الا عن طريق القصة واماننا الادب الروسي، وهو من اسمى الآداب العالمية، الذي يعنى العناء الاوفى في سبيل قوميته في القصة واراني بحاجة الى اعادة ما قلته في مقال « ذوق الجمال والفن » من ان سر هذا الجمود في ادراك الجمال المحيط بنا ضعف الايمان بالجمال في نفوس شعرائنا وكتابتنا وذوي الجمال فينا وذلك لانهم يستمدون

شعورهم من الكتب لا من الحياة فالجميل عندهم ما تغنى به غيرهم على انه جميل وما لم يتح لهذا الغير ان يسميه جميلا فلا تستسيغه اذواقهم المحنطة وشعورهم المريض وقد تسائل احدهم عن سر هذا الجمود فيسخر منك واذا تنازل فأجابك قال:

« لا جديد تحت الشمس » وعندي ان الحياة تتجدد ابدا والشمس وما تغمر من معالم كل هذه دائمة التجدد ولو غزا الجمود الحياة لاتخذ الانسان من امره فيها مخرجا .
وقديما فطر الانسان على الملل فليس بوسعه ان يرى في كل دقيقة ما رآه في اختها .

وبلادنا ! هذه البلاد التي فتنت « لامرتين » ليست في حاجة الا لاصحاب الشعور الرهيف ، هذه البلاد ارض الالهة ومسرح الجمال في الوجود لنبدع في تصويرها ولنتسابق الي ابرازها باحلى الحلل فالفن يسكب الجمال حتى في النفوس الجامدة امام الجمال .

لنقرأ في الادب العربي والادب الغربي كلما سنحت لنا الفرصة ولكن من واجبنا ان نبقى سوريين نقدس هذه البلاد التي اهدت الانسانية الاديان المقدسة والتي شهدت المدنيات المتعاقبة منذ فجر التاريخ والتي كانت عاملا تاريخيا عظيما في اتصال الحضارات بعضها ببعض .. ولنوجه هذه الدعوة الى بعث القومية في الادب مؤمنين بضرورتها واود لو يكتب في هذا الموضوع ادباؤنا المجددون لعلهم ينيرون امامنا السبل ويصلحون ما اعوج في دعوتنا هذه وما اضطرب! ..

الامة التي تستحق ان تصير دولة

بقلم صلاح لبكي

الثورة الفرنسية ولا ريب ثورة عالمية فلقد وقف الشعب الفرنسي وامل على العالم مرة واحدة مبادئ الحرية والمساواة والعدالة، ولعل المجد الذي لا تزاحم فرنسا عليه هو هذا.

لقد قال رجال الثورة بالمساواة بين افراد الامة الواحدة فما عم العالم ان قال بالمساواة بين شعوب العالم واستيقظت في اقل من جيل شواعر القومية الكامنة في صدور الامم.

ولكن الامة لم تحدد طوال السنين تحديدا علميا صحيحا بل ظلت الكلمة تنطوي على معنى يتسع حيناً ويخيب حيناً خاضعا لعوامل السياسة والظروف والليول والاهواء، ذلك ان الامة ليست شيئا فكريا يستطيع ان يتخيله السياسي او الفيلسوف المفكر وهو قابع خلف مكتبه بل هي شيء وضعي يحتاج معرفته الى درس وملاحظة. فنظرية تكوين الامم نظرية صعبة قد ينتج عن تطبيقها اسعاد شعوب او اشقاؤها. ونحن نرى ان الذين تعرضوا اولا لدرس هذه النظرية ولدرس العناصر التي تؤلف الامة هم المؤرخون وعلماء الاجتماع قبل علماء الشرائع والقوانين.

ولا بد لي هنا قبل الشروع بدرس نظرية تكوين الامم من ان اجيء ناحية الالفاظ: يجب ان لا تلبس في الاذهان الدولة والامة فقد لا تشمل اللفظة الواحدة منها معنى الأخرى.

الدولة هي كل جماعة سياسية مستقلة تمارس في العلاقات الدولية السلطة السياسية

المطلقة، اما الامة فهي الجماعة الراغبة في ان تعيش متحدة مستقلة بصرف النظر عن كونها تحكّم او لا تحكّم نفسها بنفسها .

بقي ان نعرف ما هي القومية؟ القومية هي علاقة الفرد بالامة فاذا قلنا عن رجل ان قوميته هي القومية البولونية عرفنا انه ينتسب الى الشعب البولوني كأمة لا كدولة والقومية تفرق عن التبعة من حيث ان التبعة تدل على انتساب الرجل الى دولة لا الى امة. لان الدولة قد تبسط سلطانها على اكثر من امة واحدة وهذا المعنى حاصل من التحديد الذي اعطيناه للامة .

والان فما هي العناصر اللازمة لتكوين الامة؟

لقد ذهب اصحاب المدرسة التاريخية من العلماء الالمان حوالي سنة 1870 الى ان الامة هي الوحدة السلالية غير ان « في كتابه الى » « المؤرخ في 27 تشرين الاول سنة 1870 والعالم لمعروف في درسه « ما هي الامة » المنشور في نشرة الجمعية العلمية الافرنسية اثبتا بصورة جازمة نهائية ان الامة لا تتألف لا من الوحدة السلالية ولا من وحدة اللغة ولا من وحدة الدين .

ولقد اثبت السيد « هوزر » في كتابه مبدأ القوميات والسيد لويسن الاستاذ في جامعة (بردو) في كتابه (قضية القوميات) سنة 1916 بوضوح تام انه لا يوجد في العالم المتمدن سلالة واحدة نقية وان جامعة السلالة بالنتيجة لا تكون الامة .

كما ان جامعة اللغة وعلى الاخص جامعة الدولة هما ايضا لا يؤلفان الامة .

اما الامثلة فحيرة الطالب والباحث لا يجد امة واحدة من الامم الاوروبية تستطيع ان تفاخر باصل واحد وبمعتقد ديني واحد يربط افرادها بعضهم البعض الآخر .

والذين يسلمون بان الوحدة السلالية والوحدة الدينية اساس في تكوين الامم يجب ان يسلموا حتى يكونوا مخلّصين مع انفسهم بالقضية الصهيونية .

ولو ان النظرية السلالية صحيحة لكان من الواجب بان يقسم البشر الى ثلاثة اقسام: الامة الزنجية والامة الصفراء والامة البيضاء . او ان يقسم البيض الى امة حامية وامة سامية وامة آرية . اما الوحدة الجغرافية وان لم تكن شرطا في تبلور الامة فانا اؤمن ان لها في هذا التبلور اثرها الهام اذ ان للمناخ ولشكل الارض الطبيعي ولنوع الانتاج مفعولا صريحا في تكوين الذهنية او العقلية كما ان لهذه العوارض الطبيعية مفعولها في نشأة الابدان .

يقول « » « الامة هي ارادة الجماعة ان يعيشوا معا تجمعهم ذكريات الماضي الواحدة وآمال المستقبل الواحدة » .

ويقول البروفسور هوريو Horiot في كتابه الحقوق الدستورية الطبعة الثانية سنة 1930 الصفحة السادسة: « ان الجماعات التي استيقظ بها شعورها بوحدتها الادبية وتنهت الى مصالحتها المشتركة واصبحت جاهزة لتشكيل وحدة حكومية هي الامم » .

ويقول في الصفحة الواحدة والثمانين « الامم انما هي ظواهر فكرية » ويقول في محل آخر ليست القومية شيئا غير العقلية » .

تستطيع ان تستنتج مما تقدم ان العناصر الشخصية كالتفكير والارادة والاحاسيس المشتركة تكون في طلب تكوين الامة العناصر الوضعية من مثل المصالح والتاريخ والسلالة .

فرغبة الجماعة في ان يعيشوا متحدين هي الشرط الاول لوجود الامة او لامكان وجودها وهذه الرغبة يجب ان تكون فعلية في الزمن الحاضر .

ولولا هذه الرغبة في الابقاء على الاتحاد لكان في مقدور كل امة كبيرة ان تنقسم الى امم صغيرة متعددة . واي شيء كان يمنع الولايات المتحدة مثلا من ان تصبح كل ولاية منها امة ودولة مستقلة ومثل هذا القول مستطاع في المانيا وفرنسا .

ولكن هذه الرغبة لا يمكن ان تكون وليدة ليلة وضحاها بل هي نتيجة حياة تاريخية اجتماعية طويلة فالشعوب التي لديها طموح الى الاستقلال والى تكوين الدول لا بد لها من ان تكون قد شغلت في الماضي مكانة امة مستقلة وان يكون لها على الاقل نشأة تاريخية تميزها عن غيرها من الشعوب الاخرى .

وليس من المحتم ان يكون تاريخ هذه الشعوب تاريخا حافلا بالاجاد والفتوحات والانتصارات . فان للتضحيات وللالم وللشقاء وللاضطهاد وللاستشهاد مثلها للمفاخر قوة على توليد الرغبات الموحدة .

نعم ان ارادة الجماعة ان يعيشوا متحدين مستقلين واسناد هذه الارادة الى تاريخ صحيح شرط اساسي هام في تكوين الامة ، غير ان ارادة الجماعة لا تكفي بل يجب ان نتحقق مقدرتهم .

يجب اولاً على الشعب الذي يرغب في ان يصبح امة مستقلة ان يكون له اما في مجموعته واما في افرادها اهلية للحكم . هذه الاهلية تختصر في المقدرة على تقرير الامن

العام وعلى الاشرع وعلى مراقبة استثمار ثروة البلاد الطبيعية وعلى انشاء الاشغال العامة اللازمة.

ومن البديهي ان يكون في مقدور هذا الشعب اعداد جيش قوي يقرر عند الحاجة مصير الامة. قد يظن ان هذا الشرط غير اساسي لتكوين الامة وقد يقال لنا ان الولايات المتحدة مثلا ظلت زمنا طويلا بلا جيش بري ولا عمارات بحرية بحرية بالحركة. فهذا قول صادق وجيد من الوجهة النظرية على اننا لا نستطيع ان نغفل اننا نعيش في عصر اقل ما يقال فيه انه عصر للسلام المسلح.

ولا احسب انني بحاجة الى الاطالة بشرح اهمية الاهلية الحكومية فلو فقدت احدى الدول عنصرا من العناصر التي تؤلف الاهلية افضى الامر بها ولا ريب الى الفوضى والخراب. ثم ان ارادة الجماعة واهليتهم للحكم لا يكفيان اساسا للامة فهي لكي تتحرر وتستطيع ان تصبح دولة يجب ان تكون مؤلفة من شعب وافي العدد وان يعيش على ارض معروفة بجمليتها ذات ثروة طبيعية كافية لتأمين استقلالها الاقتصادي والسياسي.

ومن البديهي ان تظل الامة التي لا تملك ارضا ذات ثروة طبيعية كافية لتأمين المواد الرئيسية والاكثر استعمالا في الحياة عرضة للتقلبات الاقتصادية كما تبقى عرضة لاهواء ومطامح الكتلالات الاستثمارية في البلدان الاخرى حتى في ايام السلم. ومتى كانت الامة معرضة في اقتصادياتها للاذعان الى ارادة الاجني الذي يملك عليها موارد العيش فهي لا مناعة لها من الوجهة السياسية لان الاستقلال السياسي تابع للاستقلال الاقتصادي. ولهذا السبب ولكون الطبيعة خصت كل بلد بنوع من المحصولات الزراعية والصناعية فقد اصبح من المقرر علما انه لا توجد امة تستطيع ان تفاخر انها مستقلة عن العالم استقلالا تاما حتى من الوجهة السياسية. والمعاهدات الدولية اكب دليل على صحة زعمنا.

تقول اذا كانت عوامل الاختصاص الجغرافي تجعل سياسة الدول القوية الحاصلة على قسط غير يسير من الثروة الطبيعية متأثرة بسياسة غيرها من الدول الكبيرة فبالاخرى ان لا تستطيع الشعوب التي لا ثروة لها ان تكتمل حتى تصبح ائما فذولا.

واما عدد السكان فيجب ان يكون كافيا لتأمين سلامة الدولة من وجهتها السياسية والحربية.

يعني ان هنالك شرطا هاما لاكتمال وحدة الامة ولتأسيس الدول وهو ان يكون الشعب حاصلًا على قسط من الثقافة العامة تجعل له تفكيرا واحدا وتقرب بين افراده من جهة

وتعدده لممارسة حقوقه السياسية الدستورية من جهة اخرى .

وربما كان من الضروري ايضا في حياة الامم ان تعد فريقا من افرادها اعدادا علميا
عاليا حتى تستطيع ان تعتمدهم في جميع مناحي حياتها الثقافية والاقتصادية والدفاعية
والصحية . اي يجب ان تعد لها اخصائيين في جميع هذه المناحي والا فتظل عالة على غيرها
او عرضة للاضمحلال .

العوامل الفعالة في تكوين الامة

بقلم :

رشدي المعلوف

لقد حان لنا ان نسلط الفكر العلمي على مشاكلنا الاجتماعية ، فانه اذا تأخرت الطبقة المتتورة العاقلة من الامة عن القيام بواجبها في قيادة الرأي العام وتوجيهه الى الاهداف الصحيحة ، عاشت الامة في دياجير من الجهل والفوضى واصبحت تربة صالحة تتغلغل في كيانها وتشلها عن العمل . ولا عبرة لما تقوله جبهة المعجلين للعمل الشاق من ان الامة السورية ليست بحاجة الى التفكير والبحث في امر تقرير مصيرها ، فقد كان لها من البحث كفاية . فلهؤلاء نقول ان التفكير العلمي شيء لا ينفصل عن العمل بتاتا . ان هو الا خارطة البناء العتيد ترسم على قواعد العلم والهندسة حتى يصح البناء في المستقبل ممكنا ومفيدا .

واسمحوا لي ان اسلط نور العلم على بعض المبادئ الجامدة الشائعة في محيطنا والتي لا ادعي بذلك . فالجو الفكري الذي انتقده كان بالامس يحسب جوي ، وكنت فيه من عوامل استمراره ، والعوامل الفكرية التي القي عليها نور العلم « هي عين تلك التي كانت تتنازعي قبل ان تتصل بي مبادئ هذه النهضة الفتية .

ولست اطلب من قارئني الا ان يكون حكما عادلا بين تفكيري اليوم وتفكيري

بالامس .

منذ بضع سنوات كنت اتكلم كثيرا عن القومية . ولكنها لم تكن الا كلمة جوفاء ، فلم اكن المس فيها العوامل الطبيعية التي تجعل للقومية كيانا مستقلا بذاته وتصرفها عن العصبية والامتشابهات . وما تورعت يوما في ذلك العهد عن استعمال لفظة امة لكل فئة

من الناس اتفقت في اية جماعة انسانية. ذلك ان الجو الفكري الذي نشأت فيه لم يحذرني من مثل هذا الخلط، ولا اهلني لادراك العوامل الفعالة في تكوين الامم.

كثيرا ما تنشأ العصبيات في المجموعات البشرية ثم لا تلبث ان تضمحل الا اذا قامت على اساس طبيعي معقول يضمن لها البقاء، ويضمن للعاملين فيها استمرار العمل في الاجيال المقبلة. لناخذ مثلا العصبية القيسية اليمنية في تاريخنا فلو اتيح لي ان اعيش في سوريا منذ اربعة قرون لايقنت ان القيسي يختلف عني مزاجا وروحا وثقافة وان جمعي واياه وطن واحد يعكس علينا مزاجا واحدا ويشركنا بحضارة ثقافية واجتماعية واحدة. اما اليوم فلم يعد باستطاعتي ان اشعر بما كنت اشعر به منذ اربعة قرون من اختلاف بيني وبين القيسي لان العوامل التي اوجدها في كلينا الوطن الواحد قد تغلبت في كلينا على العوامل العارضة الاخرى. وقد يحدث للامتين ان ترتبطا بروابط اصطناعية ثم لا تلبث ان تنكشف عن حقيقتها فتتخذ كل امة طريقا لنفسها. وهذا ما حدث في شبه جزيرة اسكندينا فبالعوامل الجغرافية فصلت اسوج عن نروج برغم المحاولات التي قامت بجعل الامتين امة واحدة وبالرغم من كونها لا يختلفان لا من حيث اللغة ولا من حيث السلالة. وذلك ما حصل ايضا بين اسبانيا والبرتغال فوجود انهر بينهما لا تصلح للملاحظة حالت دون التمازج الاجتماعي فأدى الى نشوء قوميتين في شعب واحد تربطه اللغة والعنصر.

ومن المسائل الهامة التي كانت تلتبس علي وتشوش كثيرا من تفكيري علاقة الامة بالدولة. فلقد مر عهد - لم تمح بعد كل آثاره - كان الحكم فيه لا يقوم على اساس مصالح الامم بل كانت بعض الفئات من الناس تتوصل الى تسلم زمام القوة فتسير الامور حسب مصالحها على غفلة من الشعب..

ليس من مسأخر. التاريخ ان يقرر زواج امير بأميرة في مصير الامة ما لا تقرره مصالح تلك الامة وحاجاتها! ولقد اثر ذلك في جو التاريخ القديم فأصبح ان حدثك عن ازدهار امة فانما يحدثك عن ازدهار في قصر عاهلها او عن انحطاط اخرى فعن انحطاط في بلاط سلطانها.

اما مبدأ الحكم لمصلحة الامة فهو نظرية حديثة نسبيا وهي تبقى نظرية الى ان تتولد في الامة القوة الفعالة لتقرير المصير. ولا يصعب على المراقب البصير ان يتبين مجرى هذا الاتجاه في التاريخ الحديث فها اننا ونحن لم نزل احدانا نشاهد تفكك الامبراطوريات المتضخمة لينشأ عنها قوميات فتية ناهضة كما حدث بالامبراطوريتين النمساوية -

الهنغارية والعثمانية ونرى ان الدول التي ما زالت لحد الان تحتوي على اكثر من امة واحدة في كيانها انما هي التي عرفت كيف تحفظ لتلك الامم حرية الحياة القومية المستقلة كما هو الحال في الجزائر البريطانية حيث تحيا اربع امم في دولة واحدة: الامة الغالية والامة الاسكتلندية والامة الانكليزية والامة الارلندية .

وهناك النظرة السلالية التي كانت تتنازع الشعور القومي في فكري وهي لا تقل عن غيرها خطرا . ولا يخفى ان النظرة السلالية التي اتكلم عنها لا تعني نظرة معينة بذاتها ولكنها محاولة بناء القومية على العصبية السلالية او الاساس السلاي . ومن الغريب ان الكثيرين من اخواننا الذين اسأوا فهم حركتنا لم يستطيعوا ان يتصوروا قومية لا تقوم على هذا الاساس ، ولذلك فلقد حسبونا نتعصب لسلالة ضد غيرها من السلالات العديدة التي ذهبت لتكوين الامة السورية . ومن المضحك والمؤسف معا تلك الدعوة الفينيقية التي اتهمونا بها او قل ذلك البعبع الذي يهول به الكثيرون دون ان يعني شيئا من خطر واقع او خطر يخشى وقوعه .

اني والله اعجب ما عسى ان يمثل لهم هذا الغول الفينقي . اين هو ذلك الفينقي الذي ما زال يشعر انه فينيقي متميز عن غيره من السوريين لم تؤثر كما اثرت فيهم كل العوامل والظروف التي تعاقبت على السوريين من عهد الفينقيين الى اليوم . وهل هنالك اليوم في سوريا اراميون وفينيقيون وكنعانيون وعرب متميز كل قرين منهم عن الاخر ام الكل سوريون في ثقافة واحدة ومزاج واحد ؟

لو فرضنا ان جاءنا اليوم ابناء الفينقيين في ليبيا يدعون سوريا وطننا لهم ويعتزمون بناء قومية فينيقية فيه متميزة بخصائصها وبلغتها وبمزاجها المكتسب في اقاليم نائية ، اما كنا اول من يقف في وجه هؤلاء حرصا على كياننا السوري القومي ؟ اما ان تكون التهمة الموجهة لنا هي اهتمامنا بدرس تاريخنا القومي وتفهم الحضارات العظيمة التي نشأت في هذا الوطن السوري العزيز نقتبس منها روحنا للرسالة الثقافية التي نعدها للعالم فهذا ما لا يصح ان نسميه فينقيا فحسب لانه كذلك عربي - ارامي - كنعاني الى غير ذلك او بكلمة واحدة انه سوري .

ان عملا كهذا هو واجب مقدس على كل امة كريمة تحترم نفسها ، فمعاذ الله ان نتصل منه بل نفتخر به وننادي عاليا .

لغة سورّية

بقام:

روبير ابيلا

لست ابحث عنصرية سكان سورية في هذا المقال ولكن لا بد لي من اختصار بعض نقاط منها، لها علاقة مباشرة بموضوعنا:

الرأي السائد بين اهل هذه البلاد انهم في غالبيتهم من دم عربي ولكن هناك فئة قليلة (في لبنان) تزعم ان السوريين هم من سلالة سريانية في اكثرهم. ومع اني انتمي لاصحاب العقيدة الاولى فاني اخشى كثيرا من الزعم الثاني ولا ارى منه خطرا يزعزع العقيدة الاولى اذ ان الاختلاف في العقيدتين ليس الا تلاعبا في اللفظ. وكيفية ذلك ان الشعب السرياني تألف من عدة هجرات سامية امتزجت بعضها ببعض وتأثرت بالاقليم السوري فولدت شعبا له مثاله الخاص ثم ان الفتحة العربي لم يكن الا هجرة من تلك الهجرات السامية كانت اخر اخواتها وامتازت عنهم بقوتها لانها صبغت بصبغة دينية لم تكن للواتي سبقتها. واعاد التاريخ نفسه فامتزج تحت سماء سورية هؤلاء الساميون الجدد بالساميين القدماء والفوا قومية جديدة هي القومية السورية الحديثة التي هي اقرب الى سائر القوميات الساميات الخمس المعروفة في العالم اليوم منها الى غيرها من القوميات. واليك تعداد القوميات الساميات الخمس مرتبة بالنسبة الى ابتعادها عن الاختلاط، العربية، السورية، العراقية، المصرية، المغربية. اما الاسرائيليون فهم ساميون ايضا ولكن تشتتهم في العالم افقدهم ميزاتهم السامية وكاد لا يجمع بينهم الا عصبية دينية غريبة خاصة بهم دون جميع البشر.

ولما كان هؤلاء الساميون قد اخذوا عن العرب الساميين لغتهم ودينهم وامتزجوا بهم

تغلب العنصر السامي العربي على سائر العناصر السامية ومزجها به في كل الاقطار المار ذكرها والتي ندعوها اليوم بالشرق العربي واصبحت الصفة العربية مرادفة للصفة السامية.

ان اصحاب النظرة السريانية، عملا بموجب قاعدة تاريخية جدلية مغلوطة، يرون اللغة العربية غريبة عنهم وانه لا حق لهم بها وان لغتهم كان يجب ان تكون اللغة الارامية السريانية. ولما كانت مسألة اللغة على اهمية كبرى في حياة الامم اصبح من الواجب ايضاح هذه النقطة ليعرف السوريون جميعهم ان اللغة العربية هي لغتهم لهم عليها فضل ولهم بها حق.

اللغة الآرامية في عهد الهجرات والفتوحات السامية

بدأت الهجرة السامية الى سورية من شبه جزيرة العرب وبلاد ما بين النهرين في اوائل الالف الثالث قبل المسيح، فلم يجد المهاجرون فيها من السكان الا بقايا اناس من العصر الحجري قطنوا البلاد لسته آلاف سنة قبل المسيح فامتزجوا بهم. فلم يلبث هؤلاء ان تلاشوا في الحضارة الجديدة ومع الايام استقرت هذه القبائل في سورية واستوطنتها. وقد اطلق الاغريق اسم الفينيقيين على الذين نزلوا منهم الساحل الممتد بين حيفا واللاذقية وكانوا يتكلمون لهجة سامية دعيت باسمهم. اما هم فكانوا يسمون انفسهم بالكنعانيين وقد كانوا يحملون هذا الاسم نفسه في مستعمراتهم ومنها قرطاج حيث كان يدعومهم الرومان بالبويين. اما الذين سكنوا منهم مرتفعات سورية الداخلية فقد اطلق عليهم اسم الاموريين وكانوا ايضا يتكلمون لهجة سامية. وقد اطلق ايضا اسم الكنعانيين على الذين استوطنوا فلسطين وكانوا ايضا يتكلمون لهجة سامية دعيت باللغة الكنعانية وبعد مرور الف سنة على هذه الهجرة اي في الالف الثاني قبل الميلاد قدم ابراهيم الخليل وعشيرته (لا شك مسلمين) ونزلوا في فلسطين، بلاد الكنعانيين واخذوا عنهم لغتهم التي سميت فيما بعد بالعبرانية نسبة الى بني اسرائيل. وفي القرن الثالث قبل المسيح قدم من البحر قوم عن طريق اسيا الصغرى وبلاد اليونان يحملون اسم الفلسطينيين (وكانت جالياتهم قد سبقتهم من قبل الالف الثاني قبل المسيح الى جنوب سورية) ففتحوا بلاد الكنعانيين واطلقوا اسمهم عليها الى اليوم. وبعد مدة عاد العبرانيون من هجرتهم التي دامت 435 سنة في ارض مصر وحاربوا الفلسطينيين والكنعانيين معا وتغلبوا عليهم نهائيا بعد مدة قاربت القرنين وكان ذلك في عهد الملك داود. وفي القرن الثالث عشر قبل الميلاد ايضا وكانت سورية انثذ في يد المصريين،

هبط من شمالي سورية شعب من اسية الصغرى يدعى «الحثيون» (وكان لهذا الشعب جاليات في البلاد قد سبقت قدومهم) واخذوا يناوشون المصريين. وقد ساعدتهم في عملهم هذا في القرن الثاني عشر قبل المسيح شعب سامي جديد يدعى الشعب الارامي، كان قد ترك بلاد ما بين النهرين منذ القرن السابع عشر قبل المسيح وسكن حدود الصحراء السورية من الجهة الغربية. وتغلب هذا الشعب اخيرا على اعدائه واستولى على بلاد الاموريين واتخذ عاصمتهم «دمشق» قاعدة له. وضاعت شخصية الاموريين من ثم وحلت محلها اللغة والشخصية الآراميتان.

قلنا ان اللهجات السامية هي التي كانت تستعمل بين القبائل السورية في العهود القديمة وان الفلسطينيين والحثيين الذين بقوا في البلاد سموا بالساميين لغة وعادات، ولكن هذه اللهجات كانت تتطور ويتغلب البعض الاحسن والاقوى منها على البعض الآخر اتجاها نحو التوحيد شأن اللهجات السامية في شبه جزيرة العرب بعد عكاظ والكتاب الكريم اذ لو لم يكن عكاظ والقرآن لكانت اللهجات تتباعد وتستقل حتى يصبح البعد بينهما كالبعد الذي هو اليوم بين العربية وشقيقتيها السريانية والعبرانية، ولكن هذا التطور لم يكن ليتأثر بالشعوب السامية الفاتحة نظرا لتشابه اللهجات بينها وبينهم واليك عرض الشعوب السامية الفاتحة مع تعليق وجيز على كل منها:

(1) البابليون سنة الالفين ق. م. كان لهم سيادة اسمية على سورية اكتفوا منها بالجزية وترك الاستقلال الداخلي لاهل البلاد، ولكن احتكاك السوريين مع هؤلاء الساميين عن طريق التجارة والجوار وقرب اللغة اثر في آدابهم ومعتقداتهم. وهكذا فانهم اخذوا عن البابليين الخط المساري.

(2) المصريون بين القرن الـ 15 والـ 13 ق. م. يصح بهم ما قيل عن البابليين في تأثيرهم الادبي على السوريين. وقد استوحى الفينيقيون من حروفهم الهيروغليفية حروف الهجاء التي اصبحت ثابتة الاوضاع في القرن الثالث عشر ق. م.

والحثيون والفلسطينيون بين القرن الـ 13 والـ 12 ق. م. من اصل سامي لكنهم اندمجوا بأهل البلاد لغة وعادات.

(3) الاشوريون بين القرن الـ 13 والـ 7 ق. م. لم يؤثروا في اللغة شيئا ولم يتركوا وراءهم الا ذكرى الفظائع وهول التوحش.

(4) البابليون بين القرن الـ 7 والـ 6 ق. م. كانت اللغة الآرامية قد شملت اغلب

مقاطعات سورية وكان الاسرائيليون قد اخذوها وفيما سوى الدين لغة لهم ، وعلى اثر عودتهم من سبي بابل كانوا قد نسوا بتاتا لغتهم العبرانية .

اللغة الارامية في عهد الفتوحات الاجنبية من عهد الفرس الى عهد الفتح العربي 525 ق. م . 634 ب. م .

بدأت اللغة الارامية منذ القرن الثاني عشر ق. م . تتغلب على سائر اللهجات السورية وتسرّب الى الاقطار المجاورة حتى بلغت حدود الهند .

(1) الفرس 525 ق. م . 330 ق. م .

اصبحت سورية مقاطعة من الامبراطورية الفارسية قاعدتها صيدا وفي عهد الملك الفارسي قمبيز الذي منحها الاستقلال الداخلي لقاء معاونتها للفرس في محاربة الاغريق . في ذلك العهد اصبحت اللغة الارامية اللغة الدولية في سورية وممالك ما بين النهرين وآسيا الصغرى وحتى اللغة الرسمية في المعاملات مع الحكومة الفارسية نفسها . وبلغت هذه اللغة اوجها في القرن الثاني قبل المسيح .

(2) السلوقيون 312 ق. م . - 64 ق. م .

في هذا العهد لم تضمحل اللغة الارامية امام الاغريقية بل بقيت لغة الشعب ، ولكن اللغة الاغريقية اصبحت لغة الاداب ، وقد نبغ فيها افراد سوريون كمعلم شيشرون خطيب الرومان . وكما ان الملوك الاغريقين اطلقوا بعض الاسماء اليونانية على المدن السورية كذلك هم بدورهم اخذوا عنا الارامية .

(3) الرومانيون 64 ق. م . - 395 بعد المسيح .

بقيت الارامية لغة البلاد في عهد الرومان . حتى ان الساميين العرب الذين استوطنوا سورية اخذوها عنهم كالنبطيين في البتراء وتدمر . ولكن اللغة اللاتينية اصبحت لغة الشرع والجنديّة وظلت اليونانية لغة الآداب . وترى ان القديس نحائي في ذلك العهد قد وضع انجيله باللغة الارامية .

(4) بيزنطية 395-634 بعد المسيح .

بقيت الارامية لغة البلاد ايضا . لكن شاع في المدن استعمال اليونانية والارامية معا . خلاصة القول ان كل الفاتحين الاجانب الذين حكموا سورية لم يستطيعوا قتل اللغة الارامية السامية في اهالي البلاد وجل ما قدروا عليه هو ان يعلموهم لغاتهم ليتمكنوا من

استعمالها في معاملاتهم الرسمية .

اللغة العربية من الفتح العربي الى عهد الانتداب 634 م . - 1918 م .

سهل على السوريين ان يتكلموا لغة الفاتح هذه المرة وذلك لاسباب متعددة منها :

- (1) ان اللغة العربية هي لهجة سامية تشبه كثيرا اللهجات السامية المنقرضة التي جننا على ذكرها في اول مقالنا، وان حروفها مأخوذة عن الحروف السريانية ايضا .
- (2) ان هذه اللغة كانت قد بدأت تشيع في بعض الانحاء السورية قبل الفتح العربي وذلك في ايام الغساسنة ، في حوران وجولان وبني كهلان عرب فلسطين .
- (3) لانها لغة دين وبذلك اكتسبت صبغة روحية تقربها من كل من اعتنق الاسلام وهم اكثرية سكان البلاد .

(4) لرضى اكثر سكان سورية عن حكم الامويين في هذه البلاد فكنا نرى مار يوحنا الدمشقي الفيلسوف ، حفيد منصور بن سرجون وزير معاوية الاول يتقن هذه اللغة . وترى كثيرين من العلماء السوريين ينقلون كتبهم السريانية ومعلوماتهم اليونانية الى اللغة الجديدة . وفي عهد الملك ابن مروان اخذت العربية مقام شقيقتها الارامية وحصر استعمال هذه الاخيرة في الطقوس المسيحية الدينية وبعض سكان القرى الجبلية البعيدين عن حركات المدن . هذا مع التنبيه الى ان اللغة العربية تفرض فرضا على المغلوبين لكن اهل البلاد اختاروها اختيارا . ونلفت ايضا نظر القارئ الى الملاحظة الآتية وهي ان الفاتحين لم يقدرروا على نحو اللغة الارامية حتى مجيء العرب كما ان الذين قدموا بعد العرب لم يتغلبوا على العربية الى يومنا هذا . واليك الملاحظات عن اللغة في عهود هذه الشعوب .

(1) الصليبيون 1098-1292 م .

كانت العربية لغة البلاد واللاتينية لغة الدين عندهم والفرنسية لغة اشرافها والايطالية لغة البحارة والتجارة وقد درس كثير من الفرنجة لغة البلاد العربية .

(2) المماليك 1292-1517 م .

في عهدهم كان الفناء التام لما بقي في لسان العوام من اللغة السريانية التي افسحت مجالا للغة العربية .

(3) بنو عثمان 1517-1918 م .

دخل السلطان سليم الأول التركي سورية سنة 1516. وبعد مدة جرب ان يتخذ العربية لغة لدولته ولكنه عاد فعدل عن فكرته. وعلى اثر اعلان الدستور جرب حزب تركيا الفتاة ان يترك كل سكان مقاطعات الامبراطورية العثمانية فاخفق في الشرق العربي كله. ولم تكن التركية في سورية الا في المعاملات الرسمية وربما كانت اقل شيوعا بين الناس من الفرنسية اليوم في عهد الانتداب، خلاصة القول:

ان اللغة الارامية ماتت ولم يعد من الطبيعي بعثها ولقد اشرنا على ان اللغة العربية هي بالتحقيقة اصلح لغة لتحل مكان لغة السوريين المنقرضة.

وان للسوريين فضلا على اللغة العربية منذ اوائل الاسلام حسبنا الشاعر والفيلسوف ابو العلاء المعري. ولقد قامت النهضة العربية الحديثة في القرن التاسع عشر على كواهل السوريين من الصحفيين كخليل الخوري صاحب « حديقة الاخبار » وبطرس البستاني صاحب « الجنان » واحمد فارس الشدياق صاحب « الجوانب » وفارس نمر ويعقوب صروف وشاهين ابكار يوس اصحاب المقتطف والمقطم وسليم وبشارة تقلا منشئي « الاهرام » وخلافهم. وعلى كواهل الكتاب والشعراء والسوريين كآل اليازجي وآل البستاني وعمر الانسي ويوسف الاسير ونجيب الحداد وجرجي زيدان والمطران يوسف الدبس وخلافهم.

فهذه الهمة النادرة اعطت للسوريين حقا مكتسبا بهذه اللغة. هذا عل افتراض، غير ممكن، ان حققهم بها لم يكن حقا طبيعيا، كما تقدم.

وان لغتنا هذه لغة جميلة لها مزايا رئيسية يجدر بنا ان نذكر احسنها!

(1) انها لغة اصلها يتحدر من اللغة السامية البائدة قبل تدويلها، ومن منافع هذه الصفة ان صاحبها ليس بحاجة الى درس سواها من اللغات القديمة ليتقنها شأن الفرنسية تجاه اللاتينية والاعريقية. اما علاقة العربية مع شقيقتها السريانية والعبرانية فلا تتعدى التاريخ.

(2) ان العربية لغة متصرفة اي يتغير فيها الاصل الواحد الى صور شتى للدلالة على المعاني الجزئية التي لها علاقة بالمعنى الاصلي. وربما كانت هذه الصفة هي التي ساعدتها على البقاء نظرا لصلاحها قبل التطور الذي يمكنها من ايجاد تعابير ومفردات للمستحدثات في كل عهد.

(3) هي اقدم اللغات الحية الى اليوم وذلك برهان عل متانتها من جهة ومن جهة

اخرى تساعد طالبها على درس حرفيات عديدة مضمحلة .

قد يعيب البعض على لغتنا جودا وربما كان هذا البعض على صواب ولذا فاننا نرى في الاصلاح خيرا ولكن ليس البدع التي اخذنا نشتم روائحها ، فهنالك من فكر في ابدال الحروف العربية التي هي جزء مقدس من صلب اللغة نفسها وذلك تشبها بتركيا . فلمن فكر في ذلك نقول انه اخطأ لانه ربما كان خير في ابدال الحروف العربية لقوم ليس لهم الا اداب ضئيلة ولقوم استعاروا حروفهم استعارة (ولم توضع للفتهم شأن الحروف العربية للغة العربية) فلماذا لا يرى هؤلاء مثلا بقاء سائر الامم على حروفهم رغم صعوبتها ؟ وهنالك ايضا فئة اخرى تزعم انها ترغب في التجديد ولكنها ويا للاسف لا ترى في التجديد الا قبول الركافة في صلب اللغة .

والقول الاخير ان لغتنا صالحة حية يلزمها بعض التجديد فيجب ان نباشر به لنرفع شأن لغة واجب علينا حبها .

ثروة سورية الطبيعية

بقلم

الدكتور جورج حكيم

يعتقد الكثيرون ان سوريا بلاد فقيرة تكاد لا تكفي مواردها الاقتصادية حاجات سكانها وبرهانهم على ذلك انحطاط مستوى المعيشة ووجود عدد كثير من الشعب بلا عمل « ليس المراد من هذا المقال الرد على هذا الاعتقاد السائد عند الكثيرين من الطبقة الراقية » اذ انه لا يركز في اكثر الاحيان على الحقائق الثابتة (وما اقل معرفة الطبقة الراقية المتعلقة بحقائق بلادهم) بل هو مبني على تعليل سطحي لبعض الظواهر، انما المراد منه البحث بطريقة علمية وعلى ضوء المعلومات القليلة التي يستطيع ان يثق بها الباحث على مقدار ثروة سورية الطبيعية وامكانيات رقي البلاد الاقتصادي على اساس هذه الثروة وسيقتصر هذا البحث على البلدان المشمولة بالانتداب الفرنسي لعدم اتصالنا بالمعلومات الكافية عن بقية البلدان التي تشملها سورية الطبيعية.

يتوقف الرقي الاقتصادي في اي بلد من البلدان على عاملين: احدهما طبيعي والاخر اجتماعي. العامل الطبيعي او بالاحرى مجموعة العوامل الطبيعية، محدود وثابت على الاقل في مدة من الزمن. اما العامل الاجتماعي فهو يشمل طرق الانتاج والنظام الاقتصادي والسياسي المرتكز عليها فهو قابل للتغيير والتطور. وهذان العاملان يتفاعلا ويكيف احدهما الاخر فلا يمكن الحكم على اقتصاديات اي بلاد بالنظر الى احدهما دون الاخر. فالعامل الطبيعي وهو الاساس يضع الحدود التي يمكن للتقدم الاقتصادي ان يسير ضمنها ولكنه لا يجبر ذلك للتقدم على المسير. فالولايات المتحدة مثلا مع كل شروطها الطبيعية كانت قبل هجرة الاوروبيين اليها تكاد لا تؤمن المعيشة لنصف مليون من

منود لان طرق الانتاج عندهم كانت اولية وهناك امر يجب ان لا يفوت الباحث وهو ان العامل الطبيعي يحدد الامكانيات فقط في مدة من الزمن اذ ان طرق استخدام العناصر الطبيعية في تطور مستمر مع تقدم العلم والاختراع. فلو توصل العمل مثلا الى استخدام قوة اشعة الشمس لاصبحت الصحراء من اغنى بلدان العالم. اما العامل الاجتماعي فهو موقوف على مقدرة الشعب على التعاون والتنظيم الاقتصادي لاستخدام الثروة التي وضعتها الطبيعة تحت تصرفه. رأينا ان هذه المقدمة لازمة قبل ان اجث بالاختصار الامكانيات الاقتصادية التي تحددها ثروة سورية الطبيعية على اساس التقدم العلمي والتنظيم الاعماري في العصر الحاضر.

- 1 - الارض: تبلغ مساحة البلدان المشمولة بالانتداب الافرنسي نحو 154000 كلم منها 40000 كلم يقدر صالحا للزراعة اذا تمت مشاريع الري وتخفيف المستنقعات الممكن تخفيفها التي نزرع حاليا.

اما المساحة التي تزرع اليوم فهي 20000 كلم والسبب الاهم لذلك هو العادة المتبعة في زرع قطعة من الارض سنة كل سنتين وتركها للراحة السنة الثانية لذلك ترى ان المساحة المزروعة سنويا هي ربع المساحة القابلة للزرع. وفوق ذلك فان الطرق الزراعية المستعملة التي ترجع الى العصور المظلمة والعقبات الكثيرة المتعلقة بالنظام الاقتصادي والتي تقف في سبيل تقدم الزراعة والتي يمكن ازالتها بواسطة تشريع اقتصادي مناسب كنظام ملكية الاراضي واستئجازها، ونظام الضرائب ونظام التسليف الزراعي تجعل الحصول المالي من الارض التي تزرع سنويا اقل بكثير من محصول الارض الماثلة في البلدان الاوروبية. هذه الحقائق ترينا الامكانيات الواسعة في حقل التقدم الزراعي فاذا كانت الزراعة السورية في انحطاط عظيم وهي تكاد لا تكفي لتأمين حاجات سكان البلاد فذلك ناتج عن سوء طرق الانتاج وفقدان التنظيم الاقتصادي اذا كان عدد السكان الذين يعيشون الان على الارض السورية لا يزيد على ثلاثة ملايين فذلك ليس لانه لا يمكن اعاشة عدد اكبر منه بل لان ربع الارض القابلة للزرع فقط مستغل. ولا شك ان تحسين طرق الانتاج وازالة العقبات التي تسد سبيل تقدم الزراعة مع تنفيذ مشاريع الري والتجفيف يمكن الارض السورية من اعاشة عشرة ملايين ساكن براحة واسعة.

هذا ولا يغرب عن بالنا ان للارض السورية ميزتين من الوجة الزراعية هما خصب التربة وتنوع المناخات في انحاء البلاد وهذا التنوع يجعل بالامكان انتاج انواع مختلفة من

المحصولات الزراعية والأثمار وهو ذو أهمية من الوجهة الصناعية فسورية يمكنها انتاج اكثر المواد الاولية لصناعة الاقمشة من حرير وقطن وصوف كما بوسعها انشاء صناعات اخرى تعتمد على الزراعة في موادها الاولية .

2 - المياه والقوة المحركة: هناك عدد كبير من الانهر السورية او التي تمر في سورية يمكن استخدامها للري ولتوليد الكهرباء . فمن الدروس التي قامت بها الحكومات والدولة المنتدبة يتضح ان الاراضي المسقية قليلة جدا بالنسبة الى الاراضي التي يمكن سقيها وانه بالامكان ري 6000 كلم من الاراضي على الاقل . اما ما يخص بالقوة المحركة فالمشاريع الكهربائية التي تم انشاؤها ليست شيئا بالنسبة الى المشاريع الممكنة ويقدر انه بالامكان توليد عشرة اضعاف القوة الكهربائية المولدة حاليا وهذه الاخيرة تبلغ 40000 حصان . وهناك من قدر القوة الكهربائية الممكنة في سورية بـ 500000 حصان . ولا تخفى أهمية هذه الارقام من الوجهة الصناعية . فالصناعة الكبيرة تلزمها القوة المحركة ، وقوة المياه او ما يسمونه بالفحم الابيض والتي ستلعب ولا شك دورا كبيرا في انماء صناعة سورية في المستقبل وتجعل منها صناعة قوية . واذنا زدنا على ذلك بترول الموصل الذي يمر في سورية والذي يمكن استخدامه في المستقبل كقوة محرقة للصناعة عدا ما ذكرناه عن امكان انتاج المواد الاولية في سورية نرى ان سورية تملك المؤهلات لتكون بلادا صناعية مع استثناء الصناعات الضخمة التي ترتكز على المعادن .

3 - المعادن: لا يستطيع الباحث ان يجزم بفقر سورية في المعادن مع ان الظواهر الحالية تدل على ذلك لان البحث والتنقيب عن المعادن لم يخرجنا عن طورها الاول على ان هنالك عدة مواد معدنية جديدة بالذكر وهي مواد البناء على مختلف انواعها والملح والاسفلت وهنالك الفحم الحجري الاسمر الذي يوجد في اماكن كثيرة في لبنان غير ان كلفة استخراجة وقله الطلب لا يبرران استخراجها الان . وقد ظهرت اشاعات مختلفة عن وجود البترول في جوف الارض السورية ومع ان هذه الاشاعات لم تتحقق بعد فذلك لا يبرر الجزم بعدم وجوده .

4 - موارد الثروة الطبيعية الاخرى: هنالك عدا عما ذكرناه موارد اخرى كالغابات والحيوانات الاليفة والاسماك . فالغابات وان كانت قليلة اذ هي تقدر بـ 2200 كلم او ما يقابل الواحد والنصف بالمئة من مساحة البلاد فهي تنمو بكثرة في الجبال اللبنانية والسورية اذا لاقت الاهتمام اللازم . اما الحيوانات الاليفة فهي من اهم موارد الثروة في سورية لوجود مساحات واسعة من المراعي في داخلية البلاد . واخيرا فيما

يختص بالاسماك البحرية والنهرية فقد يظن البعض ان هذه الموارد قليلة الاهمية بالنسبة الى الموارد الاخرى وخصوصا اذا نظرنا الى حالة صيد السمك في الوقت الحاضر . ولكن الامر عكس ذلك اذ ان الابحاث التي قام بها كاتب افرنسي () تدل على ان هذه الثروة الطبيعية اذا لاقى الاعتناء والتنظيم اللازمين يمكنها ليس فقط ان تسد حاجات البلاد من السمك بل ان تكون اساسا لصناعة حفظ الاسماك في العلب بقصد تصديرها .

واخيرا لا ننسى الثروة الطبيعية والتاريخية التي تميزت بها البلاد السورية من جهة حسن المناخ والاثار التي تجذب كل سنة عددا كبيرا من المصطافين والسواح . ويمكننا ان نتصور اهمية هذا المورد في المستقبل اذا اصبحت سورية مصيف او مسرح الشرق الالادنى وقدر لها ان تلعب الدور الذي تلعبه الان سويسرا في اوروبا .

يستدل من المعلومات التي اوردناها ان سورية غنية بثروتها الطبيعية وانه وان كانت البلاد تثن من الضائقة الاقتصادية الحاضرة وكانت معيشة الشعب على مستوى واط فذلك لان طرق الانتاج والتنظيم الاقتصادي فاسدة لا تفي بالغرض الذي وجدت من اجله الا وهو سعادة الشعب ورفاهيته وهنا نصل الى النقطة الجوهرية وهي ان اصلاح التنظيم الاقتصادي وتحسين طرق الانتاج امران واجبان على كل فرد مفكر من افراد الشعب فهما يفتحان امام البلاد امكانيات واسعة من التقدم الاقتصادي وسعة العيش .

قيمة المؤسسة السياسية القوية في حياة الامة

بقلم

نعمة قسطنطين ثابت

لا يخفى على كل ذي بصيرة يلم بتاريخ الامم والدول ان الشعب الذي يبلغ من الثقافة والراقي الفكري درجة عالية يصبح الهدف الاول الذي تتشرب له اعناقه وتطمح اليه نفسه هو حياة استقلالية قوية الاركان لا تتزعزع مهما تعاقبت الاجيال وتطورت واذا رجعنا الى ما خلفه لنا التاريخ من العبر والعظات نجد ان لا غنى لمثل هذا الشعب المثقف الراقي عن مؤسسة سياسية قوية تقيد بروابط التضامن والتعاون والتناصر في جميع نواحي الحياة الاستقلالية وتخلق فيه عزيمة جبارة لا يخشى معها طوارئ الدهور وعادياته ولا مشاحة ان للشعب في كثير من الاحايين والظروف القاهرة ثورات فكرية تطوح به وتقذفه طوراً الى وثبات فجائية ليظفر بما تتوق اليه نفسه من الاستقلال.



بيد انه يستحيل عليه الوصول الى الهدف المنشود اذا لم يكن له مؤسسة سياسية قوية وهي الوسيلة الوحيدة لبلوغه ذروة المجد في عالم الحرية والاستقلال ولا مندوحة لنا ونحن نعالج موضوعاً سياسياً اجتماعياً من الاستشهاد ببعض الامثولات التاريخية لان معظم النظريات السياسية والاجتماعية مقتبسة من الحوادث التاريخية ومؤسسة على الاختبارات البشرية. ويحضرنا هنا مثلان يتجلى فيهما للقارئ الكريم موضوعنا هذا :

لتخليد ذكرى مقتل «ليونيداس Leonidas» مع اتباعه الثلاث مئة الاشداء في ممر ثرموبيلي Thermopylae المشهور قد نحتت هذه العبارة على قبرهم « اذهب ايها الشاهد وبلغ الاحياء من الاسبارطيين اننا سقطنا هنا طاعة لشرائعهم». وذلك منذ اربعة وعشرين قرناً مضى.

وليس من مصور دقيق لما خص بنجاح اليونان في هذا الموقف الحرج في تاريخ امتهم امتع من هذا القول. وفي ذلك دلالة واضحة على انهم حاربوا وسقطوا في دفاعهم عن حريتهم بسائق المحافظة على شرائعهم ومؤسستهم. بينما نرى ان اعداءهم قد ارغموا على الهجوم تحت الم السوط الفارسي. ويقدر القارئ كل التقدير الفرق بين سيل من الجيوش اقتيد بشيء من الفوضى مرغماً على القتال ورجال اقدموا على ساحة القتال بعامل الشرف وعزة النفس وبعامل الشعور بمسؤوليتهم تجاه وطنهم وعيالمهم وبعامل احترام النفس وتفوقهم الراجع الى روح النظام الخاص بهم.

بعد هذه الواقعة التاريخية الخالدة بمبتي وثلاثة ووسبعين سنة عندما تلقى هانيال القائد السوري نتيجة معركة الميتوروس «Metaurus» على افطع شكل بمشاهدة رأس اخيه هازدروبال يتدحرج عند قدميه فاه بهذه العبارة الخالدة « ان مصير قرطجنة قد لفظ ».

ولقد انتقينا هذين المثليين لنظهر التباعد المتجلي في المبدأ بين الاثنين اذ ان في الاول يخلصون ابناء البلاد بالمديح والثناء على الشرف الرفيع في محافظتهم على الشرائع والمؤسسات والتضحية في سبيل ذلك. بينما في الثاني، قد اعترف القائد العظيم واقر مرغماً بان حتف بلاده ومصيرها يتوقف على حياة شخص واحد يعني اخاه الشهيد. ولا شك ان هذا الرجل العظيم البعيد النظر قدر حراجة موقف بلاده ازاء مناورتها رومية التي مع تأخر موقفها المادي امتازت على قرطجنة في انها كانت تؤمن ومصحتها القومية بمؤسسة سياسية قوية بدلا من الاعتماد على عناية القدر. وقد تحقق ظنه هذا عند خاتمة الحروب القرطجنية الرومانية الثلاثة ودمار المستعمرة السورية في افريقيا سنة 146 ق.م.

منذ ذلك العهد (باستثناء عهد الامويين في سوريا . وازدهار حضارتها وقتئذ) فقد "سوريون كل ما يعمل على ضبط وتدبير حياتهم القومية في سبيل مصلحتهم . وكل ما يعترف له من هذا القبيل انهم بالرغم عن جميع العوامل والضغط الخارجي قد تمكنوا فقط من المحافظة كل هذا المدى البعيد على خاصاتهم القومية والشعبية .

اذن ما هو الحل لهذه الوضعية؟ ان الحل الوحيد لا نراه يأتي الا على يد مؤسسة قوية كما تقدم آنفاً تجمع كل مواهب هذه الامة ، فردية كانت او اجتماعية ، لاستخدامها في سبيل مصلحة الامة والوطن .

ولا يمكننا ان نتصور عملاً قومياً او نتحدث عن القومية بدون ان يتضمن ذلك وجود مؤسسة سياسية راقية تؤمن دوام التضامن العملي . وبكلمة اخرى ان المؤسسة السياسية القوية في الامة هي بمثابة الضمان الرئيسي للفعال حياة الامة ولصيانة مصالحها .

لقد اظهرت الاختبارات ان الرقي المادي او عبقرية بعض افراد الامة او اي ميزات اخرى ، كل هذه لا يمكن ان تكفل الحياة الاستقلالية للامة ما لم تتمتع هذه بنظام سياسي قوي ، لان هذا النظام وحده يجمع بين كل ناحية من نواحي حياة الامة وليس هو الا مظهر حيوي لباقي مؤسستها .

ان الاشخاص الملمين بتاريخ المستعمرة السورية الاصل واعني بها قرطجنة لا يمكنهم الا ان يعرفوا بان السبب في تزعزع اركان هذه الدولة هو ضعف مؤسساتها السياسية . ولو ان المقياس كان غير ذلك لتحم لها الانتصار نظراً لرقبها الاقتصادي ومظاهر الازدهار المادي في جميع نواحيها ولديها اعظم القواد والاختصاصيين الحربيين كهانيال وهازدووبال وماهربال ، ولكن فساد المؤسسة السياسية في قرطجنة حال دون استثمار هذه الفوائد اما المؤسسة السياسية في رومية فانها ساعدت هذه الدولة رغم حاجتها الماسة للمال والى قواد ماهرين ، وجعلها قديرة على مقاومة جميع الصعوبات وعلى تحمل الخسائر الجسيمة والتقهقر في عدة معارك بدون ان يمس استقلالها . اما في قرطجنة فقد كان الامر عكس ذلك ، فان معركة واحدة كانت القاضية عليها .

ولا ريب بان كل مؤسسة قومية لا يمكن ايجادها بمجرد وضع مبادئ عامة على الورق لان المؤسسات لا تأتي بواسطة التخيلات العقلية فقد قال احد اقطاب السياسة : « من السهل نسخ الدساتير ولكن الامزجة لا تنسخ » .

من هذا يستدل بان المؤسسة السياسية لا يمكن ان تنفصل عن حالة الشعب الثقافية ولذلك فان الشعب الذي وصل الى درجة عالية من الرقي الفكري يحق له ان يتمتع بمؤسسات سياسية ناضجة ولا ريب بان قوة هذه المؤسسات وثباتها يتوقفان على احترام

الانظمة والشرائع من قبل الشعب عن اقتناع راسخ بفائدة ذلك وعن تقدير الحرية المنظمة قولاً وفعلاً.

برهاناً على ذلك نجد بساطة عادات الرومان وتضحياتهم واخلاق الشعب البريطاني السامية ونظامهم الاجتماعي الراقى او ارادة لشعب الايطالي الجبارة في سبيل الحياة واتباعه خطة منتظمة للوصول الى ما يبتغيه، كل هذه الصفات تفيد ان النظام السياسي القوي يتوقف نجاحه على حال الشعب الاخلاقية واستعداد كل فرد ان يعلم ان مصلحته لا تقوم الا على المصلحة العامة وان يتحمل كل الصعوبات في سبيل تحقيق ذلك.

يستنتج من هذا ان النظام السياسي القوي يمكنه ان يعوض عن كثير من الماديات خذ مثلاً معارك الاسكندر الكبير وهنريال ويوليوس قيصر و نابوليون تجمد بان عدد جنودهم كان قليلاً بالنسبة الى عدد جنود العدو ورغم ذلك كان النصر حليفهم، لان الدوافع النفسية لكل من جنود هؤلاء القواد التي نمت تحت تأثير الحزب والطموح الى الاعمال المجيدة كالثبات والتضحية والقوة والنظام، كان له التأثير الاكبر في ترجيح كفة النصر لان هذه الصفات لها اهميتها الكبرى في تفوق شعب على آخر ولو انها كانت متساوية عند كل الشعوب لكان المقياس الوحيد للنجاح القوة المادية والتفوق العددي. ولا يبقى من امل للضعيف مادياً والقوي روحياً ان يقاوم القوة والعدد الكثير.

ان قوة المؤسسة السياسية انما هي في روحها الديمقراطية، اي انها حساسة بارادة الشعب وتسعى وراء مصلحته. اذن فالديمقراطية ليست مرادفة للنظام البرلماني او التمثيلي بل يمكن ان تتفق مع انظمة اخرى عندما يقوم اساسها على موافقة الشعب لخدمته.

الفاشستية نظام ديمقراطي محض. هو نظام يحفظ حقوق الفرد ويصون مصلحته ويستخدم مواهب الافراد لمصلحة الامة. الدوتشي يستمد سلطته من الشعب الايطالي وستبقى له هذه القوة ما دام الشعب يمنحه الثقة، وهذا ينطبق على حالة المانيا «وفوهررها» اي ان الدكتاتورية كمجرد نظام لا يمكن ان يكون قوياً الا اذ قام على ارادة الشعب.

هتلر وموسوليني لماذا يتمتعان بسلطة واسعة؟

ليس لان كلا منهما حاصل على ثقة شعبه. بينما بريمو دي ريفيرا في اسبانيا كان نصيبه الفشل في ديكتاتوريته لانها قامت على صورة نظام غير مستند الى اساس قويم. وقد كان بريمو دي ريغيرا على خطأ كبير في اعتماده الديكتاتورية كشكل حكومي،

بدون ان يقدر قيمة الاسباب التي عملت على تثبيتها في ايطاليا .

اذن يجب ان نفرق بين النظام التمثيلي والديمقراطية الحققة . ولا يغرب عن احد بان النظام النيابي يتمتع بتقاليد محترمة ، بل هو نظام قام على ضحايا عديدة وسفك دماء باسم الديمقراطية وحقوق الرجل الطبيعية وعليه فكثيرون لا يمكنهم ان يتصوروا حكومة ديمقراطية عن غير طريق المجالس النيابية . ان ديمقراطية جمهوريات المدن اليونانية القديمة كانت صالحة في عهدها . ولكن اذا فكر احد بتطبيقها في عصرنا هذا تصعب ولا شك موضوع سخرية واستهزاء بيد ان النظام النيابي قد اوشك بحكم طبيعة التطور ان يكون عاجزاً عن سد حاجات الدولة القومية الحديثة وعن معالجة امورها الاقتصادية والفنية المختلفة .

واستطرادا اقول اني كفرد في الامة السورية يتمتع بامتيازات مدنية يستمدها من الامة ويفخر بتاريخها المجيد وخدماتها التي لا تقدر للمدنية العالمية ، اشعر دائماً بانني مسؤول كل المسؤولية من تقديم خدماتي للامة التي انتمي اليها . وكفرد يفكر هذا التفكير ويتابع حالة هذا الوطن العزيز السياسية والاجتماعية اراني محمولا على التصريح بانني من المتعطين جدا لخدمة الامة بصورة تعميرية .

ولا ريب في ان كل من يشعر بما اشعر به لا يمكنه الا ان يعترف بوجود مجال واسع للاعمال التعميرية واني على اقتناع تام ، بان افراد الامة «Citoyens» بحكم الرعوية مسؤولون عن التفكير عمليا والاهتمام بمصالحهم القومية ولا تنتهي مسؤوليتهم بمجرد الطاعة للشرائع : قال المؤلف الانكليزي السياسي ه . ج لاسكي H.J. Laski في كتابه المشهور غرامطيق السياسة A.Grammar of Politics .

« ان الدولة مؤسسة تمكن السواد الاكبر من الشعب من الحصول على الاصلاح الاجتماعي على اوسع صورة ممكنة » وقال ايضا « أننا مسؤولون عن طاعة الشرائع بقدر ما تتمكن الدولة من تحقيق الاهداف التي هي موجودة لاجلها . » هذه النظرية يمكننا ان نفهمها جيدا عندما نعتبر ان اعمال الدولة لا بد من تأثيرها في مصالح كل فرد من افراد الامة وذلك يحتم عليها ان تكون دولة ديمقراطية مسؤولة . الدولة تطلب السلطة بالنسبة للواجبات التي يجب ان تقوم بها .

« السلطة دائما امانة ولا تمنح الا على شروط » وفي هذه الكلمة الاخيرة بلاغ وذكرى .

لماذا دخلت في الحزب السوري القومي

بقلم
اسعد الايوبي

لا اريد ان اعرف نفسي الى القراء . فان ماضيّ البعيد والقريب لمخفف عني ولا ريب هذا العناء .

ولا اظن ان رفاقي في عهد الدراسة وكثيرون منهم من يشغلون اليوم في سورية وبلاد العرب والمهجر مراكز اجتماعية وسياسية هامة الا وذاكرون رفيقهم الايوبي (الطباح) و (الشاعر) و (السياسي) و (الممثل) و (المؤلف) و (الصحفي).

لقد بدأت حياتي السياسية في المكتب السلطاني في بيروت الذي يُعدّ بحق المصهر



الاول الذي صهرت فيه عناصر النزعات المختلفة التي كانت تجوش في نفوس فتيان لبنان وسورية وفلسطين والعراق وسائر البلاد العربية عندما كانوا يولون وجوههم شطر هذه المؤسسة العلمية واتخذت تلك العناصر معدناً واحداً تبنته بعدئذ الامة العربية واسمته قضيتها .

كنت في الخامسة عشرة من عمري عندما اهتزت اسلاك البرق معلنة سقوط عبد الحميد وقيام الاتحاديين الذين ما لبثوا بعدئذ ان اصطدموا بارادة العرب الجبارة ارادتهم في الحياة والحرية والاستقلال .

وكننت قد بدأت اتحمس بالحس القومي فساءني كما ساء رفاقي غطرسة وغلظة الاتراك وميلهم الى التضيق على رجالتنا ومنعهم اياهم من الاهتمام بقضيتهم، فاخذت على صغر عهدي بالسياسة ادبج المقالات السياسية وانظم القصائد الحماسية وابعث بها الى جرائد المفيد والرأي العام والاتحاد العثماني وغيرها من الصحف التي كانت تصدر اذ ذاك . ولا ازال اذكر اني كنت اجمع رفاقي في قاعة الدروس او في فسحات المكتب سرا عن اساتذتي والقي عليهم تلك القصائد التي كانت تهز فيهم النفوس وتكهرب القلوب وتبعث في محيط المكتب حركة وطنية ملتبهة .

ثم ان افكارنا قد تمخضت بانشاء جمعية سرية تعمل على انالة العرب حقوقهم السياسية والمدنية فكان في عدادها رفيقي الامير بهجت الشهابي احد اركان الوفد الدمشقي الذي فاوض مؤخراً السلطات المنتدبة بمطالب البلاد وتوفيق هولو حيدر القائد الثوري المعروف وغيرها من الرفاق الاحداث الذين اصبحوا من رجالات سورية اليوم .

وتطورت بعد ذلك عقليتنا فصرنا نعمل على ضوء الحقيقة والاختبار . وكنا ابتدأنا نترعرع وكان ان انضم الينا من الرفاق السادة نسيب البكري (نائب دمشق اليوم والمبعد السياسي مع رفيقه جميل مردم بك على اثر الحوادث الاخيرة) ومحمد الشربقي نزيل شرقي الاردن اليوم والذي لعب دوراً كبيراً في حكومتها وصبحي الخضرا وسلم عبد الرحمن وغيرهم وغيرهم ، ممن يعرفون اسماءهم ويتذكرون عهدهم مع الايوي الذي كان لولب حركتهم في سالف الايام .

واذكر ان مدير المكتب السلطاني وكان ارمنيا قد استبد في اعماله واساء في تصرفاته مع الطلبة فاثارنا عليه ثورة انتهت بانتهاه طغيانه وجبروته وكانت لنا هذه الثورة التي انتهت حكومتها ولاية بيروت على خير ، اشبه بدرس عملي علمنا ونحن في بدء

شبابنا اليافع ، معنى الجرأة والتضامن والثبات والاقدام والرجولية .

ثم ذهبت الى الاساتنة وانتسبت الى المنتدى الادبي وساهمت في اعمال اعضائه .

ومن لا يعرف المنتدى الادبي من الذين اشتغلوا في قضية بلاد العرب ؟

ورجعت الى لبنان في اوائل الحرب وامرت قسماً منها في حصص ودمشق ثم عدت الى لبنان بعد ان كان قد ابتدأ السفاح جمال في مد اعواد مشانقه وحزها اعناق كثيرين من الرفاق الاعزاء .

قلت ، عدت الى لبنان وعينت مكرها مديرا لاحدى مكاتبه الرسمية ثم مديرا للتدريسات العامة . ثم مضت سنون الحرب وانا في لبنان ازرع في نفوس نشئه مبادئ التضامن والاتحاد واحرض على السلطة التركية الغاشمة واهيته الى اليوم الذي كان لا بد من طلوع شمس .

ثم ان الحرب انتهت وحل بعدها عهد الاحتلال مع ما رافق هذا العهد من فواجع سياسية واجتماعية وكنت قد اشغلت في الحكومة السورية مركزا سياسيا دقيقا بعد ان كانت حكومة جبل لبنان المؤقتة قد عينتني عضواً لمحكمة قضاء الكورة ورفضت .

وانتهى الدور الفيصلي بمعركة ميسلون . وكان شأني في البلاد كشأن الذين ساهموا في تأسيس كيان الدولة السورية الفتية . انزواء وتربصاً وتصبراً بالله !

وما اردت ان القي سلاحي فاطلعت جريدتي (صدى الشعب) في مدينة طرابلس وعدت الى المساهمة الفعالة في القضايا المقدسة كما يعرف ذلك الالوف من رجالات البلاد .

ثم مضت مدة طويلة ، اذا اصيقت الى المدات التي ابتدأت منذ عهد المكتب السلطاني . الفت هذه المدة صفحة مجيدة في الجهاد الوطني . مجيدة ولكنها مضمينة متلفة . ذهبت بالشباب والمال والمستقبل وما خلفت الا ذكريات لنضال طويل وشريف ومجيد .

لقد رافقت هذا الجهاد اضطهادات ومصادرات في الحرية وخسائر في الجيوب ونضوب في الارزاق ، رافقت الجهاد كل هذه البلايا ومع ذلك فقد ظل القلب قلباً والعزم عزمًا والايمان ايماناً !

وكنت قد اردت المهادة والتوقف قليلا لآخذ لنفسي بعض الراحة واصبحت مضطراً لنصائح الذين كانوا متطلعين على دخائلي ورضيت بالاستخدام الذي ليته لم

يكن والذي كانت له مقدمات وذبول وفواجع ومآسي استقر بعد كل ذلك كياني الشخصي على الوظيفة البسيطة التي اشغلتها مضطراً .

استقر كياني على هذه النهاية المفجعة . وما كنت ادري ان هذه النهاية كانت لها فائدتها في ايقافي جيداً وجليا على نفسية الشعب وميوله وتفكراته وعاداته . وهذا ما كنت احب كثيرا ان اقف واطلع عليه واتوصل الى كشف معمياته وبواطنه .

لقد اطلعتني هذه النهاية المفجعة على مبلغ ما مني به الشعب من سوء اخلاق وعادات وعلى مبلغ ما تعانیه الوف العائلات من نكد الحياة وعلى مبلغ ما عمل التخريب الاجتماعي والاخلاقي والاقتصادي في نفوسهم ومقدراتهم .

اجل ان هذه النهاية المفجعة كانت تقودني بيديها الى حيث التحكك بالوسط على اختلاف طبقاته وقد وجدت ان لا العوام كانوا سعداء في حياتهم ولا الوسط مطمئنين الى مستقبلهم ولا الخواص كانوا مرتاحين الى مصيرهم !

لقد تساوت كافة الطبقات في الهم والنكد ، والتشتت الخلقي والاجتماعي وسادت فيما بينها عوامل عدم التضامن والالفة والاتحاد وعملت على قتلها آفات الجهل والحسد والتناؤذ وغذتها جيوش الرذائل والموبقات .

كل ذلك جعلني اتعذب فكنت لا ابسم الا تكلفا ولا اتكلم الا متحمسا . وكنت آمنت بانه لا بد من حصول المعجزات والعجائب لخلص هذا البلد وبالتالي لخلص شعبه من الوهدة التي تزلحق بها السياسة ؟! وماذا تفيد السياسة في انفاذ البلاد ، هذه البلاد بعد ان تمزقت ايدي سبا ووقفت جماعاتها تعمل على ما يزيد هذا التمزيق !

الاحتجاج ؟! وماذا يفيد الاحتجاج في اصلاح حالة هذا الشعب بعد ان تفرق شيعاً شيعاً وشعباً شعباً !

الاقتصاد ؟! وماذا يفيد الاقتصاد في اثناء هذا الشعب الجائع بعد ان حلت الارادات محل التشريع ، التشريع الوطني الذي يعطي ما لله لله وما لقيصر لقيصر !

الادب ؟! وماذا يفيد الادب في اذكاء نفس هذا الشعب بعد ان غزته العاهرات باجسادها ، والازياء والرسوم والمؤلفات المنحطة في نفثاتها تقحمه في عقر داره وشارعه ومدرسته ومنزله ؟!

ماذا تفيد كل هذه ، اذا هي قامت تعمل في خرابات هذا الوطن ! هذه الخرابات التي خيم فيها اليوم خيط العنكبوت ؟!!

استعرضت كل هذه الرزايا فلم ار ما يخفف من الويل وما يبشر بالخير .
تمنيت على بني وطني ان يهيبء الله لهم في محتهم رجلا فذاً يأخذهم بيده الحديدية
الى حيث الحياة والنجاة .

تمنيت كل ذلك وكنت اقول ترى هل ينهيبء لنا رجل كمصطفى وموسوليني
وهتلر وامثالهم !؟

وكان ان صح ما تمنيته بعد ان تعرفت اتفاقاً على زعيم الحزب السوري القومي
وسرعان ما تعارفت القلوب وتفاهمت الارواح بل سرعان ما وضعت الايدي
بالايدي لصالح وانقاذ هذا الشعب !

وكنت غير مؤمن بكافة الاحزاب التي عملت مع اكثرها والتي كانت جهودها
تذهب وتضحى على مذبح الانانية واصبحت مؤمناً بهذا الحزب، الحزب السوري
القومي ذلك لان لا انانية تمشى في عروق زعيمه وصحبه الا انانية التضحية البريئة
في سبيل هذا الوطن !

عمل ويعمل الحزب على تنظيم الشباب الوطني ذلك لانه يعتقد بان الشعب هو
الشباب . فمن كان طفلاً فيصبح شاباً ومن كان كهلاً او عجوزاً فسيضمه القبر
فالشباب هو حاضر ومستقبل البلاد هذا ما عرفه الحزب وعني به ! .

لقد كانت الشيبية ويا للأسف تسير بجسم الى الامام وبرأس الى الوراء فأخذ الزعيم
واخذنا معه ، ادرنا بوجه هذه الشيبية الى الامام فأصبح الجسم والرأس معا يسيران في
اتجاه الحياة !

كانت الشيبية قبل ان تنتظم في سلك الحزب ضعيفة في اخلاقها العامة ، متلونة في
تذوقها الخاص ، محرومة من التضامن القومي ، كافرة بالنظام والارادة ، جاحدة
بالقومية ، متعنتة متخثنة متفرنجة .

واصبحت بعد ان اخذ الزعيم وصحبه وتعهدا بيديه شيبية وثابة الى الحياة حريصة
ومتفانية في حبها للنظام مطيعة مريدة مهذبة مفكرة مسؤولة متحركة !

بعد انبعث هذا النور في بناية الوطن سرنا على بركة الرحمن مؤمنين بشأن الانقاذ
لا بد من حلوله .

وكيف لا يتم انقاذ هذا الوطن وآلاف الشباب قد آمنت بمبدأ الحزب ، والوف
الوف الشباب مستعدة لتضوي تحت لوائه لا شغب ولا تمرد على النظام في داخل

الحزب ولا شخصيات مشبوهة في اخلاقها ومزاجها وغاياتها في داخل الحزب .
ولا شباب يعمل لنفسه في داخل الحزب ولا مرامي ذاتية لتوقف الحزب عن عملية
الانقاذ .

وما هو الانقاذ هذا ؟

لم نقصد بالانقاذ ان نناوىء السلطات ولا ان نزرع كرها للاجانب ولا ان نحقق
مبدأ فوضويا او شيوعيا ولا ان نركي روح الحزبية في البلاد ولا او نطلب المستحيل
في عملنا .

وانما قصدنا في الانقاذ ، الانقاذ الاجتماعي والخلقي والاقتصادي اولا ثم الانقاذ
السياسي الذي هو لازمة للاول !

وما هالتنا النكبة التي منينا بها ولا اخافنا السجن والابعاد فلقد قلت وانا في سجن
الرميل :

مشينا الى الزندان يفترّ ثغرنا
حناناً على الاوطان بائسة العمر
وما ضعف القلب الذي ظل خافقاً
بحب بلاد ، درة الشعر والنثر
وما السجن الا للأبي براءة
يرصعها حب البلاد على الصدر

اجل لم نجبن ولم نندم وما كانت الاضرار التي انتابتي شخصيا لتصرفني عن السير
في سبيل تنظيم الشباب وتسييره في اتجاه الحياة والخلود وفي تكوينه للقومية السورية !!
اجل ان ما اصابني من الضرر الشخصي لم يكن ليوازي قط المسؤولية الملقاة على
عاتقي في سبيل مساهمتي في الاعمال المفيدة لهذه البلاد .

واحمد الله على كل حال وارجو منه ان يلهمني الى متابعة عملي النافع في حقل هذا
الوطن الفدى .

قصة اول مذكرة القاء قبض

بقلم:

جبران جريج

مفاهيمي عن القضاء والشرع والحقوق كانت بمنزلة الصفر. ما كانت لي اية علاقة، لا من قريب ولا من بعيد، بأية دائرة حكومية. كنت مادة خاماً من هذه الناحية. ما كنت اعرف ما هو الحبس. كنت اسمع به لا غير. واول ما سمعت عنه كان يوم انكشاف امر الحزب فرن في اذني اسم «حبس الرمل»، هذا الحبس الموجود في الرمال حيث يدفن السجناء فيها فلا يبدو منهم سوى رؤوسهم!!!! هكذا كان يقال عنه في الكورة.

كنت اسمع ايضا ان ثمة محاكم لاقامة العدل بين الناس. واول مرة تفرجت على محكمة كانت يوم حضرت محاكمة الزعيم. كانت هيئة المحكمة مختلطة. خطر في بالي يومها اني اذا ما تعرضت الى الاعتقال والمحاكمة فاني سأقتدي به. مرت الفكرة في ذهني مرور الكرام.

ها اني الآن، ايضاً وايضاً اسمع لأول مرة في حياتي اني مطلوب للتحقيق. علي ان احضر لدى المستنطق ليستجوبي. ضميري مرتاح ان ما اقوم به لا يكون ذنباً يجري عليه الحساب. اسئلة وتساؤلات جمة لمعت في فكري عندما اخبرت ان مذكرة القاء قبض قد صدرت بحقي في الكورة وعلي ان اتوارى عن الانظار حتى لا ادخل الحبس. الخلاصة، ما كان لدي اية فكرة واقعية عن هذا الموضوع كله، تحقيق، ملاحقة «حبس، الخ... ان هذه المذكرة ستمنحني لذة اختبار جديد.

كنت اترقب شيئاً من هذا النوع عندما بدأت الحملة الجديدة للاعتقالات. هذه الحملة اصابت جميع المناطق اللبنانية والكورة منها وانا كمسؤول عن تنفيذ الكورة كنت في عداد من شملهم هذا العطف الشاهاني!!!

كان الحزب قد نما نمواً هائلاً في هذه الفترة التي انقضت ما بين انكشاف امر الحزب وخروج الزعيم من الحبس بعد قضاء حكوميته لمدة ستة اشهر. دفعها نقداً وعداً.

كنا في الكورة عند الانكشاف نعدّ بالعشرات، اصبحنا الآن نعدّ بالمئات. قد يكون جرى الامر نفسه في باقي المناطق مما اقلق بال السلطة فلجأت الى هذه الوسيلة التقليدية في المكافحة فاعلنت عن نيّتها بجملتها هذه. شدّدت عزيمتي وقرّرت بيني وبين نفسي ان لا «اعلق» بيد السلطة.. يجب ان افلت من قبضتها. يجب ان ابقى سيّد تصرّفاً. يجب ان ابقى مالكاً حرّيتي وبالتالي حرّية العمل الحزبيّ.

رسمت خطة للتواري وللعمل في آن واحد. الضيعة التي اكون فيها نهراً لا ابنت فيها فانتقل الى سواها عند الليل واحيانا اظهر في المدينة واتعمّد ان يراني الكثيرون وبخاصّة اولئك الثرثارون الذين يهتمهم القيل والقال فتواتر الاخبار عن وجودي في طرابلس وذلك للتضليل فتخفّ همّة ملاحقتي في الكورة.

سارت الخطة على افضل ما يرام حتىّ اني تجرأت على زيارة رفقائي الموقوفين في حبس طرابلس طالما اني لست مطلوباً فيها ومحصور طلي في الكورة. ان زيارتي لحبس طرابلس كانت تحمل كلّ معاني التحديّ فالحبس مركزه في القسم الخلفي من سراي طرابلس حيث مركز المحافظة ومركز قيادة الدرك وقاعات المحاكم على اختلافها وكلّ هذه المراكز لها مدخل واحد وحيد هو المدخل الرئيسيّ الذي يؤمن حراسته دركيّ مسلّح ببندقية في رأس فوهتها « سنكة » تلمع لمعانا برّاقاً. هذا الحارس الذي يتمشّى امام المدخل بخطوات متزنة يسمع لها ايقاع وايّ ايقاع!! هذه السراي الموروثة من مخلفات العهد العثماني والتي ما تزال موسومة في جبهتها « بالطغرة العصمية »، الجميلة الخطوط، النافرة النقش، البارزة للعيان.

ان زيارتي لرفقائي في حبس طرابلس هل يمكن وصفها الا بالمغامرة او رغبة بالتحدي؟ ام هو دم الشباب الحارّ المتقد بالايان حماساً واندفاعاً او هو التهور والنزق والطيش او عدم تقدير صحيح للمسؤولية. الخلاصة سمّها، ايها القارئ العزيز، ما شئت فالنعوت لديك متوافرة فاختر منها ما ترغب.

قلت، ان الخطة كانت تسير على احسن ما يمكن ان يكون الى ان كان نهار كنت فيه ارتاح في ضيعتي فحصلت الواقعة التالية فكانت المجابهة الفعلية الاولى للسلطة.

كنت اتمشى في الضيعة. وصلت الى تحت السديانة امام الكنيسة في وسط الضيعة واذ يطرق مسمعي وقع حوافر خيل قريب، يكاد يكون بجاني. قدّرت انه دركيّ خيال. ماذا جاء يفعل هذا الدركيّ وفي مثل هذا الوقت من النهار وفي مثل هذا المكان؟ كأنني لمحت رأس الحصان يطلّ من الطريق قبل المنعطف امامي. تطلّعت حواليّ بسرعة افتّش عن مهرب. وجدت زاروباً بين ساحة الكنيسة والمنزل المجاور لها فقفزت اليه قفزاً لا ركضاً. نجحت في السرعة ولكّتي ما نجحت في التخفيّ فقد رأيّ الدركي وشعرت انه يحاول ان يدخل الزاروب ليلقي القبض عليّ.

ما كاد يدخل الدركيّ الزاروب حتّى وجد انه مسدود وبالتالي لا يستطيع منه مواصلة ملاحقتي فعاد ادراجه. تنفّست الصعداء وختلّني تخلّصت منه. زيادة في الحيلة والحذر كملت طريق الهرب في الكروم الشرقية اقصد البرية واذ بي التقيه في الكرم المجاور للكرم الذي كنت فيه محاولاً ايجاد اثر لي وهو يمدّ برقبته يديرها الى كلّ الجهات ويشرّتب من على صهوة جواده.

يظهر انه كان خبيراً يزواريب الضيعة فراح يلتقيني من زاروب آخر كأننا نلعب « بالغميضة » ام هي خبرته في موضوع الملاحقة فقدّر اتيّ سأتحجّ ناحية هذه الكروم بالذات فجاء يتفقدني. الخلاصة، اتيّ شاهده قبل ان يشاهدني فانطلقت لا الوي على شيء. الحقيقة، اتيّ كنت اطير اسرع من ذي جناحين. ولكن اين لي قوّة دفع الحصان. اقترب منّي قاب قوسين او ادنى. خلت مقبوضاً عليّ لا محالة. جاءني الفرج من حيث ما كنت اتوقع. امامي كرم يحوطه شريط مشوك. تسلّلت ازاءه وظهرت في الجهة المقابلة القريبة من الوادي. عيناه كانتا مبهورتين من قوّة اشعاعات الشمس فما رأنا الشريط بل رأنا في. عمل المهماز غرزاً في بطن الجواد واندفع خطّاً مستقيماً للملاقاة. قفز الجواد قفزة قويّة وانصدم بالشريط صدمة هائلة كادت ترميه ارضاً. حاول ان يقود مطيته الى الجهة الجانبية عند آخر السور المشرّط فما لبّته. ما انصاعت له. حرنت. كانت قد اصيبت بجروح في عنقها وركبتيها. ما انتهى من معالجتها الاّ وكنت قد اجتزت الوادي وصرت في الحرج المقابل في الضفة الاخرى. ارتقيت تحت شجرة منهوكا من التعب. ما ركضت في حياتي مقدار ما ركضت هذه المرّة وهذا الزخم. ما عاد بمقدوره ان يراني. افلتّ منه والحمدلله. تكلّل هربي بالنجاح. افلحت في استعمال الحيلة. نلت قصب السبق في هذه المباراة. باء الدركيّ بالفشل وعاد بخفيّ حنين.

علمت فيما بعد ان وجوده كان صدفة - ورب صدفة خير من ميعاد - كان احد مرافقي الجابي الذي حضر يومها لتحصيل الضرائب الاميرية. كان الجابي الشيخ نايف امهز وهو احد اصدقاء الحركة واصدقائي. جولة الدركي في القرية كانت بحجة القيام بزيارة لاحد اصدقائه. كان يعرفني ولذلك عندما وقع نظره عليّ دبّت فيه الحمية والعنجهية فعزم على القاء القبض عليّ فيضرب عصفورين بحجر واحد. يشفي غليله ويقوم بوظيفته. انا ايضاً اعرفه. اسمه احمد.... وهو من احدى قرى جبل عامل. انه من الدركيين الذين يظهرون شعورهم ضدنا لا لسبب فكري، بل لسبب بسيط، اننا ضد الدولة، لا غرابة اذن لخماسه واندفاعه فلسان حاله يقول « من يأكل خبز السلطان يضرب بسيفه » انه دركي معاش. كانت شفته السفلى المتدلية من احدى جوانبها فوق ذقنه تعطي سحنته شكلاً كان يثير الهزء والسخرية والتنكيت عند زملائه. مها يكن من امره انه اضناني وبقيت ممدداً تحت الشجرة اكثر من ساعتين. ما كنت اصدق اني خلصت منه وهو الخيال وانا الراجل.

لما عاد وروى للشيخ نايف ما حصل معه، لامه على مطاردته لي اذ انه مكلف بمهمة معه وليس له ان يتصرف دون اذن. خصوصاً بعد فشله وتسببه باصابة الحصان بجروح بالغة. ما استغربت موقف الشيخ نايف الايجابي المبطن.

بعد ان ارتحت من ضحك هذه المغامرة تابعت سيري الى القرية المجاورة وهكذا دواليك. قررت ان اثار منه. ان اردة له الكيل كيلين والصاع صاعين. كيف ومتى واين؟ ذلك ما اتركه لفرصة لا بد آتية.

اتي وانا اسجل الآن هذه الحادثة الفريدة احسني فاراً من امام الدركي وقلبي يخبط خفقاناً لا مثيل له وانا اولي الادبار.

انتهت الملاحقات العامة فمثلت امام المستنطق جواد عسيران من صيدا وكان صديقاً للحركة، فنظم من عنده محضراً سجل فيه الاسئلة والاجوبة واخذ توقيع عليه. وقفل الموضوع وامر بالغاء مذكرة القاء القبض وسلمني نسخة عن قراره برفع الطلب عني ابرزها عند اللزوم. هذه النسخة عن القرار اوحت لي بفكرة انفذ بواسطتها ثأري من الدركي احمد، دركي المعاش.

تأبطت نسخة قرار رفع الطلب وانا ما ازال انوي مقلباً للدركي احمد. انني اليوم عندما افكر بما فكرت يومئذ لا يخطر على بالي سوى ابتسامة عريضة. لكن فعلته النكراء لا يجوز ان تمضي بدون رد فعل، لا لشخصه الكريم!! بل لما يمثس من سلطة

استعمارية وحكومة عميلة كرهته اليّ ايّ كره .

امتطيت سيّارة ذاهبة الى اميون، مركز القضاء، مركز السراي. نزلت في محلّة « البيّاض »، عند متجر رفيقنا جورج عبود يربك. ماكدت ادلف اليه واتخذ لي فيه مقعداً وانبته برفع الطلب لتطمينه على هذا التصرف من قبلي حتّى اطلت دورية درك عائدة من جولتها. كأني كنت على موعد معها وهي في طريقها الى مخفرها في السراي. مرّت امام الدكان. اجتازت المكان فوجهة سيرها مستقيمة ولكن ما ان ابتعدت عدّة خطوات حتّى بدرت من احدها التفاتة الى جانبه فوقعت عينه عليّ من خلال باب المخزن. كان الذي التفت من الاصدقاء فاشاح بوجهه عنيّ لئلاّ يلتفت زميله فيراني. ما كان احد احدهما. ولكن مع التفاتته كان زميله قد التفت فلمحني وقبض على زند زميله وتحركت شفتاه تتمتان بعض الكلم. ما حرّكت ساكناً. خاطبها الرفيق جورج يدعوها « حولوا، تفضّلوا ». ابتسمت لها تشجيعاً لقبول الدعوة. لبيّا. دخلا المحلّ وتصافحنا قبل ان يسألاني ايّ سؤال عن سبب وجودي العلنيّ وقد كان الارتباك بادياً على وجهيها، مددت يدي الى جيبي وسحبت منها نسخة القرار. قلت لها وانا اناولها ايّاهما « خلصنا وانتهينا ». قرآها واجابا « الحمد لله على السلامة » والارتياح ظاهر عليها.

طلبت من الصديق الاحتفاظ بها وتسجيلها في مركز الدرك فلربّما تأخّرت نسخة المستنطق الاصلية من الوصول في البريد الحكوميّ ورجوتها ان لا يخبر الدركيّ احمد. كانت عمليّته قد انتشر خبرها في جميع انحاء الكورة وفي كلّ الدوائر المختصة. افترّ ثغرها عن ابتسامه ذات معنى ووعداني خيراً وانصرفا.

قضيت ليلتي تلك في منزل الرفيق جورج وفي الصباح الباكر قصدت طرابلس للاطلاع على ما يكون قد جدّ او ما قد وصل من بيروت. قضيت نهاري في طرابلس وعدت بعد الظهر الى اميون اتابع محاولتي. انّي ما ازال مصراً على المقلب. انه العناد.

توفقت في سيّارة كان احد ركّابها يقطن على طريق السراي. غدا مروري امام السراي امراً محتماً. ليتني اري الدركي احمد!! انّي سأتظاهر امامه بالخوف والهلع والقلق من القاء القبض عليّ فيحاول وانا اتملّص بشتي الاساليب واروغ الى ان اباغته باعلان وجود قرار رفع الطلب فاتمّع بخيبته وبمجهوده الضائع ويسرح خيالي في آفاق التصوير ما شاء لمخيلتي. ما احسست الاّ والسيّارة تعرج على طريق السراي عند مدخل « اميون » وبعد اوّل كوع توقفت فنزل الراكب وراحت تكمل سيرها الى الساحة

الرحبة امام مبنى السراي لتدور وتفقل عائدة الى « البياض ». ما كادت تقلع السيارة بنا وهي تسير الهويناء فالطريق صعود والمسافة قصيرة حتى رأيت الدركي احمد يمشي بجانبنا. قلت في نفسي « إجت والله جابها » كنت جالسا في المقعد الخلفي للجهة المقابلة. كنت اطلع نحوه عندما تطلع نحو السيارة التي اصبحت على محاذاته ووقع نظره علي فاخذ يحدق بي ويرمقني بنظرات غريبة كأنه عجب من وجودي واحترار. هل يصدق بصره؟

اخيراً عزم على مخاطبتي وطلب من السائق ان يتوقف وقال لي أمراً بلهجته الكريمة « بلا انزل » تفرست فيه وجاوبته برفع حاجبي علامة « كلا ، لا اريد ». كرر قوله وكانت السيارة قد وقفت على بعد بضعة امتار من مدخل السراي فاجبته هذه المرة بضم شفتي وبصوت منها يقول له « تسك » اي « كلا » ثارت اعصابه وفتح باب السيارة ورفع صوته عالياً « تسوء »

ويوجه كلامه الأمر اليّ بالنزول. في هذه الاثناء لاحظت بروز رئيس المخفر وقد وقف على درج مدخل السراي وهو يتفرج على المسرحية بابتسام.

ما نال هذه المرة اي جواب لا من رفع الحواجب ولا من ضم الشفاه. مدّ يده ليلقي القبض عليّ باسم القانون وانا اظاهر بالانكماش في مقعدي فصرخ به رئيسه قائلاً « اتركو. خليتو. حتى حضر قدام السراي واستعجلت تلقطو. كنت تلقطو عندما كان يتجول في الكورة ويسرح ويمرح وما في مين يقول له ما احلى الكحل في عينك. تعال، قرار رفع الطلب موجود عندنا ». ورافق هذا التوجيه ببعض الشتائم من عيار ثقيل. (لغة العسكر)

ارتخت مفاصله وتمعر وجهه وامتعق امام شماتي وشماتة باقسي ركاب السيارة وسائقها. تجاوز نجاحي كل تقدير منتظر. يظهر انه يستحق هذا المقلب فقد قيض لي الحظ هذه المناسبة السعيدة لاخذ الثأر فانسحب منخذاً مدحوراً بله مردولاً. اي لن انسى ملاحقته لي التي كادت تقطع نياط قلبي.

هتاني السائق والركاب واخذ الجميع يكييل له كلمات تعبر عن استيائهم. استأذنتهم برهة وذهبت اجيي رئيس المخفر وشكرته على فعلته. رجعت الى السيارة التي كانت قد استدارت وصارت باتجاه « اميون » وامتت سيرها الى « البياض ».

علمت فيما بعد ان هذا المقلب كان موضوع تندر في الكورة كلها وان الدركي

احد ما عاد يطبق بقاءه في مركزه، بخاصة ما تعرّض له من قبل زملائه الذين كانوا يهتونه بفشله في الحصول على « شريطة » في حال إلقاء القبض على اي ان يرقى الى رتبة عريف. وكان اين يتجه تلحقه المطالبة بأن يروي قصة إلقاء القبض على.... امام السراي!!!. انه انتظر حتى جئت الى وكر الضبع حتى ينفذ المذكرة. ما فكر المسكين عن اطمئنانني في مجيئي « لعند الحكومة ». طلب نقله من المنطقة وبعد مساع حميدة قبل طلبه وانتقل الى مركز آخر.

سامحك الله، ايها الدركي احمد! على ضحالة تفكيرك وبشاعة ما كنت تمثل وخساسة المعاش الذي من اجله، كنت تدأب وتعمل بكل وكدك.

قد تبدو الآن، هذه الواقعة لعبة صبيانية وقد تكون هكذا بمنظار اليوم بعد مرور هذه السنوات الخمسين بن ولكن بمقاييس ذلك الوقت كانت من ضمن المناخ العام الذي كان يلفنا بجزاراته.

باركت في قلبي صاحب الكرم المشرط وامطرت عليه البركات السماوية لفكرته المصيبة بتصوين كرمه بذلك الشريط الذي انقذني من الاسر. بعد ان كنت على حافة الوقوع فيه وسبب ذلك الارتطام الفظيع لمطاردي.

(صيف 1936)

نوادير طريفة بين المستنطق وبعض اعضاء الحزب

معاهدة حسن الحوار

كان الاتهام الذي وجهه حضرة المستنطق الفرنسي الى رجال الحزب السوري القومي على الشكل الآتي:

انت متهم بتأسيس حزب سري غايته اطلاق الامن العام وقلب نظام الحكم ومحاولة الاعتداء على الاراضي اللبنانية وكمال ملكيتها .

ولكن الاتهام وجه الى السيد مأمون اياس تهمة انفرد بها هو وحده عن سائر اعضاء الحزب وهي:

خرق معاهدة حسن الجوار بين سورية و « فلسطين » .

المستنطق - انت متهم بخرق معاهدة حسن الجوار بين سوريا وفلسطين .

ج - ولكن هذه المعاهدة يا حضرة المستنطق ليس لي علم بها وانا اعتقد انني لم اخرج من حدود بلادي التي اعرفها .

س - ولكن المعاهدة التي عقدت بين فرنسا وانكلترا.....

ج - ولكن لسؤ الحظ لست فرنسيا ولا انكليزيا واتأسف لانه لم يكن لي مشورة بامر هذه المعاهدة .

روبير ايبلا احد اعضاء لجنة الاذاعة .

س - ما هي وظيفتك في الحزب ؟

ج - احد اعضاء لجنة الاذاعة والنشر

س - وكيف كنت تقوم بمهمة الاذاعة .

ج - كنت اقوم بهذه المهمة مستعينا بلساني الطلق وقلمي المر فقلمي لم يتح لي

استعماله اما لساني الطلق فقد كنت اشرح به كيف ان شراء زوج كلسات من اوروبا مثلا (يعدّ رذالة وقلة حياء) اما شراؤه من صنع حلب او دمشق او معامل القدس الوطنية يعد عملا وطنياً يدل على اخلاص للقضية .

هل لك ما تطلبه؟

عندما انهى المستنطق الاجنبي استنطاق المنفذ العام وامين الصندوق السابق السيد جورج حداد سأله قائلاً :

هل لك ما تطلبه قبل ان اختم التحقيق؟

فاجابه السيد جورج على البديهية

اما وقد سهلت عليكم مهمتكم في الاستنطاق فأجبتكم بصراحة تامة لا يسعني الا ان اطلب اليكم ارجاع مجموعة الاوراق والوصولات والسجلات التي تختص بامانة الصندوق والتي استعرتموها انتم كما امكن عند خروجي من السجن من تنظيم الحسابات ومطالبة الاعضاء بالمتأخر عليهم من اشتراكاتهم: وقيل ان المستنطق وعده خيراً .

الا تعلم؟؟؟

سأل حضرة المستنطق الاجنبي السيد جورج حداد المنفذ العام السابق قائلاً :

س - الا تعلم ان البلاد التي تطالبون بوحدتها واستقلالها تضم اكثرية مسلمة؟

فاجابه فوراً كالعادة هل دونت هذا السؤال يا حضرة المستنطق فاجيبك عليه؟

طبعاً لا اجاب المستنطق

اذا نحن في سوريا لم نعد نؤخذ بهذه السخافات فلا فرق عندنا بين مسلم ودرزي

ومسيحي مازلنا نشعر باننا سوريون قبل كل شيء .

انت متهم بالاعتداء ...

جورج ابراهيم حداد انت متهم ب... وب... وب... وبمحاولة الاعتداء على حدود

الجمهورية اللبنانية المستقلة فبماذا تجيب؟

ج - ان التهمة الاخيرة لا نبحت فيها الآن يا حضرة المستنطق لانها خيالية فحين

الاعتداء على حدود الجمهورية اللبنانية المستقلة تكون حضرتك وجميع رجال الانتداب

غير موجودين على كراسي الحكم .

فقفز المستنطق من محله وقال غاضبا - ماذا تعني؟

اني اعني ما ذكرت لان الاعتداء على حدود لبنان المستقل؟ لا يحدث الا اذا كان لبنان مستقلا فعلا لا خيالا وحينئذ لا تكون انت هنا ولبنان يقرره مصيره.

جورج صليبي

ومن النوادر المضحكة هذه التي نرويها وقد جرت اثناء المحاكمة.

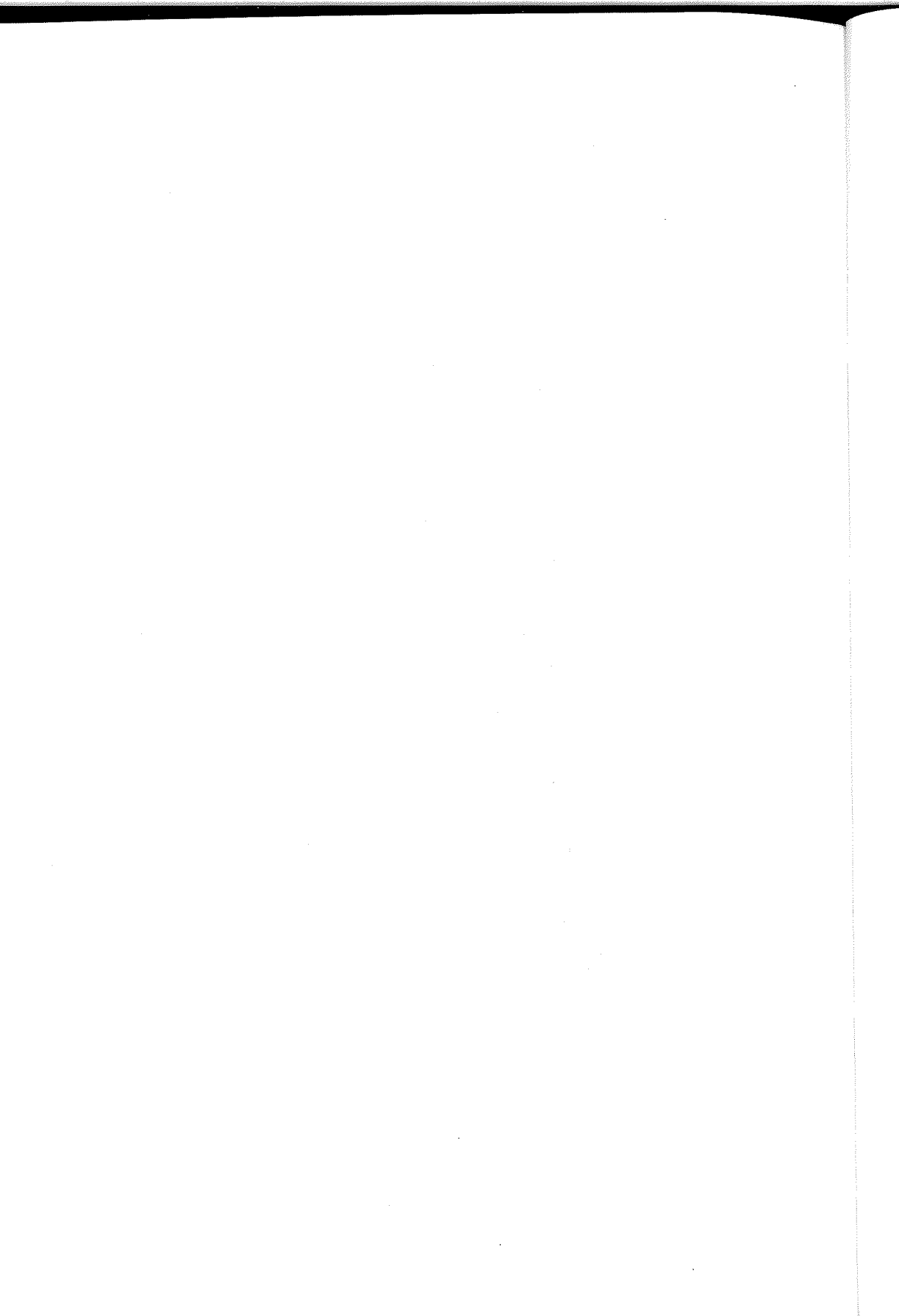
الرئيس: هل انت صاحب المسدسين (واظهرتها الرئاسة).

ج: لا....

الرئيس - لقد وجدها التحقيق في منزلك؟

ج: كانا للمرحوم والدي فلما مات نسيت ان اضعها معه في تابوته...

(نقلا عن مجلة المعرض، العدد 1094 تاريخ 26 شباط 1936).





مسند

الاغتصاب التركي

ان حدودنا الشمالية يدخل فيها ديار بكر شمالا ومرسين شمالا
بغرب. وهذه المناطق تزيد في مساحتها عن فلسطين اضعافا والصراع
الذي مارسه شعبنا في سبيل المحافظة على قومية هذه المناطق عبر
الاجيال لا يقل عن صراعنا في سبيل فلسطين مرارة وقسوة.

لقد كانت هذه المناطق الشمالية موطننا سوريا منذ الازل، وفي
كيليكيا قامت مملكة فينيقية زاهرة وامتد الحكم الاشوري الى
المنطقة كلها. ولقد كانت الرّها (اورفا) ونصيبين موطن اللغة
والآداب السريانية. وفي العهد العربي كانت هذه المناطق جزءاً من
مملكة سيف الدولة. وحتى في العهد العثماني كانت جزءاً من ولاية
حلب.

الاغتصاب الفارسي

تدعى هذه المنطقة عربستان لكن رضا بهلوي الشاه الطاغية الذي قضى على استقلالها وضمها الى ايران ابدل هذا الاسم باسم خوزستان ودعا عاصمتها « المحمّرة » باسم « خرمشهر » .

وكانت عربستان تتمتع باستقلال ذاتي خاص اعترفت به الدول العثمانية والايरانية والبريطانية وبقيت علاقاتها مع جاراتها، العراق والكويت وايران تسير على احسن ما يرام حتى سنة 1924 عندما جرد عليها الشاه احمد جيشاً لجباً بقيادة الجنرال رضى بهلوي وزير الدفاع الذي تنمّر فيما بعد وطرد الشاه وحلّ محله .

في سبيل سوريا
أو
تاريخ سوريا هو تاريخ العالم المتمدن

للمحامي ميشال بولس
دكتور في الحقوق

طرابلس في 5 حزيران سنة 1936

المقدمة

مرت السنون وتصرمت الاجيال والشعوب العربية غارقة في سبات عميق، غافلة. عن مصالحتها القومية والجنسية والسياسية، تتمرغ في بؤرة التعصب الديني الاعمى حتى أصبح الناس لا يفكرون ولا يتكلمون ولا يأكلون ولا يشربون الا باسم الدين والشرائع الدينية الطائفية، يكفر بعضهم بعضاً ويضطهد قويهم ضعيفهم حتى مزقتهم هذه العادات شر تمزيق وحتى أصبح الاب ينفر من ابنه والاخ من أخيه والجار من جاره والعربي من العربي وحتى اصطبغت الدعايات السياسية والحزبية بصبغة الدين والطائفة فنسي الاقوام ان الدين لله وحده وان القوة في الاتحاد وان العز والسلطان في القومية والجنس والوطن والحرية والمساواة والاخرة.

قال العلامة غوستاف لابون:

« في التمدن قليل من الشعوب من فاق العرب في هذا المضمار ولا يوجد شعب واحد بلغ ما بلغه العرب من الرقي العظيم في مثل هذا الوقت القصير. وفي الدين أنشأوا ديناً من أعظم الاديان وأكثرها انتشاراً وفي السياسة أسسوا مملكة من أضخم الممالك التي عرفها التاريخ وفي العلوم والفنون والآداب مدنوا أوروبا. قليلة هي الشعوب التي رفعتها الحضارة الى مثل هذا المجد انما قليلة هي الشعوب التي وصلت الى مثل هذا الانحطاط ولا يوجد شعب في العالم كالشعب العربي تظهر فيه بهذا الجلاء الواضح العوامل التي تخلق الممالك ثم ترفعها الى قمة العلاء والعوامل التي تدفعها الى أحط الدرجات.»

لم يفكر العرب في درس هذه النقطة الجلييلة من التاريخ وسبر غور الدواعي لهذه الاجماد والدواعي لهذا الانحطاط والحمول وبدلون الناس على مواطن الداء فينظرون في الدواء. أسدلت الاحقاد الدينية ستاراً على عيوننا وبصائرنا فسكت العارف منا

ونام الجاهل على جهله حتى صرنا الى ما صرنا اليه من ذلة وصغارة وحتى أصبحنا في الجيل العشرين نعيش كأننا في أشد الاجيال ظلاماً وأعظمها سواداً .

وكان للسوريين خاصة، القسط الاوفر من هذه العنعات لان القدر الغاشم أو مركز سوريا الجغرافي أو مدنيتهما العريقة في المجد والعلم جعلت منها مهبط الاديان فاكسحتها عشرات المذاهب من المسيحيين والمحمديين وغيرهم وحتى أصبح الناس كالموزاييك لكل منهم شرع وتعاليم تكهره بجاره وابن قومه وجنسه وحتى نسينا التاريخ ونسينا الاجماد ونسينا الجدود ونسينا القومية والوطن والجنس وحصرنا كل ذلك في بوتقة الاديان والطائفية .

في أواخر الجيل الفات وأوائل هذا الجيل قام بعض المفكرين يدعون الناس من غفلتهم وما وضعت الحرب أوزارها ونودي بجرية الشعوب حتى تحرك العرب وقاموا قومة واحدة يطالبون بجزياتهم ويجاهدون في سبيل استقلالهم فمن مصر الى العراق الى الجزيرة الى سوريا تبذل الجهود الجبارة في سبيل الحرية والاستقلال واذ كان لا بد من ركن يوحد الكلمة ويوحد المساعي والجهود رأيناهم بين تيارين هائلين تيار الحرية والاستقلال يدفعهم الى الامام وتيار الماضي المظلم والعادات السخيفة الرجعية الطائفية تتمسك بأذيالهم فتردهم الى الوراء تائهن متضععين فمنهم من رأى ركن الدعاية في الدين فنادى باتحاد الشعوب الاسلامية ومنهم من رآه في الجنس فنادى بالوحدة العربية ومنهم من رآه في البقعة والتاريخ والحياة القومية والذكريات المحلية فنادى باستقلال بلاده فالمصريون ينادون بحياة مصر ومصر للمصريين ومثلهم العراقيون وأبناء الجزيرة أما نحن السوريون فلانزال في مفترق، الطرق متبلبلين متضععين تائهن لاندرى على أيها يقع الاختيار نرى المستقبل وضاحاً والاتحاد لازماً لازماً والماضي يمسك بخناقنا، نريد المستقبل ونريد الماضي نريد الاتحاد. والرجعية تدفعنا الى الانشقاق، طوراً ننادي بالاسلامية وطوراً بالجنسية وطوراً بالقومية الطائفية وقليل منا بلغ المرحلة الاخيرة فنادى بسوريا للسوريين. وهذه البلبلة تعود الى النعرات الدينية التي تأصلت فينا الى جهلنا تاريخ سوريا وأجماد سوريا كأن هذه البقعة ليس لها تاريخ ولا أجماد ولا ذكريات قيمة تضم الكلمة وتوحد الصفوف وتجمع الشتات أو كأن هذه البلاد معدومة الابطال والعلماء والعطاء والفنانين. عاشت عالة على الاعمام والاحوال والجيران من عرب وساميين وأبناء آدم وحواء أو كأن هذه الآثار الفخمة التي تركها الجدود والمنتشرة في عرض

البلاد وطولها أو في العالم القديم والعصور الوسطى لا تحدثنا بشيء ولا تحرك فينا عرقاً حساساً في الوطنية أو تؤلف ركنا بل أركاناً للدعاية القومية السورية وتكون لنا مثالا وقدوة للمستقبل الزاهي الزاهر الذي نرقب بفارغ الصبر .

غبرنا يحفر القبور وينبش الآثار ويقرأ سطور الاولين وينشر حولها الدعايات الهائلة لاحترام الجدود ومآثرهم ومفاخرهم ونحن عن كل ذلك لاهون . ندرس تاريخ الناس ونفخر بأجداد الغير كأنه لا يوجد في هذه البلاد تحت كل حجر اثر طيب وفي كل تربة ذكرى خميدة رائعة وكان أورشليم وبيروت وتدمر ودمشق وانطاكية وحصص وحماه وصور وصيدا وغيرها وما حفظت لنا في بطنها من المفاخر وما أنجبته من الرجال لا قيمة لها ولا وزن وكأنها غريبة عنا لا يعيننا منها شيء .

لقد آن لنا ان نحطم هذا النبر وننفص هذا الخمول ونبرهن للعالم اننا شعب حي ؛ أهل لان يعيش ويريد أن يعيش وان لنا قسطاً وافراً من تراث المدنية لا ينقص في شيء عن تراث الرومان واليونان واننا كنا ولا نزال أساتذة العالم ومبدعي المبادئ الفلسفية والاجتماعية والديموقراطية التي تسود العالم اليوم .

ولما كان درس تاريخ سوريا من جميع وجوهه واسع الاطراف ويحتاج الى المجلدات الضخمة ولما كانت غايتنا لفت نظر المفكرين منا لتدارك هذا النقص في تربيتنا العلمية والمدنية والسياسية ولما كنا بحاجة ماسة الى اعداد الافكار بدعائية واسعة النطاق رأينا ان خير الدعاية في الايجاز فاكثفينا بايراد بعض نتف من التاريخ تاركين المطولات لعلمائنا الاكفاء .

نظرة عامة

منذ القديم الى منتصف الجيل التاسع عشر والمؤرخون يدرسون التاريخ من حيث الملوك والامراء والحكام وحروبهم وفتوحاتهم وقلما يتحدثون عن تاريخ الشعوب ونهضاتها وتأثيرها في المدنية وان فعلوا فيكون ذلك في هامش التاريخ وبالنسبة الى الملك او الامير فيقولون عصر الامويين وعصر العباسيين كما يقولون عصر لويس الرابع عشر، الملك الشمس وعصر اسكندر المقدوني وعصر الاكاسرة وهلم جرا كأن هذا الرجل الفرد هو الكل في الكل وكأن الفنون والعلوم والآداب والصناعة والفلسفة من صنع يديه او عصير جنانه.

قد تكون اليونان الوحيدة - بين البلاد القديمة - التي استلقت نظر المؤرخين فتغنوا بفلاسفتها وحكائها وادبائها وفنانيها وترجموا كتبها الى جميع اللغات الحية ونشروا لغتها في جميع البلدان وجعلوها من اركان التعليم في جامعاتهم ومعاهدهم حتى اصبح الناس وهم يتغذون بهذه الآداب احداثا يشعرون بأنهم مدينون لليونان في تربيتهم ومدنيتهم وثقافتهم وفلسفتهم الحديثة ولذا رأيناهم يعطفون العطف كله على القضية اليونانية لما قامت اليونان تحطم النير التركي وتستعيد حرياتها واستقلالها اما باقي الشعوب من فينيقيين وبابليين واشوريين وعرب وسوريين وغيرهم من الشعوب الشرقية فيمرون بها مر الكرام فتراث المدنية يبتدىء عندهم بتاريخ اثينا ثم يمتد الى روما ثم فترة من الزمن الى العرب ثم الى اوروبا وقد يكون ذلك لان اليونان لم تبلى بما بلينا به من فاتحين برابرة طغاة جهلة هدموا الآثار وحرقوا المكاتب ونهبوا تراث الجدود ولم يتركوا الا انقاضا وخرابات صامتا رهيبة تضم في صدرها سر التاريخ وامجاد الاولين او لان الغربيين وقد بلغوا أوجاً بعيدا في المدنية

يبشرون بان الشرقيين مجموعة شعوب خاملة تمزقها الاديان والمذاهب فتعيش في هامش المدنية وخارجا عنها او لان السياسة الغاشمة قضت او تقضي بان نبقي خانعين خاضعين للقضاء والقدر تحت رحمة افكار بالية تقول لنا ان سوريا لم تكن يوما من الايام مملكة واسعة الاطراف لها امجادها وماضيها الرائع وانها نظراً لموقعها الجغرافي كانت ولا تزال ممرا لجميع الشعوب، دائما مغلوبة على امرها تتتابع عليها الانتدابات والاستعمارات من بابل واشور ومصر واليونان وروما وهلم جرا حتى اصبحت خليطا من الشعوب والامم، قديمها وحديثها، فلا كيان سياسي ولا كيان جنسي ولا اخلاق وعادات وذكريات واحدة متفقة بل متنافرة متضاربة متبادعة. وكانت وستكون دائما وابدا مطمح الفاتحين الغزاة والاغرب من هذا وذلك ان قليلا من السوريين من يعرف سوريا بغير هذا الوصف حتى تسرب اليأس الى المفكرين والساسة وحتى اصبح الجم الغفير من شيوخوا وشباننا يعتقدون بل يؤكدون بان الوطن السوري وهم من الاوهام والشعب السوري بدعة من البدع والكيان السوري حلم من الاحلام.

لقد آن لنا ان نضع حدا لهذا اليأس ونمزق هذا الحجاب المسدول على عيوننا ونستوحي التاريخ والآثار ونعلن للملا بان الكيان السوري والشعب السوري والمدنية السورية موجودة حقا وان شعلة من النور خرجت من بين النهرين فامتدت الى العراق فالجزيرة فاشادت بممالك بابل واشور وغيرها والى البحر المتوسط فأنشأت سوريا ومنها امتدت الى العالم القديم والحديث فانارته واخرجته من الظلمة وهذبت البرابرة ومدنت الامصار قديمها وحديثها وان هذه البلاد المغموطة المعروف، مصدر جميع المبادئ السامية والعلوم والفنون التي تتحكم في العالم من فلسفة وطب واداب وتشريع ولغة وفنون جميلة وادارة وقد لا نجد في جميع المدنات زاوية واحدة خالية من ذكر السوريين واعمال السوريين وعبقريه السوريين.

وسنرى ولسنا بمغالين ان ما يسمونه امجاد اليونان وفلسفة اليونان وامجاد الرومان وغيرهم ما هي الا امجادنا، امجاد السوريين، امجاد ابناء هذه البقعة الخالدة وانه لمن نكران الجميل ان نهذب العالم ونمدنه فيأخذ مدنيتنا ويدعيها لنفسه ثم يتهمنا بالغفلة والجمود ويربي احداثنا ونربيهم هذه التربة العقيمة المغلوطة قالين التاريخ ظهرا على بطن فلا نجد في ماضيها الا صفحات سوداء مظلمة فلا نأمل اشادة مستقبل زاهر وكيان فخم على هذا الماضي الاسود المظلم الاثم.

الفصل الاول

سوريا في العصور القديمة الى الفتح الروماني
من سنة الـ 3500 قبل المسيح الى سنة الـ 83 قبل المسيح

كان الساميون - ابناء سام - او الشعوب التي نطلق عليها اليوم اسم الشعوب العربية يسكنون في العصور القديمة في ذلك السهل الواسع الخصب الممتد بين الدجلة والفرات شمالي خليج العجم يعيشون: قسم من تربية المواشي وقسم من الصيد والتجارة في النهرين وخليج العجم. ونظراً للاضطرابات السياسية والزلازل اضطروا لهجر بلادهم وراحوا يطلبون الرزق والراحة والامان والحرية في بلاد الله الواسعة فمنهم من حول وجهه شطر الشرق فالعراق والجزيرة ومن تحضر عمر بمالك بابل واشور وكدا وغيرها ومن لم يتحضر عاش بدويا في الصحارى الواسعة. ومنهم من تحول نحو مصر فأنشأ مملكة الاقسس او الرعاة ومنهم من نزل في سوريا فأسس تلك المملكة العظيمة ام المدينيات في العالم.

ولما كان هذا الدرس يتعلق بسوريا وحدها رأينا حصره فيها مكتفين عن باقي الممالك بالاماع.

يقول المؤرخون ان القبيلة التي احتلت سوريا من القبائل السامية وانها ما تشبثت اقدمها في البلاد حتى نشرت ملكها في تلك البقعة الواسعة الممتدة من وراء حدود كيليكيا الى جبال طوروس الى الفرات الى الجزيرة شمالا وشرقا ثم الى العقبة الى حدود مصر الى البحر المتوسط جنوبا وغربا واطلق الاقدمون على انفسهم اسم الكنعانيين في الساحل اي سكان سوريا السفلى واراميين في الداخل اي سكان سوريا العليا⁽¹⁾.

يرجع المؤرخون بناء صور الى 3500 سنة قبل المسيح والمؤرخ سترابون الذي زار

صور حوالي سنة 450 ق. م. قال عن هيكل مالكارث - مولوخ او بعل - ملك المدينة - الاله الذكر، اله الخير - انه انشيء عند انشاء المدينة وانه ملآن بالبنايات الضخمة الفخمة ومن عمدته العديدة عمود من الذهب وعمود من الزمرد يضيء في الظلام كالنور الوهاج فاذا كان هذا الهيكل بني منذ 3500 سنة ق. م. وبني بهذا الشكل الفخم فهذا يدل على ان الشعب الذي بناه كان على قدر عظيم من المدنية والعلم والفن والصناعة ليتمكن من هصر الذهب واقامة عمد وضاءة من الحجر الثمينة صناعية كانت ام طبيعية ولهذا نرى بعض المؤرخين يرجعون تاريخ المدينة السورية الى ما يقرب من ثلاثين الف سنة.

في تلك العصور القديمة نجد هذا الشعب ممتدة سلطته لا كما يقول بعض المؤرخين الى عشر كيلومترات في الداخل والى نحو من مائة كيلومتر في الساحل بل في كل تلك البلاد الواسعة الممتدة كما قلنا من وراء حدود كيليكيا الى جبال طوروس فالفرات فالعقبة فمصر فالبحر المتوسط ومدنه التاريخية صور وصيدا وجبيل وطرابلس وارواد وطرطوس وامريت وماريان وبنياس وجبله واللاذقية (راميتا) ومارياندروس (الاسكندرونة) في خليج اوسوس وطرطوس في كيليكيا ثم نصيبين في شمالي الفرات وادنة في جنوبيه وحماه وبنياس وعنجر وبعلبك ودمشق وحلب (باريا) ثم في الساحل الجنوبي عكا ويافا وازدود وغزة ثم الف قرية او مرفأ الى ان تصل الى العقبة والبحر الاحمر وحدود مصر.

يقول المؤرخون ان هذه المدن كانت على اتصال دائم بساحلها وداخلها تجارة وصناعة واجتماعا ومدنية وسياسة وكانت تدفع العشر الى السلطة المركزية. وهذه بدورها تعطيها عشر الغنائم والاسلاب. يقول المؤرخون كل هذا ثم عندما يتكلمون عن الادارة والتنظيمات الداخلية يفرقون بين الصوريين والجيبيليين سكان مملكة جبيل والارواديين واللاذقيين وغيرهم ولا شك في ان هذا الخطأ في الاستنتاج ناجم عن عدم التبصر في التنظيمات السياسية في ذلك العصر ولو امعنا النظر فيما يقولون عن الكنعانيين والاراميين، واطماعهم السياسية والادارية واطماع ما يسمونه مستعمراتهم لوجدنا ان كل مدينة او مستعمرة عمرها واشادها وسكنها شعب منهم وفيهم يحكمها حاكم او ملك يعاونه في الحكم مجلس من الاعيان، ولكن هذا لا يعني انها كانت دولة مستقلة عن المدن والممالك المجاورة بل يعني ان هذه المدن كانت تتمتع بادارة مبنية على لا مركزية واسعة النطاق وذلك لان هذه الاسماء الطنانة من ملك

كذا ومملكة كذا لم تمنع ممالك صور وصيدا وجبيل وارواد ان تنشئ مدينة طرابلس وتجعلها مركزاً لبرلمانها، مجلس امته الذي كان مؤلفاً من اكثر من مئة نائب وتعطي هذا المجلس العمومي حق الاشراف على جميع الشؤون العامة، سياسية واقتصادية وادارية، فيتبع الاقوام او امره كما تتبع اليوم الحكومات شرعة مجالسها العمومية ولان الاستعمار عندهم كان على جانب عظيم من الرقي وكان على نوعين حكومي وشعبي فالمدن الحكومية تنشئها الحكومة وتؤهلها بالسكان من نفس اهالي الدولة ثم تنتخب لها ملكاً ومجلس امة يدير شؤونها. والمدن الشعبية او الامم كما يسميها المؤرخون والاقدمون كانت تنشئها عائلة من السوريين وتنتخب لها حاكماً ومجلس اعيان منها يتحكم في مقدراتها وعلاقاتها مع المدن المجاورة والحكومة المركزية من دفع العشر واخذ عشر الغنائم والحروب والسراء والضراء .

كل هذا بديهي لان الشعب السوري من عائلة واحدة وجنس واحد ودم واحد فلم ير من الكرامة او من الضرورة تسليط عائلة على عائلة ولذا لا نرى اثراً للعبودية والرق في كل تلك العصور القديمة وهل يسترق الاخ اخاه ويستعبد الرجل اهله وابناء عمه؟ نعم قد يتحاربون وقد يثور قسم منهم على السلطة المركزية او المحلية - وهذا قليلاً ما نجده في تاريخهم مع انه كثير في غيرهم من الشعوب - وقد تهدم مدينة مدينة اخرى ولكن هذا لا يعني انهم ليسوا من مدينة واحدة وجنس واحد وبلاد واحدة وهل اذا عمر الارواديون طرطوس وامريت والمرقية ثم عادوا بعدما اشتدت شوكة المرقين فقتلوهم وهدموا المدينة وحرقوها نحكم بانهم غرباء عن بعضهم البعض لا تربطهم رابطة ولا تجمعهم جامعة؟ .

واذا كانت جميع هذه المدن او المستعمرات او الممالك كما يسميها المؤرخون كانت ولا تزال كل ما في سوريا من مدن فهل يمكن القول بان باقي القرى والمزارع كانت خارجة عنها؟ واذا اخرجنا الان من سوريا دمشق وحلب والاسكندرون وانطاكية وحصص وحماه واللاذقية وطرابلس وبيروت وبعلبك وحيفا ويافا وعكا وغيرها من المدن المعروفة او اخرجنا من العالم القديم ما ذكرنا من المدن الفخمة هل يبقى في البلاد شيء يذكر؟ واذا كانت هذه المدن هي اركان سوريا القديمة والحديثة فلماذا نفرقها ونقسم الامصار والاجناس والمدنيات الى ما لا نهاية له؟ واذا عاشت البلاد في ادارة لامركزية واسعة النطاق لان الشعب السوري من عائلة واحدة ودم واحد كان يغار على حرية الفرد، تواقا الى الحكومات الشعبية

الديموقراطية بعيداً عن الرق والعبودية واذا كان الشعب له الكلمة العليا الاولى والاخيرة في جميع شؤون الدولة فهل هذا يدل على الاشفاق والفرقة واختلاف الجنس والعنصر والمبادئ والمدنيات؟ وهل اذا استقلت بيروت في ادارتها الداخلية فهل يعني ذلك ان لا علاقة لها اليوم بطرابلس وزحلة وبعلمك مثلاً لان لكل منها بلدية وادارة داخلية خاصة؟

في تلك العصور القديمة كانت صور تعد نحواً من سبعمائة الف من السكان وبنائياتها وقصورها مؤلفة من اربع طبقات ولا شك في ان باقي المدن السورية كان سكانها بهذه النسبة او اقل قليلاً ويقول المؤرخون انها كانت مع صيدا مركز العالم التجاري والعلمي والصناعي كما هي لوندرة وباريس وبرلين وفينا وروما اليوم يفد اليها الطلبة من الشرق والغرب يدرسون الصناعة والتجارة والفلسفة والشرع وعلم الفلك وكانتا واسطة التفاهم بين الشرق والغرب بين آسيا وافريقيا واوروبا جميعاً.

لم يكتف السوريون وهم الطموحون الى كل مجد ائيل بمد سلطتهم السياسية من جبال طوروس الى حدود مصر ونفوذهم التجاري الى جميع الممالك والشعوب بل فكروا بفتح البلاد وتوسيع مواردهم ونشر مدنيتهم في جميع العالم.

ويجب ويجب ان لا يفوتنا ونحن ندرس الاستعمار السوري ان السوريين كانوا يذهبون جماعات جماعات⁽²⁾ رجالاً ونساءً فينشئون المدن ويعمرون الامصار ويقومون الحكومات والممالك ليس من ابناء الشعوب البرابرة بل منهم وفيهم، يقيمون في المدن الفخمة ويستثمرون ثروة البلاد الطبيعية ويبيعون منتجاتهم لاهل البلاد او في سائر بلاد الناس وسرى انهم عمروا العالم القديم وانشأوا ممالك عظيمة وامم قوية عديدة وفي اوقات جد قصيرة مما يدل دلالة واضحة بان اهالي صور او اهالي صيدا او سكان الساحل لم يكونوا وحدهم مستقلين في هذا الاستعمار بل ان الشعب السوري برمته وجميع المدن السورية اشتركت فيه اما ان تلقب بعض الجزر او المدن باسم ابناء صور او صيدا (او حماه) او احد الزعماء والقادة فهذا لا يعني انتفاء الباقين بل يعني ان هاتين المدينتين كانتا اغنى المدن السورية واقواها.

اذن، حول السوريون وجههم شطر الاستعمار فاحتلوا جزيرة قبرص حيث نزلت عائلتان عائلة شيت وعائلة حموية من حماه من الكنعانيين فانشأوا المدينتين الكبيرتين شيتيوم وحاتونت ثم جاء الصيديانيون بقيادة الملك بالوس واحتلوا البلاد وعمروا بافوس وكابوزيا وكيرينية ولاباتونت وهناك استثمروا مناجها الغنية ثم فتحوا

رودوس وعمروها وفي الجيل العشرين قبل المسيح فتحوا مصر وسموها مصر العربية او تييرية وعمروها وحكموا فيها خمسة وعشرين سنة وفي عهد كانت فيه اقرب الى البربرية منها الى الحضارة ومؤرخوهم يسمون الشعوب التي حكمتهم هذه المدة الرعاة او الاقسس او الكنعانيين او العرب وكل هذه الاسماء مترادفة عندهم وفي هذا العهد نزح الاسرائيليون من الجذب في كنعان الى مصر وفيه تعين يوسف وزيرا لفرعون. وفي الجيل الثامن عشر عمر الفينيقيون مدينة ايناخوس في الارغوليد وارجيجاس في الاتيك وبواسي على اليابسة في اليونان وفي الجيل الخامس عشر جاء داناؤوس ولارغوص وساكاروب وجماعاتهم وسكنوا في اثينا وجاء قدموس وجماعته وسكنوا في تاب والمؤرخون يقولون بان هؤلاء الغرباء ادخلوا في البلاد الفنون والعلوم والديانات والشرايع المتقدمة وفي الجيل الرابع عشر جاء بالوبس وعائلته وجماعات عديدة اصطحبها معه وسكن في مقاطعة افريجية وشبه الجزيرة واطلق عليها اسمه فصارت تدعى بالوبوناز الى يومنا هذا وبديهي ان نقول انه في ذلك التاريخ كانت اليونان في عهد البربرية.

في الجيل الخامس عشر اخذوا جزيرة تارا واسسوا فيها المصانع للمنسوجات وجزيرة مالوس الغنية بالمعادن وجزيرة سيتار وجعلوها محطة لصيد الصدف لاستخراج الارجوان ومركزاً تجارياً لفجارتهم في البلاد اليونانية ومنها انتشرت عبادة فانوس الهة الفينيقيين. وجزائر اولياروس وكريت وغيرها ثم امتدوا في طريقهم الى اليوسفور فاخذوا مناجم تازوس ومناجم الذهب في جبل بانجه وعمروا في الساحل مدينة كاليبسوس وانشأوا المدن والامصار الى حدود نهر الدنيستار في الروسية وهم اول من عمر هيكلها فحذا في اليونان.

ثم تحولوا الى سيسيليا فانشأوا ماكارا - رأس مالكارا - وبانورمة - ماخارات وبافوس وموتي وسولانت واحتلوا الجزر المجاورة ومنها مالطة وسموها بهذا الاسم - ملجأ - وجعلوها كما جعلها. الانكليز اليوم مركزيا حربيا وقاعدة لاسطولهم البحري ومركزا صناعيا عظيما وغولوس وسارينيا او كومينو وكوسيرا وهذه الاخيرة ما لبثت ان اصبحت مملكة قوية عظيمة تضاهي قرطجنة وسموها كوسيرا او كبيرة لان ابناء كبار الفينيقيين انشأوها وهي جزيرة كاليبسو التي يتكلم عنها هوميروس ثم سردينيا وكاراليس وكورسيكا وجزائر الباليار وجميع اهالي الباليار من السورين.

وفي جنوبي اسبانيا فتحوا جميع مقاطعة تورديتان وسموها ترسوس او ترناسوس وعاصمتها ترسيس والتوراة تتحدث كثيراً عن هذه البلاد قال حزقيال النبي موجهاً قوله لصور. « ترسيس تتجر معك وتأتيك بجميع انواع الثروة وتملأ اسواقك بالفضة والقصدير والرصاص والزنك » وعمروا المدن الكثيرة ومنها ترسيس وغادس وقرطبة في الاندلس واوتيك ولابتس ومالاكا وغيرها .

اما في افريقيا فقد عمروا القارة برمتها وانشأوا الممالك في نومديا وموريتانيا ومراكش واقاموا الالوف من المدن وقدموس وحده عمر مائة مدينة محصنة في منطقة بيزاسان حيث بقي الاهلون يتكلمون اللغة الآرامية الى تاريخ احتلال العرب تلك البلاد وفي مراكش وحدها عمروا اكثر من ثلاثماية مدينة ومنها طنجة وزالس ولاخس واغادير وغيرها واكثرها لا تزال عامرة الى يومنا هذا حتى امتدوا الى حدود الصحراء .

ثم ولوا وجههم شطر الشمال فعمروا المدن والامصار في شواطئ الاوقيانوس الاتلنتيكي والجزر البريطانية وشواطئ بحر البلطيك الى الروسية ومؤخرا وجدوا آثارهم في العالم الجديد في اميركا .

وخلاصة القول ان السوريين اكتشفوا البلاد واستعمروا او عمروا جميع العالم المعروف في ذلك التاريخ في عصور كانت الشعوب فيها بربرية متوحشة حتى لا نجد امة واحدة ما بلغته الامة السورية من العظمة والمجد والرقي والتقدم في تلك العصور القديمة حتى ولا يوجد شعب واحد في العالم فتح فتوحاتهم وعمر ما عمروا من الامصار والبلدان والمدن فكانوا بحق ينبوع المعارف والعلوم والفنون والصناعة والفلسفة واللاهوت واول ناشري لواء المدنيات الواسعة الديموقراطية ومبادئ الحرية والمساواة والاخوة في العالم ومن اختراعاتهم الجلييلة في هذه العصور المظلمة الحروف الهجائية التي نقلها اليونان عنهم كما نقلوا العلوم والفنون ثم اشتركوا بتلقينها الى العالم .

فالمؤرخ والحق يقال يقف مشدوهاً امام هذه الآيات المعجزات ولا يتردد في مدح اعمالهم والمغالاة في وصف آثارهم الطيبة المجيدة .

قال العلامة الاب الفاضل لمنس اليسوعي البلجيكي في محاضرة القاها في القاهرة

في 23 كانون ثاني سنة 1915 متحدثاً عن سوريا :

« سوريا بلاد الاصول التاريخية قائمة في وسط العالم القديم ومركزها الجغرافي البديع اعددها للقيام بدعايتها السماوية رابضة على شاطئ البحر المتوسط. استعملت هذه الطريق واندفعت نحو البلاد البعيدة غربا حيث كان لدعايتها التأثير العميق الطيب وبجراً غريبة المثال عرف الفينيقيون ان يربطوا الغرب بالشرق ويوحدوها ومع سعيهم وراء مصالحهم الاقتصادية نشروا المدنية في العالم وكأن الله اراد ان يشرف هذه الاعمال المجيدة فحول السوريين الى الدعايات الفلسفية العالية فكانوا اول مبتدعي المبادئ الفلسفية والدينية السامية وناشريها في العالم كما نشروا التجارة والصناعة ولا يجب التردد في المغالاة في مدح خدمات السوريين للانسانية لانهم لم يكونوا واسطة اختلاط المدنيات القديمة والحديثة التي هيأت واعدت المدنية الحاضرة فحسب بل كانوا ايضا وبنعمة خاصة اساتذة العالم في الادب والدين فكانوا الواسطة بين الله والانسان وهذا الدور هو اعظم الادوار الهامة التي لعبها السوريون في التاريخ حيث كانوا فيه مبدعين حقا وحيث لم يجحدوا امامهم من سابق مثال يقتدون به وحيث لا مزحم لهم فيه ولا منازع البتة ».

وقال غبريال شارم في كتابه رحلة في الشرق :

« هناك في صيدا ولدت تلك الثورة الهائلة التي بدلت العالم من حال الى حال فقتلت تلك المدنيات القديمة المغلقة المقفلة الضيقة الخاصة المحلية الملكية العسكرية في الشرق واقامت مكانها مدنيات رحبة واسعة تجارية اقتصادية حرة، عامة، عالمية، خرجت منها المدنية الحاضرة في الغرب وهذا هو الدور الهام الذي لعبه الفينيقيون في العالم. هذا الدور العظيم يضع هذه البلاد التي طالما نظرنا اليها بعين الاحتقار في المركز الاول بين الشعوب التي تحكمت في مقدرات الانسانية ».

قال العلامة اوبارت فيما قاله متحدثا عن اللغة الآرامية :

« ان القاموس اليوناني يجوي قليلا من العبارات الغربية عن الآرامية، ولا شك في ان الباقي كله من اللغات السامية ».

والعلامة لا نورمان يقول: « ان هذا النقل حصل من قديم الزمن، في الزمن الذي نقل فيه اليونان الحروف الهجائية عن السوريين بمعنى انه في عصر هوميروس تيوننت واختلطت مع اصول اللغة ».

فسوريا اذن كانت بحق ينبوع الفلسفة وفي عواصمها صور وصيدا يجتمع الطلبة

من سائر المعمور فيتلقون الفلسفة والطب والاداب والرياضيات وعلوم الفلك والتشريع واللاهوت والفنون والصناعة والتجارة فقد كانت دماغ العالم المفكر ويده العاملة ومركز اعظم مدينة في العالم القديم .

هذه هي سوريا القديمة وهذا قليل من كثير من اعجاد هذه البقعة الخالدة وهذا ما يقوله فيها المؤرخون الاغراب والمعاصرون ولكننا نستغرب جد الاستغراب ان يقول هؤلاء السادة بعد كل هذا بتفرقة السوريين وتقسيمهم وان سوريا نظراً لموقعها الجغرافي كانت عرضة للغزوات والفتوحات من الممالك المجاورة، محكومة تارة من البابليين وطورا من المصريين وطورا من الاشوريين وهم جرا ولسنا ندري كيف يتفق لهذا الشعب المحكوم المغلوب، المقهور ان يحكم العالم اكثر من ثلاثين جيلا ويمدنه ويهدبه ويرقيه ثم يكون دائما مغلوبا على امره ولا ندري كيف نوفق بين هذا الانكسار السياسي وتحكم الاجنبي وبين هذه الفتوحات العظيمة الهائلة التي كانت فيها سوريا قدوة ومثالا لجميع شعوب المعمورة. وهل نجد شعبا واحدا في التاريخ من هؤلاء الغزاة الذين يقولون او سواهم وصل الى ما وصل اليه السوريون محكوما كان او مستقلا لا سيما في تلك العصور حيث لا شفقة ولا رحمة وحيث المغلوب يقتل ويحطم او يستعبد كما فعلت روما بقرطجنة .

نعم كل هذا غريب ومثأت من تربية مغلوطة وعجلة في الدرس اذ لو امعنا النظر فيما يسمونه فتوحات الاعجام والبابليين والاشوريين والمصريين وغيرهم لوجدنا ما يأتي :

يقسم المؤرخون هذا العصر الى اربعة اقسام يبتدىء سنة 3500 قبل المسيح وينتهي سنة الـ 1600 قبل المسيح وفي هذا العهد رأينا سوريا مملكة واسعة الاطراف، مستقلة تستعمر مصر واليونان والجزر الى الروسية الى ايطاليا وتنشر مدنياتها في جميع الاقطار . والثاني وينتهي سنة 1100 قبل المسيح . في هذا العهد عمر السوريون سواحل ايطاليا وجميع جزر البحر المتوسط واسبانيا وافريقيا اما حروبهم مع المصريين فابتدأت في الجيل الرابع عشر وكانت عبارة عن حروب عادية ومعاهدات لا تلبث ان تمزق وكذلك كان امرهم مع البابليين . والثالث وينتهي سنة 826 وفيه يقول المؤرخون انفسهم بلغت سوريا اوج المجد . والرابع وينتهي سنة 83 اي تاريخ الفتح الروماني، هذا العصر في نظرهم عصر انحطاط وخمول وذل لم تقم لسوريا فيه وبعده قائمة .

اذن نحن على اتفاق من ان السوريين تحكموا في مقدرات العالم نحواً من ثمانية وعشرين جيلاً وهنا نسأل المؤرخين ان يدلونا على امة واحدة وشعب واحد وجد على وجه البسيطة وتحكم في العالم وعمر ما عمر واحد ما احدث ودامت سلطته في عزها ومجدها طيلة هذه الاجيال العديدة. لا شك في انهم غير واجدين. لا نقول هذا فحسب بل نقول ايضاً ان هذا العصر الممتد من سنة 826 الى سنة 83 ليس عهد خمول بل عهد مملوء بالاجداد كانت فيه سوريا اولى امم العالم. فما يسمونه العهد الآشوري يبتدىء سنة 747 وينتهي سنة 609 أي نحواً من جيل ونصف جيل وهو عبارة عن حروب وانكسارات وانتصارات ومعاهدات متتابعة ولم يقل قائل ان السوريين ضيعوا استقلالهم او استعبدوا للآشوريين او سواهم. اما الفتح المصري والكلداني فيبتدىء سنة 609 وينتهي سنة 538 اي مدة واحد وسبعين سنة كانت كلها حروب لم تهدأ سنة واحدة حتى طرد السوريون هؤلاء الفاتحين نهائياً ونبوخذنصر حارب صور ثلاثة عشر سنة ولم يتمكن من اخذها.

هذا جل ما حل في هذه الاجيال الثمانية من الولايات والمصائب في البلاد السورية والاغرب من هذا وذاك ان هؤلاء الفاتحين على قول السادة المؤرخين انفسهم لم يتركوا اثراً واحداً في البلاد يدل على مدنيتهم وعبقريتهم وحبهم للعمران فلم يؤسسوا مدينة او يعمرها مملكة او ينشروا علماً او فناً او صناعة وكذلك قل عن الاعجام.

نعم في هذا العهد كثر التنافر بين الزعماء والملوك والامراء فانشقوا على بعضهم مدة من الزن فصار هذا يلجأ انتقاماً من اخيه وابن عمه الى الاعجام وذاك الى اليونان وذلك الى البابليين او المصريين فتضعفت احوالهم نحواً من جيلين وفي اواخر الجيل الرابع قامت مملكة السلوقيين عائلة غريبة عن سوريا تبناها السوريون واتفقت الكلمة عليها فاستعادت حرياتها ومجدها الاثيل وحافظت على كيانها اجيالاً عدة وكانت في ذلك العهد تحكم ليس فقط البلاد السورية بل جميع آسيا الصغرى وآسيا العليا من الفرات الى نهر الهندوس ومن البحر الاحمر الى بحيرة قزوين الى البحر الاسود.

وعليه تكون سوريا في اكثر من خمسة وثلاثين جيلاً عمرت العالم ومدنته وكانت مطمح الشعوب ومملكة العالم واعز امة على وجه الارض وسرى انها لم تضيع شيئاً من دعايتها العالمية في العصرين الروماني والعربي.

الفصل الثاني العصر الروماني

ان ما يسمونه العصر الروماني وتاريخ الرومانيين ان هو الا عصر مدينة روما وتاريخ روما واهالي روما، تلك المدينة العظيمة التي تحكمت في مقدرات العالم اجيالا عدة واطلقت اسمها على جميع العالم المتمدن في ذلك العصر .
يقسم المؤرخون تاريخ روما الى ثلاثة اقسام .

الاول - عصر الملوك وابتدى سنة 753 اي تاريخ بناء روما وينتهي سنة 509 قبل المسيح ومدته 244 سنة .
الثاني - العصر الجمهوري وابتدى سنة 509 وينتهي سنة 29 ومدته 480
الثالث - العصر الامبراطوري وابتدى سنة 29 وينتهي سنة 486 بعد المسيح ومدته 505 سنوات .

العصر الملكي : من سنة 753 الى سنة 509 قبل المسيح :

في هذا العصر انشئت روما ووسدت سلطتها الى بعض البلاد المجاورة ومنها نصف اللاسيوم والاتيريا وسابينيا . وفي هذا العصر كان اليونانيون والسوريون من امد بعيد عمروا البلاد وانشأوا الممالك في جميع ايطاليا الساحلية ونشروا المدنية في كل تلك الامصار وكانت قرطجنة في عز مجدها . ولما كان الشعب الروماني غريبا عن الشعوب المجاورة التي ضمها اليه رأى من الطبيعي ان ينظم شؤون الملك فيعطي لنفسه جميع الحقوق ويضع الواجبات على باقي الناس لذا قسم الشعوب التي اطلق عليها اسمه الى درجات متفاوتة الرتب والحقوق والواجبات فلرومان الحكم والقضاء والشرع والمشرعون والمعاملات الممتازة ولكنهم ما لبثوا ان نقلوا عن الشعوب

الشرقية، يونانية وسورية، شكل اداراتهم وعباداتهم وخلطوا آلهة الشرقيين بألهتهم، والذين في ذلك العصر كان يدخل في العبادات والمعاملات، ولما كانت تلزمهم شرعة يحتكمون اليها فاخذوها عن اليونان والسوريين جيرانهم وفي عهد توركون على قول شيشرون تدفقت العلوم والفنون اليونانية في البلاد كالانهر الزاخرة.

العصر الجمهوري: من سنة 509 الى سنة 29 قبل المسيح:

هذا العصر يقسمه المؤرخون الى شطرين. الشطر الاول. يبتدىء سنة 509 وينتهي سنة 264 وفيه طردت روما ملوكها وانشأت حكومة شعبية ديموقراطية وفتحت جميع البلاد الايطالية. وفي سنة 301 ارسلت وفدا الى اليونان فنقل شرائعها المأخوذة عن سولون الذي درس التشريع في سوريا وادخله في بلاده في الجيل السادس قبل المسيح وهي الشرائع المعروفة بالالواح الاثني عشر والرجل الذي تولى ترتيبها وتنظيمها هو رجل منفي من سوريا من مدينة افاز واسمه هارمودور.

والشطر الثاني يبتديء من سنة 264 وينتهي سنة 29 وفيه اخذت سيسيليا وكورسيكا وحاربت قرطجنة اكثر من مئة سنة حتى انتهت الى هدمها واستملاكها سنة 146 واحتلت جزائر الباليار ومالطة وغزو واليونان ومقدونيا ثم في اوائل الجيل الاول قبل المسيح ونظراً للاختلافات الشديدة القائمة بين افراد العائلة المالكة في سوريا ولتخاذل السوريين والمصريين تمكنت من احتلال المملكتين معا. مصر سلّمت نفسها خوفاً من انطيوخوس وسوريا اخضعها النزاع القائم بين الزعماء والقادة وافراد العائلة المالكة.

بعد احتلال سوريا سنة 83 قبل المسيح . وفي اخر العصر الجمهوري فقط ابتداء العصر الذهبي سواء في التشريع او في الفنون والاداب .

في جميع العصر الجمهوري نرى التشريع خاضعا للالواح الاثني عشر وكلها مراسم واشكال ضيقة مغلقة لا تنفق مع سعة المعاملات التجارية والاقتصادية ولما احتل الرومانيون سوريا تبدلت الحال وتغيرت واتسع نطاق الشرع والاجتهاد وتمدن وتهذب واصبح واسعا رحبا لا يقوم بالاشكال والمراسم بل يقوم على ارادة المتعاقدين وقالوا العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للالفاظ والمباني ولم يعد الناس بحاجة الى اختراع الحيل الشرعية ليتخلصوا من ضيق الشرع الالهي القديم لان الشرائع اصبحت مدنية عالمية ديموقراطية مبنية على ارادة الشعب ومصالحة الجمهور وسرى انه في العهد الامبراطوري اكمل السوريون هذه النهضة ليس في التشريع

وحده بل في جميع العلوم والفنون .

ونلفت نظر القراء الكرام الى انه من تاريخ روما الى آخر العهد الجمهوري لا نجد في روما اثرا للبنىات الضخمة الفخمة التي تعدّ من مفاخر المدينة وعجائب الدنيا .

العصر الامبراطوري : من سنة 29 قبل المسيح الى سنة 486 بعد المسيح :

يقسم المؤرخون هذا العصر الى ستة عهود :

الاول - عهد اغوستوس قيصر وعائلته ويبتدىء سنة 29 قبل المسيح وينتهي سنة 68 بعد المسيح . في هذا العهد يبتدىء العصر الذهبي في الاداب وتتسع الاسواق التجارية وتمتد الى الهند والحبشة وتبدأ البنائات الضخمة والمؤرخون يقولون انه فجأة انقلبت الحال فبيت الامبراطور الذي كان الى الآن عاديا اصبح فخما وقصراً شاهقاً وينتهي هذا العهد بنرون الجبار .

اما العهد الثاني فلا قيمة تاريخية له والعهد الثالث يبتدىء سنة 69 وينتهي سنة 96 وفيه نرى اثر السوريين في السياسة اذ يرفع الجيش السوري عائلة فلافيوس الى الامبراطورية فيسود الامن وتتوطد الدولة وتشد القصور وفي هذا العهد بني الكابيتول وهيكل السلام وهيكل جوبيتار والكوليزا وحمامات طيطوس الشهيرة وباب كلوديان وهيكل عبقرية روما وتنظمت الادارة وتقدم القضاء .

والعهد الرابع يبتدىء سنة 96 وينتهي سنة 192 ويسمونه العصر الامبراطوري الذهبي وامبراطرة هذا العصر من سوريي اسبانيا لان الشعب الاسباني المتمدن في ذلك التاريخ لم يكن سوى الشعب السوري الذي توطن في تلك البلاد . في هذا العهد تعاد الى مجلس الاعيان حقوق الاشراف على اعمال الدولة وتعزز المحافظة على حرية الافراد وحقوقهم وتزين روما بالبنىات الجميلة وتنتشر العلوم والفنون وتمتد المملكة الى شرقي الفرات فتدخل في حكمها اشور وبين النهرين والعراق وتنشأ الهياكل في اسبانيا وغيرها والاعمال الزراعية الهائلة في مصر .

والعهد الخامس يبتدىء سنة 192 وينتهي سنة 235 وهو عهد الامبراطرة السوريين ويبتدىء بسابتم سفار وينتهي بالكسندر سفار . في هذا العصر اصبحت الامبراطورية الرومانية سورية بكل ما في هذه الكلمة من معنى فالعلماء والحكماء والمشرعون والفنانون معظمهم ، ان لم يكن كلهم ، سوريون والاعظم من هذا وذاك ان

الامام الاعظم بايينانوس الحمصي (ولد سنة 146 وقتل سنة 212) كان وبقي الى آخر الجيل الخامس عشر حجة المشتريين ومرجع الحكومة في جميع الامبراطورية وهذا الامام الذي عين قاضي قضاة الامبراطورية جمعاً وضع سبعة وثلاثين كتاباً في الحقوق وعشر كتب في الفتاوي وكتابين في المبادئ الشرعية العامة وكثيراً غيرها وهو الذي قتله كارا كالا لانه رفض الافتاء ببرائه من قتله اخيه فذهب شهيداً للحق ومثلاً في الفضل والتمسك بالعدل والانصاف ومثله اوليانوس من صور الذي كان وزيراً للعدلية في عهد سابتم سفار وهو من الائمة الاربعة ومثله تلميذه موداستانوس وهو الامام الثالث وبولس الامام الرابع. هؤلاء هم الائمة الاربعة ومشرعي الممالك الرومانية وهذا هو شرعهم الروماني الذي كان ولا يزال ينبوع التشريع في جميع العالم المتمدن اليوم.

في هذا العصر تنظمت نقابات العمال والفنانين والفنون الجميلة ونشرت حرية الاديان والعقائد اما العهد الاخير فكله فوضى عسكرية وادارات سيئة لا مجال لذكرها هنا.

ولو امعنا النظر جيداً لوجدنا ان الرومانيين قضوا نحواً من سبعمائة سنة في الحروب لانشاء مملكتهم وانهم اخذوا شرائعهم وعباداتهم واداراتهم ونظمهم وفنونهم وعلومهم جميعاً من السوريين لا من اليونانيين وان ايجاد روما الخالدة من تشريع وآثار قديمة جميلة فخمة جميعاً من صنع السوريين وان مشرعها وايمنها بلا مزاحم عن السوريين وان اعظم امبراطوريها الذين حرروا الشعوب وحافظوا على حرية الافراد ونشروا العلوم والفنون هم من السوريين وان العصر الروماني الذهبي هو بحق عصر السوريين وحدهم وان الفضل الاول في عمران هذه المملكة الضخمة يعود للسوريين والا ما معنى ان لا تنشر هذه المدينة وتعزز الفنون والعلوم وترفع البناءات الشاهقة الا بعد احتلال سوريا وما معنى ان يحتكر السوريون الامامة في الشرع وهو اس الممالك واعظم مفخرة الرومان ولماذا لا نجد يونانيا واحداً في جميع هذه المفاخر؟

اذن سوريا لم تمت في هذه الاجيال بل اظهرت الخضوع للقوة ثم نظراً لعراقتها في المدنية وعبقريتها بنيتها ما لبثت ان وضعت يدها على الامة الرومانية جميعاً وسيرتها كما تشاء واعادت بناء قرطجنة حتى اصبحت في الجيل الثالث والرابع تضاهي روما نفسها في علومها وادابها وفنونها وكانت محط رحال الطلبة من جميع الاقطار ومثلها

بيروت وتدمر وانطاكية.

واذا تركنا كل هذا ونظرنا الى العصر الروماني بروية وعدم تحيز نرى ان الرومانيين لم يفتحوا العالم ولم يسودوه الا من سنة 146 (تاريخ فتح قرطجنة) قبل المسيح الى سنة 235 بعد المسيح او على الحد الواسع الى سنة 476. فيكونوا ملكوا نحواً من اربعة او ستة اجيال ونرى انهم لم يعمرؤا مدينة ولم ينشروا مبدأ ولم يخترعوا فنا ولم ينشؤوا شرعا بل جل ما يقال عنهم انهم رجال حرب وقادة جيوش عرفوا كيف يوحدون صفوفهم وينظمون شؤونهم العسكرية ويستفيدون من تحاذل الشعوب المتمدنة فيخضعون العالم بالقوة والجبر والشدة وقد هدموا في البلاد المستعمرة اكثر مما عمروا.

واذا قابلنا بين الرومانيين وبين السوريين فهل من المنطق في شيء ان نقيس الرومان واليونان بالسوريين وهل من العدل ان نفاخر باجماد الرومان وهي اجماد السوريين ثم نحتقر السوريين وعهدهم وعصرهم وقد تحكّموا في مقدرات العالم اكثر من خمسة واربعين جيلا متتابعة ثم نقول ونكون منصفين ان سورية ليست اهلا للاستقلال وانها لم تكن يوماً من الايام حرة مستقلة.؟

وسنرى ان سورية في العصر العربي لم تترك شيئاً من اجمادها ومبادئها ودعايتها الانسانية وانها في الدولة العربية اعادت الكرة وفتحت العالم واخضعته ومدنت اوروبا ونرى ان ما قاله العلامة غوستاف لابون عن العرب ومجدهم الاثليل وآثارهم الطيبة ان هو الا مجد السوريين ومآثر السوريين من العرب وحدهم.

الفصل الثالث

العصر العربي

من سنة 622 الى سنة 833

عندما ابتداء النبي محمد برسالته الدينية كانت جزيرة العرب في فوضى هائلة وفقير مدقع وسكانها أقرب للبربرية منهم الى الحضارة وكانت سورية وحدها محافظة على تراثها الادبي والعلمي وحضارتها اعظم حضارات العالم وكانت مملكة الروم تمزقها الاديان والشيع والمذاهب شر تمزيق وانقسم المسيحيون فيها الى طوائف عديدة والتهى الملوك والحكام والشعب في الجدالات الدينية العقيمة يضطهد قويمهم ضعيفهم تاركين المصالح العامة وشؤون الدولة نسياً منسيا واقام الامبراطرة في قصورهم الفخمة يقتلون الوقت باللهو والترف والفسق وملذات الدنيا وكأني بهذه السياسة الغاشمة مؤامرة هائلة دبرها الروم ليفرقوا بين الشعوب ويلهوههم بالتنافر المذهبي فيضعفون ويكون لهم من هذا الضعف قوة وتموت فيهم روح الجنس والوطن والقومية فلا يفكرون في وطنهم وماضيهم الخالد المجيد فكان لهم ما ارادوا ثم بدأت ظاهرة جديدة، ظاهرة الغطرسة اليونانية. فهؤلاء الناس لما رأوا انفسهم سادة البلاد بلا منازع عزوا وتاهوا وفخروا على باقي الشعوب والامم حتى ضج الناس وصاروا يرقبون الفرص لوضع حد لهذا العنفوان وينقمون لكرامتهم المهانة وشرفهم المداس.

كان ملوك الحيرة في العراق العربي (من سنة 195 الى سنة 633) وملوك الغساسنة في سوريا (من سنة 205 الى سنة 627) وكلاهما من العرب المسيحيين مستقلين في شؤونهم الداخلية ولما كانوا بين عدوين شديدين جبارين، الروم من جهة والعجم من الجهة الاخرى، رأوا من الحكمة ان يضعوا سيوفهم في خدمة الروم فكانوا جنود الامبراطورية وحرسها الدائم على الحدود ضد غزوات البدو والاعجم ولمافكر العرب باحتلال سوريا ونشر دعوتهم السياسية والدينية وقف الغساسنة في

وجهمهم يصدونهم ولكن القائد الرومي تيودورس عوضاً من ان يشكرهم على حسن صنعهم سبهم وشتهم وحقرهم ولما جاؤا يطلبون الجعل المفروض وهم راجعون من الحرب خائري العزائم، منهوكي القوى استقبلهم بلهجة عنيفة قائلاً: « اخرجوا من وجهي فالامبراطور يبذل الجهود الكثيرة ليتمكن من دفع معاشات جنوده وليس عنده ما يعطيه للكلاب امثالكم » اما سارجيوس قائد جيوش الامبراطور ونائبه فمنع عنهم جميع المساعدات التي كانوا يتفاوضونها سنة فسنة من الامبراطور. وهكذا من نكران جميل: الى اذلال وتحقير حتى اصبح الناس يغفلون كالقدر ويتحنون الفرص لخلع هذا النير.

ولما كان السوريون والاعراب من جنس واحد وعنصر واحد ودم واحد ولما كانت النهضة العربية التي تفجرت في جزيرة العرب ما هي الا ثورة شعوب مهضومة الحقوق، مكسورة الجناح، مستعبدة. من الغبراء، روماً واعجاماً ولما كانت الدعاية العربية الدينية لا تفرق في شي عن المبادئ المنتشرة في سوريا في ذلك التاريخ⁽³⁾ فتح الاقوام صدورهم امام الفاتحين ورحبوا بهم خير ترحيب.

يقسم المؤرخون هذا العصر الى ثلاثة عصور:

عصر الخلفاء الراشدين ويبتدى بابي بكر الصديق وينتهي بعلي ابن ابي طالب (من سنة 632 الى سنة 655).

وعصر الامويين ويبتدى سنة 655 وينتهي سنة 750.

وعصر العباسيين ويبتدى سنة 750 وينتهي سنة 833.

الخلفاء الراشدون: في هذا العصر فتح العرب سوريا وحكموا فيها معاوية ابن ابي سفيان ومصر وولوا فيها عمرو ابن العاص والعراق وبلاد فارس ولما كان العرب لا يزالون حديثي العهد بالحكم ما لبثوا ان انشقوا على بعضهم البعض كل يطلب الخلافة لرئيس قبيلته وعشيرته ففتحو السبيل الى الدسائس الاعجمية وغيرها فانتهت خلافة عمر قتلاً بدسائس الاعجام وخلافة عثمان قتلاً بدسائس الزعماء من العرب انفسهم ثم ان عثمان اظهر بعض الضعف فكثيراً ما كان يصغي الى توسلات الاقربين فيقضي الولاية المحنكين ويولي مكانهم من انسابه كما فعل في مصر مع عمرو بن العاص فتقوم الثورات فيعود فيدعو عمراً فيقمعها فيعود فيقصبه مما اضطر عمراً للاتفاق مع معاوية ابن ابي سفيان والي الشام فكان من مؤسسي الدولة الاموية ومن اركانها الاشداء.

وقد لعب السوريون في هذا العصر القصر دوراً هاماً جداً فالجيوش السورية بقيادة عمرو بن العاص قمعت الفتن في مصر ولما كان الزعماء في الجزيرة في تحاذل دائم وخلاف متواصل على الخلافة ولما كان السوريون اعرق مجداً ومدنية وحضارة في ذلك العصر فكروا بوضع يدهم على مقدرات الدولة وتسييرها كما يشاؤون كما فعلوا في عهد الرومان وهنا يبتدىء عصر الامويين .

الامويون: كان ابو سفيان حاكماً في مكة واعز اشراف البلاد ولما قامت الدعاية الاسلامية رأى نفسه وبنه في مؤخرة الاقوام ثم ارسل معاوية والياً على الشام وهو لا يأمل بالخلافة طالما يوجد في الجزيرة من هو اولى منه فيها لقربه من النبي او للجهود التي بذلها في سبيل الدعوة المحمدية فكان يتذمر ولكنه لا يجسر على الظهور ولحظ السوريون فيه هذا الضعف وهذا الطموح فعززوه فيه وشددوا عزمه وناصروه ليتمكنوا تحت رايته من ضم شملهم وجمع صفوفهم فيستعيدون ماضي عزمهم .

لم تنتشر الاخبار بمقتل عثمان حتى قام السوريون ينادون بمعاوية خليفة للمسلمين ويقيمون الدعايات الهائلة ضد علي واتباع علي ناسبين اليهم قتل عثمان ومن تمنع جيداً في الحوادث والثورات التي اقامت الناس واقعدتهم بعد مقتل عثمان يستغرب ولا شك ان يرى السوريين كتلة واحدة في جانب معاوية والحجازيين الا قليلا في جانب علي مع اننا لو تطلعنا الى القضية من الوجهة الدينية لرأينا ان لا سبيل للمقابلة بين الرجلين فالحق بالخلافة يعود لعلي بلا مزاحم لانه رجل العلم والبطولة والاخلاص والتقوى وصهر النبي وساعده الايمن واعز حبيب اليه ولكن القضية قضية شعوب لا قضية دين وخلافة وتقوى ورجولية وافراد . سوريا تريد الملك والحجاز تريده والعراق وضمناً العجم يريده ايضاً وما الافراد والشخصيات البارزة الا واسطة لجمع الكلمة وتوحيد الصفوف .

في هذا الزحام العنيف ما لبث السوريون بخدعتهم المشهورة ان ازاخوا علياً واستقلوا بالخلافة وكان معاوية خليفة للمسلمين صنيعه السوريون وحدهم ثم قامت الثورات في الحجاز والعراق وجوارها فقمعها السوريون بحد السيف .

منذ تلك الساعة انتهى عهد العرب وابتدأ عهد السوريين وخشية من وقوع الاضطرابات في المستقبل دفع السوريون معاوية لاقرار الخلافة في ذريته وهكذا كان وهكذا في اقل من ثلث قرن انقلبت الخلافة من انتحائية شورية الى ملكية وراثية

ونقل الملك من مكة والمدينة الى دمشق الشام وهو اول حادث في التاريخ من هذا النوع وهو يظهر بجلاء رائع عبقرية هذا الشعب العظيم.

فعل السوريون اعظم من ذلك تبنا معاوية وذريته كما تبنا السلوقيين قبلهم فاصبح الامويون سوريين بكل ما في هذه الكلمة من معنى لذا نرى معاوية يرشد ابنه يزيد في وصيته المشهورة ويقول له: السوريون اخلص الناس لنا وسوريا وطنك الذي تبناك فحبه وعزه واكرمه وحافظ عليه.

في هذا العصر فتح السوريون افريقيا واسبانيا والهند وحطموا اسطول الروم باسطولهم الذي بناه ابناء الساحل في طرابلس ولبنان واحتلوا جزيرة قبرص وغيرها وعززوا العلوم والفنون والصناعة والتجارة وعمروا القصور والهياكل وزينوها حتى اصبحوا اكبر امة على وجه الارض وحكموا الدولة نحواً من مئة سنة.

في هذا العصر بقي السوريون كتلة واحدة لا يفرقها فارق ولا تمزقها عنعنات دينية او مذهبية على الاطلاق فكنا نرى الحكام والوزراء والقادة من الاسلام والمسيحيين وغيرهم جنباً الى جنب يقومون بخدمة الامة باخلاص وحنكة وتدبير وحسن دراية.

ولكن لسؤ الطالع تضعع ملوك الامويين في اواخر عهدهم ومالوا الى الترف والبدخ فضعضعوا الصفوف معهم واشتغلت فيهم دسائس الاعجام وقام العباسيون يناهضونهم تحت ستار الدعاية لانباء علي فكان لهم ما ارادوا من هدم الدولة الاموية واشادة الدولة العباسية وهنا ابتداء العصر العباسي.

العباسيون: في هذا العصر الذي يبتدىء بالسفاح سنة 750 وينتهي بالمأمون سنة 833 ابتداء العباسيون بتقتيل الامويين وابادة ذريتهم فنبشوا قبور الموتى وذروا العظام والرماد ولم يبقوا على ذكر طيب منهم الا وهزلوه واذلوه ولم يفلت من يدهم الا عبد الرحمن بن هشام الذي هربه السوريون الى افريقيا فعاش بين القبائل في الصحراء.

وكما فعل السوريون نقل العباسيون الملك الى العراق وهذه ظاهرة ايضاً من تنافر الشعوب وتزاحمها على السلطة لاننا نرى في جميع بلاد الناس قديماً وحديثاً ثورات تقوم ويقهر حزب حزب آخر ويقوم ملك مكان ملك ولكنهم لا يغيرون عواصمهم ومركز دولتهم في كل تغيير او تبديل سياسي على الاطلاق اما العرب فلم

يكونوا على شيء من ذلك لان القضية عندهم قضية شعوب لا قضية احزاب ولذا نرى الملك ينتقل من مكة والمدينة الى الشام ثم الى بغداد .

وقد يستغرب المؤرخ النقاد نقل العاصمة الى بغداد او الكوفة مع ان العباسيين عرب اقحاح اما كان الاحرى بهم نقلها الى مكة او الى المدينة؟⁽⁴⁾ ذلك لان العباسيين او بالحري الاعجام قاموا بدعايتهم متظاهرين بنصرة علي وابنائهم ليتمكنوا من خدعة ابناء الجزيرة وضمهم الى صفوفهم وفي الحقيقة كانوا يبطنون السؤ والاستقلال بالسلطة لانفسهم فاذا نقلوا الدولة الى الجزيرة يقضى على آمالهم وتذهب الخلافة من يدهم الى ابناء علي لذا ما اشتدت شوكتهم في العراق حتى قاموا يناهضون ابناء علي ويقتلونهم شر تقتيل . والاعجام لم يساعدوا العباسيين ليكون الملك للعرب ولتكون الدولة في الجزيرة .

هذه الدولة لم تمد سلطتها الى اكثر من العراق والعجم وجوارها واسمياً على الجزيرة العربية ولم تفتح بلداً من البلدان او تعمر مصرأ من الامصار الا عندما يتفق للسوريين ان يمدوا اليها يد المساعدة ولما رأى السوريون انفسهم مغلوبين على امرهم وان الملك افلت من يدهم اجتمعت وفودهم من جميع انحاء البلاد والفوا مؤتمراً من ثمانين كبيراً وقرروا ارسال عبد الرحمن بن هشام الى اسبانيا واعلنوا استقلال قردبة سنة 756 ثم تبعهم التغليبيون في قيروان واعلنوا استقلالهم سنة 800 وهكذا فعل الفاطميون في مصر وغيرهم وغيرهم حتى تضعضع الاقوام ولما لم يتمكن السوريون من استعادة مجدهم في سوريا انصرفوا الى تعزيز ممالكهم في الاندلس وقردبة في اسبانيا وتونس والجزائر وطرابلس ومراكش حيث اهلهم واجدادهم عمروا البلاد واقاموا فيها منذ اكثر من خمسة عشر جيلا فاعادوا مجد الجدود وحكموا في البلاد الى سنة 1031 وكانوا في ذلك التاريخ اعظم دولة في القارة الاوروبية وهم الذين نشروا العلوم والفنون والفلسفة والطب في هذه الاجيال المظلمة وهم الذين يتحدث عنهم العلامة لابون عندما يقول ان العرب مدنوا اوروبا .

اذن كانت سوريا في عصر التمدن العربي دماغ الدولة المفكر ومنبت ايجادها ومفاخرها وبقي السوريون رغم انحطاط الدولة العربية جميعها في عز ومجد وسعة ومعظم في الاندلس الى منتصف الجيل الحادي عشر مع ان البلاد العربية من الجزيرة الى البحر المتوسط الى مصر اصبحت في فوضى ما بعدها فوضى . فما الداعي

يا ترى لهذا القعود والخمول مدة لا تقل عن الالف سنة ونحن لم نر هذه الامة تنام
على ضمير في جميع الاجيال السابقة؟

هنا محور الدائرة وحجر الزاوية والداء العضال الفتاك .

قلنا ان الشعبين الشرقيين العظيمين الروم والعجم اختطاً خطة واحدة للحط من
السوريين واذلالهم ووضع حد لطموحهم ولما كان السوريون لا يذلون ما داموا
متضامنين تدفعهم مجادهم القديمة دائماً الى الامام فتش الاقوام عن موضع ضعف
فيهم فوجدوه في الدعايات الدينية والمذهبية والطائفية فاسعروا نارها فيهم وشقوهم
على بعضهم وفرقوهم. هكذا فعل الروم فتمكنوا من التحكم فيهم نحواً من ثلاثة
اجيال وهكذا فعل الاعجم في عهد العباسيين ولسؤ الطالع توفقوا كل التوفيق في
هذا السعي المشؤوم .

في عصر العباسيين نرى الوزراء والامراء والقادة والاشراف ومدبري شؤون
الدولة من الاعجم ومن لف لفهم ونرى البرامكة وتهديم الخليفة هارون الرشيد
نفسه وامرهم معه مشهور فقد قتلهم وفضع فيهم شر تفضيع وبعض الرواة ينسبون
هذه المذابح الى حوادث غرامية او نسائية والحقيقة هي غير هذا فالعباسيون مع
استنادهم على الاعجم لم ينسوا انهم عرب وان من واجبهم حفظ السلطان في الامة
العربية ولما شعروا بالدسائس تحاك لتحطيمهم ونقل السلطان الى الاعجم قامت
قيامتهم عليهم وقتلوهم وقضوا على الثورة في مهدها انما لسؤ الحظ كانت الدعايات
انعجمية للتفرقة قد تأصلت في الشعب حتى اصبح من الصعب القضاء عليها وابلال
البلاد من هذا الداء الوبيل .

رأى الاعجم ان خير الدعاية للتفرقة في الدين واختلاف الاديان والمذاهب
ورأوا الاروام يسبقونهم في هذا المضمار وينجحون فساروا على نفس الطريق ولكنهم
كانوا اشد وطأة واقوى جرأة وابعد اثراً . كان الاروام يلهون الناس في الجدل
حول ناسوت المسيح وطبيعته الانسانية والالهية ولا يدخلون هذه القضايا في
المعاملات لذا لم يرحل الروم حتى زالت وامحت تلك العنعنات الخيالية الوهمية
واندثرت . ولكن الاعجم ادخلوا الخلاف في المعاملات المدنية في الاخذ والعطاء
والبيع والشراء وفرقوا المسلمين الى شيع عديدة كل منها يدعي الاولية والافضلية
ويكفر الآخرين ويضطهدهم وقامت الدعوة الى تعليق المعاملات بالدين واختلاق
الاحاديث حتى خلقوا منها اكثر من سبعماية الف حديث اكثرها دعاية للتفرقة

او ليس من الغرائب ان يكون السوريون مبدعين حقاً في التشريع والعلوم والفنون وهم ايمة العالم قاطبة منذ اكثر من خمسين جيلاً ثم لا نجد لهم اثراً بين العلماء والمشرعين في ذلك العصر ولا نجد عالماً او مشرعاً واحداً سورياً ولا اثراً واحداً في كل عصر الامويين ثم نجد فجأة ابا حنيفة الاعجمي بائع السجاد العجمي يتحول الى امام اعظم في الدولة ونرى بغداد التي لم تنبت قبلها عالماً واحداً معروفاً تعطينا ابن حنبل والمدينة تعطينا مالك والشافعي. لماذا لا نجد بينهم سورياً واحداً؟ فهل كان الاقوام في عهد بني امية بدون شرائع وعلوم واداب وهل فتحوا العالم ومدنوه وحكموه جيلاً كاملاً ثم حكموا اسبانيا ثلاثة اجيال ومدنوا اوروبا ولا شرعة لهم، لا علم ولا احكام ولا شي؟ وكذلك قل عن المحدثين فمحمد البخاري من بخارى وحده كان وثنياً ومات وثنياً ومسلم تلميذه وهكذا دواليك الى الدولة العثمانية⁽⁵⁾ حتى تأصل الشر وشاد النفور وحتى اصبح الناس لا يأكلون ولا يشربون ولا يتعاملون الا باسم الدين والطائفة والمذهب - كل فئة منهم تعيش على نفسها لنفسها غريبة عن الفئة الاخرى لا يتزاجون ولا يتلاحون وحتى نسوا كل تلك الامجاد الرائعة وفتحوا السبيل للدعايات الغريبة القائلة بان الشعب السوري لا كيان له ولا وجود وان هو الا مجموعة بناديق العالم وحتى صرنا نعتقد بل نؤكد بان ابن الشام غريب عن ابن الساحل وان الجنسية والدين شيء واحد لا يتجزأ وان لا سبيل الى توحيد صفوفنا وجمع كلمتنا واستعادة مفاخرنا طالما نحن من بلدان مختلفة الاصول والاجناس والتربية والعادات والنزعات والاحكام والشرائع وحتى دب اليأس وضاعت الامال او كادت وحتى صرنا نتمسك بجبال الهواء لنبني عليها هذه الطفرة الجنسية السورية القائمة فينا اليوم والتي هي كل ما بقي فينا من تراث الجدود وقد تكون الوراثة وقد يكون الدم وحده الذي حفظها من هذه الدعايات المشؤومة.

في منتصف الجيل الفائت واوائل هذا الجيل تنبه الاتراك - امام هجمات الدول الغربية - الى ان سياسة فرق تسد لم تعد ناجعة لانها تضعف الدولة وتجعلها مأكلة سائغة للغير ورأوا ان الحكمة تقضي بتوحيد الصفوف واستئصال اسباب التفريق والانشقاق ولما كانوا يعلمون ان هذا التفريق متأت من الشرع العملي والنصوص الشرعية العملية فوحدوا الضرائب وغمموها وقاموا بتمديد التشريع العملي فوضعوا

المجلة بحجة اختصار المطولات ومنع المناقضات في اراء الائمة ثم عدلوا بالاصول الحقوقية والاصول التجارية وقوانين الاراضي والطابو والانتقال والاقواف وغيرها وغيرها ومدنوها وجعلوها عامة شاملة واحدة للجميع، لجميع الناس وفي الحرب العامة شرعوا بتقنين حقوق العائلة ولا شك في انهم لو يقوا في البلاد مدة اخرى لوحدوا الامة ونزعوا جميع الفوارق الباقية ووحّدوا العائلة ولما كان العثمانيون يخشون مناهضة رجال الدين قالوا عن هذه القوانين والانظمة موقته. موقته ولكنها لا تزال معمولاً بها الى يومنا هذا.

هذا فضل يجب ان لا ننساه للاتراك ولئن كانوا مقادين اليه بعامل الضرورة والمصلحة. ولكن الاتراك مع كل هذه الحكمة والحكمة والتدبير وحسن الادارة في التشريع وشرف الغاية والقصد كانوا مترددين يخشون ان زالت الفوارق تقوم مقامها النهضات الجنسية ومع ذلك اختاروا اهون الشرين. الدول الغربية تقطع ممتلكاتهم شيئاً فشيئاً والشعوب العثمانية وخاصة العرب منها في مصر وسوريا والعراق والجزيرة تطالب باستقلالها باسم الجنسية والقومية لذا فكر السلطان عبد الحميد بالخلافة فيجمع تحت رايته باسم الخلافة الدينية على الاقل جميع الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية ولكنه لم يوفق.

والاحسن من هذا وذاك ان الاتراك وقد عرفوا ان لا سبيل لاعزاز شأنهم وحفظ كيانهم الا باسم الجنسية والقومية التركية قاموا مؤخراً بنهضتهم الهائلة وبهمة البطل المعروف مصطفى كمال واعوانه. فصلوا الدين عن الدولة ومدنوا الشرائع على اطلاقها وحصروا الاديان في المعابد وكذلك فعل الاعجام. اما نحن فلا نزال مترددين خائفين وجلين تائهين نتخط كالغريق في الميم وكأن الساعة لم تأت فنطرح عننا هذا التراث الغريب ونقطع شأفة هذه الجرائم القتالة ونعود الى تراث الجدود ومبادئ الجدود وسعة صدر الجدود. (6)

النتيجة

الى الامة السورية النبيلة، الى شيوخنا وشبابنا القائمين بالنهضة القومية، الى المفكرين والساسة، الى المنادين بالطائفية وبالوحدات العربية والسورية والفينيقية واللبنانية الى ابناء سوريا السفلى والعليا اسوق هذا النداء. اقول لهم هذا هو تاريخكم. هذا شيء من كثير من امجادكم العظيمة ومآثركم الطيبة ومبادئكم العالية فوحّدوا الصفوف ولوا

الشتات وكونوا كتلة واحدة مترابطة متماسكة تموت وتحي في سبيل الوطن العزيز المفدى.

عودوا الى ماضيكم. سلوا الجدود الاولين عن عظام هذه البقعة الخالدة وانبشوا القبور واكشفوا الانقاض وابنوا على هذه الاجداد اسس الدولة السورية المقبلة فقليل من الامم من يجد في ماضيه مثل هذه المفاخر وقد لا تجدون امة واحدة بلغت ما بلغته امتكم من العظمة والسؤدد. كنتم قادة الافكار ومبدعي العلوم والفنون جميعاً وناشري المبادئ السامية والمدنية العالية في الارض. كنتم اساتذة العالم ومربييه حسين جيلا فعودوا الى رشدكم وتذكروا لعل تنفع الذكرى.

كنتم مبدعي الديموقراطية في العالم وناشري لواء المدنيات الواسعة الصدر الحرة الرحبة التي وسعت جميع الاديان والآلهة والشعوب فهلا تتذكرون؟

عمرتم المسكونة وهذبتم الامم ومدتتم الامصار الواسعة وملأتم الارض افضالا ولم تكتسبوا من الاقوام اذا استثنينا التخريب والتدمير الا هذه الثغرات الدينية المشؤومة التي زلزلت مجدم وازالت عزكم وحطمتكم تحطياً ودفعتمكم الى احط الدركات. اتركوا الضغائن الطائفية واحصروا الاديان في المعابد واطرحوا جانباً هذه العادات السيئة الخبيثة فهي غريبة عنكم وبعيدة عن تراث اجدادكم بعد الارض عن السماء بل هي كل ما تمنى العالم قديمه وحديثه لكم ليلذكم ويستبد في شؤونكم فهلا تبصرون؟

انبذوا هذه التعاليم العالقة باذهانكم القائلة بانكم شعب خليط بندوق لا يرجى اتفاهه فقد لا نجد في العالم شعباً واحداً حافظ على دمه وجنسه واصله طاهراً. خالصاً من الغير كهذا الشعب السوري وكل ما تلقناه صغاراً عن هذه الامور ان هو الا تنمة المؤامرات الهائلة التي دبرتها الشعوب لاذلالنا فابناء لبنان ليسوا ابناء البلحة وهل تلد البلحة؟ ولا ابناء البحر والصيد بل كلكم سوريون عرب ساميون صميمون اقحاح. الشعوب الغربية دعتمكم عربا في القديم لان الساميين في الاصل رعاة بدويون فمن تحضر منكم عمر الامصار والممالك ومن لم يتحضر عاش في الصحراء ولا يزال فيها. بل سمو انفسكم ما شئتم من الاسماء فانتم جميعاً من دم واحد وجنس واحد ومدنية واحدة وخلق واحد بل انتم اصفى واعز من خلف آدم من الابناء.

وانتم ايها الشبان المملوون قوة وحياة ونشاطاً آمالاً كباراً كونوا شديدي العقيدة

واحملوا لواء الحرية والمساواة والاخوة في هذه الامة الناعسة واقيلوها من عثرتها
اقضوا على هذه العادات البالية الغربية المربوءة شدوا في اصولها واقتلعوها وحدوا
صفوفكم فتتحد صفوف الامة سيروا في طريقكم غير هيايين ولا وجلين ودوسوا
باقدامكم جميع العقبات والحواجز والسدود ومزقوها وحطموها واذكروا ان هنالك
خمسین جيلا من المفاخر فشيّدوا عليها بناء المستقبل الفخم فيبارككم الحدود
ويذكركم الابناء بالشكر ابد الدهر.

انتم امل الامة المنشود. انتم رجاؤها الضائع فالى الامام، دائما الى الامام وابدأ الى
الامام وعين الحق ترعاكم.

★ ★ ★

BIBLIOGRAPHIE

Noel Desvergers; Arabie, Paris 1857; Ed.' Cup: Institutions
Juridiques des Romains, Paris 1916; Ortholan, Explication Historique des
Instituts de L'Empereur Justinien, PARIS 1857. Maspero: Histoire
Ancienne des Peuples de L'Orient, Paris 1866. Gibbon: Histoire de la
Décadence et de la chute de L'Empire Romain; Dezobry & Bachet:
Dictionnaire de Biographie et d'Histoire, Paris 1873. Victor Duruy:
Histoire. des Romains: Paris 1895. L'Univers : Histoire de tous les
Peuples Anciens et Modernes; Jacques Tabet; La Syrie; H. Lammens,
S. J. L'Islam, croyances et institutions, Beyrouth 1926 Guillemin:
Histoire Ancienne de L'Orient, Paris 1867; Albert de Broglie: L'Eglise
et L'Empire Romain au IVe. siècle. Paris 1856. etc. etc.

(1) تعودنا درس تاريخ فينيقيا مستقلا عن تاريخ سوريا ونحن لا نرى مبررا تاريخيا او اجتماعيا او جغرافيا او سياسيا او جنسيا لهذا التفريق فاذا اتفق لاحدى المدن السورية ان تمد نفوذها الى بعض المناطق الساحلية فنتطلق عليها اسمها كما فعلت صور اذ اطلقت اسم فينيقيا - البلحة - على الساحل مدة من الزمن لان البلح كثير في ضواحيها او كما فعلت صيدا مدينة الصيد اذ اطلقت اسمها على الساحل - صيدونيا - مدة من الزمن لان الصيد كان اكبر موارد اهاليها فهل يعني ذلك ان الصيديون والفينيقيين غير كنعانيين اراميين سوريين؟ ولماذا هذا التفريق في سوريا طالما عندما ندرس تاريخ اليونان مثلا لا نفرق بين أثينا وتاب وسرطة وغيرها مع ان هذه المدن او الممالك كانت في حرب دائم وتطاحن متواصل بعضها مع بعض بل لماذا هذا التفريق في سوريا وتقسيمها الى شعوب مختلفة ودول مستقلة منفصلة لا تربطها رابطة كأن السوريين ليسوا من جنس واحد ومنطقة واحدة وبلاد واحدة ومدنية واحدة منذ اكثر من خمسين جيلا .

نأمل من المفكرين بحث هذه النقطة من التاريخ وتدقيقها فيجدون ولا شك ان لا فرق بين اللبناني وبين السوري، بين ابن صور وصيدا وبيروت وجبيل وطرابلس وبين ابن اللاذقية وحلب ودمشق وحمص وحما لا في العالم القديم ولا في العالم الحديث فيقولون الحق ويقضون على الاضاليل قضاء مبرما .

(2) النتف التاريخية التي حفظها المؤرخون من كتاب كبير لاحد علماء الفينيقيين تقول بان الفينيقيين عندما ذهبوا بقيادة حنون لاستعمار البلاد في افريقيا الشرقية كانوا ثلاثين الفا، رجلا ونساء تحملهم ستون باخرة مائة بالمؤن والمعدات من جميع الانواع وهكذا كانوا في جميع استعماراتهم .

(3) اقول هذا وامامي الكتاب الاثري الشريف الذي ارسله النبي محمد الى النجاشي ملك الحبشة وهذا نصه :

« اما بعد فاني احد اليك الله الذي لا اله الا هو، الملك القدوس السلام، المهيمن: واشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطاهرة المطهرة الطيبة المحصنة فحملت بعيسى فخلقته الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني ادعوك وجنودك الى الله تعالى ولقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي وقد بعثت اليك ابن عمي جعفر ومعه نفر من المسلمين والسلام على كل من اتبع الهدى . محمد رسول الله .»

فاستقبل النجاشي الوفود واقامهم عنده على الرحب والسعة والحق يقال اني لا اجد شيئا في هذه الدعوة يخالف الدين المسيحي لا سيما وكثير من المسيحيين في ذلك العهد كانوا لا يعتقدون بالوهية المسيح ولذا رأينا الخلفاء الراشدين لا يفرقون بين المسلم والمسيحي ويصلون في هياكل بعضهم البعض دون ان يخطئ في بال واحد منهم انه في عمله يأثم امام ضميره او دينه وعقيدته والمؤرخ يستغرب حقا وجود العنعنات الحاضرة والتعصب الديني الاعمى السائد في البلاد اليوم مع انه لا يمرر له البتة وسرى ان هذه الحركة المشؤومة ليست من اعمال العرب والسوريين في شيء وان هي الا نبتة اعجمية كالفتنة الرومية دبرها الاقوام لنصب الشقاق في سوريا لقتلها سياسيا والتحكم في مقدرات العالم دونها والا ما معني ان نرى عمر بن الخطاب يدخل الهيكل مع البطربرك سوفرونوس في اورشلم ويقول له عندما كلفه للصلاة: « كنت اصلي في هذه الكنيسة لولا خوفا ان صليت يمتثلها المسلمون لان خليفتهم صلى فيها» وما معنى ان نرى هذا الفاتح العظيم يطلب من هذا البطربرك ان يزور كنيسة بيت لحم ثم يدخل فيصلي فيها ويامر المسلمين بالصلاة فيها واحدا واحدا بل ما معنى ان نرى الامويين انفسهم يصلون في الكنائس ونرى في عصرهم المسلم والمسيحي يصليان جنبا الى جنب ثم نراهم اليوم في هذا التنافر المقعد المقيم؟ ذلك لان القضية لم تكن قضية دينية بل دعاية سياسية للتفرقة

والانشقاق فالانخذال ليس الا .

(4) او تركها في الشام طالما انهم لم يبقوا على واحد من الامويين؟

(5) ابو حنيفة عاش في الجيل الثاني للهجرة ومالك كذلك والشافعي في الجيل الثاني واوائل الجيل الثالث وابن حنبل في النصف الاول من الجيل الثالث والبخاري ومسلم كذلك وكلهم في عهد العباسيين اي من سنة 150 للهجرة الى سنة 261 منها .

(6) سندرس في رسالة قادمة علاقة السوريين بالدول المنتدبة واخصها الدولة الفرنسية ونثبت بالبراهين الواهنة ان سياسة التخاذل والعداء ليست من حسن السياسة في شيء وانه خير للامتين النبيلتين ان تنفاهما من ان تبقىا في تصادم دائم وخلاف متواصل مستمر لا يثمر الا الخراب والدمار واتساع الخرق مع الايام وان المصلحة والشرف والكرامة والسياسة تقضي جميعها بتحديد الحقوق والواجبات من الجانبين فتزول الاحقاد ويرتفع الخصام وتسود الثقة المتبادلة ويفهم الافرنسيون ان اليد الطيبة عندنا لا تضعع واننا قوم يقدرون المعروف ويذكرونه في السراء والضراء ويفهم السوريون ان الرابطة التي تربطهم بالامة الافرنسية النبيلة رابطة آداب وتربية ومصالحة وعطف ومودة وعرفان جميل فيكون التعاون والتضامن ويسود الامن وينتشر الرخاء .

مؤامرة على الدين والوطن
الحزب السوري القومي

بقلم

اخور اسقف لويس خليل
المرسل البطريركي الماروني

الى الشبيبة اللبنانية

المتعطشة الى الحقيقة الراهنة والمنطق السديد، المتلهبة حبا للوطن اللبناني، وقد شيد بنيانه المجيد، في ظل ارزه الخالد، على ممر الاجيال، جحافل الحدود الابطال، مسجلين استقلاله المنيع قولاً وفعلاً بدمائهم الزكية تخضب الى يومنا سفوح جباله ووهادها.

الى ابناء لبنان، رافعي منارة الدين والعلم والحضارة شرقاً وغرباً، حيثما قر لهم قرار، وخف عن كاهلهم نير الجهل والاستبداد، تشرق عيونهم ذكاء وجداً وحزماً، كأنها المرآة ارتسم على صفحاتها النقية بهاء سماء لبنان وصفاء هوائه العليل وعذوبة السواقي المتدفقة بين الصخور وفي الوديان ترنم لطيف اغنيتها الدائمة وتخلب الاسماع والانظار.

الى كل من شاهد النور على رواي لبنان، وفي ظل كنائسه وديورته الرابضة بين الصنوبر والسنديان، او الراسية في سهول البقاع الفسيح، بتجاوب صدى اجراسها في حرمون والباروك، وصنين وضهر القضيبي.

الى كل صادق النية، سليم الطوية.

الى كل لبناني،

اوجه هذه النبذة الوجيزة، الخالية من كل غرض يرتجى، والمنزهة عن كل منفعة شخصية تبتغى، لعله يصادف فيها عبرة فيعتبر، وهدى فيتعظ!

ل. خليل

طالعنا هذه المقالة ولم نجد فيها ما يمنع من طبعتها.

في 26 تموز سنة 1936

مصادقة صاحب الغبطة

البطريك الماروني الانطاكي

السامي الاحترام

على نشر هذه النبذة

الحقير

انطون بطرس

بطريك انطاكية وسائر المشرق

الحزب السوري القومي

توطئة

ضح لبنان من قضية الحزب السوري القومي. فمن معارض له اشد المعارضة باسم الوطنية اللبنانية الصادقة. ومن مدافع عنه ومطري خطته ومبادئه بداعي وطنية جديدة يريدون ابداعها. وطنية اوهموا انها « الوطنية السورية » الواجب على كل سكان بلادنا تقديسها. فخدعوا كثيرين من ابناء الشعب الجهال فانحازوا اليهم ظنا منهم انهم يخدمون البلاد خير خدمة ويروجون مصالحها الحيوية في ازمة كادت تقضي عليها. ولكنهم لم يلتفتوا الى مسألة في غاية الاهمية وهي موقف هذا الحزب من الدين والكنيسة فاليها احببنا ان ننهم لئلا يخونوا ايمانهم وهم من ابناؤه الصادقين.

ولعل القارىء يستوقفنا حالا قائلا: واي دخل للدين في قضية سياسية؟ اليس هذا تدخل من الكنيسة في ما لايعنيها وليس من شأنها؟

لا ايها اللبيب، ليست مسألة الحزب السوري القومي مسألة سياسية بحتة. هي سياسية دينية. بل دينية اولاً ثم سياسية كما اشار اليه صاحبها ضمناً (ص 5) ⁽¹⁾ اذ بسط سبب انشائه الحزب ثم في خطاب الزعامة عندما قال عنه (ص 30 عم 3): « انه فكرة وحركة تتناولان حياة امة باسرها ». فاذا كان الحزب فكرة وحياة فمن واجب الكنيسة ان تنظر فيه لترى اهو مطابق للحقائق الالهية المؤتمنة عليها من قبل

(1) الصفحات والاعمدة التي تحيل اليها القارىء هي صفحات واعمدة مجلة المعرض الصادرة في 25 شباط 1936.

الرب وهي «عمود الحق وقاعدته» (1 تيمو 3:15). ولنرشد ابناءها لثلا يضلوا في متابعة غاية بشرية ربما اودت بنفوسهم الى الابد.

هكذا فعلت ولا تزال تفعل في كل الامور التي لها مساس بالضمير وان كانت سياسية او اقتصادية او علمية. هكذا شجبت الاشتراكية والشيوعية ومبادئ الثورة الفرنسية الكبرى وحكمت على الماسونية وحرمتها. وعلى هذا الحق اعتمد بيوس العاشر لما ابطل سنة 1906 شريعة فصل الكنيسة عن الدولة الفرنسية واعلن انه لا يجوز العمل بها فاصبحت لاغية حتى اضطرت الحكومة الى تعديلها وفقا لمبادئ الكنيسة.

فهل مبادئ الحزب السوري القومي مطابقة لشريعة الله ووصايا كنيسته؟ أم تجرح الضمير حتى لايجوز للمسيحي - بل لكل مؤمن بالله - ان يتخذها دستورا لعمله السياسي وينحاز الى اصحابها؟ هذا هو موضوع بحثنا.

ولنا في ما نشره الحزب في مجلة المعرض في عدد 25 شباط بيان كاف لمبادئه، فان هذا العدد مخصص بها من اول صفحاته الى آخرها فهو بمثابة برنامج الحزب. واننا لانعتبر من طبعات هذا العدد التي جددوها وحذفوا منها امورا كثيرة فضحتهم الا الطبعة الاولى فقط. ونقتصر على فحص ثلاث مقالات منها:

الاولى للزعيم انطون سعاده عرض فيها سبب انشائه الحزب (ص 5 و 6).

الثانية لفؤاد سليمان «سكرتير الاذاعة» سابقا عرفنا فيها ما هو «الزعم» وما أفكاره (ص 7 و 8).

الثالثة «خطاب الزعامة» وهو مما حذفوه لما اعدوا طبع العدد الذي نحن في صدده. (30 الى 32). وهذا الخطاب مهم للغاية لمعرفة غايتهم ووسائلهم وقد قرىء في الاجتماع العام المنعقد في 1 حزيران 1935 ووافق عليه الجميع.

فلدى مطالعة هذه المقالات يتبين حالاً لمن له بعض الامام بالمسائل الدينية والفلسفية ان مبادئ الحزب منافية للدين وخصوصاً للدين المسيحي ومعادية للوطن اللبناني. واليك اثباتاً لما تقوله «مبادئهم الاصلاحية» نشفعها بغيرها من اقوالهم وبالشرح والقرارات التي اوردوها في مقالاتهم (ص 5):

1 - «فصل الدين عن الدولة».

2 - «منع رجال الدين من التدخل في شؤون السياسة والقضاء القوميين».

3 - «ازالة الحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب».

4 - «إلغاء الاقطاع وتنظيم الاقتصاد القومي على اساس الانتاج وانصاف العمل وصيانة الامة والدولة» .

5 - «اعداد جيش قوي يكون ذا قيمة فعلية في تقرير مصير الامة والوطن» .

الحزب مؤامرة على الدين

اول ما ينبهنا اليه « الزعيم » في طريقة اصلاحه الامة هو وجوب « فصل الدين عن الدول » . هذا مبدأه الاساسي . فما معنى كلامه ؟

لايفوتنك قبل النظر فيه ان « الزعيم » رجل متكتم ، متحفظ في كلامه ، يعرف قيمة الالفاظ التي يستعملها فيجب اذاً اعتبار معانيها كما هو الشائع فيها . فما مراده بفصل الدين عن الدولة ؟

ليس المراد كما اوهموا منع ارباب الدين من التدخل في شؤون الدولة : هذا نص المبدأ الثاني فالمعنى اذاً غير ذلك .

ليس المعنى فصل المذاهب عن الدولة بحيث لا يكون للدولة مذهب خصوصي مع بقاء الحرية لكل فرد في ان يتبع المذهب الذي يجب كما ينادون ايضاً موهين . فلو اراد الزعيم ذلك لكان قال : « فصل المذاهب الدينية عن الدولة » .

المعنى واضح وهو المتبادر الى الذهن من مجرد الاطلاع على الالفاظ وهو ان الدولة يجب ان تنفصل عن الدين بوجه مطلق حتى لا يكون لها علاقة بما نسميه واجباتنا للباري تعالي . فلا تؤسس على الايمان بالله ولا تحترم حقوقه ولا تبالي بأوامره ونواهيه . بخصر المعنى ستكون « دولة بلا دين » تستغني عن الله في وضع شرائعها وادارة اعمالها كأن الله غير موجود : هذا معنى فصل الدين عن الدولة وهو من افطع الامور لانه اهانة جسيمة للباري تعالي عز وجل .

الله هو خالق الكل : الافراد والجماعات . كون الانسان ليعيش في العائلة والعائلة في مجتمع اوسع منظم هو الهيئة الاجتماعية مهما كان اسمها مملكة او جمهورية او مشيخة الخ . فالطاعة له واجبة من الافراد والعائلات والدول مع الاكرام والعبادة والخضوع لشرائعه سواء أكانت طبيعية ام موحة . ففصل الدين عن الدولة عبارة عن انكار الله وطرده من مملكته . وهو الاثم الذي ارتكبه الثورة الفرنسية الكبرى .

وقد شجبت الكنيسة هذا الضلال الوخيم بكل قواها بلسان معلمها واحبارها

العظام. هذا مثلا ما قاله لاون الثالث عشر في براءته (Humanum genus) التي حرم فيها الماسونية، الصادرة في 20 نيسان 1884 :

« اهم عقائد الماسونية منافية للعقل بنوع واضح جدا وخبائة مبادئها اعظم ما يمكن ان يكون... بريد الماسون ان يؤلفوا مجتمعا بشريا منفصلا عن الله بينا الوثنيون انفسهم كانوا معتقدين وجوب تقديم العبادة للاهوت حتى انهم قالوا: « انه لاسهل ان تبني مدينة في الهواء من ان تبني بلا هيكل اي بلا عبادة... ».

ويمكن الاكثار من مثل هذه التعاليم ولكننا نكتفي بايراد كلام هذا الخبر العظيم، فانه حجة رائعة بذاته.

وليس فصل الدين عن الدولة اثم ضد الله فقط بل هو ايضا جريمة ضد الدولة نفسها يؤدي بها الى الخراب. لانه اذا تركنا الله جانبا فعلى اي اساس تبني الدولة؟ اي مبادئ تكفل لنا العدالة في الرئيس والطاعة في المرؤوس؟

الضمير؟ وهل من معنى للضمير اذا لم يكن الانسان مؤمنا بالله وقاصدا ان يجعل ارادته تعالى/دستورا لاعماله حتى اذا حاد عنها وبخنته النفس وردعته؟

بقي الخوف او المنفعة: الخوف من سيف الحكومة والمنفعة الذاتية لان الانسان ميال بطبعه الى طلب ما يجبه. ولكن هل يكفي سيف العدل لردع الشرير عن شره؟ نرى كل يوم خلاف ذلك. وهل المنفعة اقوى من السيف؟ ان كنت اجد فائدتني في ارتكاب المنكرات وليس هناك من خطر علي بالوقوع في ايدي العدالة فمن ينبغي عن عمل المنكر؟ حقا لقد صدق الوثنيون بقولهم: انه لاسهل ان تبني مدينة في الهواء من ان تبني بلا هيكل اي بلا دين. وقد قالت الحكمة الازلية قبلهم على لسان النبي داود في المزمور 126.

« ان لم يبن الرب البيت فباطلا يتعب البنائون. وان لم يجرس الرب المدينة فباطلا يسهر الحارس ».

فسيان هذه المبادئ الالهية يكشف لنا السر عن سبب الاضطرابات العديدة المتوالية في الدول الاوربية من عهد الثورة الفرنسية الكبرى.

وقد حاول اتباع الحزب القومي السوري ان يضعوا اساسا لدولتهم غير الدين وهو من اغرب الاختراعات، وهذا الاساس هو:

« سورية للسوريين والسوريون امة تامة » (!!) (المبدأ الاساسي الاول ص 5) .

« مصلحة سورية فوق كل مصلحة » (المبدأ الثامن ص 5) . وعليه .

« كل مبدأ لا يخدم سيادة الشعب على نفسه ووطنه مبدأ فاسد » (ص 30 عم 2) .

وبالعكس

« كل مبدأ صحيح (اي حتى يكون صحيحا) يجب ان يكون لخدمة حياة الامة » (ص 30 عم 2) .

هذا لعمر الحق تأليه الامة السورية وقد انتحلوا في خطتهم هذه ما رأوه من تأليه هتار للامة الجرمانية .

الامة السورية هي الاله الجديد . فالخير والشر لايعتبران الا بالنسبة اليها ، الخير هو ما كان لصالحها والشر ما كان يعاكسه . فالكذب والخيانة والنهب والقتل والزنى وكل الاثام اذا ما خدمت مصلحة الامة « التي هي فوق كل مصلحة » كانت صلاحا . والفضيلة بانواعها كالصدق والتضحية والطاعة للرؤساء والطهارة والنزاهة والكرم الخ تصبح فسادا اذا لم تكن لصالح الامة ! ايمكن ان يكون ضلال اوخم من هذا وتوحش افطع منه ! حقاً ان في هذا تصديقا لكلام لاون الثالث عشر اذ قال في براءته المذكورة آنفا بعد الكلام الذي نقلناه على الماسونية :

« انهم يعملون حتى يخطوا بالبشرية الى درجة البهائم » .

★ ★ ★

فصل الدين عن الدولة كفر بالله وبحقوقه وحط من كرامة الامة ومدعاة لخراب الدولة . وباليتمهم يقفون عند هذا الحد . انهم يسعون شأؤوا ام أبوا - بالرغم منهم للملاشة الدين تمثلا باهتلية . هذا معنى مبدئهم الاصلاحى الثالث (ص 5) :

ازالة الحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب » .

ما هي هذه الحواجز؟ لاشك انها الحواجز الدينية لانه ليس في حالتنا الحاضرة من حاجز بين الطوائف والمذاهب لا في الادارة ولا في الاحكام ولا في الشرائع ولا في الحقوق والحريات الشخصية الخ الا ما هو من الدين او عائد اليه ، كالزواج مثلا .

ولم يريدون ازالة هذه الحواجز الدينية؟ هل بغضة للدين؟ ونظن ان الهوس والكفر لم يبلغا الا بالنفر القليل منهم الى هذا الحد. غير انهم ارادوا ذلك توها منهم انهم لا يستطيعون توحيد الامة السورية السياسية دون توحيد عقائدها.

وكيف يوحدون العقائد؟ لو كانوا يؤمنون فعلا بالباري تعالى لكانوا اكتفوا، في حالتنا الحاضرة وقد تعددت المذاهب الدينية، بان يتمسكوا بما هو مشترك بينهما: اعني الايمان بالله والخضوع لوصاياه. فاننا جميعنا في لبنان - ولله الحمد - نعتقد به ونقول بواجب الطاعة له. وهذا كاف لتأسيس دولة على اركان ثابتة. غير انهم نبذوا الايمان بالله وآلهو الامة السورية، فتوحيد العقائد في نظرهم هو ملاشاة العقائد الدينية واستبدالها بعقيدة واحدة: «سورية للسوريين»، واليك الشواهد على صحة تأويلنا: يقول الزعيم في بسطه الكلام على سبب انشائه الحزب ص (5):

«رأيت ان أسير الى السياسة باختطاط نهضة جديدة تكفل تصفية العقائد القومية وتوحيدها وتوليد العصبية...».

«أنشأت الحزب.. ووحدت فيه العقائد القومية في عقيدة واحدة وهي سورية للسوريين والسوريون امة تامة (!!)» (ص 6 ع 2):

وجاء في خطاب الزعامة الذي قرىء في اجتماع عام والذي هو بمثابة برنامج عن «الصعوبات الداخلية: منها التقاليد المتنافرة المستمدة من انظمتنا المذهبية (اعني التقاليد الدينية) وتأثيرها في وحدة الشعب القومية».

«وقد اوجد الحزب طريقة التغلب عليها بنظامه الذي يصهر التقاليد المنافية لوحدة الامة (ص 31). ومنها ايضا:

«تحت عوامل مبادئ الحزب السوري القومي تمت عملية تحرير افكارنا من عقائد متهترئة (كذا) واوهام قعدت بنا عن طلب ما هو جدير بنا» (ص 31).

فالفكرة هي دائما واحدة: يجب توحيد الامة وذلك بتوحيد العقائد في عقيدة واحدة وهي «سورية للسوريين» ولا يمكن ذلك الا بازالة العقائد الدينية ولذلك بعد وصف الحزب السوري القومي في الخطاب المذكور يقول الخطيب:

«هذا هو الحزب السوري القومي للذين وحدوا ايمانهم وعقائدهم فيه» . وكذلك في القسم:

«اقسم اني اتخذ مبادئ الحزب ايمانا لي ولعائلي وشعبارا لبيتي».

اعني ان عقيدتي وعقيدة عائلتي هي المبادئ السورية القومية ولا اريد عقيدة غيرها.

واليك ما هو اصرح للدلالة على مرادهم في ملاشاة الدين، نجده في اقوال احد اركان الحزب فؤاد سليمان سكرتير الاذاعة سابقا في مقالة «الزعيم» ص 7. فاذا كان كلام الزعيم كلام انسان متحفظ متكتم، لا يتضح المراد منه الا بمعارضة النصوص بعضها ببعض، فبعكس ذلك كلام صاحبه ولسان حاله، واليك بعض درره. قال عن النهضة (ص 7 ع 3):

«ثورة تريد ان تهدم اباطيل الجهل والخرافات التي عشتت في زوايا عقول الموتى (اي الذين ماتوا على دينهم) وتمعن خرافة التاريخ الملعونة التي خيمت على ادمغة الرجعية في هذه البلاد». هكذا يصف الدين في لبنان.

«ثورة تحاول ان تنظف هيكل الحياة المقدس من اوساخ العقائد البالية والمبادئ المتفسخة المشلولة (كذا) وتخطم الاصنام البلهاء المويؤة (كذا) التي نصبها الخوف والخبانة آلهة في كل قرية وكل مدينة».

«هذه الامة (لبنان) تقدر الف وثن مذهب وتؤله الف مسخ مذنب». لا حاجة الى تفسير مغزى كل هذه العبارات لانها واضحة ولانظن ان لبنانيا بلغ به الحمق والكبرياء هذا المبلغ، حتى انه استعمل مثل هذه العبارة السافلة ليحقر الكنيسة الكاثوليكية التي ينحني امامها اجلالا واعجابا كل اديب عارف بفضلها وان لم يكن من ابنائها. ولانتنازل الى دحض مزاعم هذا «الاستاذ» وانما ذكرنا كلامه لننبه البسطاء من المسيحيين الى شر حزب هذا دينه.

وما قولك في تعظيمه زعيم الحزب ومنشئه؟ حقا لقد اذه.

«من دماغه... سينشق فجر الايمان الحقيقي، فجر النور والحق والعقيدة... وشعرت (في سماعي له) بايمان جديد يتسرّب من روحه الى روحي... وفي تلك الساعة ولد اله جديد في قلبي وماتت آلهة...!!»

مسكين واي مسكين هذا «الاستاذ»! لانقول غير هذه الكلمة. لكننا نسألك ايها المسيحي هل يجوز لك بعد ذلك ان تكون له تلميذا وتدعي مع ذلك بانك مسيحي؟ ويختم مقالته مناديا:

(1) وهنا قسم اخر هو قسم العمد عند تنصيبهم (ص 29 ع 2):

«أقسم بشرفي وحقيقي ومعتدي على ان اكون امينا للوظيفة متحملا لمسؤوليتها تجاه الزعامة محافظا على سر الاعمال التي اوتمن عليها فلا يعرف احد من الاعضاء مني الا ما انا مفوض بتبليغه...».

«الايمن ... الايمان ... ما اعظم الايمان!

«بالايمن شفى الناصري الاعرج والابرص والاكمه. وبالايمن اقام الميت.

«بالايمن وحد محمد الجزيرة.

«بالايمن يعمل غاندي في الهند.

«بالايمن يعمل الحزب السوري القومي.

«الايمن ... الايمان ... تبارك المؤمنون».

اي المؤمنون - على ما هو ظاهر - بالزعم سعادته وصاحبه وحزبه!!

فالزعم هو اذا بمصاف السيد المسيح له المجد وكنيسته المقدسة!! وتقول ايها المسيحي ان الحزب لايتعرض للاديان! وتحلل بقاءك فيه!!

لقد اتضح اذاً لكل من اعتبر ما تقدم ان الحزب يرمي الى هدم اركان كل دين ولاسيما المسيحي حتى يبني على انقاضه دولته الجديدة. وقد حذا في ذلك حذو هتلر كما قلنا. فلو نجح - وبالله العياذ - لقلنا على الحرية الدينية في لبنان السلام.

الحزب مؤامرة على الوطن

يحاول الحزب السوري القومي ملاشاة العقائد الدينية ليوحد «عقلية» الامة السورية ويحاول ايضا للغاية نفسها ملاشاة الوطن اللبناني. ومثل هذا العمل الصادر من اللبنانيين عمل ابناء عاقين تحرمه الشرائع الالهية فضلا عن العواطف الشريفة الطبيعية. اليك اولا المبدأ الرابع يبين فيه الزعيم مراده من قلب نظام لبنان وسورية الاقتصادي ظهرا لبطن:

«إلغاء الاقطاع، وتنظيم الاقتصاد القومي على اساس الانتاج، وانصاف

العمل وصيانة الامة والدولة».

يتبين لنا ان الزعيم ملم بالمسائل الاقتصادية لانه خلط في هذا المبدأ الرابع بين شتى الامور. فما مراده «بالغاء الاقطاع»؟ لعله يريد «الملكية الخصوصية» لانه ليس في بلادنا اقطاعات بخصر المعنى. وزاد على هذه الجملة المبهمة ما يجعلنا نعتقد انه يرمي الى تأسيس حالتنا الاقتصادية على «الاشتراكية». لانه جعل الانتاج «اساس توزيع الثروة والعمل» (ص 6 ع 1). وهو مبدأ الاشتراكية. ولا حاجة الآن الى مناقشة طويلة في هذا الصدد انما نريد لفت نظر المسيحيين الى ان الكنيسة حكمت على مبدأ

الاشتراكية بانه فاسد مضاد للشرائع الطبيعية والالهية كما بين لاون الثالث عشر في براءته المشهورة التي مطلعها Rerum novarum الصادرة بتاريخ 15 ايار سنة 1891 التي جدد تعليمها البابا بيوس الحادي عشر في براءته Quadragesimo anno سنة 1931 وفيها يقول: « لا يمكن ان يكون احد كاثوليكيا صادقا اشتراكيا بكل معنى الكلمة » .
وعليه تكون مبادئ الحزب السوري القومي منافية لتعليم الكنيسة حتى من الوجهة الاقتصادية .

غير ان هناك جريمة اعظم وهي الخروج بالقوة على السلطة المدنية الشرعية والمجاهرة بالعصيان . وقد اشاروا الى ذلك في المبدأ الخامس ووضحوا ما غمض من معانيه في خطبهم الرسمية .

المبدأ الخامس - « إعداد جيش قوي يكون ذا قيمة فعلية في تقرير مصير الامة والوطن » .

ليس الكلام على ما سيكون يوما اذا اصبحت سورية دولة واحدة طبعا لامانهم ، ولكن على ما ينبغي فعله الآن ليقرروا مصير الامة بالقوة . والقوة في شعارهم . لذلك وزعوا من الآن « وزاراتهم » (!) وعينوا « عميدا » للحزبية (!) (خافوا من لفظة وزير) . واليك بعض اقوالهم اثباتا لصحة تأويلنا :

ورد في « خطاب الزعامة » (ص 30 ع 3) .

« ان الغرض الذي انشئ له هذا الحزب غرض اسمى . هو جعل الامة السورية صاحبة السيادة على نفسها ووطنها . فقبل وجود الحزب القومي السوري كان مصير هذه الامة معلقا على ارادات خارجية ، وكانت انظارنا دائما تتجه الى الارادات الخارجية بعد ان نكيف انفسنا وفاقا لها . اما الان فقد غير وجود الحزب السوري الموقف . ان ارادتنا نحن هي التي تقرر كل شيء فنحن نقف على ارجلنا وندافع عن حقنا في الحياة بقوتنا . ومن الآن فصاعدا تدير ارادتنا نحن دفعة الامور . كل عضو في الحزب السوري القومي يشعر بانه آخذ في التحرر من السيادة الاجنبية والعوامل الخارجية المخضعة . لانه يشعر بان الحزب هو بمثابة دولته المستقلة التي لاتستمد قوتها من انتداب ولا تستند الى نفوذ خارجي » .

« الحقيقة ايها الرفاق اننا ترابطنا في هذه الحزب لاجل عمل خطير جدا هو انشاء دولتنا ... » .

(1) 20 نيسان 1884 ، راجع ايضا قرارات المجمع المقدس 18 ايار 1884 و 20 حزيران 1894 وقرار بجمع التفتيش

المقدس الصادر في 15 تموز 1885 .

(2) قرار بجمع نشر الايمان 6 آب 1886 .

يسر هذا مجاهرة بالعصيان والخروج على الدولة؟

وفي ص 31 ع 1 :

« اننا قد حررنا انفسنا ضمن الحزب من السيادة الاجنبية والعواهل الخارجية. بقي علينا ان ننقذ امتنا بأسرها وان نحرر وطننا بكامله ».

وكيف؟ بالقوة (ص 32 - ع 3):

« سيأتي يوم وهو قريب، يشهد فيه العالم منظرا جديدا وحادثا خطيرا: رجالا متمنطقين بمناطق سوداء على لباس رصاصي تلمع فوق رؤوسهم حراب مسنونة، يمشون وراء رايات الزوبعة الحمراء (رايات الحزب) يحملها جابرة (؟) من الجيش... فتزحف غابات الاسنة صفوفها بديعة النظام، فتكون ارادة للامة السورية لاتردد. لان هذا هو القضاء والقدر ».

ذكرنا كلامهم مطولا حتى لايبقى في عقل القارىء ادنى ريب في انهم يريدون التوصل الى تنفيذ مآربهم بقوة السلاح. وما هم يستعدون لهذا العمل تحت ادارة « عميد (وزير) الحربية »!! وقد أتت اعمالهم الاخيرة مؤيدة لاقواهم بالفعل. فقد عثر رجال التحقيق على لوائح منظماتهم، تحمل اسماء كل من الموظفين في هيئة « الحكومة العتيدة » مع رتبهم وصلحياتهم الخاصة، كما لو كان الحزب قد استولى فعلا على زمام الحكم وبدأ مزاوله اعماله. بل لا يخفى احدا ما يقوم به رجال القضاء. من اعمال التحقيق في جرائم نسبت الى رجال الحزب، واخصها الاعتداء على الافراد واقامة الدسائس على اخصام الحزب.

لانتقول ما في هذا العمل من الهوس البالغ حد الجنون. انما ننظر اليه من الوجهة الدينية لنذكر المسيحي بل كل عاقل ان هذا العصيان والخروج على السلطة الشرعية غير جائز بل هو اثم فظيع.

ما لبنان، صغيرا كان او كبيرا، الا دولة شرعية بل هو وطن عزيز قاسى ما قاسى على ممر الاجيال حتى بلغ الى هذه الحالة. وهو وحده امة في سورية بكل معنى الكلمة، فبأي حق يريدون هدمه وملاشاته؟ لايجوز الخروج على سلطته لان كل سلطان شرعي من الله « ومن قاوم السلطان انما يعاند ترتيب الله » (رومية 13: 1 - 7).

سلطة الدولة المنتدبة سلطة شرعية، لأنها مقامة من قبل الخلفاء الذين حررونا بدمائهم وأموالهم، فلستهم شرعية لايجوز انكارها.

كذلك قل عن السلطة في سورية والعراق ومصر وباقي الدول التي يريدون ان يضموا اقسامها منها الى سورية المستقبلية. (ص 5 - المبدأ الاساسي 5).

وياليتهم يدافعون في عملهم هذا عن حقوق راهنة ثابتة! ينخدعون ويجدعون بثرة الكلام منادين: «سورية للسوريين» فكيف يمكنهم تعيين حدود سورية واننا جميعا سوريون بنو امة واحدة، بينما هو مشهور ان سورية كانت من آلاف سنين ميدانا تطاحت فيه امم عديدة وتعاضت فيه عناصر مختلفة. فاين الوحدة الشعبية؟ اين الوطنية عندهم؟ انهم لا يفقهون حتى معنى الكلمة. وهب ان سكان سورية «امة واحدة» فبأي منطق يستنتجون من المبدأ أن لهم الحق الاكيد الآن بان يضعوا يدهم على اقاليم، لها بعرف الكل مالكون شرعيون؟

نعم، ان من الاراضي التي يريدون ضمها الى دولتهم الموهومة ما هو تحت سلطة شرعية غير السلطة السورية. ما هم يقرون بان للعرب في فلسطين حق التملك لاصقاع واسعة كانت قديما لبني اسرائيل فنزعها منهم الرومان ثم العرب ثم الاتراك. فلماذا ينكرون على اليهود حق استرجاعها؟ اذاً يعترفون بان مجرد سكنى شعب في ارض واملاكها مدة، وان طويلة، لا يتحول الى الابد حق الرجوع اليها ليمتلكها متى شاء وكيف ما شاء. وعليه ليس للسوريين ان يتسلطوا على ارض امتلكوها واستقلوا فيها منذ نحو الفي سنة، وذلك لمجرد هذه الاحتلال القديم. ومن الفظاعة ان يبنوا على هذا المبدأ الواهي مدعاهم ويجاولوا ان ينالوه بقلب نظام لبنان الحالي وسفك الدماء وخراب البلاد واستبعادها من اكثرية انفصل لبنان عنها منذ اكثر من اثني عشر قرنا واستقل بذاته فألف شعبا حقيقيا وان صغيرا يختلف عن باقي جيرانه. هذا ما لا يستحله الدين ولا العقل. ولا يرضى به اللبنانيون الاحرار الذين عرفوا ما كلف اجدادهم من تضحية وجهاد حتى كونوا لبنان وحافظوا فيه على حرية ايمانهم المقدس وتقاليدهم المسيحية.

لا نكبر انه يجوز للبنانيين والسوريين ان يتحدوا، اذا ارادوا، لتأليف وطن واحد. ان الكنيسة لاتمنعهم عن ذلك، شرط ان يباشروا هذا العمل بالطرق المشروعة، لا بالقيام على السلطة وسفك دماء الابرياء ونقض اركان الامن والنظام.

فالنتيجة واضحة: لا يجوز مطلقا للمسيحي، بل للعاقل الاشتراك بحزب هذه غايته وهذه اعماله الثورية.

وعما يزيد مبادئ الحزب فحشاً القسم الذي يربطهم بالحزب وزعمائه. وهذه صورته:

« انا... أقسم بشرفي وحقيقي ومعتقدي على اني انتمي الى الحزب السوري القومي بكل اخلاص وكل عزيمة صادقة، وان اتخذ مبادئه القومية ايمانا لي ولعائلي وشعارا لبيتي. وان احتفظ باسرااره فلا ابوح بها لا بالقول ولا بالكتابة ولا بالرسم ولا بالحفر ولا بأية وسيلة وطريقة اخرى لاتطوعا ولا تحت اي نوع من انواع الضغط. وان احفظ قوانينه ونظاماته واخضع لها وان احترم قراراته واطيعها وان انفذ جميع ما يعهد به الي بكل امانة ودقة. وان اسهر على مصلحته وأؤيد زعيمه وسلطته. وان لا اخون الحزب وان اقدم كل مساعدة اتمكن منها الى اي فرد عامل من افراد الحزب متى كان محتاجا اليها. وان افعل واجباتي نحو الحزب بالضبط. على كل هذا أقسم.»

فهل يجوز لمسيحي بل لعاقل ان يحلف مثل هذا القسم؟

ان فيه ثلاثة اشياء يقسم العضو انه يحفظها:

- 1 - « ان يتخذ مبادئ الحزب ايمانا له ». الايمان هو اعتقاد بكلام الله. فيجوز ان يحل المسيحي الحزب السوري محل الله حتى يؤمن بكلامه ومبادئه؟ وقد رأينا ما هي هذه المبادئ. إن هي الا اضاليل وخيمة مسترة ببهجة الكلام!!!
- 2 - ان يطيع وينفذ كل ما يؤمر به. قامت صيحة اعداء الكنيسة على اليسوعيين وغيرهم من الرهبان بسبب طاعتهم العمياء. وهيهات ان تكون طاعتهم كطاعة ارباب الحزب. يعد اليسوعي وكل راهب بالطاعة حسب القوانين المقدسة المثبتة من الكنيسة وما يعهد اليه بشرط ان لا يكون فيه خطيئة. واين هذا من طاعة اصحاب الحزب الذين يقسمون بالطاعة « وتنفيذ جميع ما يعهد به اليهم ». فلو عهد اليهم ان يضربوا او يقتلوا او يشهدوا شهادة زور او ينهبوا، فانهم يقسمون بتنفيذه لانهم في قسمهم لا يستنون شيئا. ولا عجب اذ انهم الهوا زعيمهم وحزبه.

3 - ان يحفظ السر في كل ذلك.

يطلب الزعماء الخفاء في اعمالهم الثورية خوفا من هجمات الاخصام « ومن السلطات التي قد لاترغب في وجوده » (ص 6 ع 1) فكأنهم يشعرون بان عملهم سيء: ان الشر يجب الخفاء والتستر تحت جناح الظلام. وعلى كل حال فان مسألته في غاية

الاهمية تعرض للمسيحي وهي هذه:

لقد حرمت الكنيسة مرارا الجمعيات السرية، منها الحرم الذي اصدره لاون الثالث عشر، وهو يتناول ايضا ابناء الكنائس الشرقية، وهذا نصه:

« يجرم حرما بسيطا لمجرد الفعل... المنتمون للشيعنة الماسونية وما شابهها من الجمعيات التي تناهض اما الكنيسة واما السلطات المدنية المشروعة».

فهل يقع اعضاء الحزب القومي السوري تحت هذا الحرم؟.

اجمع علماء اللاهوت على انه لا بدّ لجمعية حتى تكون محرومة من ان تتوافر فيها الشروط الاربعة الاتية:

1 - ان تكون جمعية حقيقية منظمة مؤلفة من جملة اعضاء يتعهدون فيما بينهم على التعاون للحصول على غاية معاومة.

2 - ان يخضعوا لرأس واحد يستمدون منه الاوامر ويرتبطون به بقوة القسم او الوعد.

3 - ان تكون اعمال الجمعية سرية نوعا.

4 - ان تكون مناهضة للكنيسة او للسلطة المدنية المشروعة.

والحال، ان الحزب السوري القومي هو جمعية تمت فيها الشروط المذكورة. فان كل ماسبق وبيتناه من نظامه وخضوعه للزعامة ومناهضته للدين والحكومة والقسم على كل ذلك مع حفظ السر يوضح كل الوضوح ان الحزب هو من الجمعيات الواقعة تحت طائلة الحرم المذكور.

★ ★ ★

النتيجة

هذا هو الحزب السوري القومي. هو شيعنة سرية تسعى لملاشات الكنيسة المقدسة وكل دين ولخراب لبنان.

وقد شاع مؤخرا ان فريقا منهم لما طردتهم الحكومة عدل خطة الحزب وحصر حدود الدولة في لبنان وحده. وشاع ايضا ان الفريق الاخر في دمشق اعلن ان الحزب يعمل لتحقيق الوحدة العربية التامة. ولكن عبثا يعدلون خططهم المضحكة، فان نتيجة بحثنا تبقى هي هي ما دامت سبائهم هي هي.

لا يجوز الانتماء الى جمعية سرية غايتها ملاحاة العقائد الدينية وتغيير الهيئة الحاكمة.
بطرق غير مشروعة وجعل الدولة اللبنانية دولة اشتراكية.

لنا تقاليد مجيدة وراثها عن جدود فضلوا حرية ايمانهم المقدس على منافهم
الزمنية. فهجروا البلدان الداخلية حيث خيم الظلم والاضطهاد. واعتصموا في رؤوس
الجبال من اكثر من الف سنة والفوا فيها شعبا حقيقيا، وان صغيرا، له مبادئ
«وعقلية» مسيحية محتصة به لاتهمهم مع ذلك من مؤاخاة من ليس على دينهم.
وامتازوا بذلك على جيرانهم كما شهد لهم الشاعر الفرنسي الشهير لامرتين لما زار لبنان
من نحو 100 سنة. فأصبح لبنان وطنا حقيقيا شرعيا لهم قد طالما جاهدوا في سبيله
وسفكوا دماءهم لحفظه وتعزيزه غيرة على ايمانهم المقدس.

فأي لبناني صميمي يتجرأ على هدم هذا الصرح المجيد؟

إذاً ليكون خائنا لله والوطن

بيروت في 25 تموز 1936.

مساظر اخرى عن مبادئ الحزب وأساليبه

نشرت جريدة «الاتحاد اللبناني» وثيقة خطيرة للحزب السوري القومي، عثر عليها
في اثناء التحقيق عن اعمال رجاله. وضع هذه الوثيقة الاستاذ عبد الله القبرصي في 18
كانون الاول من العام 1935، وضمنها بيانا عن حالة الحزب وأعماله في المناطق
اللبنانية، واليك بعض ما جاء فيه:

عمدة الحربية

« نظرا لصعوبة انفاذ خطة هذه الدائرة فيما يتعلق بالمليشيا، فقد انصرفت الى
تأليف فرقة للصيانة، قوامها فريق من الفدائيين، ووظيفتها انفاذ القرارات التي
تتخذ بشأن تمرد من الاعضاء او وقوع افشاء سر من اسرار الحزب.

ويستفاد من التصريحات التي ادلى بها حضرة عميد الحربية ان الاعدادات الاولى
لوضع مشروع المليشيا، سائرة السير الطبيعي، والاتصال بين حضرة العميد والقائد
الاعلى مستمر لوضع النقاط الهامة، ومنتظر بعض النتائج من هذه الجهة في الخريف
المقبل. »

عمدة الخارجية

« تتابع عمدة الخارجية درس التطورات السياسية العالمية وتسجيلها للاستفادة منها

في الظروف الملائمة... ودائرة الخارجية تبذل جهدها للاستفادة من الفوضى السائدة، وقد يكون لها شيء خاص، تقوله في البيان القادم».

البطريك والمونوبول

« وقعت واقعة المونوبول المشهورة وصادفت زيارة بعض رجال الكتلة في دمشق الى العراق والجزيرة، وحادثة المونوبول وضعت امامنا نقطة دقيقة للعمل، فقد طغى الشعور القومي على بعض اعضاء الحزب، الى ان اندفعوا في تأييد غبطة البطريك الماروني، اعتقاداً منهم انه يمثل الرأي العام في البلاد (كذا) وانه يوجه نظره واعماله شطر الاستقلال والحرية (كذا ايضاً)...

فاعاد حضرة الزعيم الجليل (19) هؤلاء الاعضاء الى رشدهم وفقاً للبند الاول والبند الثاني من مبادئ الحزب الاساسية: ان رجال الدين وزعامتهم لا يمكن للحزب ان يسايرها حتى ولو كانت في سبيل المصلحة العامة، لان حزبنا يحظر على رجال الدين التدخل في السياسة، ويقر مبدأ فصل الدين عن الدولة بصورة قاطعة لاتقبل تعليلاً ولا تأويلاً، على ان الحزب لا يغفل عن الاستفادة من مثل هذه الظروف لبث دعاية ويتخذ من ظرف المونوبول فرصة نادرة، وخصوصاً الدليل على قصر نظر القائلين بان فرنسة تفضل مصلحة لبنان على مصلحتها، وتتقيد ولو تقيداً سطحياً بعهودها المعهودة وبما يسمونه صداقة فرنسة التاريخية».



فمن هذه الشواهد الجديدة يتبين جلياً اية طريقة يسلك الحزب، فهو مؤامرة فظيعة تعمل على تحقيق مبادئها الفاسدة بالقوة والعنف بواسطة جيش من «الفدائيين» يحارب تحت راية الحزب، متذرعاً بالعصي والمسدسات لا بالبرهان العقلي والاقناع الطوعي. كذلك تظهر دسيسة الحزب لاغتنام الفرص الملائمة للفتك بالاصحاب واقامة سيطرة افرادهم على ابناء البلاد. وكل ما يعاناه الشعب المسكين من المآسي والمتاعب يجب ان يكون اداة صالحة لاحداث الفوضى. فما قضية المونوبول الا ظرفاً عارضاً يستفيد منه الحزب لاجل منافعه الخاصة. - فيا لله!

وَسَائِرُ



بعض مواد من دستور الحزب السوري القومي قبل التصنيف

المادة السادسة: غاية الحزب تنظيم حركة وطنية قومية تحقق القضية المنصوص عنها في المادتين الثالثة والرابعة من هذا الدستور وتؤدي الى استقلال الامة السورية استقلالا تاما وتحرير وطنها والاستمرار في خدمة الامة والوطن وفاقا للمواد الاصلاحية.

المادة السابعة: علمه اسود في وسطه دائرة بيضاء قلبها احمر يتشعب منه اربعة رؤوس اهلة في اربعة اتجاهات والالوان ترمز الى الجذ الممثل بالاسود والاخلاص باللون الابيض. والعزم باللون الاحمر والرؤوس الاربعة تعني اربعة مثل عليا: الحرية والواجب والنظام والقوة.

المادة الثامنة: مؤسس الحزب هو زعيمه وقائده.

المادة التاسعة: الزعيم هو مصدر السلطة التشريعية والتنفيذية الدائم للحزب وميليشياه وكل ما يتفرع عنها.

المادة الثامنة عشرة: للحزب مناطق يحددها الزعيم وميليشيا منظمة على القواعد الحديثة.

المادة التاسعة عشرة: على رأس كل منطقة يقوم منفذ عام يعين من قبل الزعيم يشارف على جميع الحركات في منطقته ويكون مرتبطا ارتباطا فعليا بادارة الحزب المركزية في كل شؤون منطقته.

المادة العشرون: الزعيم هو قائد الميليشيا الاعلى تعاونه هيئة يختارها من اعضاء الحزب ذوي الخبرة والاقدام.

المادة الخامسة والعشرون: للمحافظة على النظام يتخذ الحزب عقوبات جزائية وكل مخالفة يرتكبها احد الاعضاء وتكون من الاهمية بمكان يعاقب مرتكبها بموجب قرار من مجلس محاكمة خاص يؤلفه الزعيم وتنفذ قراراته حسب مقتضى الحال.

المادة السادسة والعشرون: عضوية الحزب مباحة للذكور والاناث.

المادة ٥٠ : يقسم العمدة لدى توليهم مناصبهم الايمان الآتية:

انسا.. اقسام بشري وحققيقي ومعتقدي على ان اكون امينا للوظيفة متحملا
مسؤوليتها تجاه الزعامة محافظا على سر الاعمال التي اؤتمن عليها فلا يعرف احد من
الاعضاء مني الا ما انا مفوض بتبليغه ولا ادع فرصة تمر دون ان انتهزها وان لا
استعمل وظيفتي في غير مصلحة الحزب او لمآرب شخصية على كل هذا اقسام.

المادة 72 : عضوية الحزب مباحة للجميع الا انه لا يقبل على وجه عام في العضوية
من لم يبلغ الخامسة والاربعين على انه يجوز لمجلس العمدة قبول دون هذه السن او
فوقها بقرار.

راجع المادة السادسة

المادة الثالثة: المبادئ الاساسية:

1-2-3-4-5-6-7-8

المادة الرابعة: المبادئ الاصلاحية:

1-2-3-4-5

(نقلا عن مجلة المعرض، العدد 1094، تاريخ 25 شباط 1936)

نسخة طبق الاصل عن الجلسات الاولى لمفزع الحزب في المكسيك « تأسيس فرع الحزب السوري القومي »

يوم الثلاثاء الواقع فيه 25 فبراير سنة 1936 وبرتاسة المفوض العام لجمهورية المكسيك الاخ عساف ابو مراد اجتمع الاخوان نجيب يونس ، لطف الله غريب ، عبد الله مسلم ، اندراوس ابو عديلي ، فيليب ابو مراد ، نسيم عزيز ، شهاب سليمان ، ابراهيم البيطار ، خليل سلوم ، ابراهيم عزيز والفرادو نعموم لتأسيس فرع للحزب السوري القومي وبعد ان تلا على الحاضرين حضرة المفوض مبادئ الحزب وغاياته والقسم ، وافق جميع الحاضرين اداء القسم والانضمام الى صفوف النهضة فأقسم كل منهم بدوره اليمين الحزبية ووقعوا على البطاقات الحزبية .

لقد قرر الاجتماع كل يوم خميس من كل اسبوع هيئة المديرية ومرة كل شهر يعقد اجتمع عام لكل الاعضاء .

الناموس المؤقت

الفرادو نعموم

الجلسة الثانية

عقدت الجلسة الثانية بتاريخ 5 مارس 1936 وانضم الى الحزب بعد ان قدموا طلبات الدخول الرفقاء :

فيكتور مبيض ، توفيق ابراهيم الاشقر ، يوسف حمدان ابو المني ، محمد حسن كرامة ، اسعد هندي ، محمد اسعد ابو المني ، فريد قاسم فياض ، بطرس انطون حرب ، انطونيوس روفائيل ، وصلاح قاسم ابو عاصي .

الناموس المؤقت

الفرادو نعموم

الجلسة الثالثة

عقدت الجلسة الثالثة بتاريخ 12 مارس 1936 وانضم الى الصفوف القومية الرفقاء :
انطون الخوري شباط، انطون سليم الحداد، جرجي ابراهيم العجي، سليم ابي يزيك،
يوسف العجي، عبد الغفار ابو فخر، يوسف سرايا، يوسف نصر الدين، انيس نصر
الدين، فريد يحيى، حمود النجم، نعيم فركوح، مرشد معلولي، توفيق زريق، عازار
الحداد، جرجي ابو شالوم، وفؤاد التقي،

الناموس المؤقت
الفرادو نعوم

الجلسة الرابعة

عقدت بتاريخ 20 مارس 1936 واقسم اليمين الرفقاء :

فهد المصطفى، عبد الله طعمة، نجيب البيطار، خليل عازار، محمد شنان، رزق
مارس، مخائيل طعمة، فضل الله العقباني، صالح ابو الحسن، عامر هنيدي، وشريف
صعب .

الناموس المؤقت
الفرادو نعوم

الجلسة الخامسة

عقدت بتاريخ 27 مارس 1936 واقسم اليمين الرفقاء :

جميل محمد ابو الحسن، يوسف بلوط، وديع رشيد ابو الحسن، رفول سليم العجي،
سامي قاسم عبد الخالق، فايز محمود ابو الحسن، شاهين علي الريشاني، امين حسن حزير،
تفيد عجاج تنوري، توفيق جرجي كبريل، الفونسو نجيب سليم عواد، رامز خليل ابو
نعيم، جميل اسماعيل بو مغلي، سليم سعد ابو شاهين، محمد قاسم ابو الحسن، بديع نقولا
غريب .

الناموس المؤقت
الفرادو نعوم

الجلسة السادسة

عقدت بتاريخ أول ابريل 1936 وانضم الى الصفوف القومية الرفقاء :

كريم علي أبو شاهين، جرجي موسى رفول، أنطونيو جرجي ذخريا، جرجي سمعان العجمي، غريب نقولا الغريب، نعمه مراد فرنسيس، ملحم ابراهيم الاشقر.
الناموس المؤقت
الفرادو نعوم

الجلسة السابعة

عقدت في 24 أبريل 1936

قدم طلب من السيد فؤاد فرح للانضمام الى الصفوف القومية، وبعد الاستفحاص عن الطالب قبل طلبه، وتليت رسالة واردة من 21 شاب مولودين في المكسيك ويرغبون الانضمام للصفوف القومية ويطلبون نسخاً من مبادئ الحزب باللغة الاسبانية، وكلف الرفيقيين سعيد صعب ونعيم فركوح الاتصال بالرفيق فيكتور مبيض ومعرفة عما جري بتسجيل الحزب في الدوائر الحكومية المكسيكية.

الجلسة الثامنة

عقدت في أول مايو 1936 وأقسم اليمين الرفقاء: جبران نقولا سلوم، وفؤاد فرح، أما بخصوص الشباب الذين طلبوا الدخول فقد تقرر الاجتماع بهم واطلاعهم بالتفصيل على مبادئ الحزب وغاياته. قرر عقد جلسة عمومية في 8 الشهر الحالي.

الجلسة التاسعة

عقدت في 8 مايو 1936 وقد تقرر تعيين الرفقاء: فيكتور مبيض، فايز أبو الحسن، لطف الله غريب، نعيم فركوح حتى يذهبوا برفقة حضرة المدير الى بلدة « كردبا » لتأسيس فرع للحزب هناك حسب طلب الكثيرين من المواطنين المقيمين هناك. تليت رسالة وصلت من السيد سليمان بدور صاحب جريدة البيان التي تصدر في نيويورك وفيها يثني على حمية الشباب الذين انتموا الى الصفوف القومية ويصرح أيضاً عن استعداده لتقديم كل خدمة تلزم لهذا الفرع الحزبي.

الجلسة العاشرة

عقدت في 15 مايو 1936 وقد أقسم اليمين الحزبية الرفقاء :

كريم سليمان سالم، عبده حبيب طعمه، فارس أبو المني، نيق عبدالله الخوري، رامون مخائيل شعيا ويوسف مخائيل درغل.

الجلسة الحادية عشرة

عقدت بتاريخ 22 مايو 1936 وأقسم اليمين الرفقاء: محمود علي خليل، محفوظ طعمه، سمعان خليل عبدالمسيح، ذيوب اسبر. تقرر احياء حفلة فرح وابتهاج بمناسبة خروج الزعيم من السجن ودعوة المواطنين لحضورها.

الجلسة الثانية عشرة

عقدت في 29 مايو 1936 وقد أقسم اليمين الرفقاء :

بشور سر كيس، وهبه موسى طعمه، رشيد رحال واسحق طعمه. تليت رسالة من السيد عارف أبو علي المقيم في «توريون» وفيها يطلب التعليمات عن الحزب ورغبته بالانضمام الى الصفوف القومية وكذلك رغبة الكثيرين من المواطنين المقيمين في تلك المدينة، وتقرر ارسال بطاقات دعوة لجميع الاعضاء لحضور الجلسة العمومية القادمة.

الجلسة الثالثة عشرة

عقدت في 5 يونيو 1936 كانت جلسة عامة وقد ذكر خروج الزعيم من السجن واحتفل بالقاء خطابات وأغاني شعبية ووطنية، وبعد الانتهاء من الاناشيد والخطابات اقترح الرفيق سعيد صعب تعيين لجنة لجمع اعانات من المواطنين وارسالها لمنكوبي فلسطين، فتقرر درس الاقتراح في الجلسة القادمة.

الجلسة الرابعة عشرة

عقدت في 12 يونيو 1936 تقرر ارسال دراهم الى المركز في الوطن وبمخصوص الاقتراح بجمع تبرعات من أفراد الجالية، تقرر ارسال وفد لأخذ رأي هيئات

الجمعيات الموجودة من المواطنين وقد كلف الرفقاء: المدير عساف أبو مراد، لطف الله غريب، كامل أبو علي، نعمه فرنسيس، محمد كرامه وفؤاد فرح والجمعيات المقرر زيارتها هي: الجمعية العكارية، الناشئة الادبية، التعاون الارثوذكسي ونجمة الشرق والارزة.

الجلسة الخامسة عشرة

عقدت في 19 يونيو 1936، حضر هذه الجلسة وفود من الجمعيات المذكورة في الجلسة السابعة، فرحب بهم حضرة المدير واطلعهم على الاقتراح المقدم من احد الاعضاء لجمع تبرعات ومساعدة منكوبي فلسطين، فلاقى الاقتراح استحسان الجميع وتقرر تعيين لجنة مؤلفة من مديريةية الحزب وكل الجمعيات الخيرية.

الجلسة السادسة عشرة

عقدت الجلسة في 26 يونيو 1936 وأقسم اليمسن الرفقاء:

ابراهيم جبرا، نهرا الغصين، علي أبو شاهين، فرج الله حنا، نقولا البدين، ودبع الياس الخوري. أفاد أحد أعضاء اللجنة المعنية لجمع التبرعات بأنهم لاقوا صعوبات بجمع التبرعات، فعندئذ تقرر تعيين لجنة غير المعينة سابقاً على ان تجمع التبرعات فقط من أعضاء الحزب.

الجلسة السابعة عشرة

عقد في 31 يوليو 1936 وقد تلي كتاب من المركز العام في بيروت ويتضمن الايضاح عن الحالة الحاضرة وسجن الزعيم مرة ثانية، تقرر تمثيل رواية على أن يرصد ريعها لمساعدة المركز في الوطن وعين الرفيق فؤاد سمعان ليدير الفرقة.

الجلسة الثامنة عشرة

عقدت في 7 أغسطس 1936 تلي تصريح لحضرة الزعيم كان قد نشر في جريدة مرآة ال غرب النيويوركية.

الجلسة العشرون

عقدت في 28 أغسطس 1936. تلي كتاب وارد من المركز الاعلى في بيروت وفيه

شرح كاف عما يقاسيه الرفقاء والزعيم من اضطهاد وان حضرة الزعيم لا يزال في السجن مع المسؤولين وبأن المركز بحاجة شديدة للمال ...

الجلسة الحادية والعشرون

عقدت في 4 سبتمبر 1936 تليت أخبار صادرة في جريدة البيان وفيها شرح عن التضييق والاضطهاد للسوريين القوميين في الوطن، وكذلك تليت رسالات واردة من الوطن وكلها تشرح حالة الحزب ومحاربة الحكومة له. وقد أقسم اليمين الرفقاء: خليل محمد شعبان وجرجي عبد الاحد لحود.

الجلسة الثانية والعشرون

عقدت في 14 سبتمبر 1936 قدم طلب دخول من السادة: سليم عاقلة وموسى ذيب وقد حضر الرفيق زاهي نصر وأقسم اليمين الحزبية.

الجلسة الثالثة والعشرون

عقدت في 21 سبتمبر 1936 وأقسم اليمين الرفيق سليم عاقلة وعين الرفيق حبيب رزق مديراً لمديرية «مونري» وتلي صورة التلغراف الذي أرسل لرئيس الجمهورية احتجاجاً على المعاملة القاسية التي يعامل بها الشباب الوطني المثقف المنتمي للحزب السوري القومي ويطالب بانصاف المسجونين والافراج عنهم.

الجلسة السابعة والعشرون

عقدت في 19 أكتوبر 1936 أقسم اليمين الحزبية الرفقاء: ميشال بشارة القرداحي، كاميليا كامل نحاس، الماس سليم صعب، نبيهة وديع الخوري. ورد رسالات من: الرفيق حسين بيضون يظهر استعداده لبث الدعاية الحزبية، الرفيق حبيب رزق وفيه طلب انتاء من السيد كامل طالب مدير من النبطية - لبنان، الرفيق حسن عبدالله محمد وقد أرسل عدة طلبات انتاء من ولاية فراكروز.

الجلسة الثامنة والعشرون

عقدت في 21 اكتوبر 1936 استلمت رسالة من الرفيق حبيب رزق وتتضمن اسما أربعة

مشتركين جدد وهم الرفقاء : جرجس ابراهيم حنون ، انطون سمعان بلاط ، الياس جرجس جعبة وعبود خليل جريج .

الجلسة التاسعة والعشرون

عقدت في 26 أكتوبر 1936 تقرر اقامة حفلة تأيينية لشهيد الوطنية المرحوم محمود أبو يحيى الذي استشهد في معارك فلسطين واشعار مديرتي كواوبلا وكردبا بذلك .

الناموس

نجيب أبو شاهين

الجلسة العمومية الشهرية

عقدت في 3 نوفمبر 1936 . أقسم اليمين الرفيقيين : لوس وليديا عيسى والرفيق محمد أبو شاهين .

حضر هذه الجلسة الاخ شفيق الجريصاتي الذي قدم حديثاً من الوطن فقدمه حضرة المدير الى الحضور وقد قال بأن حالة الحزب في الوطن حسنة للغاية وقد كثر عدد المندمجين فيه .

وتلقى الناموس نسخة الكتاب الذي تقرر ارساله الى سماحة محمد أمين الحسيني - القدس بخصوص التبرعات التي تبرع بها أبناء الحزب لمتكوبي فلسطين .

الناموس

نجيب أبو شاهين

الجلسة الحادية والثلاثون

عقدت في 9 نوفمبر 1936 أقسم اليمين الرفيقي سامي عبدخالق وتليت رسالة واردة من المركز مع ايصال بالمال الذي كان قد أرسل سابقاً . قسّمت العاصمة الى ثلاث مناطق وهي :

اللاغونيد - والمسؤول الرفيقي نجيب أبو شاهين

سان خوان - والمسؤول الرفيقي يوسف بهاء الدين يحيى

مارسيد - والمسؤول الرفيقي عبدالله مسلم

وتقرر تمثيل الرواية في تياترو هيدالغو .

الناموس

نجيب أبو شاهين

حصيلة جهاد سنة الانكشاف 1935-1936

الاعتقال الاول

التحقيق والمحاكمة:

اسماء الذين اجري التحقيق معهم واقفوا مدات متفاوتة وعددهم 29

انطون سعادة	روبير ابيللا	جميل عازار
نعمة ثابت	يوسف الدبس	محمد النقاش
عبد الله قبرصي	اسعد الايوي	رفعت زنتوت
زكي النقاش	جان جليخ	منح راسي
جورج حداد	جورج حكيم	سميح علم الدين
ويكتور اسعد	ديميتري حايك	عادل عيتاني
مأمون اياس	جورج كرم	جميل صوايا
فؤاد خوري	سامي قربان	شفيق شرتوني
فؤاد يعقوب مفرج	عفيف فاخوري	عادل ماهر
صلاح لبكي	محمود حافظ	

اسماء الذين اجري التحقيق معهم ولم يوقفوا وعددهم 12

عبد الله حريكه	جان انطوان بشير	نهاد ملحم حنا
جورج حريكه	نجيب الفيكاني	جورج صليبي
رامز البيروتي	رفيق الايوي	عمر اللبان
عبد السلام احمد الصيداني	جمال ناصيف	كنعان الخطيب

الاحكام

انطون سعادة ستة اشهر و25 ليرة سورية جزاء نقديا.

نعمة ثابت، عبد الله قبرصي، زكي النقاش، واسعد الايوي، شهر واحد مع

تأجيل التنفيذ و25 ليرة سورية جزاء نقديا.

اسبوعان مع تأجيل التنفيذ

جورج حداد، جورج حكيم، فؤاد يعقوب مفرج، مأمون اياس، ويكتور اسعد،
روبير ابيلا، صلاح لبكي، عمر اللبان، منح راسي، فؤاد خوري، جورج صليبي،
محمد النقاش، سامي قربان، محمود حافظ، عفيف فاخوري.

براءة

عادل عيتاني، سميح علم الدين، جميل صوايا، يوسف الدبس، شفيق الشرتوني،
عادل ماهر، جان جليخ، رفيق الايوي، نجيب الفيكاني.

الاعتقال الثاني

احكام التظاهرة امام سجن الرمل

ويكتور اسعد ستة اشهر غيابياً .
معروف عرييد ثلاثة اسابيع .
عجاج المهتار شهران غيابياً .
محمد فكري الشريف ثلاثة اشهر .
محمد خليل الباشا شهر ونصف الشهر .
شاوول نجيم ثلاثة اشهر .
ناجي قمم شهر ونصف الشهر .
جورج عبد المسيح شهر واحد .
محمد القاضي ثلاثة اسابيع .
فؤاد حداد شهر واحد .

اديب الزهيري شهر واحد .
عباس الحلبي شهر واحد .
ناصر فواز عشرة ايام .

احكام تظاهرة فريق اميون امام السراي

عبد الله سعادة، شفيق غنطوس، بهزاد نصار، فضل الله عازار، البير موسى
فيصل، سامي الخوري، اوقفوا واخلي سبيلهم بكفالة وفي الاستئناف صدرت
الاحكام بالمدّة التي اوقفوا فيها في طرابلس .

التوقيف على اثر تأديب الصحفي البذيء :

المتهمون مباشرة: عبد الله الجميل، ناصيف اللحام، الشقيقان ارستيد ابو سمرا
واميل ابو سمرا، السائق عارف الجردي و خليل ابو مجاهد .

التوقيف الموسع: في بيروت (ما عدا الزعيم)

نعمة ثابت، مأمون اياس، نهاد ملحم حنا، جورج شباعه، حنا ابو جودة، ويكتور اسعد، جورج حداد، عجاج المهتار، بهيج سمعان، جورج حنكش، جميل غازار، معروف صعب، نقولا برباري، سليم البريدي.

في طرابلس

مصطفى المقدم، وليم خلاط (طبيب اسنان)، حنا العاقوري، جورج عشي، جورج سعادة، جورج حمصي، ابراهيم الرواس، خالد اديب، فريد البداية، صلاح شيشكلي، لطف الله نصر، نجيب موسى، رشيد معصراني، محمود الادهمي، يوسف الخال، انيس فاخوري، ناصر المصري، ابراهيم الدوماني، عبد الله ايوب، البير مسعد.

في الكورة وطرابلس

جورج يزبك، وتفتيش منزل جبران جريج وتفتيش منزل الدكتور سميح علم الدين.

في جزين

مارون عون.

في المتن الاعلى

يوسف شقير.

في الشوف

الشقيقان رفيق ابو كامل وكامل ابو كامل.

التحقيق الموسع: شارل سعد وشقيقه ويكتور، بطرس سماحه وانطون حبش. ومن دمشق: فارس حمزة وفهد العبد الله، معروف صعب.

اخلي سبيل جميع الموقوفين بما فيهم الزعيم ولم تحصل اية محاكمة.

الاحكام على المتهمين بتأديب الصحفي البذيء:

عبدالله الجميل سنتان، خليل ابو مجاهد خمسة اشهر، اميل ابو سمرا خمسة اشهر، ارستيد ابو سمرا اربعة اشهر، ناصيف اللحام ثلاثة اشهر، عارف الجردي شهران.

- تأديب الصحفي البذيء في ضهور الشوير: توقيف كل من: رشيد مطر، فؤاد فرخ مفرج، اميل همام وسليم قيامه .

في فلسطين: شهيدان

حسين علي البناء، بلعة - نابلس.

محمد سعيد العاص، جبال الخضر - بيت لحم.



أيتها العزيزة سلمى

يظهر بين السجن مع كل ما يورثه من آذنين وبناعب ليس
عدم الجود . فقد كنت في الأسيرين الأضيق من المكان
البعيد الأساس الذي بدأت . وكانت حياتي في هذه المدة
العصية كثيرة النتائج مع كل الظروف الصعبة المحيطة . وإن
أعتبر إنجازي شرح مبادئ الحزب في مدة لا تتجاوز أربع وعشرين
ساعة أو عظم مدة قمت به في حياتي في أخطر وقت . إن هذا
الشرح الوجيز يحتوي على الحزب وإيقاع قضيتي . وقد
أجزأت مع الشرح المذكور، أضم شرح في بناء الحزب منذ إنشائه
أربع فصول تجدهم ، الذين هو عدة هيئات ومجاسن دنيا وعليا .
فقبل هذا التاريخ ، لم يكن كنت أتعلم الحزب وأخ وأخواتي
بدون صد وأكثاف . إننا الآن نعلم كيف نعمل في
السنو . إن أقرن بؤلك من السجن . ولست أقدر شيئا
غير صحيح إذا كنت من عمل كان ، وإن عد كبير ، نتيجة الشهد
بالمصروف المتبقية للمرافعة من أواني مديون بعض الأشياء
المستترقة التي كانت ترد من بين وبين وآخر من سلمى بسم
تغير قتيبي من للدواعي التنسية
أرجو أن يكون خير . أنت لمنه جدا لنا وللقضية وإن
عملت ضروري . وأقبل سلامي وأتمنى سوري

سلمى

من رسالة بخط الرفيقة عفيفة حداد مرسله بواسطة شقيقها فؤاد .

حد كرت **كجبران** عندنا بان الزعيم في السجن وعندما
كنت آخذ له الطعام وبعض الألبسة كنت ان
الوصية اقدر ان اتابل الزعيم ومدير السجن (لا اذكر اذ
حيثه قعيد القاعة ومنجم) بان يسمع لي كنت آخذ
من اعطون الأوتار مكتوبة على ورقة بالكامض وعند الصغرة
الثانية ما بريد وورقة كتب (اريد كتاب ديستريشن)
"Demonstration" وما ان مدير السجن لا يحزن اللغة
الانكليزية كنت اصل تلك الورقة بل لا مانع ولم كنا نخدم
تم شاب يوم المظاهرات كانت حول سجن الرتل

خلاصة

وهذه خلاصة لأهم ما ورد في المجلد الثاني « من الجعبة » خلال السنة الحزبية
الرابعة: 1935-1936

- انكشاف امر الحزب - 16 تشرين الثاني 1936
- وطنية المفوض سلامة عازوري، اعلنها ومارسها خدمات (مقال « السجن
الاول »)
- شهادة السكرتير العام ويكتور موسى، في شخصية الزعيم التي فرضت نفسها في
مديرية الامن العام الفرنسي منذ الوهلة الاولى.

- جمال ناصيف: اول عنصر نسائي في لبنان بل في العالم العربي، يستدعى للمثول
امام المحقق الفرنسي ولو لبضع ساعات لاستجوابه في تهمة عمل سياسي. انه اول
حدث مميّز يحصل في تاريخ المنطقة الحديث.

- التأثير في تعديل قانون السجون: (1) مسألة قصّ شعر السجناء (2) المعاملة المميّزة
لغير السجناء العاديين.

- المحاكمة: المعركة السياسية التاريخية الاولى في 23 كانون الثاني 1936: صدور
الاحكام بالحد الادنى.

- موقف ميشال زكور وعدد « المعرض » الخاص، 1094، تاريخ 25 شباط 1936.
- تحول اول اذار 1936 عيداً حزبياً (اشعال النيران)
- تأليف « نشوء الامم » في فترة تنفيذ حكم الاشهر الستة التي انتهت في 12 ايار

1936

- الاشتراك بمؤتمر الساحل في 10 اذار 1936
- مرسوم حل « الجمعية المسماة الحزب القومي السوري » في 17 اذار 1936
- اول انتماء عسكريين: اديب شيشكلي، امير اشلاش، صلاح شيشكلي.
- انتماء عبدالله سعاده، معروف سعد، نور الدين كنج، مصطفى ارشيد
- الاعتقال الثاني في 30 حزيران 1936 بعد تأديب الصحفي البديء
- التظاهرات الحزبية بدأت في 8 تموز 1936 احتجاجا على انتقال الزعيم.
- المظاهرة الحزبية امام سجن الرمل في 22 ايلول 1936
- وضع الزعيم النشيد الرسمي للحزب في السجن وكذلك شرح المبادئ
- الافراج في 6 تشرين الاول 1936
- انشاء مكتب عبر الحدود - ثلاثة فروع: المكسيك، شاطيء الذهب، سانتا ايسابيل.
- حصيلة جهاد هذه السنة الحزبية.
- ادبيات ومستندات ووثائق صدرت خلال هذه السنة الحزبية.





المحتويات

السنة الحزبية الرابعة سنة الانكشاف 1935-1936

7 من السرية الى العلانية
9 الصحافي التائه
13 ليلة 15-16 تشرين الثاني
25 انكشاف امر الحزب
39 انكشاف الحزب وتأثيره
41 في الصحافة
45 عبرة الانكشاف
47 الوضع السياسي في سورية الطبيعية

القسم الاول من 16 تشرين الثاني 1935 الى 12 ايار 1936

	الاعتقال
55 الامتحان الاول
65 الزعيم في السجن
69 السجن الاول
83 الوضع خارج السجن
525	التحقيق والمحاكمة

91 مراحل التحقيق
97 في اثناء التحقيق
99 اول بيان حزبي
103 مقال ميشال زكّور
107 تكملة سرد التحقيق
111 في الاعلام الخارجي
115 ختم التحقيق
121 انتخاب رئيس الجمهورية اللبنانية
125 الوضع الحزبي
127 اول قصيدة زجلية
129 حفلة هنانو التاينية في دمشق
133 المحاكمة
161 الوضع الحزبي المركزي - والسياسي

النشاط الحزبي

177 في الجامعة والمدارس الاخرى
181 في بيروت وضواحيها
187 في المتن ساحلاً وجبلًا
191 في الغرب والشوف
197 في البقاع
201 في المدن السورية
213 في لبنان الشمالي
221 في صيدا وحيفا
223 عبر الحدود

القسم الثاني من 12 ايار 1936 الى 16 تشرين الثاني 1936

229 الخروج من السجن
239 معلومات عامة

255 مشكلة الشوف
267 رسائل
273 من 15 الى 30 حزيران

فترة الاعتقال الثاني

283 الاعتقال
287 في فترة التحقيق
289 التظاهرات الحزبية
295 تكملة التحقيق
299 خائن جاسوس
311 المعاهدة بين الشام وفرنسا
313 فضيحة التهديد
315 في فترة الاعتقال
319 معلومات عامة
321 في السجن
339 التظاهرة امام سجن الرّمل
345 مظاهرات الوحدة السورية

بعد السجن

349 الافراج
352 الشهيد محمد سعيد العاص
367 المحاكمات
373 الوضع الحزبي
379 الاحزاب

عرض موجز للاحزاب

403 ادبيات
431 مستندات
503 وثائق
514 حصيلة جهاد سنة الانكشاف 1936-1935
521 خلاصة

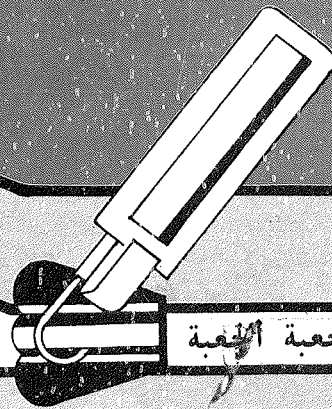
مرويات، مستندات، وادييات
عن الحزب السوري القومي الاجتماعي

الكتاب العظيم

الكتاب
العظيم

المجلد الثاني

المجلد
من 16 تشرين الثاني 5
الى 16 تشرين الثاني 6



الجمهورية العربية السورية
الجمعة الجعة امة الجعة الجمعة

324.256
M663ml

v.2
جيراندن جريج

جيراندن جريج